٣٩٧٠

Copyright © King Saud University

٨١١٫٥
م ٠ ح

(المنح المكية في شرح الهمزية) ، تأليف أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الانصاري ، شهاب الدين شيخ الاسلام ، أبي العباس (٩٠٩-٩٧٤هـ) . كتبت في سنة ١١٩٨هـ .

٣٩٧٠

٢٨٤ ق مسطرتها مختلفة ٢٠٫٥×١٥ سم
نسخة حسنة ، خطها نسخ حسن ، اوراقها منفرطة ، اضرت باوراقها الأرضة ، المتن بالحمرة . طبع .
الأعلام ١ : ٢٢٣ ، معجم المطبوعات ١ : ٨٤

١ - الشعر ، العصر التركي والمملوكي ، ادب اللغة العربية
أ - ابن حجر الهيتمي ، أحمد بن محمد - ٩٧٤هـ
ب - تاريخ النسخ ج - افضل القرى لقراء ام القرى .

الجزء الثاني

من ادا[ب] القضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩٩٧
١٨١٩ ق / ١
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

في ذات النبوة او الرسالة فانهم كلهم مشتركون
في ذلك لا يتفاوتون فيه وانما يتفاوتون
في زيادة الاحوال والمعارف والخصوصيات
والكرامات وشرع حملها على التفضيل بالراي ليس
في محله لان تفضيل ذلك بالراي المحض مجمع على
منعه وبالدليل الدال عليه لا وجه لمنعه
واما الحديثان الصحيحان ما ينبغي لاحد
ان يقول انا خير من يونس ابن متى من قال خير
من يونس ابن متى فقد كذب فحكمة التخصيص
فيهما بيونس نفي توهم التفاوت بينهما في القرب
من الحق لاختلاف محلهما الصوري برفع نبينا
صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين وتنزول
يونس عليه الصلاة والسلام الى قعر البحر
اي لا تتوهموا من هذا التفاوت الصوري
تفاوتا في القرب والبعد من الله تعالى بل نسبة
كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما لتعاليه عن
الجهة والمكان فهو نهي عن تفضيل مقيد بالمكان
لا مطلقا ومنها ان قوله الانبيا يشمل من عرف
منهم ومن لم يعرف قال تعالى منهم من
قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وان
اختلفوا في عدد من عرف منهم والمشهور فيه ما في
حديث ابي ذر عند ابن مردوية في تفسيره
قال قلت يا رسول الله كم الانبيا قال مائة الف

واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم الرسل
منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت يا رسول
الله من كان اولهم قال ادم ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون
ادم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو اول
من خط بالقلم واربعة من العرب هود وصالح
وشعيب ونبيك يا ابا ذر واول نبي من بني اسرائيل
اي من بعد اولاد اسرائيل وهو يعقوب عليه
الصلاة والسلام موسى واخرهم عيسى واول
النبيين ادم واخرهم نبيك وروى هذا الحديث
بطوله الحافظ ابو حاتم ابن حبان في كتابه الانواع
والتقاسيم وصححه لكن خالفه ابن الجوزي
فذكره في موضوعاته واتهم به ابراهيم ابن هشام
قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه تكلم فيه غير واحد
من ايمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث
فالله اعلم وبينت في شرح خطبة المنهاج ان
حديث كون الانبيا مائة الف واربعة وعشرون
الفا وحديث كون الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر صحيحان
وروى ابو يعلى كان فيمن خلى من اخواني من الانبيا
ثمانية الاف نبي ثم كان عيسى ابن مريم ثم كنت انا
يا حرف ندا للبعيد ولقرب المنزل منزلته وهو
هنا اشارة الى بعد مرتبته صلى الله عليه وسلم عن
ان تلحق او تسامى سما بالتنوين والنصب لانها نكرة
موصوفة وهي من حيز الشبيه بالمضاف فتنصب لا غير

على

على الاصح وقال الكسائي يجوز فيها النصب
والضم وفصل الفراء فاوجب النصب اذا كان العايد
من الصفة اليها ضمير غيبة كما هنا وكيا رجلا ضرب
زيدا والضم اذا كان ضمير خطاب كيا رجل ضربت
زيدا **تنبيه** لا ياتي هنا الخلاف في النكرة
غير المقصودة وهو قول الاصمعي لا تنادى مطلقا
والمازني لا يتصور نداوها لانه يقتضي الاقبال
عليها وعدم قصدها يقتضي عدمه منادى قال
وما جا منونا منها فضرورة وللكوفيين شرط صحة
ندايها ان تكون صفة في الاصل حذف موصوفها
نحو يا ذاهبا والمنع ان لم تكن كذلك وذلك لان
محل هذه الاقوال الاربعة حيث لم توصف النكرة
بمفرد او جملة او ظرف الا جاز نداوها مطلقا
اتفاقا فان قلت سما هنا مقصودة قطعا كما
يعلم مما ياتي وموصوفة بجملة ما طاولتها سماء كما تقرر
وحكمهما متناف فان قصدها يوجب بناها على الضم
ووصفها يوجب نصبها على الاصح كما تقرر فما المغلب
منهما حينئذ قلت لم ار للنحاة في مثل هذه الصورة
نصا وانما اطلقوا في المقصودة البنا وفي الموصوفة
النصب ومفهومهما تخالف اذ اطلاق الموصوفة
تقتضي انه لا فرق بين المقصودة وغيرها واطلاق
المقصودة يقتضي انه لا فرق بين الموصوفة
وغيرها الا ان يقال الوصف يستلزم القصد وهم مع ذلك

لم ينظروا للقصد معه لا تمنع استلزامه له اذ لا يبدع
ان الاعمى يقول يا رجلا صالحا خذ بيدي من غير ان
يقصد احدا بعينه ولكن لا يبعد ان يدار الامر
في نحو هذه الصورة على نظر الناظر فان اعتبر
الوصف اجري عليه حكمه السابق او القصد اجري عليه
حكمه وهو انه يجوز تنوينها للضرورة اجماعا ثم
اختلفوا هل الاولى بقا الضم او الاولى النصب
فالخليل وسيبويه والمازني على الاول
علما كان او نكرة مقصوده وعيسى ابن عمر والجرمي
والمبرد على الثاني ردا الى اصله كما رد غير
المنصرف الى الكسر عند تنوينه في الضرورة
واختار ابن مالك في شرح التسهيل ابقا الضم
في العلم والنصب وقلنا بان النكرة المنونة هنا
مهيئة فعلى الضم على احد شقي قول الكسائي
وعلى ما ذكرته من انه اذا اريد بالنكرة الموصوفة
معين بنيت على الضم في النكرة المعينة لان شبهها
بالمضمر ضعيف وبعض المتاخرين العكس وهو اختيار
النصب في العلم لعدم الالباس فيه والضم في النكرة
المعينة لئلا تلتبس بالنكرة غير المقصودة اذ لا فرق
حينئذ الا الحركة لاستوائهما في التنوين اذا تقرر
ذالك فالاولى هنا على الاول والرابع الضم وعلى
الثاني والثالث النصب والذي اقول له ان الضم
متعين هنا على الكلام الظاهر خلافا لما يوهمه

الراي

الراي الرابع ان محل الخلاف حيث يتولد منه محذور
وهنا النصب يترتب عليه محذور لايهامه ان السماء
الاولى نكرة غير مقصودة ايضا لها بخلاف ما اذا كانت
الاولى نكرة مقصودة كما هو المراد هنا اسم جنس
يشمل ساير الاجرام العلوية فان هذه بهذا المعنى
هي التي لا تتطاول لها سما اي مرتفع غيرها لانه لم
يوجد في هذا الوجود ارفع منها فتامل ذالك
حق التامل واحفظه فانه مما يتعين لاسماع
النظر لما قاله الشيخ مما لم يعثر فيه على شي مما
ذكرته ما نافية طاولتها اي غالبتها في الطول
والارتفاع سماء وهذا الشطر الثاني كالدليل
للشطر الاول اذ التقدير لم يرتق احد منهم
ارتقاك لانه لم يستطع مطاولتك في ارتقايك
الحسي ولا المعنوي وان كانت درجاتهم كلها
ومراتبهم وصفاتهم باسرها ارفع الدرجات
واكمل المراتب واجل الصفات قال الله تعالى
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وهذه الاية
صريحة في فضلهم على جميع الملايكة بل الخلق
اذ العالم ما سوى الله تعالى وانما جمع جمع العقلا
تغليبا لهم وفيه استعارة لفظ اسما الاول
لنبينا صلى الله عليه وسلم والثانية لبقية الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لان السما على ما برى
من الاجرام الحسية كما انهم اعلا الخلق ورشح لذالك

بذكرلا رتقا الملام للمستعار منه لم يساووك
مستانفة على ما ياتي فيكون من اسلوب الحكيم
اوحال من فاعل ترقي في علاك جمع عليا تانيث الاعلى
من علي بالفتح كما يعلوا علوا في المكان وعلي بالكسر
يعلى وعلي بالفتح يعلي علي في الشرف قال
الشارح ولما كان نفي المطاولة لا يلزم منه نفي
المساواة وكان المعنى لا يتم الا بنفيهما صرح
بذالك وتبعه غيره فقال لما لم يلزم من نفي المطاولة
نفي المساواة اشار الى نفيها وان كان يوخذ مما تقدم
لكن لا بطريق التصريح انتهى وهو عجيب مع ما مر
في كيف انه افاد بطريق التصريح نفي رقي احد منهم
رقيه وهو مساو لقوله لم يساووك فالحق انه تاكيد
واطناب فقط على ان لذكره فايدة اخرى
هي البرهان عليه بطريق اخرى وحينيذ يكون
ما سلكه من ذكر الجملة الاولى في شطر البيت الاول
والبرهان عليها بما في الشطر الثاني واقتصار الشيخ
على الاول بعيد لتخصيصه بفاعل ترقي البعيد
دون يساووك القريب وان كان مجوزا والاول اولى
لما قدمته ان هذه الجملة كالبرهان او التعليل لما
قبلها كذا قيل وفيه نظر لان الحالية تفيد ذالك هنالك
ايضا على انه الظاهر المتبادر ثم اعادتها بمعناها
في اول البيت الثاني والبرهان عليها بما في بقيته
منبيء بحقيقه وكمال بلاغته وقد حال اي حجر
ومنع

ومنع جملة مستانفة او حالية من الفاعل والمفعول
وقد هنا واجبة الذكر او التقدير عند البصريين
قالوا لتقرب الماضي من الحال واعترضهم المحقق السيد
الجرجاني وتبعه المحقق الكافيجي وغيره بان هذا
غلط منهم سببه اشتباه لفظ الحال عليهم فان
الحال الذي تقربه حال الزمان والحال المبين للهيئة
حال الصفات وتلك رده بانهما وان تغايرا لكنهما
متقاربان كما هو شان الحال وعاملها وحينيذ
لزم من تقريب الاولى تقريب الثانية المقارنة
لها في الزمن فتامله فانه مهم اذ تغليط اوليك
الايمة الذين لا يحصرون مع امكان تاويل كلامهم
تساهل سنا بالقصر اي ضوء عظيم ظاهر منك
خصك الله به وهو مجاز عن علوم القران المحيطة
بعلوم الاولين والاخرين وغيرهما التي اختصه
بها وامره ان يبلغ ما انزل اليه منها وهذا
مقتبس من تسميته تعالى للقران نورا في ايات كثيرة
من كتابه نحو واتبعوا النور الذي انزل معه وعما
اختصه الله به من الجمال الظاهر بما اتاه الله من
الحسن في خلقه بما لم يلحقه فيه يوسف فضلا
عن غيره كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وفي خلقه
بما ابانه الله تعالى رفعته فيه الى الغاية بقوله عز
قايلا وانك لعلى خلق عظيم وهذا مقتبس من
تسميته تعالى لنبيه نورا في نحو قد جاءكم من الله

نور وكتاب مبين وكان صلى الله عليه وسلم يكثر
الدعا بان الله تعالى يجعل كلا من حواسه واعضايه
وبدنه نورا اظهارا لوقوع ذالك وتفضل الله عليه
به ليزداد شكره وشكر امته على ذالك كما امرنا
بالدعا الذي في اخر البقرة مع وقوعه وتفضل الله
بذالك ومما يؤيد انه صلى الله عليه وسلم صار نورا
انه كان اذا امشى في الشمس او القمر لا يظهر له
ظل لانه لا يظهر الا للكثيف وهو صلى الله عليه
وسلم قد خلصه الله من ساير الكثايف الجسمانية
وصيره نورا صرفا لا يظهر له ظل اصلا خرقا للعادة
كما خرق له في شق صدره وقلبه مرارا ولم يتالم بذالك
دونهم وسنا بالمدا اي رفعة عظيمة او تيتها لم ينته
اليها مخلوق اي انتفت مساواتهم له لمانع منعهم
عن اللحوق به وهو ما اختص به من ذالك التوس
وتلك الرفعة اللذين لم يصل احد الى ادنى تناوهما
فضلا عن كماله وفي جملة هذين حاجزا استعارة بحر
بديه كما ان في جميعهما الجناس المذيل ويعبر عنه
بالمطرف لان الزيادة وقعت ذيلا وطرفا وهو ان
ان يتماثل اللفظان ويتفرد احدهما بزيادة حرف
اخر في اخرهم كنحو لهم العار ذل العارف وهو احد
اقسام الجناس الناقص ومنها نحو التاق والمساق
ويسمى بالمردوف لان حرف الزيادة مردوف بها
وقع فيه التجانس ونحو داء ودواء ويسمى بالمكتنف

صح بالمكتنف

لان

لان حرف الزيادة مكتنف اي متوسط بين ما اكتنفاه
وقد يقع الخلاف باكثر من نحو حرف [illegible] نحو مت امت
ويسمى متوجا ونحو هدو مجا وجوى. وجوانح سماه
في التلخيص مذيلا واهل البد يعبرون على ان الزايد
من اخر حرف او اكثر يسمى مذيلا ومن اوله كذالك
يسمى مطرفا تنبيه الجناس تشابه اللفظين
من حيث اللفظ وفايدته الميل الى الاصغا اليه
فان مماثلة الالفاظ تحدث ميلا واصغا اليها فلذالك
اكثر منه الناظم في هذه القصيدة وربما تركت التنبيه
على كثير منه في محله استغنا بظهوره او تقدم
التنبيه على نظيره ومع كون الجناس يوجب الميل
والاصغا فيحمل مراعاته ما لم يعارضه قوة المعنى وتمكنه
مع فقده والا لم يراع ومن ثم قال تعالى وما انت
بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ولم يقل بمصدق رعاية
لجناس الاشتقاق لان معنى قولك فلان مصدق لي
انه قال لي صدقت ومعنى مؤمن لي انه صدقني وامنني
والمقصود الثاني لا الاول فترك الجناس لذالك وترك
ايضا في اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين
اما لان التجنيس تحسين وانما يستعمل في مقام الوعد
والاحسان لا في مقام التهويل او لان يدع اخص
من يذر لانه ترك الشي مع سبق الاعتنا به فلو قيل
تدعون لتوهم انهم كانوا معتنين بالاله الحق ثم تركوه
وليس كذالك بل كانوا تاركين له مطلقا فتعين تذرون

مبالغة في التشنيع عليهم بانهم بلغوا الغاية في الاعراض
عن ربهم وامتنع تدعون لايهامه وبهذا يظهر بعض عبارة م
في قوله لو قال وتدعون الداعي الجناس وبقيت اجوبة
اخرى لبست بذاك فلذا تركتها وفي قوله وقد الي اخره
التذييل وهو ان يوتى بعد تمام الكلام بجمل تشتمل على
معناه تجري مجرى العلة لتوكيد ما قبلها وتحققه كقوله تعالى
وهل يجازي الا الكفور بعد ذلك جزيناهم بما كفروا
وقول النابغة اي الرجال المهذب بعد ولست بمستبق
الي اخره **تنبيه** ثاني سيمر بك ذكر استعارات بليغة
يحتاج الي معرفتها في هذه القصيدة فلا باس
بالاشارة الي بعض شيء مما يتعلق بها وحدها
انها مجاز يتضمن تشبيه ما عني به بما وضع له
فهي مجاز لغوي لانها لفظ استعمل في غير ما وضع له
لعلاقة المشابهة ومن ثم احتاجت لقرينة كرايت
اسدا يرمي ثم ما قصد اشتراك طرفيها المستعار له
والمستعار منه فيه اما داخل فيهما كاستعارة الطيران
للعدو بجامع ان في كل قطع المسافة اولا كاستعارة
الاسد للشجاع ان الشجاعة عارضة للاسد وهي
باعتبار طرفيها والجامع اقسام كثيرة باعتبارات كلا
اما عقلي واما حسي اللفظ المستعار ان كان جسم
ولو تاويلا كعلم اشتهر بوصف سميت اصلية او فعلا
او مشتقا منه بان يقصد به المعنى القائم بالذات
او حرفا فتبعية لان الاستعارة تعتمد التشبيه المقتضي

لكون

لكون المشبه موصوفا بوجه الشبه او مشاركا للمشبه به
فيه وانما يصلح للموصوفية الحقايق اي الامور الثابتة
دون معاني الافعال ونحوها ومتى لم تقترن بما يلايم
احد طرفيها سميت مطلقة او بما يلايم المستعار له فمجردة
او بما يلايم المستعار منه فمرشحة وهي ابلغ لان مبنى
الاستعارة على تناسي التشبيه وادعاء ان المستعار
له نفس المستعار منه لا شيء يشبهه وما كان وجه الشبه
فيه منتزعا من عدة امور تسمى استعارة تمثيلية كما
يقال للمتردد في امر اني اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى
وبقي من اقسامها الاستعارة بالكناية والاستعارة
التخييلية وهما عند صاحب التلخيص معنويان غير
داخلين في تعريف المجاز فاذا اضمر التشبيه في النفس
ولم يصرح بشيء من اركانه سوى المشبه ودل على ذلك
التشبيه بذكر شيء من خواص ذلك المشبه به سمي
ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية واثبات تلك
الخاصة استعارة تخييلية لانه يخيل ان المشبه من
جنس المشبه به **انما** الحصر عند الجمهور قيل بالمنطوق
وقيل بالمفهوم وقيل له الاختصاص والقصر خلافا
لمن فرق وهو تخصيص امر باخر بطريق مخصوص ويعبر
عنه ايضا بانه اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما سواه
وينقسم الي قصر الموصوف على الصفة وعكسه وكل
اما حقيقي واما مجازي فالحقيقي نحو ما زيد الا كاتب
اي لا صفة له غير ذلك وهو كالمحال لتعذر ان يكون

لذات صفة واحدة فقط ولم يقع منه شيئ في القران
والمجازي نحو وما محمد الا رسول اي مقصور على الرسالة
لا يتعداها الى التبري من الموت الذي استعظموه
دهولا عن كونه من شان الاله وانكر قوم افادة انما له
ويرد عليهم ايات كثيرة نحو انما العلم عند الله انما
ياتيكم به الله واعلم ان المحصور فيه هو الاخير ومن
ثم كان معنى انما قام زيد اثبات القيام لزيد ونفيه عن
غيره وانما زيد قايم اثباته ونفي غيره عنه مثلوا اي
صور الانبيا عليهم الصلاة والسلام او الواصفون
لشمايلك وهو الاقرب وان لم يجر له ذكر لانه معلوم
على حد حتى توارت بالحجاب صفاتك جمع صفة
وهي ما دل على معنى زايد على الذات محسوس
كالابيض او معقول كالعالم للناس من الانس فيختص
ببني ادم فاصله الاناس حذفت همزته تخفيفا الا التعويض
ال عنها الجمع بينهما او من نوس اذا تحرك فيعم الجن كذا
قيل والذي في القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن
جمع انس اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال ثم قال
وناس الابل ساقها واناسه حركه كما نعت لمصدر محذوف
مفعول مطلق لمثلوا اي تمثيلا مثل ما مصدرية
مثل النجوم الماء اصله موه بالتحريك فهمزته بدل من
الها وهو جوهر قيل لا لون له وانما يتكيف بلون مقابله
والحق خلافه فقيل ابيض وقيل اسود والمعنى على ان
الضمير للانبيا عليهم الصلاة والسلام انما شاركتهم فيه
من

من الصفات وان كملت لم يصلوا لادناها لانها بلغت
فيه من الكمال ما لم يبلغه مخلوق فهي فيه حقيقية
كالنجوم الحقيقية المرئية من غير حايل وفيه كصور
في الماء دون حقيقتها وشتان ما بينهما واسناد ذالك
التصوير اليهم على هذا مجاز عقلي كقول الموحد انبت
الربيع البقل ويحتمل انه لمح بذالك الى ما علم من حال
الانبيا عليهم الصلاة والسلام انما نعتوا صفاته
الكريمة لاممهم وصوروها لهم لكنهم مع ذالك لم يصلوا
لتصوير كنهها لعدم احاطتهم به وانما غاية ما وصلوا
اليه تصوير صورها الحاكية لمباديها كما ان ما لم يحك من
النجوم الا مجرد صورها لا غير وفي هذا من الابلغية
في المدح ما لا يخفى لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كمالهم الاكبر اذا عجزوا عن ادراك حقايق صفاته العلية
كان غيرهم اعجز لا يقال هنا يستغني عنه بما ياتي
في قوله الا بشرت قومها بك الانبيا لان ذالك في مطلق
تبشيرهم بانه سيوجد وهذا في بيان صفات ذالك
المبشر به وعلى انه للوصفين انهم وان كثروا الاوصاف
وتفننوا في ايرادها على ابلغ انواع البلاغة واكمل
قوانين الفصاحة فغاية ما وصلوا اليه ان ادركوا
الواضح منها وعجزوا عن ادراك شيء من حقايقها
كما ان غاية من يرى النجوم في الما انه يدرك مبادي
اوصافها ويعجز عن ادراك حقايقها وقد شرح
الناظم هذا بقوله في بردة المديح اعيى الورى فهم معناه

البيتين وهذا البيت من جملة التذييل ايضا بنا على
المعنى الاول لانه برهان ظاهر على ما قدمه من
نفي المساواة بل في الحقيقة القصيدة كلها برهان
على مطلعها وشرح وبيان له كما مر ولما قرر ما اوتيته
من المزايا لا تدرك غاياتها بل ولا حقايقها فاد ذالك
تقديرا وتمكينا في النفوس فقال انت ايها العلم
المفرد الذي لا يساوي بل ولا يداني مصباح اي سراج
فهو مقتبس من قوله تعالى وسراجا منيرا كل اسم
موضوع لاستغراق افراد المنكر المضاف هو اليه كما هنا
والمعرف المجموع نحو وكلهم اتيه يوم القيامة فردا
واجزا المفرد المعرف نحو يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار باضافة قلب الى متكبر اي على كل اجزايه وقراة
التنوين لعموم افراد القلوب ثم ان لم يكن نعتا لنكرة
ولا توكيدا لمعرفة بان تلاها العامل كما هنا لجازت
اضافتها كما هنا وقطعها نحو وكلا ضربنا له الامثال
واعلم انها حيث اضيفت لمنكر وجب في ضميرها مراعاة
معناها نحو وكل شيء فعلوه في الزبر وعلى كل ضامر
ياتين او لمعرف جاز مراعاة لفظها في الافراد والتذكير
ومراعاة معناها وكذا اذا قطعت نحو كل يعمل على
شاكلته وكل اتوه داخرين وانها حيث وقعت في حيز
نفي بان سبقتها اداة او فعل منفي نحو ما جا كل القوم
وكل الدراهم لم اخذ لم يتوجه النفي الا لسلبه شمولها
فتفهم اثبات الفعل لبعض الافراد ما لم يدل الدليل

على

على خلافه نحو والله لا يحب كل مختال فخور فهو مفهم
اثبات المحبة لاحد الوصفين لكن لا نظر اليه للاجماع على
تحريم الاختيال والفخر مطلقا وحيث وقع النفي في حيزها
كقوله صلى الله عليه وسلم في خبر ذي اليدين كل ذالك
لم يكن توجه الى كل فرد فرد كذا ذكره البيانيون
وانما سقت هذا جميعه لانه لنفاسته وكثرة الاحتياج
اليه مما ينبغي ان يستفاد ويحفظ فضل وكمال برز
لغيرك في الوجود ٥ لان الخليفة الاكبر الممد لكل موجود ٥
وشاهده ما صح من خبر ادم فمن دونه تحت لوايي ٥ وخبر
انما انا قاسم والله يعطي ٥ وخبر لو كان موسى حيا
لما وسعه الا اتباعي ٥ وخبر ان ابراهيم قال انما كنت
خليلا من وراء وراء ٥ واثر التشبيه بالسراج على
القمر لانه يقتبس منه الانوار مع بقاء نوره ويخلفه
فروعه فتبقى بعده ووجه الشبه ان نوره صلى الله
عليه وسلم يظهر الاشيا المعنوية كنور البصاير ونور
السراج يظهر المحسوسة كنور البصر ولا ريب ان المحسوس
اظهر من المعقول من حيث هو معقول فلذا شبه
نوره صلى الله عليه وسلم لكونه معقولا بنور السراج
لكونه محسوسا فلا ينافي ذالك ان السراج دونه صلى الله
صلى الله عليه وسلم بل لا نسبة ويمكن انه من التشبيه
المقلوب كما في قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق
واذا تقرر ان كمالات غيره المشبهة بالاضوا مستمدة
من كماله الذي هو الضو الاعلى فبسبب ذالك ما يصدر

اي برز في الوجود ضوء احد مطلقا الا ضوئك فانت
المخصوص بانك الذي برز عن ضوئك الذي اكرمك الله به
الاضواء كلها من الايات والمعجزات وساير المزايا
والكرامات وانما تاخر وجودك عن جميع الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لان نبوتك متقدم
عليهم بل وعلى جميع المخلوقات وشاهده حديث
عبد الرزاق بسنده عن جابر رضي الله عنه يا رسول الله
اخبرني عن اول شي خلقه الله تعالى قبل الاشيا
قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشيا نور نبيك
من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شا الله تعالى
ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا
ملك ولا سما ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي
فلما اراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور
اربعة اجزا فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني
اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة
اجزا فخلق من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي
ومن الثالث باقي الملايكة ثم قسم الرابع اربعة اجزا
فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين ومن
الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزا فخلق
من الاول نور ابصار المومنين ومن الثاني نور قلوبهم
وهي المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور انسهم وهو
التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث وصح
حديث اول ما خلق الله القلم وجا باسانيد متعددة

العالم يخلق قبله شي ولا ينافيه ان ما في الاول في نور
نبينا الان الاولية في غير نسبته وفيه حقيقة فلا
تعارض وفي حديث عند ابن القطان كنت نورا
بين يدي ربي قبل خلق ادم باربعة عشر الف عام
وفي الخبر لما خلق الله ادم جعل ذلك النور
في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب على ساير
نوره الحديث وصح خبر متى كنت او كتبت نبيا
قال وادم بين الروح والجسد وليس المراد
من ذلك التقدير لان غيره كذلك بل الاشارة الى
كون روحه العلية مثبت لها ذلك الوصف دون
غيرها في عالم الارواح اذ وردت الارواح خلقت
قبل الاجسام بالفي عام وفي حديث عبد الرزاق
السابق تاييد لما قيل انه تعالى لما خلق نور نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم امره ان ينظر الى نور الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فغشيهم من نوره ما انطقهم
الله به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال هذا
نور محمد ابن عبد الله ان امنتم به جعلتكم انبيا
قالوا امنا به وبنبوته فقال الله تعالى اشهد عليكم
قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى من الشاهدين
وفي هذه الاية كما قاله ~~صلى الله عليه وسلم~~ التقي السبكي
من التنويه بقدره العلي ما لا يخفى وفيها مع ذلك انه
على تقدير مجيئه يكون مرسلا اليهم والى اممهم

فتكون رسالته عامة لجميع الخلق فهو نبي الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ولذا كانوا كلهم يوم القيامة
تحت لوائه صلى الله عليه وسلم واستعارة المصباح
للفضل المبني على تشبيهه ببيت واسع يحتاج الناس
الي دخوله وسراج فيه استعارة بالكناية يتبعها
استعارة تخييلية والضوء الذي هو اعلى من النور
بدليل جعل الشمس ضياء والقمر نورا لصفات الكمال
استعارة مصرحة بجامع ان كلا من الضوئين المعنوي
والحسي يهدي الي المقصود وايضا الكمالات الدينية
تنور الظاهر والباطن لك لا لغيرك **ذات** اصلها
مونث ذي المقتضيه لموصوف والملازمة للاضافة
غالبا كرجل ذي مال ثم استعملوها استعمال الاسما
المستقلة فقالوا ذات قديمة ونسبوا للفظها
فقالوا ذاتي تستعمل بمعني نفس الشيء وحقيقته
كما هنا وكما في قول حبيب رضي الله تعالي عنه وذالك
في ذات الاله **العلوم** جمع علم وهو هنا صفة يتجلي بها
المدلول لمن قامت به انجلاء تاما والادراك الجازم
الذي لا يحتمل النقيض وحده بحدود اخرى كلها
مدخولة ايضا وترادفه المعرفة لكن لا يقال لله عارف
لانه تستدعي سبق جهل بخلاف العلم واليقين لكن
فرق بينهما بعض المحققين بان اليقين خاص بما من
شانه ان يتطرق اليه شك فلا يقال تيقنت ان
الواحد نصف الاثنين وقال الراغب اليقين

من

من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتها
يقال علم اليقين ولا يقال معرفة اليقين وهو سكون
النفس مع ثبات الحكم حال كونها واصلة اليك على لسان
الملك او بالالقا في الروع او بخلق العلم الضروري او بسماع
الكلام النفسي من فيض **عالم الغيب** مصدر وصف به
للمبالغة بمعني اسم الفاعل اي الغايب وهو ما لم
يشاهد لكن بالنسبة الينا او بالنسبة اليه تعالي فالكل
من عالم الشهادة لا المفقود اي المغيب خلافا لمن زعمه
لان غاب لازم وخص بالذكر على حد قوله تعالي
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الاية لان العلم
به اتم واظهر او لان اكثر علوم نبينا صلى الله عليه وسلم
تتعلق بالمغيبات بدليل فعلمت علم الاولين والاخرين
في الحديث المشهور ولانه تعالي اختص به لكن من حيث
الاحاطة والشمول لعلمه بالكليات والجزئيات فلا
ينافي ذالك اطلاع الله تعالي لبعض خواصه علي
كثير من المغيبات حتي من الخمس التي قال فيهن صلى الله
عليه وسلم في خمس لا يعلمهن الا الله تعالي لانها
جزئيات معدودة لا غير وانكار المعتزلة لذالك مكابرة
فقد وقع للانبيا عليهم الصلاة والسلام والاوليا من ذالك
ما لا يمكن عده لا سيما ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم
وسياتي بسط جملة مما اخبر به صلى الله عليه وسلم
من المغيبات في شرح قوله وكم اخرج خبا له الغيوب
خبا وجملة مما يتعلق بانكار المعتزلة اواخر الكتاب

ومنها اي العلوم بمعنى المعلومات وهو متعلق بالاسما
لادم ابي البشر صلى الله عليه وسلم واصله ادم لكنهم
ليتوا الثانية تخفيفا وجعلوها في التصغير واوا
نظرا لتلينها من الادمة بالسكون او بالفتح او من اديم
الارض كما صح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
وورد عن علي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما
واديم الارض ظاهر وجهها والادمة السمرة وهو
مراد من قال لون يقارب السواد ومن قال يشبه
التراب واستشكل كل بما ورد من براعة جماله وان
يوسف صلى الله عليه وسلم كان على الثلث من جماله
وقد يجاب بان الجمال لا ينافي السمرة لانها بين البياض
والحمرة قيل اشتقاقه مما ذكر القول بانه عربي
وبه صرح الجواليقي وغيره ورد بان توافق اللغتين
غير منكر وبانه لا دليل على ان الاشتقاق خاص
بكلام العرب فقد اطبقوا على ان التفرقة بين
اللفظ العربي والعجمي بصحة الاشتقاق وصح خبر
ان ادم كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب انه كان
يتكلم بالسريانية الاسماء مبتدا مؤخر جمع اسم وهو هنا
وهو ما دل على معنى فيعم الفعل والحرف ايضا
واحتاج الناظم الى هذا التفصيل مع العلم
به مما قبله لان ادم ميزه الله على الملايكة بالعلوم
التي علمها له وكانت سببا لامرهم بالسجود والخضوع
له بعد استعلايهم بذمه ومدحهم بقولهم اتجعل
فيها

فيها من يفسد الخ فربما يتوهم ان هذه المرتبة الباهرة لم
تحصل لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ قد يوجد في المفضول
ما ليس في الفاضل فرد ذلك التوهم ببيان ان ادم عليه
الصلاة والسلام لم يحصل من العلوم الا مجرد العلم باسمايها
وان الحاصل لنبينا صلى الله عليه وسلم هو العلم بحقايقها
ومسمياتها ولا ريب ان هذا العلم بهذا اعلى واجل من العلم
بمجرد اسمايها لانها انما يوتى بها لتبيين المسميات فهي
المقصودة بالذات وتلك بالوسيلة وشتان ما بينهما ونظير
ذلك ان المقصود من خلق ادم صلى الله عليه وسلم
انما هو خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من صلبه فهو
المقصود بطريق الذات وادم بطريق الوسيلة ومن
ثم قال بعض المحققين انما سجد الملايكة لاجل نور محمد
صلى الله عليه وسلم الذي في جبينه ثم ما سلكه
الناظم من ان ادم انما علم اي باحدى الطرق السابقة
الاسما فقط اي الالفاظ الموضوعة بازا الاعيان
والمعاني وهو الوارد عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما وعليه فقيل علم الاسما الموضوعة بكل لغة
وعلمها اولاده فلما افترقوا في البلاد وكثروا اقتصر
كل قوم على لغة وهذا يقوي ما هو الاصح في الاصول
ان اللغات كلها توقيفية وقيل انما علم لغة واحدة لان
الحاجة لم تدع الا اليها واما بقية اللغات فبالوضع ويقابل
ما سلكه الناظم قولان احدهما انما علم هذا لولا انها لان
المزية في العلم انما تحصل بمعرفة مقاصد المخلوقات

ومنافعها لا بمعرفة ان اسماها كذا او كذا قال
بعض المحققين وهذا وان قرب من المعنى فهو بعيد
من اللفظ اي لان قوله باسماء هؤلاء وما بعده ظاهر
او صريح في الاسما فقط ومعنى ثم عرضهم على الملائكة
اي الاعيان لانها التي تعرض دون الاسما انها ابرزت اليهم
ليخبروا باسمايها ولا تاييد فيه لكون لكون المعلم المسميات
خلافا لمن زعمه ثانيهما وهو الذي سلكه صاحب الكشاف
انه علم الامرين معا جمعا بين مقتضى اللفظ والمعنى ولما
ذكر شرف ذاته ورتبته صلى الله عليه وسلم بما يبهر العقول
انتقل الى ذكر شرف نسبه كذلك فقال مستانفا لم تزل
حال كونك في ضماير الكون اي الوجود وضمايره مستوراته
المخفية من الاصلاب والارحام تختار اي تصطفى لك
الامهات جمع ام وهي الوالدة وان علت واصلها امهة
تجمع على امهات وقيل امهات للادميات وامات لغيرهن
والاباء جمع اب واصله ابو بالتحريك حذفت واوه
تخفيفا اي كما طابت ذاتك بما اوتيته من الكمال الاعلى
كذلك طاب نسبك فلم يكن في امهاتك من لدن حوى
الى امك امنة ولا في ابائك من لدن ادم الى ابيك عبد الله
الامين هو مصطفى مختار وشاهد ذلك حديث البخاري
بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من
القرن الذي كنت منه وحديث مسلم ان الله اصطفى
كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وحديث

الترمذي

الترمذي بسند حسن ان الله خلق الخلق فجعلني
في خير فرقهم ثم تخير القبايل فجعلني في خير قبيلة ثم
تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا
اي روحا وذاتا وخيرهم بيتا اي اصلا وحديث
الطبراني ان الله اختار الخلق فاختار منهم بني ادم
ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب فبحبي احبهم
ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم واعلم ان ادم اولد
حوى اربعين ولدا في عشرين بطنا الا شيث وصيه
فانه ولد منفردا كرامة لكون نبينا صلى الله عليه وسلم
من نسله ثم انه لما توفي وصى بنيه بوصية ابيه له
ان لا يضع هذا النور اي الذي كان بجبهة ادم ثم انتقل
الى شيث الا في المطهرات من النسا ولم تزل هذه الوصية
معمولا بها في القرون الى ان وصل ذلك النور الى جبهة
عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله هذا النسب
الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد في الاحاديث كحديث
البيهقي في سننه ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء
بل ولدني الا نكاح الاسلام وسفاحهم بكسر السين زناهم
كانت المراة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها وروى
ابن سعد وابن عساكر عن محمد ابن السايب ابن الكلبي عن
ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم ماية ام
فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيا مما كان في امر الجاهلية
والطبراني وابو نعيم وابن عساكر خرجت من نكاح ولم
اخرج من سفاح من لدن ادم الى ان ولدني ابي وامي

لم يصبني من سفاح اهل الجاهلية شيء وابو نعيم لم يلتق
ابواي قط على سفاح ولم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة
الي الارحام الطاهرة مصفي مهذبا لا تتشعب شعبتان
الا كنت في خيرهما وابن مردويه قال صلي الله عليه وسلم
لقد جاءكم رسول من انفسكم اي بفتح الفا وقال انا انفسكم
نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا
نكاح نخبـــــه لك ان تاخذ من كلام الناظم الذي علمت
ان الاحاديث مصرحة به لفظا في الكثيرة ومعني في كله
ان ابا النبي صلي الله عليه وسلم غير الانبيا وامهاته الي ادم
وحوي ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال في حقه مختار ولا كريم
ولا طاهر بل نجس كما في اية انما المشركون نجس وقد صرحت
الاحاديث السابقة بانهم مختارون وان الاباء كرام والامهات
طاهرات وايضا فهم الي اسماعيل كانوا من اهل الفترة وهم
في حكم المسلمين بنص الاية الاتية وكذا ابني كل رسولين
وايضا قال تعالي وتقلبك في الساجدين علي احد
التفاسير فيه ان المراد تنقل نوره من ساجد الي
ساجد وحينئذ فهذا صريح في ان ابوي النبي صلي الله
عليه وسلم امنة وعبد الله من اهل الجنة لانهما اقرب
المختارين له صلي الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل في حديث
صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه
ان الله احياهما له فامنا به خصوصية لهما وكرامة له
صلي الله عليه وسلم فقول ابن دحية يرده القران
والاجماع ليس في محله لان ذالك ممكن شرعا وعقلا علي جهة

الكرامة

الكرامة والخصوصية فلا يرده قران ولا اجماع وكون
الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية
والكرامة وقد صح انه صلي الله عليه وسلم ردت عليه الشمس
بعد مغيبها فعاد الوقت حتي صلي العصر اذ كرامة له
صلي الله عليه وسلم فكذا هنا وطعن بعضهم في صحة هذا
بما لا يجدي ايضا وخبر انه تعالي لم ياذن لنبيه صلي الله
عليه وسلم في الاستغفار لامه انما كان قبل احيائها
وايمانها به او ان المصلحة اقتضت تاخر الاستغفار لها
عن ذالك الوقت فلم ياذن له فيه حينئذ فان قلت
اذا قررتم انهما من اهل الفترة وانهم لا يعذبون فما فائدة
الاحيا قلت فائدته اتحافهما بكمال لم يحصل لاهل
الفترة لان غاية امرهم انهم الحقوا بالمسلمين في مجرد
السلامة من العذاب واما مراتب الثواب العلية
فهم بمعزل عنها فاتحفا بمرتبة الايمان زيادة في شرف
كمالهما لحصول تلك المراتب لهما وفي هذا مزيد ذكرته
في الفتاوي ولا يدخل علي الناظم ازر فانه كافر مع ان الله تعالي
ذكر في كتابه العزيز انه ابو ابراهيم صلي الله عليه وسلم
وذالك لان اهل الكتابين اجمعوا علي انه لم يكن اباه
حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمي العم ابا بل في القران
ذالك قال تعالي واله ابائك ابراهيم واسماعيل مع انه
عم يعقوب بل لو لم يجمعوا علي ذالك وجب تاويله
بهذا جمعا بين الاحاديث واما من اخذ بظاهره كالبيضاوي
وغيره فقد تساهل واسترواحه بحديث مسلم

قال رجل يا رسول الله اين ابي قال في النار فلما قفا دعاه
فقال ان ابي واباك في النار تعيين تاويله واظهر تاويله
عندي انه اراد بابيه عمه ابي طالب لما تقرر ان العرب تسمي
العم ابا وقرينة المجاز فيه الاية الاتية الشاهدة بخلافه
على اصح محاملها عند اهل السنة وان عمه هو الذي
كفله بعد جده عبد المطلب وانه انما قصد بذلك ان
يطيب خاطر ذلك الرجل خشية انه يرتد لو وقع في سمعه
اولا ان اباه في النار بل لعل انه انما قال له بعد ان ولي وكان
ذلك قبل ان ينزل عليه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
كما وقع له انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اطفال المشركين
فقال هم مع ابائهم ثم سئل عنهم فذكر انهم في الجنة واما
قول النووي رحمه الله تعالى في حديث مسلم ان من مات
في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان
فهم في النار وليس في هذا مواخذة قبل بلوغ الدعوة فان
هولاء كانت قد بلغتهم دعوة ابرهيم وغيره عليهم الصلاة
والسلام انتهى فبعيد للاتفاق على ان ابرهيم ومن بعده
لم يرسلوا للعرب ورسالة اسماعيل اليهم انتهت اذ لم يعلم لغير
نبينا صلى الله عليه وسلم عموم بعثة بعد الموت وقد يؤول
كلامه على عبادة الاوثان الذين ورد فيهم انهم في النار
وبهذا يرد كلام الرازي القريب من كلام النووي ثم رايت
الابي شارح مسلم بالغ في الرد على النووي بان كلامه متناف
لحكمه بانهم اهل فترة وبان الدعوة بلغتهم ومن بلغتهم الدعوة
ليسوا اهل فترة لانهم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين

لم

لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثاني قال ولما دلت
القواطع ان لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا ان اهل
الفترة غير معذبين انتهى وهو موافق لما ذكرته وما
احسن قول المتوقفين في هذه المسئلة الحذر الحذر من
ذكرهما بنقص فان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم
لخبر الطبراني لا تؤذوا الاحيا بسبب الاموات واما الذين
صح تعذيبهم مع كونهم من اهل الفترة فلا يردون نقصا
على ما عليه الاشاعرة من اهل الكلام والاصول
والشافعية من الفقهاء ان اهل الفترة لا يعذبون
وسبب ذلك انا عهدنا الى الغلام الذي قتله الخضر
انه حكم بكفره مع صباه لامر يعلمه الله تعالى وحده فكذا
هولاء حكم بكفرهم بخصوصهم وان لم تبلغهم الدعوة لامر
يعلمه الله تعالى ورسوله فلا يرد هولاء نقضا على
ما استفيد من الاية ومشى عليه اولئك الايمة ان اهل
الفترة لا يعذبون وهذا الذي ذكرته في الجواب اولى من
الجواب بان احاديثهم اخبار احاد فلا يعارض القطع
بان اهل الفترة لا يعذبون او بان التعذيب المذكور
في الاحاديث مقصور على من بدل او غير من اهل الفترة
بما لا يعذر به كعبادة الاوثان وتغيير الشرايع وكان
قايل هذا ممن يرى وجوب الايمان بالعقل والذي
عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب توحيد ولا
غيره الا بعد ارسال الرسل اليهم ومن المقرر ان العرب
لم يرسل اليهم رسول بعد اسماعيل صلى الله عليه وسلم

وان اسماعيل انتهت رسالته بموته عليه الصلاة والسلام
فلا فرق بين من غير وبدل وغيره ما عدا من صح تعذيبه فيقصر
ذالك عليه لانه لا قياس في ذالك وقول ابي حيان ان
الرافضة هم القايلون ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم
موقوف مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين
فلك رده بان مثل ابي حيان انما يرجع اليه في علم النحو وما يتعلق
به واما المسايل الاصولية فهو مناقب بمعزل كيف والاشاعرة
ومن ذكر معهم فيما مر نصوا على انهم موقوفون فنسبة ذالك
للرافضة وحدهم مع ان هولا الذين هم ايمة اهل السنة قايلون
به قصور واي قصور وتساهل واي تساهل ما مضت
فترة وهي ما بين موت الرسول وبعثة الرسول الذي
يجليه كما بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم واختلفوا
في قدرها المشهور انها خمسماية سنة اي زمن خال من
الرسل جمع رسول ومر تعريفه اول الكتاب اي ما مضى
زمن خال من الرسل ليس فيه ذكرك الا جددته وبشرت
من البشارة وهي الخبر السار قومها ليس فيه اضمار
قبل الذكر لان مرجع الضمير الفاعل وهو متقدم الرتبة
وان تاخر لفظه على انه يحتمل على بعد ان الضمير للفترة
اي الاشرت الاقوام في تلك الفترة بك اي بقرب بعثتك
وباهر رسالتك وعظمتك الانبيا اي الرسل الذين اتوا
بعد تلك الفترة وفي هذا السند لا دواضح على كمال شرفه
صلى الله عليه وسلم ورفعته على ساير الرسل وانه نبي الانبيا
المقدم عليهم التابعون له هم واممهم وشاهد ذالك قول

اسمه

الله تعالى عن عيسى ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم قال انا دعوة ابي
ابراهيم اي في اية ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشارة
عيسى وكقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين اي
واممهم وحذف استغنا بذكر المتبوعين عن ذكر الاتباع
لما مفتوحة توطية للقسم الذي تضمنه اخذ الميثاق
ولتومنن سد مسد جوابه وجواب ما الشرطية ومكسورة
اي لاجل ما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول مصدق
لما معكم اي وهو محمد صلى الله عليه وسلم لتومنن به
ولتنصرنه الاية وقد اختلف المفسرون فيها والذي
قاله علي وابن عباس رضي الله عنهم وتبعهم الحسن وطاوس
وقتادة رحمهم الله تعالى انه تعالى اخذ على كل نبي بعثه
من لدن ادم الى محمد صلى الله عليه وسلم ان من ادرك
محمدا صلى الله عليه وسلم وهو حي ليومنن به ولينصرنه
ويلزم من هذا ان الانبيا كانوا ياخذون الميثاق من اممهم
بانهم ان ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم امنوا به ونصروه
هو معنى الاية دون الاول مردودة ولا ينافي الاول العلم
بان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يدركون حياته صلى الله
عليه وسلم ولا الحكم في اخر الاية بالفسق على من تولى عن
ذالك لان التعليق في مثل ذالك لا يستلزم الوقوع
الا ترى الى قوله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك ولو
تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين
والمقصود انه لو فرض انه بعث وهم احيا لزمهم ذالك

كما ان القصد من هذين الابيتين الغرض والتقدير ايضا ومن ثم
قال الامام التقي السبكي دلت الاية علي انهم لو ادركوا زمنه
صلي الله عليه وسلم كان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته
عامة لجميع الخلق الانبيا واممهم من لدن ادم عليه السلام
الي قيام الساعة وحينئذ يدخلون في قوله وارسلناك
للناس كافة وحكمة اخذ هذا الميثاق علي الانبيا عليهم الصلاة
والسلام اعلامهم واممهم بانه المتقدم عليهم وانه صلي الله عليه
وسلم نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك في الدنيا بكونه امهم
ليلة الاسرا ويظهر في الاخرة بانهم كلهم تحت لوائه
بل وفي اخر الزمان يكون عيسي عليه الصلاة والسلام
ينزل حاكما بشريعة محمد صلي الله عليه وسلم دون شريعة
نفسه ثم بين الناظم بعض تلك البشارات في تلك الفترات
فقال **تباهي** اي تتفاخر **بك** اي بوجودك
العصور اي الازمنة الطويلة من لدن ادم الي يوم القيمة
وما بعده فكل عصر يفخر علي العصر الذي قبله لوجودك
فيه بكمال اعلي مما قبله ولو في ضمن ابائك لكن اعظمها افتخارا
عصر بروزك الي هذا العالم ثم عصر نشاتك ثم عصر
رضاعك ثم شق بطنك فتعبدك بحرا وغيره ثم عصر
نبوتك ثم عصر رسالتك ثم عصر دعايتك الخلق الي الله تعالي
ثم عصر قتالهم عليك ثم عصر معارجك ثم عصر هجرتك
ثم عصر جهادك ثم عصر سرايك وبعوثك وفتوحك ثم
عصر اتباعك علي تفاوتهم الي يوم القيامة كما دل عليه
الحديث المشهور لا تزال الطائفة من امتي فمزاياه تتزايد

في كل

١٦

في كل عصر من اعصار حياته صلي الله عليه وسلم علي ما قبله
فبحسب ذلك يكون افتخار ذلك العصر علي غيره وكذا لك
العصر غيره تتفاوت بتفاوت مزاياهم المستمدة من مزاياه
واعمالهم المتضاعفة له تضاعفا يفوق الحصر لان كل عامل
يتضاعف له صلي الله عليه وسلم اجره بحسب عمله وكذا
كل واسطة بينه وبينه لانه الدال للكل ومن دل علي خير
فله مثل اجر فاعله فعلي كل حال يتضاعف له بحسب
تضاعف من بعده ويتضاعف للنبي صلي الله عليه وسلم
بحسب تضاعف الجميع وهذا شيء يقصر عن ادراك
كمية العقل ثم عصر مقامه المحمود وشفاعته العظمي
في فصل القضا ثم عصر بقية شفاعاته ثم عصر حوضه
ثم عصر وسيلته وفضيلته التي يعطاها في الجنة مما
لا تدرك غايته ولا تحد نهايته فكل هذه العصور تفتخر به
بحسب ما يقع فيها من كماله لان الازمنة والامكنة تتشرف
بشرف من يكون فيها وما يكون فيها من المزايا والكمالات
ولذا قال بعضهم ان ليلة مولده صلي الله عليه وسلم
افضل من ليلة القدر وهو الصحيح لولا النص علي خلافه
علي ان ليلة القدر من خصوصياته فمفضلها فتفضيلها
انما هو لاجله ايضا **وتسمو** اي تعلو وترتفع من سموت
وسميت كعلوت وعليت **بك** اي بتلبسها بك مرتبة
عليا تانيث الاعلي **بعدها** في الزمان والعلو مرتبة
اخري **علياء** اي اعلي منها اي لك في كل عصر من العصور
المذكورة مرتبة اعلي مما قبلها واعلي منها ما بعدها وهكذا

الي مالا نهاية له ودليل تفاوت مراتبه كما ذكر قوله تعالي وقل
رب زدني علما ولا شك ان علومه ومعارفه متزايدة متفاوتة
الي ما لا نهاية له وقوله صلي الله عليه وسلم انه ليغان علي قلبي
فاستغفر الله قال العارف بالله القطب ابو الحسن الشاذلي
رحمه الله تعالي هذا غين انوار لا غين اغيار اي لانه
صلي الله عليه وسلم كان دائم الترقي فكان كلما توالت انوار
العلوم والمعارف علي قلبه ارتقي الي مرتبة اعلي مما هو
فيها وراي ما قبلها دونها فيستغفر الله تواضعا له وطلبا
لتزايد كماله وقول الناظم تتموالح من المدح ما لا يخفي عظيم
وقعه لانه جعل تلك المراتب هي التي تسمو وترتفع به
ولم يجز علي ما هو المتبادر انه الذي يسمو ويرتفع بها
لما هو الحق انه تعالي خلقه في عالم الامر علي اكمل كمال
لا يمكن ان يوجد لمخلوق ثم ابرزه في عالم الخلق متدرجا
في تلك المراتب فتتشرف به لا يتشرف هو بها لما علمت انه
كامل قبلها فتامل ذلك فانه دقيق غفل عنه الشارح وبدا
اي ظهر للوجود اي لهذا العالم منك كريم اي سالم من كل
صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا احد انواع التجريد
الذي هو احد انواع البديع وهو اعني التجريد اي ينتزع
من امر ذي صفة امر اخر مماثل لذلك الامر في تلك
الصفة مبالغة لكمالها في ذلك الامر حتي كانه بلغ
من الاتصاف بتلك الصفة الي حيث يصح ان ينتزع منه
موصوف اخر بتلك الصفة وهو انواع منها ما يكون بمن
التجريدية كما هنا نحو قولهم لي فلان صديق حميم اي قريب

بهم

يهتم لامره اي بلغ فلان من الصداقة حدا يصح معه ان
يستخلص منه فلان اخر مثله في الصداقة فهو صلي الله عليه وسلم
لكماله في صفة الكرم صح ان ينتزع منه شخص كريم في مبالغة
في صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذي ظهر هو محمد
صلي الله عليه وسلم وجد من اصل اب وام كريم اي سالم من
نقص الجاهلية فالكريم هنا وفيما بعده غيره ثم كما علم مما مر
وفيما بعده غيره وهذا ظاهر في اسلام ابويه صلي الله عليه
وسلم ومر ما في ذلك اباوه اي جميعهم كما افادته الاضافة
من لدن ادم عليه الصلاة والسلام اليه صلي الله عليه وسلم
واراد بالآباء ما يشمل الامهات كما قدمه ان النوعين مختاران
والاختيار والكرم مآلهما واحد كرماء اي سالمون من سفاح
الجاهلية ونقصهم تنبيه ـــــ قال ابن دحية اجمع
العلماء والاجماع حجة علي انه صلي الله عليه وسلم كان اذا انتسب
لم يجاوز معد ابن عدنان وفي مسند الفردوس عن ابن
عباس انه صلي الله عليه وسلم كان اذا لم يجاوز معد ابن
عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون لكن قال البيهقي
الاصح ان هذا من قول ابن مسعود قال غيره كان ابن مسعود
اذا قرا والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون
اي لانهم يدعون علم الانساب وقد نفي الله علمها عن العباد
وعن ابن عباس بين اسماعيل وعدنان ثلاثون ابا لا يعرفون
ومن ثم انكر مالك رضي الله عنه علي من يرفع نسبه الي ادم
وقال من اخبره بهذا اي ان ذلك من كلام المورخين الذي
لا دليل عليه ولا ثقة به مع ما فيه من التخليط والتغيير
وقلة الغاية هذا نسب عظيم بل لا اطهر ولا اجل منه

في الانساب وهو اسم لعمود القرابة التي يجمع متفرقها الكل
تحسب ايها المخاطب اي تظن العلا جمع عليا
تانيث الاعلي كالمدى محلاه بضم اوله وكسر اخره وهو
افصح جمع حليه بكسر اوله اي بسبب حلا ذلك النسب
قلدتها اي العلا في محل مفعول تحسب الثاني والاول
العلي بجومها اي بنجومها الجوزا الجوزاء اسم لبرج
في السما كما في القاموس وعليه فنجومه هي الاتية ويطلق
عرفا علي النجوم المجتمعة المعروفة وقيل تشبه المراة فلذا
نسب التقليد اليها وحينئذ لا بدع ان ينسب الي الشيء
من حيث هو مجموع وقبة الجوزا كما قلد غيره كلا من تلك
الافراد التي تسمي نطاق الجوزا قال القائـــل
ولو لم تكن قبة الجوزا خديمته لما رايت عليها عقد منتطق
اي من كمال هذا النسب وشرفه ان من تامل فيه حسب بسبب
ما تحلي من الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزا بنجومها اي
جعلت نجومها قلادة لها فعلم ان كلامه يفيد ان كل واحد
من اوليك الاباء الكرام قد ارتفع في زمانه حتي صار كانه
النجم في الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتدا به في ظلمات
البر والبحر حتي يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزا وان
مجموع هذا النسب كالعقد الثمين ذلك النسب متناسب كتناسب
العقد وكما ستدار نجوم الجوزا وان نجوم هذا النسب كالعقد
الثمين جدا الذي تقلده عنقه تلك المراتب العلية كما فعلم
من هذا مع ما قدمته في مبحث الاستعارة من ما في
هذا البيت من انواعها البالغة الغاية في البلاغة
كاستعارة نجوم الجوزا المتتابعة لتتابع ذلك النسب

يبغ الرزق

١٨

في الشرف وعلو المراتب ولما قرات مجموع ذلك النسب له
كالعقد الثمين الذي تقلدته تلك المراتب العلية اخذ في مدح
ذلك فقال حبذا وهي كنعم عملا ومعنى مع زيادتها
عليها باشعارها بان الممدوح بها محبوب للقلب واصله
حبب بالضم اي صار حبيبا لا حبب بالفتح ثم ادغم فصار حب
والاصح ان ذا فاعله ويلزم الافراد والتذكير وان كان
المخصوص بخلاف ذلك لانه كالمثل والامثال لا تغير
او لان فيه حذفا تقديره في نحو حبذا هند حبذا حسنها
وحبذا الزيدون حبذا امرهم وشانهم فالمقدر المشار اليه مفرد
مذكر دايما حذف واقيم المضاف اليه مقامه او لانه علي
ارادة جنس شايع افواله والاكثرون علي الاول وقيل حبذا
كله فعل وفاعله المخصوص وقيل الكل اسم واحد واختاره
ابن عصفور فهو مرفوع اتفاقا ثم هل هو مبتدا خبره
المخصوص او عكسه قولان وعلي ان ذا هو الفاعل
المخصوص مبتدا الجملة وهي خبره والرابط ذا وقيل
مبتدا محذوف الخبر وقيل عكسه وكانه قيل من المحبوب
فقال زيد اي هو وقيل بدل من ذا وقيل عطف بيان له
ولا يتقدم مخصوص حبذا عليها وان جاز تقديمه
بقلة علي نعم لانه فرع عنها فلا يبا وبها في تصرفاتها
وحذف بقلة ويكون قبل المخصوص او بعده نكرة
منصوبة مطابقة نحو حبذا الصبر شيمة وحبذا
رجلين الزيدان ثم ان اشتق اعرب حالا والا فهو تمييز
علي خلاف منتشر فيه والناظم حذفه هنا لدلالة المقام

عليه والتقدير حبذا كما لا وتدخل عليها لا فتساوي بيس
في العمل والمعنى مع زيادة ما تقدم في حبذا وهي منصرفة
فلا مصدر لها ومن ثم عملت فيما عداه كالظرف والتمييز والحال
وان توقف ابو حيان في الاخرين وتجرد من ذا فيضم
اولها ويجوز بقاء فتحه وجر فائته بالباء وانما
اطلت في هذه لان كلام الشارح فيها غير موف بالمراد مع انه
لا يخلو كالنظم في حذفه ما مر من ايهام فتامله عقد
بكسر اوله وهو القلادة من الجوهر سوودد اي سيادة
وفخار اي تمدح بالخصال الجليلة انت فيه اي ذالك
العقد وفي نسخ فيها نظرا الى المعنى لما تقررات العقد
القلادة اليتيمة اي التي لا شبيهة لها في جنسها العصماء
من العصمة اي الحفظ او المنع لان من شان هذه
الدرة ان يبالغ في حفظها ومنعها علي ان تصل اليها
يد الاغيار وجملة انت وما بعده صفة العقد او حال
منه لتخصيصه بالاضافة وفيه غاية المدح له صلى الله
عليه وسلم ولغيره اي حبذا نسبك الذي اذا ذكرت وعدت
معك اباؤك كان كقلادة منتظمة من جواهر ثمينة
لها السيادة والفخار علي جميع الجواهر وكنت اعظمها
وانفسها واعلاها بحيث تكون انت واسطتها العديمة
النظير والمخصوصة من الرعاية والحفظ والمنع بما لم
يوجد لغيرها لتميزها ببلوغها من صفات الجمال ونعوت
الجلال وما يبهر العقل ويفوق الوصف وشاهد هذا
ما مر من الاحاديث الصحيحة في انه صلى الله

عليه وسلم

١٩

عليه وسلم افضل المخلوقين والخليفة الاكبر عن رب العالمين
ولما تمم مدح كماله ونسبه اخذ في مدح ذاته فقال
وحبذا ايضا محيا اي وجه كالشمس منك حال من محيا مضي
مبتدا خبره كالشمس والجملة صفة لمحيا او حال منه لتخصيصه
بمنك وشاهد هذا حديث البخاري عن الربيع بنت مسعود
لو رايته لقلت الشمس طالعة وحديث احمد والترمذي
والبيهقي وابن حبان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
الشمس تجري في وجهه وحديث مسلم من حديث جابر
ابن سمرة وقال له قايل كان وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا
وبين بذالك الرد علي من شبهه بالسيف في الطول وانه جمع
صفة الشمس من الاشراق والاضاءة وصفة القمر من الاحسان
والملاحة وفي حديث علي عند الترمذي والبيهقي
كان في وجهه تدوير اي قليل مع سهولة خديه وهو احلى
ما يكون عند العرب وعلم مما تقرر انهم لم يقصدوا
بالتشبيه بالشمس والقمر الا ما ذكر لا مطلقا فاندفع بما
توهم من عيب التشبيه بهما اخذا من قول ابي نواس

تشبيه الشمس والقمر المنير ... اذ قلنا بانهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسي ... وان البدر ينقصه المسير

نعم قول ابي هالة يتلالا وجهه تلالا القمر ليلة البدر ربما
يفوق التشبيه بالشمس من حيث ان القمر حينيذ يملا نور
الارض احوج ما كانت اليه ويونس كل من شاهده فهو

بجمع النور من غير اذى ويتمكن الناس من مشاهدته
بخلاف الشمس فانها تغشي البصر وتمنع من تمكن الروية
اليها ولك ان تقول لا يفوقه لما علم مما قدمته ان وجه
الشبه بها ابلغ منه بالقمر قال تعالى هو الذي جعل الشمس
ضياء والقمر نورا وشتان ما بينهما اسفرت صفة او حال
ايضا اي انحسرت وانكشفت عنه اي عن ذلك المحيا او اضاءت
متجاوزة عنه ليلة عظيمة غرا اي بيضاء بظهور نوره فيها
وعفرها وهذا ادني من جعل ذلك لظهور القمر فيها بنا على انها
ليلة ثاني عشر الشهر وغرته ثلاث ليال لان كلا من هذين
لا مدح له فيه صلى الله عليه وسلم بخلاف الاول من الغرة
وهي بياض وجه الفرس فهي غرة في وجه الدهر كما ابدا منها
قوله ليلة المولد بكسر اللام زمن الولادة وبفتحها مكانها
وكلاهما هاهنا بعيد فالاحسن انه مصدر ميمي اي ليلة الولادة
الذي كان اي دام واستمر على حد وكان الله غفورا رحيما
للدين وهو لغة الجزا واصطلاحا الشرع المبعوث
به النبي الكريم وحده ايضا بانه وضع الهي سايق لذوي
العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات سرورا
اي لهم فرح عظيم بيومه واليوم في عرف الفلكيين وغيرهم من
طلوع الشمس وفي عرف الشرع من طلوع الفجر واضاف ذلك
اليوم الى المولود دون ذاته مبالغة في زيادة عظمته لان
ذلك اذا وقع لظرفه التابع له فكيف بذاته وازدهاه اي هذه
الليلة الغرا هي ليلة ولادتك وانت اشرف مولود فلاجل ذلك
سر الدين واهله باليوم الذي برزت فيه الى هذا الوجود على الوجه

وافتخر

٢٠

وافتخر به على ساير الاديان والايام تنبيه اضاف
الناظم كلا من الليلة واليوم الى المولد فاحتمل ان يكون
من القايلين بانه ولد ليلا واستدلوا بما رواه ابن السكن
من حديث عثمان ابن ابي العاص عن امه فاطمة بنت عبد الله
الثقفية انها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا
قالت فما شي انظر اليه من البيت الا نور وانى لانظر الى
النجوم تدنو حتى اني لاقول ليقعن علي ورواه البيهقي
ولم يذكر فيه الا النور وتدلي النجوم ويتصحح عايشة
رضي الله تعالى عنها ايضا بذلك كما رواه الحاكم وان من القايلين
بانه ولد نهارا وهو ما يصرح به قوله الاتي يوم ثالث
بوضعه ابنة وهب وهذا هو الاصح كما صرح به في حديث
مسلم وغيره لكن بعيد الفجر كما في حديث وان كان فيه ضعف
لان الضعيف في الفضايل والمناقب حجة اتفاقا
فمن اطلق انه ولد ليلا اراد بالليل ما قبل طلوع الشمس او اراد
مجاز المجاورة وليس في رواية تدلي النجوم تدلت عند ولادته
الاتية ما يدل على ان ذلك كان قبل الفجر لانها تكون بعد
الفجر فيمكن تدليها حينئذ بل بعد طلوع الشمس خرقا
للعادة للمبالغة في اكرامه صلى الله عليه وسلم وعلى انه ولد
ليلا قيل ليلة مولده افضل من ليلة القدر واستدل قايله
بوجوه كثيرة كلها مدخولة كما يعلمه الواقف عليها اتقن
حققه ودققه وعلى انه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا
وصح به خبر مسلم ثم قيل انه في شهر غير معين والمشهور
انه معين وهو صفر او ربيع الاول او الاخر او رجب

او رمضان او يوم عاشورا اقوال والاصح انه معين لا
في شهر ربيع الاول فقيل ان اليوم فيه غير معين والاصح
انه معين فقيل لليلتين منه وقيل لثمان واختاره
اكثر اهل الحديث وغيرهم بل اجمع عليه اهل التاريخ وقيل
لعشر وقيل لثنتي عشرة وهو المشهور وعليه العمل
وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه وانما لم يكن
في يوم الجمعة ولا في بعض الاشهر الحرم او رمضان لئلا
يتوهم انه صلى الله عليه وسلم تشرف بذلك الزمن الفاضل
فحصل في المفضول لتظهر مزيته به على الفاضل ونظير
ذلك دفنه صلى الله عليه وسلم بالمدينة دون مكة لانه
صلى الله عليه وسلم لو دفن بها لكان يقصد تبعا لها فافرد
صلى الله عليه وسلم بموضع مفضول عند اكثر العلما ليتشرف
بيان مفضول
به بل يفوق به الفاضل عند كثير منهم وليقصد قبره ومسجده
بطريق الاستقلال لا التبعية اظهارا لمن يذكر امنه على
ربه ومسجده واختلفوا في عام ولادته صلى الله عليه وسلم
فالاكثر انه عام الفيل بل حكي الاتفاق عليه والمشهور
انه ولد بعده بخمسين يوما وورا ذلك اقوال اخر خمسة
وخمسون شهرا اربعون شهرا عشر سنين خمس عشرة
سنة وابيكونه بعده بانه ارهاص لنبوة هذا الذي
ولد بمكة ومقدمة لظهوره صلى الله عليه وسلم
وفي مكانها اقوال والصواب انه مكة قيل بالشعب
وقيل بالردم والمشهور انه المسجد المشهور الان بالمولد
وزعم انه عسفان شاذ لا يعول عليه فقد صرح بعض

ايمتنا

ايمتنا ان اول واجب على الاولياء ان يعلموا صبيانهم ان
نبينا صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة بل قيل
انكار ذلك كفر لاستلزامه انكار وجود النبي صلى الله عليه
وسلم الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم **وتوالت** اي تتابعت
بشرى اي بشارة **الهواتف** للناس جمع هاتف
وهو ما يسمع هتفه اي صوته الخفي ولا يرى شخصه والمراد
هنا اعم من ذلك لان البشائر به جاءت في كتب الله تعالى وعلى
السنة الاحبار والكهان والجان كما استوعبه اهل السير
واجمع اكثره ابو ظفر في كتابه البشر بخير البشر **ان** اي بان
متعلق ببشرى **قد ولد المصطفى** اي المختار على الخلق
كلهم **وحق** اي ثبت **الهنا** اي الفرح والسرور لكل
الخلائق به قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
والبشائر به صلى الله عليه وسلم على الانواع المذكورة
كثيرة لا يحتملها هذا المحل لكن منها ما جاء انه حين ولد
هتف هاتف على الحجون وقال

فاقسم ما انثى من الناس انجبت ... ولا ولدت انثى من الناس واحده
كما ولدت زهرية ذات مفخر ... مجنبة لوم القبايل ماجده

وهتف اخر على ابي قبيس باربعة ابيات فيها معنى ذلك
وزيادة ومنها ان سواد ابن قارب الدوسي لما قدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم وحسن اسلامه
اخبره ان رئيه انشده ابياتا ثلاث ليال متوالية وذكرها
للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حث سواد ابن قارب
على المجي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الايمان به

وعظيم مدحه ومنها ما جاء بسند ضعيف ان راهبا كان
بمر الظهران يقول يوشك ان يولد منكم يا اهل مكة
مولود اسمه محمد تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه
فكان لا يولد بمكة مولود الا سئل عنه فجاء عبد المطلب
صبيحة ولادته فلما راه قال لكن اباه فقد ولد ذالك المولود
الذي كنت احدثكم عنه فما سميته قال محمد وروى الحاكم
عن عايشة رضي الله تعالي عنها انه كان بمكة يهودي
فصاح ليلة ولادته يا اهل مكة هل ولد فيكم الليلة مولود
قالوا لا نعلم قال ولد هذه الليلة نبي الامة الاخيرة بين
كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانهن عرف فرس
فادخلوه علي امه واخرج له فكشف عن ظهره فراي تلك
الشامة فخر مغشيا عليه فلما افاق قالوا ما لك ويلك قال
ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل وذكر الحافظ
ابو سعيد النيسابوري ان نور النبي صلي الله عليه وسلم
لما صار الي عبد المطلب وكان يضيء من غرته ويفوح
من فمه رائحة المسك الاذفر وكانوا يستسقون به
فيسقون نام في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي
حلة البها والجمال فتحير فيمن فعل به ذالك ثم انطلق به
ابوه الي كهنة قريش فقالوا ان اله السموات قد اذن
لهذا الغلام ان يتزوج ونام مرة اخري في الحجر فراي
رويا وقصها علي الكهان فقالوا لئن صدقت رويك
ليخرجن من ظهرك من يومن به اهل السموات والارض
وليكونن في الناس علما مبينا وذكر الحافظ ان زمزم

كانت

كانت اندرست فراي عبد المطلب ما دله عليها فحفرها
فاذاه سفهاء قريش ولم يكن له الا ولده الحارث فنذر ان
رزق عشرة لينحرن احدهم لله تعالي فلما تموا عشر بنين
راي من يامره بوفاء نذره فانتبه وذبح كبشا فراي انه
لا يجزيه فذبح ثورا فراي انه لا يجزيه وهكذا احتي امر
بذبح احد بنيه كما نذر فاقرع بينهم فخرجت علي عبد الله
فجاء به ليذبحه عند باب الكعبة فمنعه سادة قريش وامروه
بمشاورة كاهنة فاشارت ان يقرع بينه وبين عشرين
من الابل وانه كلما خرجت القرعة عليه يزاد عشرة فلما
بلغت مائة خرجت القرعة عليها فذبحها ولهذا قال
صلي الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين وصح انه صلي الله عليه
وسلم اقر من قال له ذالك والثاني اسماعيل وعلي انه اسحاق
وعليه الاكثرون فقد وردات العرب تسمي العم ابا
ومن عجايب ليلة ولادته صلي الله عليه وسلم انه تداعي
اي تهادم اي اشرف علي الهدم لانه انشق شقا بينا
آل به الي خرابه ايوان بكسر الهمزة الهمزة ويقال كذا بصح
فيه ايوان وفسره الجوهري بانه الصفة العظيمة كالازج
وفسره بانه بيت مورج اي مبني طولا غير مسدود الوجه
اي فهو صفة طويلة واسعة باولها عقد واسع قال
وهو فارسي وقيل بانه هو البيت العالي وقيل بيت كبير
مستطيل ذو اشرافات وقيل بيت الملك المعد لجلوسه
مع ارباب مملكته لتدبير ملكه والحاصل ان ذالك
الايوان كان من اعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما كسرى

الوشروان بفتح الكاف وكسرها معرب خسراي واسع
الملك وهو لقب لكل من ملك الفرس كقيصر لملك
الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب من قبل
العجم والنجاشي لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز
لملك مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك ولولا
حرف امتناع لوجود اي امتنع جوابها لوجود تاليها اية
صادرة منك الي الوجود اي علامة عظيمة علي نبوتك
ورسالتك العامة وان كل من عاندك لا ينتفع لنه راسي
وفيه التفات من الغيبة الي الحضور والاصل منه اي المصطفي
ما تداعي البناء اي هذا المبني المذكور مع ما هو ما عليه
من العظم والاحكام الذي كان يظن به انه لا تهدمه الا نفخة
الصور فاذا قد تحرك وسقط منه اربعة عشر شرافة حينيذ
فليس ذالك الا محض اية منه صلي الله عليه وسلم ومظهره
للوجود علي نبوته صلي الله عليه وسلم الله وانه لا يملك
ولا عز يبقي لاخذ مع ملكه وعزه وسر تلك الاربع عشرة
شرافه الاشارة الي انه لم يبق من ملوكهم الا اربعة عشر
تملك عشرة في اربع سنين واربعة الي زمن عثمان وقد فتح
في زمن عمر رضي الله عنه اكثر اقليم فارس وكسرهم كسري
واهانه غاية الهوان وتقهقر الي اقصي مملكته ثم قتل
في زمن عثمان رضي الله تعالي عنه وزال ملكه بالكلية
وصح انه صلي الله عليه وسلم اخبر بانه اذا هلك كسري فلا
كسري بعده وان امواله وكنوزه تنفق في سبيل الله تعالي
فانقطع ملكه وزال من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق

لانه صلي الله عليه وسلم دعي عليه بذالك لما جاه كتابه
تمزقه وقد بشر صلي الله عليه وسلم في حفر الخندق بملك
بلاده وقال لسراقة وكان من فقراء الصحابة كيف بك اذا
لبست سواري كسري فلما اتي بهما عمر رضي الله تعالي عنه
البسهما اياه اظهارا للمعجزة وذالك عند صبيح وقال
الحمد لله الذي لبسهما كسري والبسهما سراقة ولما راي كسري
ما وقع بايوانه وراي تلك الليلة الموبذان اعلم علماء مملكته
اي ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت
في بلادها فزع كسري ذالك فسال الراي فقال لحدث
يكون من ناحية العرب فكتب الي النعمان ابن المنذر
ملك العرب ان يرسل اليه اعلم من في ارضه من العرب
فبعث اليه عبد المسيح ابن عمرو الغساني وكان معمرا
فدلهم علي خاله سطيح بما من جملته غيب المسيح
علي جمل مسيح الي سطيح وقد اوفي الضريح علي
الضريح بعثه ملك ساسان لارتجاس الايوان
اي تحركه وخمود النيران ورؤيا الموبذان راي ابلا
صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت
في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر
صاحب الهراوة وفاض وادي هاوة اي قرية بين
الكوفة والشام وليست من العواصم وغاضت بحيرة
ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما
ولا بابل للفرس مقاما يملك منهم ملوكا وملكات علي
عدد الشرافات وكل ما هو ات ات ثم قضي سطيح مكانه

وسمي صلى الله عليه وسلم صاحب الهراوة لانه كان
يمسك في يده القضيب كثيرا وكان يمشي بين يديه
بالعصي ليصلي اليها قال القاضي وأراها العصا المذكورة
في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل
اليمن اي لاجلهم ليتقدموا وسمي ايضا صاحب القضيب
اي السيف كما في الانجيل فهو صاحب العصي يرعى بها
الاخيار والقضيب يبيد به الاشرار ومن العجائب التي
ظهرت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ايضا لينبهوا
وينبئا لواعق سبب ذلك انه غدا اي صار في تلك
الليلة كل بيت نار اي كل واحد من بيوت نار الفرس
التي كانوا يعبدونها ويشتد ايقادهم لها الف سنة لم تخمد
ونار من ذوات الواو وانما جمعت على نيران لانكسار
ما قبل الواو المستلزم لقلبها ياء وهي للحال وفيه موافقة
لما ذهب اليه الجمهور وزعم ابن مالك ان المنصوب
بعد غدا كالحال اذ لا يوجد الا نكرة وخالفهم الزمخشري
وابو البقا والجزولي وابن عصفور فجعلوه خبرا
سوكانت صار او بمعنى وقع فعله في وقت الغدو
والرواح وجعلوا من ذلك اغدو عالما وخدت تغدو
جماما وغدا زيد ضاحكا اي صار في حال ضحك فيه
كربة بضم اوله اي غم باخذ الانفس وربما اهلكها من
اجل خمودها اي سكون لهبها من غيران يطفى جمرها والافيل
همدت وبلاء عظيم صب عليهم صبا بازالة ما يعتقدونه
الههم ومعبودهم لانهم مجوس وكان في اقليم الفرس

من بيوت النار الموقدة المباة من السنين ما يخيل العادة
انطفاءه فاذا انطفا تلك النيران كلها في ساعة واحدة
تلك الليلة علموا ان ذلك لامر عظيم حدث في العالم وكان
كذلك وتنبيها لازالة ملكهم وتمزيقهم كل ممزق ومن تلك العجايب
ايضا عيون فهو مبتدا سوغه وصفه بقوله للفرس بالضم
وتعال فارس ومنه حديث وخدمتهم فارس والروم وهم
امة عظيمة كان مسكنهم في شمال العراق من الفراسة بالفتح
اي الشجاعة وكسرى من اجل ملوكهم غارت في الارض
حتى لم يبق منها قطرة ومنها بحيرة طبرية التي كان فيها
من كثرة المياه وسعتها ما يحيل العادة غيضها ولذا قيل
طولها ستة اميال وعرضها مثل ذلك وتسمى عين ساوة
لبلد معروف بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا
وقيل موضع بالشام فهل استفهام للتعجب من حالهم
او للتوبيخهم وتقريعهم كان لنيرانهم بها اي بتلك
المياه التي غارت اطفاء لا بل لم يطفها الا سر
وجود نبينا صلى الله عليه وسلم وظهوره المضمحل به كل
لهو وباطل ولذا قال مولد عظيم الجد بدل من المولد
والرفع خبر مبتدا محذوف كان اي صار على الدوام منه
اي من اجله او من لابتداء الغاية في طالع الكفر اي نجم
النوم او الالهام الذي يطلع به على عواقب الكفر وغايات
اهله المرتبة عليه كرؤيا المؤبذان والهام سطيح السابقين
آنفا ويصح ان يراد ان المولد نفسه اطلع كل ذي بصيرة
على ان الفرس والكفار يحل بهم وبال اي وخم عظيم عليهم

فاذا انطفت صح

اي علي اهله الذين هم القريش جد لبل السياق او اعم يد ليل
الواقع ووبا، ويجوز قصره وهو المرض الشديد العام وهما فيهما
الجناس اللاحق وهما كنايتان عما اعتراهم بوجوده من اشراق
ملكهم علي الدوال ومما حل بهم من البوار والبوال والهوان
والنكال في بسبب ما حصل بوجوده صلي الله عليه وسلم
في هذا الكون لهذه الامة من المزايا وله من العطايا ولابائه
ولامهاته صلي الله عليه وسلم من الشرف الاكبر والتمييز
الاظهر حق ان يقال في شان امه هنيئا به لامنة الفضل
اي ثبت ذالك الفضل اي الكمال والشرف والكمال والعلو حال
كونه هنيئا اي لا افة فيه ولا نكد فهو حال عند الاكثرين
موكدة لعاملها الملتزم اضماره اذ لم يسمع الاكذالك وقال
المبرد انه مصدر كالعاقبة واصل ذالك انهم انما يواعن المصدر
صفات كعافيا بك وهنيئا لك قال بعض المغاربة وهي
موقوفة علي السماع وقال غيره انه مقيس عند سيبويه
يقال لكل من لازم صفة وهنيئا اسم فاعل من هنئ او هنؤ
كشريف من شرف وهو ما ثابت بلامشقة الذي شرفت به
حواء ممن دونها من امهاتها الي امنة فان الولادة منسوبة
الي كل منهن لكنها لهن بواسطة ولامنة بدونها فمن ثم خصها
من بينهن بذالك وزاد في مدحها بانها شرفت بما شرفت به
ام البشر وزيادة عدم الواسطة فذكرها بما شرفت به
لهذا في الجمع بين طرفي الولادة الاول والاخر لينبه علي ان
حوي امتازت بابرازه الي وجود عالم الاصلاب مع عدم
الواسطة ومن ثم قال منبها تمييزها علي حوي بذالك الاستقلال

وامنة

وامنة امتازت بابرازه الي وجود العالم من استفهام
استبعادي بمعني النفي لحقا اي ومن ذا الذي ينزع
لها بانها او يشفع لها في انها حملت احمدا بالتنوين
للضرورة اي حملت به وهو من عزيز اسمايه صلي الله عليه
وسلم وقد سماه الله به علي لسان موسي عليه الصلاة
والسلام وعيسي صلي الله عليه وسلم كما في القرات وهو
منقول من الصفة التي معناها التفضيل فمعناه احمد
الحامدين لربه وكذالك هو في المعني لانه يفتح يوم
القيامة عند سجوده تحت العرش ليسال في الشفاعة العظمي
وهو مقام المحمود بمحامد لم يفتح علي احد قبله يحمد
ربه بها وكذالك يعقد له لواء الحمد ويكون تحته ادم فمن
دونه وانها به نفساء اي اصابها نفاس وهو الدم
الخارج عقب الولادة يسمي بذالك لانه اثر نفس اي
وبانها ولدته بلا واسطة اي لو فرض لها انها حملته وتلده
من غير واسطة لها غاية الفخر لكن لم يقدر
ذالك لها بل لامنة لما سبق في علم الله تعالي انها الفائزة
بشرف الانتها وهو افضل مما فازت به حوا من شرف الابتدا
ولهذا قال يوم بدل من مولد اسم زمان نالت اي اعطيت
بوضعه اي بسببه امنة ابنة وهب ابن عبد مناف
ابن زهرة ابن كلاب ابن مرة فهي تلتقي مع رسول الله صلي
الله عليه وسلم من جهة ابائه في كلاب وكان وهب سيد
بني زهرة نسبا وشرفا وام امنة برة ابنة عبد العزي
ابن قصي ابن كلاب من يبانية فخار وهو التمدح

بالخصال العلية والشيم الظاهرة المرضية ما لم تنله النساء
حتي حوا كما مر وهذا لا يقتضي افضليتها علي حوا مطلقا
لانها انما فضلت من وجه واحد وهو ولادتها له صلي الله
عليه وسلم بلا واسطة والتفضيل من حيثية من تية واحدة
او مزايا لا يقتضي الافضلية علي الاطلاق وانما ذكرت
ذالك لان الاجماع قائم في حوا علي ايمانها الكامل وامنة
وقع الخلاف في ايمانها وفي نجاتها ونقل عن الاكثرين عدمها
لكن الاصح بل الصواب خلافه كما مر ومما نالته ما اخرجه
ابو نعيم والخرائطي وابن عساكر ان عبد المطلب لما خرج
بعبد الله ليزوجه المروا بالتي راها وقد مرت ذاته
كاهنة قرات الكتب فرات نور النبوة في وجهه ومن ثم
كان اجمل رجل رئي في قريش فسالته ان يقع عليها وتعطيه
ماية من الابل فابي وقال اما الحرام فالممات دونه ثم به
ابوه حتي اتي به وهبا ابا امنة فزوجه بها
وهي يوميذ افضل امراة في قريش نسبا وموضعا فوقع
عليها يوم الاثنين ايام مني عند الجمرة ثم خرج ومر علي تلك
المراة فلم تكلمه فسالها لم تعرضي نفسك الان علي فقالت
فارقك النور الذي سالتك لاجله وذكر انه لما
استقرت تلك البضعة الشريفة بها اصبحت اصنام
مكة والدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت
الاشجار وكانت قريش في جدب شديد فسميت تلك
السنة سنة الفتح ونودي في الملكوت ان النور المكنون في فضا الجبروت
انتقل الي بطن امنة ذات العقل الباهر والفضل الطاهر

قد

قد خصها الله تعالي بهذا الحبيب لانها افضل قومها حسبا
ونسبا وان كانهم اصلا وفرعا وفي حديث ابن اسحاق انها
حدثت انها لما حملت به صلي الله عليه وسلم قيل لها انك حملت
بسيد هذه الامة وقالت ما شعرت بحمله ولا وجدت له
ثقلا ولا وحما اي في الابتدا والرواية انها وجدته وحملت
علي غير الابتدا جمعا بين الاحاديث واتاني ات وانا بين
النايمة واليقظانة فقال قولي اعيذه بالواحد من كل شر
كل حاسد ثم سميه محمدا وبعد هذا البيت ابيات اخر مشهورة
ولا اصل لها كما قاله الزين العراقي واخرج ابو نعيم
عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما انه قال كان
في دلالة حمل امنة برسول الله صلي الله عليه وسلم ان كل دابة
كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله
صلي الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج
العلما ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا
ومرت وحوش المشرق الي وحوش المغرب بالبشارات
وكذلك اهل البحار بشر بعضهم بعضا وله في كل شهر
من شهور حمله نداء في الارض ونداء في السماء ان ابشروا
فقد ان ان يظهر ابو القاسم ميمونا مباركا وروي
ابو نعيم ان امنة اتاها ات بعد ستة اشهر من حملها
وقال يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذا وضعتيه
فسميه محمدا واكتمي شانك ثم لما اخذها الطلق وكانت
وحدها رات كان كذا طايرا ابيض قد مسح فوادها فذهب
رعبها ثم اتيت بشربة بيضا فتناولتها فاصابها نور عال

ثم رايت نسوة كالنخل طولا فاحدقن بها فقالت من اين
علمتني وفي رواية فقلن لي نحن اسية امراة فرعون
ومريم ابنة عمران وهولاء الحور العين ثم رايت ديباجا
ابيض قد بين السما والارض ورجال بايديهم اباريق
فضة وقطعة من الطير اقبلت حتى غطت حجرتها
مناقيرها من الزمرد واجنحتها من الياقوت ورايت
مشارق الارض ومغاربها وثلاثة اعلام منصوبات
علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذها
المخاض فوضعته صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد
قد رفع اصبعيه الى السما كالمتضرع المبتهل ثم رايت
سحابة بيضاء غشيته فغيبته عنها فسمعت مناديا
يقول طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه
البحار ليعرفوه بنعته وصورته ويعلموا انه الماحي لانه
لا يبقى شي من الشرك الا محي في زمنه صلى الله
عليه وسلم ثم انجلت عنه في اسرع وقت وروى
الخطيب البغدادي بسنده انها لما وضعته رات سحابة
عظيمة لها نور عظيم تسمع فيها صهيل الخيل وخفقان
الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنها فسمعته
مناديا طوفوا به جميع الارض واعرضوه على كل روحاني
من الجن والانس والملايكة والطيور والوحوش واغمسوه
في اخلاق النبيين ثم انجلت عنه وقد قبض على حريرة
بيضا مطوية طيا شديدا ينبع منها ماء واذا قايل يقول
بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق احد
من

العيني صح
بيان الطير
النقانق
باسمه

٢٧

من اهلها الا دخل طايعا في قبضته ثم رات ثلاثة نفر
بيد احدهم ابريق فضة والثاني طشت من زبرجد اخضر
والثالث حريرة بيضا اخرج منها خاتما يحار الناظرون
دونه فغسله سبع مرات ثم ختم به بين كتفيه ثم احتمله
فادخله بين اجنحته ساعة ثم رده الى امه ويوم
اتت امنة قومها اسم جنس للذكور وقد يدخل النسا
فيه تبعا كما هاهنا بمولود افضل بالاجماع مما اوقع
ما على العاقل وهو عيسى صلى الله عليه وسلم وان كان
نادرا لوقوعه في القران نحو لما خلقت بيدي والسماء وما
بناها الايات ولا انتم عابدون ما اعبد وكلام العرب
سمع من كلامهم سبحان من سخركن لنا ولورود هذا وامثاله
زعم قوم منهم ابن درستويه وابو عبيدة ومكي وابن خروف
وقوعها على احاد من يعقل كثيرا مطلقا وقال السهيلي
لا يقع على اولي العلم الا بقرينة اي الطيبة منهن وعليه
فما هاهنا نظير الاية لان من صفات من يعقل الحمل
المذكور في قوله حملته قبل اي قبل آمنة ومن بينهما
نحو ستماية سنة امه مريم بنت عمران الصديقة
بنص القران قيل هي من ذرية سليمان صلى الله عليه
وسلم وبينها وبينه اربعة وعشرون ابا وفي الصحيح خير
نسايها مريم ولذا فضلت على جميع النسا للخلاف
في نبوتها وان كان شاذا ولما رفع عيسى عليه الصلاة
والسلام الى السما كان سنها ثلاثا وخمسين سنة وبقيت
بعد ذلك خمس سنين او ست كما قال الجلال السيوطي

وقال ايضا ولما رفع الي السما تعلقت به وبكت فقال لها ان
القيامة تجمعنا **العذرا** اي البكر لانها لم تتزوج والعذرة
البكارة وحملها لعيسي عليه الصلاة والسلام انما هو من
نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام في جيب درعها فحملت به
ووضعته من وقتها علي الاشهر كرامة لها ومعجزة له
صلي الله عليه وسلم وخصه بهذا مع تصريحه قبل بانه
افضل الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانه ينزل من السماء
علي منارة جامع بني امية البيضا شرقي دمشق
كما رواه مسلم في اخر هذه الامة فيقتل الدجال والخنزير
ويبطل الجزية فربما يتوهم من ذالك مع باهر معجزاته
عليه الصلاة والسلام وولادته من غير اب وان كانت
لنبينا عليه الصلاة والسلام ماهو مثلها او ابهر
منها كما يأتي انه الخاتم الاكبر فنفي ذالك علي الوجه الاكمل
ونزوله انما هو بشريعة نبينا صلي الله عليه وسلم
ومعني ان الجزية لا تقبل بعد نزوله لانتفا مالهم
من نوع شبهة تمسك بكتاب بتكذيبه لهم فيكون
من اتباعه ولاجل ذالك يصلي وراء المهدي اولا ثم
يتقدم بعد اعلاما بانه عليه الصلاة والسلام لم
ينزل مستقلا بل تابعا ومتعبدا بشريعة محمد
صلي الله عليه وسلم وفي خبر البخاري ان اولي الناس
بابن مريم في الدنيا والاخرة وليس بيني وبينه نبي
وبه يرد علي من قال كان بينهما خالد بن سنان نبي
اصحاب الرس وفي خبر الصحيحين من شهد ان لا اله الا
الله

الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسي
عبد الله ورسوله وكلمته القاها الي مريم وروح منه
وان الجنة حق وان النار حق ادخله الله الجنة علي ما كان
منه من عمل وفي خبر الصحيحين ان كل مولود
ينخسه الشيطان فيصيح الا عيسي عليه الصلاة
والسلام قال ابو هريرة رضي الله عنه اقروا ان شئتم
واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولا
ينافي افضلية نبينا صلي الله عليه وسلم لان لنبينا من
المزايا ما يتغمر هذه في جنب ادونها وقد تكون
في المفضول او مزايا ليست في الفاضل لكن فيه ما يخلف
ذالك ويفوقه **شمته** من التشميت وهو ان يقال
يرحمك الله بالمعجمة والمهملة اي دعا له بالسلامة من
الشوامت او بقا سمته كما هو لان العطاس ربما كان سببا
لتعوج العنق **الاملاك** جمع ملك وهذا هو القياس
وجمعه املاك كجمل واجمال ولفظ الملك مشتق من
الالوكة وهي الرسالة ويقال لها مالكة فالاصل مالك ثم
قلب فصار مالكا علي وزن مفعل ثم خفف ونقلت
حركة الهمزة الي اللام فصار ملكا لوزن فعل وحينيذ
فقياس هذا جمعه علي افعال كما جري عليه الناظم رحمه
الله تعالي وانما جمعوه علي ملايكة لانهم رجعوا ملاكا
بعد القلب وقبل ان يخفف وقولهم من الالوكة مصرح
بان ميمه زايدة وهو راي الجمهور وذهبت طايفة
الي انها اصلية ثم اختلفوا هل هو من الملك بالفتح

اي القوة لقوتهم او بالكسر بمعني مملوك قولان قيل واحسن
من الجميع قول النضراني شميل انه غير ماخوذ من شي بل
والتحقيق الذي دلت عليه الاثار وقوله تعالي الا ابليس
كان من الجن وزعم انه نوع من الملايكة يسمون بذلك ليس
في محله لتوقفه علي صحة خبر به ان ابليس ابو الجن
كما ان ادم ابو البشر وانه لم يكن من الملايكة طرفة عين
وان المصحح للاسناد في الاية التغليب لكونه كان فيهم او هو
منقطع وفي خبر مسلم خلقت الملايكة من نور وخلقت
الجان من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم
وظاهره ان عنصرهما متمحض من النور والنار وقيل
بل هما من العناصر الاربعة كالثالث وانما غلب عليهما
ذلك وزعم تاويل الاولين بانه علي التمثيل ليس في محله
لانه لا يلزم عليه ان الثالث كذلك ولان مدار المعتزلة
علي هذه الطريقة فانهم اولوا احاديث السوال والقبر
وعذابه والصراط والميزان والحوض والشفاعة
ودابة الارض ونحوها ولم يبالوا بمنابذتهم للسنة الغرا
قبحهم الله **اذ وضعته** اي وقت وضع امنة له **وشفتنا**
اي افرحتنا واسرتنا او من الشفا لانها رقية والرقية
كثيرا ما يحصل منها الشفا لان قولها الا ستشفي العليل
ويبرد الغليل **بقولها الشفا** بالفاء المشددة وهي ام عبد الرحمن
ابن عوف احد العشرة رضي الله عنهم بنت عمرو ابن عوف
وقولها هو ما اخرجه ابو نعيم عن ولدها عبد الرحمن
عنها قالت لما ولدت امنة رسول الله صلي الله عليه وسلم

وقع

وقع علي يدي فاستهل فسمعت قايلا يقول رحمك الله
ورحم ربك قالت الشفا واضاء لي ما بين المشرق والمغرب
حتي نظرت الي بعض قصور الروم قالت ثم البسته
واضجعته فلم البث ان غشيتني ظلمة ورعب
وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت قايلا يقول اين ذهبت
به قال الي المشرق قالت فلم يزل الحديث مني علي بال
حتي ان بعثه الله تعالي فكنت في اول الناس اسلاما
وحمل الناظم قولها استهل علي انه صلي الله عليه وسلم
عطس حتي عبر بشمتته الذي لا يطلق الا علي
ما يقال عند العطاس يحتاج فيه لسند اذ حقيقة
الاستهلال رفع الصوت عند الولادة وهذا هو
الغالب من احوال المولود بخلافه فلا يصار اليه
الا بنص صريح من يعتمد عليه به ولم اره وقولها
فسمعت قايلا يقول علي الملك هو الظاهر وجمعه
مبالغة واشارة الي ان عصمة الملايكة توجب ان الفعل
المسند الي احدهم كانه مسند الي الجميع وعلي ما قاله
الناظم مع ما استقر من شرعه صلي الله عليه وسلم
ان التشميت انما يسن لمن حمد الله عقب عطاسه يحتمل
انه صلي الله عليه وسلم حمد الله فشمت فيكون من جملة
من تكلم في مهده وان كان صلي الله عليه وسلم عدهم
ولم يذكر نفسه منهم **رافعا** حال من مفعول وصفته
راسه الي السماء كما رواه ابو سعيد من حديث جماعة
منهم عطا وابن عباس ان امنة قالت لما فصل مني يعني

النبي صلي الله عليه وسلم خرج مني نور اضاله ما بين
المشرق والمغرب ثم وقع علي الارض معتمدا علي يديه
ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه الي السما
وفي ذالك الرفع الذي هو اول فعل وقع منه بعد
بروزه الي هذا العالم وهو خبر مقدم **الي كل سودد**
اي رفعة وسيادة علي الخلق وهو متعلق بالمبتدا
الذي هو **ايما** اي اشارة الي ان شانه وقدره يرتفع
ويعلو في الدنيا والاخرة الي مراتب لا يصلها غيره
من ملك ولا جن ولا انس **رافعا** حال مما منه الاولي
ونفذ الاحوال جايز كتعدد الاخبار او من ضمير
رافعا فهي من الاحوال المتداخلة **طرفه** اي بصره
السما اي ناظرا الي جهتها نظرا حقيقيا كما علم
من حديث عطا وابن عباس المذكورين وروي الطبراني
انه لما وقع الي الارض وقع مقبوضة اصابع يديه
مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وسبقت رواية انها
لما وضعته نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع
اصبعيه الي السما كالمتضرع المبتهل **و** سر هذا الرفع
الاشارة الي علو مرماه اذ **مرمي** هو في الاصل
غرض الرامي الذي يصيبه سهمه وهنا ما انتهي اليه
البصر **عين من** موصولة **شانه** اي قصده **العلو**
ارتفاع مكانه والجملة الصلة وخبر مرمي **العلاء** بالفتح
والمد اي الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه مع القصر
اي كما ان رفع راسه ايما الي ما مر فكذالك رمقه

ببصره

فهي

يديه نسخة

ببصره الي جهة العلو ايما الي ان لا يقصد الا اعلي المراتب
اذ من شانه العلو لا يقصد الا جهاته وما يوصل اليها
دون غيرها مما لا يناسب فضله فعلم ان المرتب علي
الرفع والرمق متحد بالذات متخلف بالاعتبار
اذ التوجه الي جهات العلو الذي هو مفادها له اعتبارات
مختلفة **و يوم نزلت** اي قربت ودنت فهو عطف علي
نالت **زهر النجوم** من اضافة الصفة الي الموصوف اي
الكواكب المضية **اليه** صلي الله عليه وسلم كرامة له
وتعظيما لم يقع نظيره لغيره كما رواه البيهقي وابن
السكن عن عثمان ابن ابي العاص عن امه فاطمة
الثقفية انها قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلي
الله عليه وسلم رايت البيت حين وقع امتلا نورا
ورايت النجوم تدنوا حتي ظننت انها ستقع علي
بسبب هذا التدلي **اضات بضويها** اي تلك الكواكب
المضية **الارجا** اي نواحي البيت او نواحي السما او
نواحي الوجود باسره **و يوم تراءت** من راي بمعني
ابصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل اصل الفعل
كتعا دعوت الله وعاقبت اللص اي رات **قصور قيصر**
ومر انه لقب لكل من ملك الروم **بالروم** اي في بلاد الروم
وهو ابن عيصو وبين قيصر وقصور التجنيس
المطلق وسماه قوم كالسكاكي وغيره تجنيس المشابهة
وهو تماثل الكلمتين بحيث يتشابهان المشتق الراجع

معناهما الى اصل واحد كقوله تعالى ازفت الازفة يا اسفا
على يوسف اسلمت مع سليمان فاقم وجهك للدين القيم
وزعم الحلبي ان هذا ليس من اصناف التجنيس وان عدّه
اكثر المولفين له تجنيسا غلط وليس كما زعم لانهم لم
يطلقوا كونه تجنيسا وانما قيدوه بتجنيس المشابهة
فبينوا انه اشبه التجنيس وليس في الحقيقة تجنيسا
ويسمى كثير منه معبرا عنه بنحو وفيه تجنيس
شبه الاشتقاق وما ذكر في الاخير هو ما ذكره الحلبي
ولا ينافيه عد غيره له من تجنيس الاشتقاق لانه
نظر الى ان المراد من اقم وجهك للدين افرغ
وسعك في صرف جميع ازمنتك في نشره والعلم
به وغيره نظر الى ان المراد استقم لتبليغه
ولدعائه اليه حال كون الله تلك القصور بدا هاروية
كاملة **من** اي الذي **دار البطحا** اي مكة والابطح
والبطحا المسيل الواسع الذي فيه دقاق الحصى
واصل ذلك الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم
قال اني عبد الله خاتم النبيين وان ادم لمنجدل
في طينته وساخبركم عن ذلك انا دعوة ابي
ابراهيم وبشارة عيسى ورويا امي التي رات وكذلك
امهات الانبيا يرين وان ام رسول الله صلى الله عليه
وسلم رات حين وضعته نورا اضا له قصور الشام
وفي رواية عنها قالت رايت كانه خرج من فرجي

شهاب

شهاب اضاءت له الارض حتى رايت قصور الشام وفي
اخرى رايت ليلة وضعه نورا اضات له قصور الشام
حتى رايتها وفي اخرى لما ولدته ولدته نظيفا
ما به قذر وفي اخرى لما فصل مني خرج مني نورا
اضاء لهما بين المشرق والمغرب وفي رواية الشفا
السابقة واضا لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
الى بعض قصور الروم ولا ينافي هذه الروايات رواية
انها رات مثل ذلك عند ابتدا وضعه لان تلك
الاضاءة وقعت مرتين عند حمله وعند ولادته
زيادة في البشارة بظهور دينه وخصت الشام
بالذكر في اكثر الروايات لما اختصت به من سبق نور
نبوته اليها ومن ثم نقل كعب عن بعض الكتب السالفة
انها دار مملكته اي باعتبار سبقه اليها قبل نظرائها
والذي اسري به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس
منها كما هاجر اليها ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام
وبها ينزل عيسى صلى الله عليه وسلم وهي ارض المحشر
والمنشر فائدة صح عند الضيا انه صلى الله عليه وسلم
ولد مختونا مقطوع السرة حتى لا يرى احد سواته
ثم ادعى الحاكم ان ذلك تواترت به الاخبار واعترضوا
التصحيح بانها كلها ضعيفة والتواتر بانها اذا لم
تصح كما تقرر فكيف تتواتر قيل ان كثيرا من الناس
ولد مختونا فلا خصوصية فيه بل قال ابن الكلبي
ان ادم واثني عشر نبيا بعده ولدوا مختونين وفيه

بعض الحفاظ بسنده الي ابن عباس ان عبد المطلب
ختنه يوم سابع ولادته وجعل له مادبة وسماه محمدا
وفي طريق منكر انه ختن عند حليمة وشق قلبه
ولما تم الكلام علي عجايب ولادته صلي الله عليه وسلم
ومعجزاتها شرع في ذكر عجايب الرضاع ومعجزاته قال
مستانفا او عاطفا عطف الجمل فقال وبدت اي ظهرت
لمن عصره صلي الله عليه وسلم بطريق العيان ولمن
بعدهم بطريق البرهان في فصل زمن رضاعه وهو
امتصاص اللبن من الثدي معجزات تسميتها بذلك
مجازا وجري علي اصطلاح السلف كالامام احمد
فانهم يطلقون المعجزة علي كل خارق ليس بسحر وجدت
فيه الشروط الاتية ام لا ولكن الاشهر الذي عليه اكثر
اهل الكلام وغيرهم ان المعجزة لا تطلق حقيقة الا
علي الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال
علي صدق الانبيا عليهم الصلاة والسلام فعلم ان لها
شروطا احدها خرقها للعادة بان تخيل وقوعها كانشقاق
القمر ثانيها اقترانها بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة
امن معارضها من تحديت فلانا نازعته للغلبة وهو
مجاز اذ اصله الحدا يتعارض فيه العاديات فيتحدى
كل الاخر ويطلب حداه فخرج الخارق من غير تحد وهو
كرامة الولي والخارق المتقدم علي التحدي كاظلال
الغمام وشق الصدر لو اتفقن لنبينا صلي الله عليه وسلم
قبل النبوة فهي كرامات لا معجزات وتسمي ارهاصا

اي

اي تاسيسا للنبوة لا يقال خرج به ايضا الخارق
المتاخر عن التحدي مما يخرجه عن المقارنة العرفية
لانه يلزم عليه اخراج اكثر اياته صلي الله عليه وسلم
كنطق الحصي والجذع والدواب ونبع الماء بل قيل لعله
لم يتحد بغير القران وتمني الموت وزعم ان لا معجزة الا
هذا ان اقرب الي الكفر منه الي البدعة فالحق ان
المراد بالتحدي ليس الاصلي بل المراد به دعوي الرسالة
وكل معجزاته مقارن لذلك والخارق الذي لا تومن
معارضته كالسحر سوا قلنا انه قلب الاعيان واحالة
الطبايع وان جوزنا ذلك فقد جرت العادة الالهية
بانه لا يقع من مدعي النبوة كذبا وانما يقع من مدعيها
صدقا ام لم نقل بذلك وهو ظاهر ولا ينافي ذلك
ما يظهر علي يد الدجال من الخوارق العظيمة لانه
ليس مدعيا للنبوة بل للالوهية وقد دلت القواطع
علي كذبه وان برزت تلك علي يديه لمحض الفتنة
لا لغير ثالثها دلالتها علي صدق المتحدي فخرج الخارق
المكذب له لوضوحه كان قال ايتي انطق هذه الدابة
فنطقت بكذبه كما وقع لمسيلمة الكذاب اللعين انه
تفل في بير ليكثر ماوها فغارت لا يقال كان ينبغي
للناظم رحمه الله تعالي ان يقول ايات او بينات
او برهان لان هذه هي الواردة في القران والسنة دون
لفظ المعجزة لانا نقول هي وان لم ترد لكن صارت
في اصطلاح المتاخرين ابين واظهر فلذلك خصت بالذكر

لبس فيها متعلق بخفا على العيون خفاء لوضوحها
وهو اسم مصدر لاخفيته لانه الذي بمعني كتمته لا لمصدر
لخفيته لانه بمعني اظهرته وبين بدت وخفا الطباق
اذ اي وقت او لاجل انه ابنه ليتمه اي لاجل موت ابيه
وقد مضي له وهو حمل شهران وقيل سبعة اشهر وقيل مات
وهو في المهد وهذا قد ينافي ما في المتن الا ان يقال
يحمل عليه انه مات قبل الوضع قبل ان يرضع لكنه يرده ان
موته انما كان بطيبة المنورة وهو آت من تجارة الشام
عند اخوال ابيه عبد المطلب بني النجار وقد تعرضت
المرضعات عقب وضعه علمن يتمه قيل انما سمي عبد المطلب
لانه لما ولد بطيبة ذهب اليه عمه المطلب لياتي به مكة
فكان كل من يراه معه يتوهم انه عبده فينادونه بعبد
المطلب ثم اشتهر به وقيل دفن بالابواء محل قريب رابغ
قال جعفر الصادق وانما يتم صلي الله عليه وسلم
لئلا يكون لمخلوق في عنقه حق مرضعات كن ياتين
الي مكة يلتمسن الرضعا لان ارضاع المراة ولدها عار
عندهم قلن انما تركناه لانا انما نبتغي الرضعاء رجاء
المعروف من ابائهم واما الام والجد فما عسي ان يصنعا
وما في هذا اليتيم بينه وبين يتمه جناس لاشتقاق
عنا متعلق بقوله غناء بفتح المعجمة اي لبعض
فيه ليتمه وفقره نفع يغني عنا شيئا وبينهما الجناس
المصحف المحرف الناقص على خلاف فيه منتشر فبعد
ان تركته لذلك من آل سعد ابن بكر ونسبتها اليه مع انه
الجد

الجد التاسع لانه اشتهر وبه عرفت القبيلة وزوجها منهم
ايضا فتاة اي شابة كريمة كاينة من بعض هذه القبيلة
فقول الشارح ان من بيانيه بعيد وفي كونها حليمة السعدية
من الفال الحسن والبشارة العظيمة بحصول غاية
الحلم والسعد لهذا الرضيع ما لا يخفي عظيم وقعه وقد كان
صلي الله عليه وسلم يحب الفال الحسن قد ابتها الفقر ها
الرضعاء جمع رضيع اي اهلهم لان الفقر يستلزم قلة
الاكل المستلزمة عادة لقلة اللبن المضرة بالرضيع غالبا
وما تعطاه من جعل بما تصرفه في حوائجها الخارجة
فلا يفيدها في دفع الجوع الذي هو المحذور واصل ذلك
ما رواه ابن اسحاق واسحاق ابن راهويه وابو يعلي والطبراني
والبيهقي وابو نعيم عن حليمة رضي الله عنها انها قدمت
مكة في نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء في سنة مجدبة
ومعها صبيها وشاة ما تبض بقطرة لبن ولا ابن يبدينها
فلا ينام صبيها من الجوع قالت وما علمت امراة منا الا
وقد عرض عليها رسول الله صلي الله عليه وسلم فتاباه اذا
قيل يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امراة الا اخذت غيري
فلما لم اجد غيره قلت لزوجي والله اني لاكره ان ارجع من
بين صواحبي ليس معي رضيع لانطلقن الي ذلك اليتيم
فلاخذنه فذهبت فاذا به مدرج في ثوب صوف ابيض
من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضرا
راقدا على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه
لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي علي صدره

صلى الله عليه وسلم فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الي
فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السما وانا انظر اليه
فقبلته بين عينيه واعطيته ثديي الايمن فاقبل عليه
بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حالته
صلى الله عليه وسلم بعد قال اهل العلم اعلمه الله ان له
شريكا فالهمه العدل ثم اخذته فما هو الا ان جيئت به
رحلي فقام صاحبي يعني زوجها الى شارفنا تلك
فاذا بها حافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا
بخير ليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم يزل الله تعالى
يزيدنا خيرا وفي رواية انها لما ودعت امه وذهبت به
على اتانها سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت
راسها الى السماء ثم مشت وسبقت دوابهن فصرن يتعجبن
ويقلن لها اهذه اتانك التي كانت ترفعك طورا وتخفضك
اخرى فتقول نعم فيقلن ان لها لشانا عظيما فسمعت
الاتان تقول ان لي شانا عظيما بعثني الله بعد موتي
ويحكن هل تدرين من على ظهري على ظهري خير
الاولين والاخرين وابدل من انثى قوله **ارضعته**
لبانها بكسر اوله مفعول به ويجوز على بعد كونه مطلقا
لان معنى لبانها رضاعها اذ يقال هو اخوه بلبان
امه ولا يقال بلبنها فاللبان مختص بلبان الرضاع
فبسبب هذا الارضاع لهذا المولود الافضل من سائر
المخلوقات **سقتها** اي حليمة **وبنيها** وقد كانوا اشرفوا
على الهلاك من الجوع لما مر ان ارضهم كانت في غاية المحل

الجذب

والجذب **لبانهن** فيه استعمال اللبان في غير لبن الرضاع
وكان الحامل عليه مقابلته بلبانها السابق فيكون
من باب المشاركة نحو ومكروا ومكر الله تعلم ما في
نفسي ولا اعلم ما في نفسك **الشياء** جمع شاة كرامة
لذلك المولود عليه الصلاة والسلام وانما سقتهم
مع ذلك المحل لانها ببركته صلى الله عليه وسلم **اصبحت**
فهو من اسلوب الحكيم ويجوز كونه حالا نظرا للصورة
تعريفه وصفة نظرا لكون فيه جنسية نحو ولقد
امر على اللئيم يسبني **شولا** بالتشديد جمع شائل
وهي في الاصل الناقة التي تشول بذنبها للقاح ولا
لبن بها اصلا فاستعمالها في الشاة مجاز علاقته
المشابهة **عجافا** اي هو بزالات **وامست** لم يرد
باصبح وامسى معناهما بل انها كانت في حال
فاعترها نقيضه في اقرب زمانه واسرعه فيهما
الطباق وان لم يرد بهما موضوعهما **ما بها** اي ما فيها
شايل مبتدا او فاعل الظرف **ولا عجفا** اي هزيلة
وبين اثبات الشول والعجاف ونفيهما طباق على حد
قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا ولك ان تقول ليس ما هنا على وزن
الاية لان الذي فيها نفي العلم عنهم واثبات بعضه
لهم لا بقيد زمن ولا غيره وما هنا فيه الاثبات في زمن
زمن والنفي في اخر وهذا لا تضاد فيه حقيقة ولا يهما
وشرط الطباق التضاد وايهامه ولو ببادي الراي كما هو

معلوم من استقرا امثلتهم وذكر الزمنين المختلفين
يمنع من ذالك ولا ينافيه عدهم من الطباق قوله تعالي
او من كان ميتا فاحييناه اذ الفاء نافي لغير التعقيب
فالايهام موجود علي انها معه قد لا تمنعه ايضا
لان ضمير احييناه للميت فكانه قال احيينا وهذا فيه
ايهام اجتماع الحياة والموت فتامله **اخصب** من الخصب
بكسر اوله وهو ضد الجدب **العيش** اي كثر قوت الادميين
والدواب **عندها** اي حليمة او الشا ويرجحه منها
الاتي **بعد محل** اي شدة جدب وهو انقطاع المطر
ويبس الارض والزرع **اذ** اي ذالك الاخصاب وقت
اولاجلات **غدا** اي صار **للنبي** الاعظم **منها** اي من الشاء
غذاء بالمعجمة اي لبانا تغذيه وبين غدا وغذا
الجناس السابق في عناقنا **يا لها** كلمة تعجب من
هذه الفعلة الجميلة من حليمة وهي ارضاعها له صلي
الله عليه وسلم من غير مقابل ذنوب ترجوه ونظير
هذا التعجب قوله في البردة يا طيب مبتدا منه ومختتم
فالندا فيه للتعجب اذ لا ينادي الا العاقل والمنزل منزلته
والعرب اذا استعظمت شيا نادت به علي سبيل التعجب
وفيه مجاز التشبيه لتشبيه ما تعجب منه لعظمته بمنادي
بسمع وبعقل وزعم ان التشبيه مردود بانهم لم يذكروا
هذا من محالها قيل والتقدير يا متعجبا تامل طيب
مبتديه ونظيره هنا يا متعجبا تامل هنا استقربها
منه تمييز اي نعمة منها عليه **لقد** اللام للقسم او للتاكيد

ضوعف

ضوعف الاجر اي كثر الثواب اذ تضعيف الشي
ان يزاد عليه مثله او اكثر **عليها** اي توالي وتتابع
حال كونه مستوليا علي حليمة فعلي علي بابها من
الاستعلا المجازي او علي تلك المنة اي لاجلها
علي حد ولتكبروا الله علي ما هداكم اي لاجل هدايته
اياكم وحال كونها **من جنسها** كما علم من قوله فسقتها
الخ **والجزاء** من عطف الرديف اذ هو الاجر وذالك
لان الجزاء من جنس العمل فلما سقته صلي الله عليه
وسلم لبنها سقتها وبنيها شياهها مع انها كانت وقت
اخذه من امه علي غاية من الهزال وعدم اللبن فلاجل
ان غذاه كان من البانها ازال الله عنها المحل والجدب
وابدلها منهما الخصب والخير الكثير جزاء وفاقا ولعل
انما حصل لحليمة من هذه المزية الجليلة انما نشا
عن تسخير الله لها لهذا الفعل الجميل الصادر منها
المبني عن سيف سعادتها **و**قد تقرر في المعقول
والمنقول انه **اذا سخر** اي ذلل ووفق **الاله اناسا**
لعبد في الناس **لسعيد** اي لخدمته ومحبته والقيام
بشانه **فانهم** بسبب ذالك **سعداء** جميع سعيد
لان بركة ذالك السعيد ويمنه وبره تتتابع عليهم
حتي يكونوا من سعدا الدنيا والاخرة ولان المرا
مع احبه من الاجر وان لم يعمل بعملهم كما صح الحديث
به ولان الارواح كما في الحديث ايم جنود مجندة
فما تعارف منها في عالم الارواح ايتلف في عالم الاجساد

ومن اعظم اجرها وسعادتها توفيقها للاسلام هي
وزوجها وبنوها ابل رد رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبي هوازن اليهم بواسطة كونهم قومها وكانت
تقدم عليه صلى الله عليه وسلم فيكرم مثواها زاد
في اكرام بنتها الشيما لما اعتقها من جملة من اعتق
من سبيهم كما ياتي وهذا من فن البديع المسمى بالكلام
الجامع وهو ان ياتي الشاعر ببيت يكون جملته حكمة
او موعظة او تنبيها او نحو ذلك من الحقايق الجارية
مجري الامثال كقول ابي الطيب

وإذا كانت النفوس كبارا … تعبت في مرادها الاجسام

وهو كثير في كلام الناظم واصل ما ذكر بقوله ارضعته الي
هنا ما رواه ابن اسحاق وغيره من قولها بعد ما قدمناه
عنها انفا ثم قدمنا ارض بني سعد ولا اعلم ارضا اجدب
منها فكانت غنمي تروح علي حين شبعا لبنا فنحلب ونشرب
وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجد في ضرع
حتى تو مر الرعيان ان تسرح غنمها حيث تسرح
غنمي فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن
وتروح اغنامي شباعا لبنا فلم تزل تتعرف من بركته
الزيادة والبركة حتى مضت له سنتان وفطمته
ولما قرر ما حصل لها من الخصب بعد الجدب ببركة
ارضاعها له صلى الله عليه وسلم ومن الجزا من جنس
عملها بكثرة لبن شاهها عقبه بما يبين ان تلك
المضاعفة في قوله ضوعف بلغت مرات كثيرة فقال

حبة

حبة اي هذه الفعلة الصادرة من حليمة كما دل عليه
السياق وبه يعلم ان هذا ليس من الاستعارة لان
شرطها طي ذكر المستعار له بان لا يكون في الكلام
رمز اليه ولو تقديرا ومن ثم كان التحقيق في صم
بكم الاية انه من التشبيه البليغ لدلالة السياق على
المشبه الذي هو هم وقول ابن الهمام السبكي انه استعارة
راي مخالف للجمهور فلا يعول عليه كما به واشار الى وجه
الشبه الذي هو تضاعف الجزا ليبين انه ليس من التشبيه
البليغ لان شرطه ان يذكر وجه الشبه انبتت سنابل
كثر جمع سنبلة وهي مجتمع الحب في كل سنبلة مائة حبة
والله يضاعف لمن يشاء ففيه اقتباس وحذف لفظ
سبع ليبين ان العرب قد يذكرونها كالسبعين له
مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص العدد المعروف
والعصف اي والحال ان ورق النبات اليابس كالتبن
لديه اي عنده تستشرف اي تتطلع الضعفاء
اي حصلت تلك المضاعفة الكثيرة في تلك السنابل
والحال ان الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث ان
الفقرا يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن النبات
فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل لها ذلك الخصب
واللبن والحال ان قومها يتطلعون الى ورقة حبة
او قطرة لبن فلا يجدونه وبعد ان انتهى رضاعه
لبلوغه سنتين اتت به جده عبد المطلب الذي في الرواية
الاتية امه فلعل الناظم ذكر جده لانه الاصل ولان امه

كانت لا تفعل شيا الا بعد مشاورة جده نعم في سير ابن
هشام ان حليمة رضي الله تعالى عنها لما اتت به مكة اضلته
في الناس فاتت جده واخبرته بذالك فقد عا الله حتى
وجده والحال انها قد فصلته اي فطمته والحال
انه يخف بها من اجل فصاله البرحاء اي التالم الكثير لما
شاهدت هو من توالي الخيرات وتتابع البركات بسبب
رضاعه واقامته عندها اذ اي اتت به وقت او لاجل
انه احاطت اي احدقت به ملايكة الله لاجل شق قلبه
الاتي وهذا ظاهر من الرواية الاتية انهم ... ثلاثة
وكذا على رواية انهم اثنان لانهما اقل الجميع عند
جماعة فظنت حليمة بانهم الباء زايدة فرساه اي
شياطين بريب ومن ايذاه فخافت عليه واسرعت
به الى جده لتسلم من تبعته وراي جده وامه حين
ردته اليهما وجدها اي شدة محبتها له وتعلقها به
فرداه معها لذالك وليسلم من وباء مكة كما ياتي في الرواية
وهذا حفظه الناظم لكن سياقه يدل عليه وهي للحال
المبينة لعظمة ذالك الوجد الذي رأته بها من اجل الوجد
الذي بها لهيب اي نار تصلى اي تحترق به الاحشاء
جمع حشا وهي ما انضمت عليه الضلوع ويحتمل انها
استينافية فتبتدا به وح فهذا من ارسال المثل
او حكمة معنية ان شان الوجد انه ينشا عنه ذالك
اللهيب الذي يحرق الاحشا وان وجدها من هذا
القبيل فمن ثم ردته لحالها واطفا نار ذالك الوجد برده

اليها

اي فطامه

اليها فارقته بدل من اتت كرها اي حال كونها ذات
كراهية لفراقه لما شاهدت في اقامته عندها من الخيرات
الكثيرة عليها وعلى زوجها وبنيها وساير متعلقاتها
والحال انه كان لديها اي عندها ثاويا اي مقيما لا يمل
بالبنا للمجهول منه متعلق بقوله الثواء الاقامة
فهو مع ثاويا من جناس الاشتقاق اي لا تمل اقامته بل
تحب وترغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان الواسع
صدرك لانه السبب في احضاره لجده وامه المذكوران انفا
وكذا ابدل من قوله احاطت قوله شق عن قلبه
بالكيفية الاتية في القصة ويحتمل ان قوله شق
عن قلبه استيناف لبيان مطلق الشق الشامل
للواقع في زمن الرضاع وما بعده مما ياتي بعيده انه
ذكر في قصته اشيا لكون الخاتم جبريل عليه الصلاة
والسلام لم يرد في قصة شقه عقب الرضاع بل ح شقه
النبي بعد ذالك كما يعلم بتامل كلام الناظم مع القصة
الاتي بسطها وهو اعني القلب مضغة في الفواد معلقة
بالنياط فهو اخص من الفواد قاله الواحدي في الصحاح
انهما مترادفان قال البدر الزركشي والاحسن قول
غيره الفواد غشا القلب والقلب حبته وسويداوه
ويويده الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا
وارق افيدة وفرق الزمخشري بان الفواد وسط القلب
سمي به لتفوده اي توقده والقلب مشتق من التقليب
الذي هو المصدر لفرط تقلبه كما في الحديث ومثل القلب

كمثل ربيئة ملقاة بفلاة يقلبها الريح بطنا لظهر واخرج منه
اي القلب مضغة اي قطعة لحم قدر ما يمضغ عند غسله
ظرف لاخرج سودا صفة لمضغة وانما خلقت هذه
المضغة فيه ثم اخرجت لانها من جملة الاجزا الانسانية
فعدمها نقص في البدن وايضا فاخراجها بعد
خلقها على هذه الصورة البديعة ادل على مزيد
الرفعة وعظيم الاعتنا والرعاية من خلقه بدونها
ويأتي في رواية صحيحة انه اخرج منه علقتان سوداوان
ولا ينافي ما ذكره الناظم انها واحدة لان المراد بها الجنس
على ان الشق تكرر كما يأتي فلا بدع انه اخرج منه
واحدة ثم ثنتان لان المراد المبالغة في تطهيره وتكريمه
وذلك يستدعي استقصا تنظيف جوفه ختمته
اي الشق المفهوم من شق وهي استينافية او معطوفة ذلك
على شق بحذف حرف العطف ثم بعد شقه لامته
واعادته الى ما كان عليه ~~الحال ان ذلك القلب الكريم~~
يمنى جبريل عليه الصلاة والسلام الامين على كتب
الله ووحيه والحال ان ذلك القلب الكريم قد اودع
حالة الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار
الالهية ما اي الذي لم يذع بضم اليا وكسر الذال المعجمة
اي ينشر له اللام زائدة اي ملح بنشره ويحط به انبا
اي اخبار لانه لا يعلمه الا موليه والمتفضل به عليه قال
العلما جعل الله القلب في الانسان هو الذي يعقل يعقل ح
عنه وهو اصل وجوده وبه صلاحه وفساده وهو

محل

محل اسراره التي يودعها قلب من يشا فاول قلب اودعها
قلب محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول خلق وصورته
اخر صور الانبيا فهو اولهم واخرهم ظهورا فلذا حاز جميع
كمالاتهم وزاد عليهم بما لا يعلمه الا الله تعالى صان
اي حفظ اسراره التي اودعت فيه وهو مفعول
مقدم ذلك الختام الواقع من جبريل وهو ما يختم
به الكتاب ونحوه من طين او نحوه وبينه وبين ختمته
جناس الاشتقاق فبسبب هذه الصيانة لا لفض
اي الكسر اي التفرقة ملم اي واقع به اي بذلك
الختم الا فضا اي الاشاعة واقعة لذلك السر وبين
الفض والافضا التجنيس المطلق ومرفيه قصر
وقصور زيادة ويجري ذلك في قوله يمنى الامين
واصل قوله وانشق الى اخره قول حليمة رضي الله
عنها بعد ما قدمنا عنها كما في السير عنها لم نزل نتعرف
من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته
وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى
٢ احرص ح كان غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن احرص شيء
على بقائه عندنا لما نرى من بركته فقلنا لامه لو
تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وبا مكة ولم نزل
بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا به
بشهرين او ثلاثة مع اخيه من الرضاعة لفي بهم لنا
خلف بيوتنا جا اخوه يشتد فقال ذلك اخي القرشي
قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه

فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فنجده قايما منتقعا لونه فاعتنقه
ابوه وقال اي بني ماشانك قال جاني رجلان عليهما ثياب بيض
فاضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيا فطرحاه ثم
رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت
ان يكون ابني قد اصيب فانطلقي نرده الي اهله قبل
ان يظهر به ما نتخوفه قالت فاحتملناه الي امه فقالت
ما ردكما فقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى الاختلاف
والاحداث فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شانكما
فلم تدعنا حتى اخبرناها الخبر فقالت اتخشيا عليه
الشيطان لا والله ما للشيطان عليه من سبيل وانه
لكاين لابني هذا شان عظيم فدعاه عنكما وفي حديث
عند ابي يعلي وابي نعيم وابن عساكر كنت مسترضعا
في بني ليث ابن بكر فبينا انا ذات يوم في بطن واد
مع اتراب لي من الصبيان فاذا انا برهط ثلاثة معهم
طشت من ذهب ملي ثلجا فاخذوني من بين اصحابي
وانطلق الصبيان هربا مسرعين الي الحي فعمد احدهم
فاضجعني علي الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين
فرق صدري الي منتهي عانتي وانا انظر اليه فلم اجد لذلك
مسا ثم اخرج احشا بطني ثم غسلها بذلك الثلج
فانعم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثاني فقال
لصاحبه تنح ثم ادخل يده في جوفي واخرج قلبي وانا
انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سودا فرمي
ثم قال اي شلا بيده يمنة ويسرة كانه يتناول شيا

عند كامي

فاذا

فاذا الخاتم من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي
فامتلا نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه
فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث
لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدري الي منتهى
عانتي فالتام ذلك الشق باذن الله تعالي ثم اخذ
بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا الحديث وفي
رواية عند البيهقي ان احدي الثلاثة في يده ابريق
من فضة وبيد الثاني طشت من زمردة خضرا وورد
في خبر التابوت المذكور في الاية انه كان فيه الطشت
الذي غسلت فيه قلوب الانبيا صلى الله عليهم وسلم وحكمة
ختم قلبه المقدس المشارة الي ختم الرسالة قبل
وانما يسلم هذا ان اختص به كما مر فالحكمة انه من جملة
علامات النبوة ولذا شاركه فيها غيره علي ان هذه الكيفية
المذكورة في شق قلبه صلى الله عليه وسلم الظاهر انها
من خواصه سيما مع تكرر الشق لان الوارد فيهم مجرد غسل
قلوبهم وهو لا يستلزم هذه الكيفية البديعة البالغة
من خرق العادة والتعظيم مبلغا لا يدركه العقل وروا
الشق ايضا وهو ابن عشر ونحوها مع قصة له مع عبد
المطلب رواها ابو نعيم في الدلايل ورواها عبد الله ابن الامام
احمد في زوايد مسند ابيه بلفظ قال ابو هريرة يا رسول
الله ما اول ما ابتديت به من امر النبوة قال اني لفي صحرا
واسعة امشي ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق راسي يقول
احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذاني فاضجعاني

لحلاوة القفا ثم شقا بطني وكان احدهما يختلف بالماء في طشت
من ذهب والاخر يغسل جوفي فقال احدهما لصاحبه افلق
صدره فاذا صدري فيما ارى مفلوقا لا اجد له وجعا ثم
قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال اخرج الغل والحسد
منه فاخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال ادخل الرحمة
والرافة قلبه فادخل شيا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا
كان معه فذره عليه ثم نقر ابهامي ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به
من رحمتي للصغير ورافتي للكبير وهو وهي خامسة ولا
تثبت وحكمة شق صدره الشريف في حال صباه واستخراج
ما مر منه تطهيره عن نقايص الصبا ليكون حينيذ على
اكمل صفات الرجولية ولذلك نشا على اكمل الاحوال
قال بعض الايمة ولعل هذا الشق كان سبب الاسلام
قرينه المروي عند البزار واشارة الى حظ الشيطان المباين
له كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته وامكنه
الله منه واما قول الرازي وقوعه في حالة الطفولية
مشكل لانه معجزة وهي لا يجوز تقدمها على النبوة لان
الذي عليه اكثر اهل الاصول اقتران المعجزة بالتحدي
فهو مردود بان هذا من باب الارهاص لا المعجزة ونظاير
ذلك كثيرة وقيل هذا الشق المراد بقوله تعالى الم نشرح
لك صدرك تنبيه ثم ثبت شق صدره الشريف
مرة اخرى عند مجي جبريل له بالوحي وهو بغار حرا
كما يا تي ومن يرويها الطيالسي والحارث في مسنديهما
وكذا ابو نعيم ولفظه جبريل وميكايل شقا صدره

وغسلاه

وغسلاه ثم قال اقرا باسم ربك الايات والحكمة فيه كما التهي
والتقوي على ما يلقى اليه من القول الثقيل بغلب قوي في اكمل
احوال التطهير وثبت مرة اخرى تواردت بها الروايات
خلافا لمن انكرها ليلة الاسرا ففي البخاري وغيره انه شق
عليه فيها وهو بالمسجد قبل ان يخرج به الى ركوبه البراق
فشق من ثغره الى عانته فاستخرج قلبه ثم غسل في طست
ذهب اي لان التحريم انما كان بعد على ان الغالب في احوال
تلك الليلة انه من احوال الغيب فيلحق باحكام الاخرة
مملو حكمة وايمانا ثم حشي وتجسيم المعاني جايز ومنه
الرواية الصحيحة بذبح الموت ثم اعيد وحكمة هذا الشق
التهيي للترقي الى الملا الاعلى والتقوي على استجلا ما شاهد
تلك الليلة ولم يشق هذا الموسي صلى الله عليه وسلم
لم يطق الروية وجميع ما ورد من الشق واخراج القلب
وغيرها يجب الايمان به وان كان خارقا للعادة ولا يجوز
تاويله لصلاحية القدرة له ومن زعم ذلك وقع في هوية
المعتزلة في تاويلهم نصوص سوال الملايكة وعذاب
القبر ووزن الاعمال والحوض وغير ذلك بالتهيب
فقبح الله معولا ومن تبعهم وقد رمي ابراهيم صلى الله
عليه وسلم في النار فكانت عليه بردا وسلاما وهذا الشق
ابلغ في الصبر والكرامة مما وقع لاسمعيل صلى الله
عليه وسلم فانه مقدمات ذبح لا حقيقة كما هو راي
اهل السنة وبتقدير الذي ذهب اليه المعتزلة
الله اضجعه وامر السكين على حلقه فلم تقطع شيا

وبتقديره فذالك مقتل واحد وهذه مقاتل عديدة
شق الصدر ثم اخراج القلب ثم شقه ووقع له صلي
الله عليه وسلم من ذالك الشق الاول نوع مشقة
لروية فاقبل وهو منتقع اللون اي صاركلون النقع
اي الغبار وهو شبيه بالوان الموتي ومعني قول
ابن الجوزي فشقه وما شق عليه انه صبر صبر من لم
يشق عليه ومما يدل لعلي المشقة انه بعد ما فطم
عند انفراده عن امه ويتمه من ابيه واختطافه
من بين الاطفال لكون ذالك متهيلا لما يلقاه من المال
ومن ثم لما شج وجرح وكسرت رباعيته بواحد
قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وفي رواية
انه غسل ليلة الاسري بما زمزم اي لانه يقوي
القلب ويسكن الروع واخذ البلقيني من ايثار الملك له
علي ماء الكوثر انه افضل منه وهو ظاهر خلافا لمن
نازع فيه بما للخفي كما بينه في شرح العباب وفي
وضع الايمان والحكمة بالقلب دليل لما عليه اكثر
اهل السنة ان العقل في القلب كما دلت عليه الايات
لا في الدماغ تنبيه ثان قال عياض رحمه الله
تعالي خاتم النبوة اثر شق الملكين بين كتفيه
وابطله النووي رحمه الله تعالي بان شقهما كان
في بطنه وصدره اي كما جا في الروايات ومن ثم صح عن
انس رضي الله عنه كنت اري اثر المخيط في صدره
فالصحيح الصواب انه كان عند نغض كتفه الايسر

وهو

وهو شبيه تجميتنا علاه ورواية الايمن ضعيفة قيل
ولد به وروي ابو نعيم انه جعل عقب ولادته والذي
في حديث البزار وغيره عن ابي ذر يا رسول الله متي علمت
انك نبي وبما علمت حتي استيقنت قال اتاني اثنان
وفي رواية ملكان وانا ببطحاء مكة الحديث وفيه فقال احدهما
لصاحبه شق بطنه فشق بطني فاخرج قلبي واخرج
منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال
احدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الانا واغسل قلبه
غسل الملا اي الثوب الذي يتغطي به ثم قال احدهما
لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين
كتفي كما هو الان وولياعني فكاني اري الامر معاينة
وعند احمد وصححه الحاكم استخرجا قلبي فشقاه
فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال احدهما لصاحبه
ايتني بما وثلج فغسلا به جوفي ثم قال ايتني بالسكينة
فذراها في قلبي ثم قال احدهما لصاحبه خطه
فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة تنبيه ثالث
اختلفت الروايات في كيفية تشبيه ذالك الخاتم
علي انواع كثيرة بيضة الحمام شعر مجتمع بضعة
ناشزة بندقة سلعة شيء يختم به تفاحة شامة
خضرا محتفرة في اللحم شامة سودا تضرب الي الصفرة
حولها شعرات ذر الحجلة اي البشخانة فزعم انها
هي الطاير المعروف ونها بيضها مردود قال المحققون
ولا اختلاف في الحقيقة بل لاجل شبه بما سنح له وكلها

الفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم بارزة عليها شعرات
فاقلل قيل كبيضة الحمام والاكثر قيل كجمع الكف اي على
هيئته لكنه اصغر منه وفي المستدرك عن وهب ان
شامات النبوة في ايمانهم تعلية وضعة عند الكتف
الايسر من خصوصيات نبينا صلى الله عليه وسلم فائدة
اخرج البيهقي والخطيب وابن عساكر وغيرهم عن العباس
رضي الله عنه قلت يا رسول الله دعاني للدخول
في دينك امارة لنبوتك وانت في المهد تناغي القمر وتشير
اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال اني كنت احدثه
ويحدثني ويلهيني عن البكا واسمع وجبته اي سقطته
حين يسجد تحت العرش قال البيهقي تفرد به مجهول
وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد والمتن في المعجزات
حسن ولما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق
صدره ذكر حكم نشاته في حال طفولته وما بعدها مبينا
ان اللطفة التي نتيجة ما اودعه في قلبه بعد شقه من
الاسرار والكمالات فقال الف النسك والعبادة عطف
تفسير اي اعتادهما واستمر عليهما والخلوة عن الناس
في حال كونه طفلا فما بعده كما فهم بالاولى واختلفوا
هل كان يتعبد بشرع من قبله الجمهور لا والا لنقل ولانه
لو تعبد بشرع احد لظن انه من اتباعه ولاحتج اهله به
عليه ولم يوجد وعلى الاول فقيل بشرع لم يعرف
وقيل بشرع نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى
ومعنى ان اتبع ملة ابراهيم اي في التوحيد وخص لانه

باب للدخول

الاب

ولم توجد غاية الا لنبينا صلى

الاب الاقرب المبشر به على ان المراد في كيفية الدعوى
من الرفق والحلم الذي لم يوجد كماله الا لابراهيم صلى الله
عليه وسلم وعلى نبينا وعلى سائر الانبياء والمرسلين وقد
امر باتباع الكل في فبهداهم اقتده مع اختلاف شرائعهم ومع
ان فيهم من ليس برسول لنبوته على قول فيتعين ان
المراد اصول التوحيد والاخلاق فان قلت لا يحتاج الى
الجواب عن ذلك لان الكلام فيما قبل النبوة والذي في الاية
بعدها قلت بل يحتاج اليه كما صنعوه لان القائلين
بانه كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين
الى انه امر باتباعهم فيما لم ينزل عليه فيه شيء فامره
بذلك بعد النبوة يدل على انه كان تابعه ويتعبد به
قبلها والا فكيف يومر باتباع ما لم يعرفه قال السراج
البلقيني ولم يجي في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية
تعبده عليه الصلاة والسلام لكن روى ابن اسحاق
وغيره انه كان يخرج الى حرا شهرا في كل عام من السنة
يتنسك فيه وكان من تنسك قريش في الجاهلية ان
يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من
مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة انتهى
والظاهر كما قاله غير واحد ان عبادته كانت الذكر
والفكر مع ايثاره للخلوة والانعزال للناس بحرا وغيره
وهكذا النجبا اي ومثل هذا الشان العلي شان الكرام
فما بالك باجلهم وسيدهم على الاطلاق ويليه في ذلك ابوه
ابراهيم صلى الله عليه وسلم فانه اعتزل قومه وانقطع

الى الله تعالى منتظرا للفرج مولاه فان انتظاره عبادة
كما في الحديث وفي البيت من انواع البديع ثاني اقسام التناسب
وهو تشابه الاطراف بان تناسب معانيها اذ ثم نجاته اخره
يناسبها الف ما ذكرها لانها السبب في ذلك وثالث اقسامه
ايضا وهو مناسبة اللفظ للمعنى في الرقة والسهولة والشدة
والصعوبة ومنه حديث الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف
متضاعف اغبر ذي طمرين لو اقسم على الله لابره الا اخبركم — مستضعف صح
باهل النار كل جعظري جواظ مستكبر فاتى من اوصاف
اهل الجنة بما يناسب حالهم في الرقة والانكسار ومن
اوصاف اهل النار بما يناسب حالهم من الشدة والغلظة
والاباء والترفع عن قبول الحق والفاظ البيت تناسب معناه
في السهولة وحسن السبك والانقطاع عن النظير وقوله
وهكذا التجا وهو تعقيب الجملة باخرى تشتمل عليها
للتاكيد وهو ضربان احدهما وهو ما هنا ما اخرج مخرج
المثل نحو وهل يجازى الا الكفور كما مر و اما كان هذا شان
النجا للانبياء وصالحي اممهم لما هو المستقر المعلوم انه اذا
خلت الهداية وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة
فقط ومن الاول انك لا تهدي من احببت اي لا توصله
ومن الثاني واما ثمود فهديناهم اي دللناهم ولم نوصلهم
بدليل فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا لم يستحبوا ذلك
فلم تنشطت بالعبادة الاعضاء لان القلب هو رئيس البدن — قلبا صح
المعول عليه في صلاحه وفساده ومن ثم صح عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا

فسدت

فسدت فسد الجسد الا وهي القلب وهذا من كلام
الجامع الذي مرت نظائره واعلم ان بين ابتها رضاعه
صلى الله عليه وسلم وما وقع له بعده وبين مبعثه وقايع
وقعت له لا باس بالاشارة اليها باختصار وذلك ان حليمة
لما ردته الى امه وجده كان في كلاءة الله وحفظه ينبته
نباتا حسنا ويوفقه لافضل الاعمال والاحوال كما اشار الى
ذلك الناظم بقوله الف النسك الخ ولما بلغ صلى الله
عليه وسلم اربع سنين وقيل اثني عشر وشيا بين ذلك
اقوال اخرجته امه وكانت قد قدمت به طيبة
تزور اخوال ابيه فقامت به عندهم شهرا ومعها مملوكته
ام ايمن واخرج ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم
لما راى دارا لنابغة قال ها هنا نزلت بي امي واحسنت — هاجر الى المدينة صح
العوم في بير بني النجار وكان قوم من اليهود
يختلفون قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول — ينظرون اليه صح
هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك
كله من كلامهم ولما رجعت به امه ماتت بالابواء وفي
رواية انها دفنت بالحجون وفي اخرى من بعض دون
مكة كما في القاموس وحضنته بعدها امته ام
ايمن بركة ثم مات جده كفله وله ثمان سنين وقيل
الثر وقيل اقل فقيل ست وقيل ثلاثة فكفله عمه
ابو طالب شقيق والده واخرج ابن عساكر عن عرفطة
قال قدمت مكة في سنة قحط فقال قريش يا ابا طالب — وهم صح
اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو

طالب

ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله
اغيلمة فاخذه ابو طالب والصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام
باصبعه وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من هاهنا وهاهنا
واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي
وفي ذلك يقول ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل وهذا البيت من جملة قصيدة
فيها مدح عظيم عجيب له صلى الله عليه وسلم حتى اخذ الشيعة
منها القول باسلامه ويوافقه رواية ضعيفة عن العباس
انه اسر اليه الاسلام عند موته لكن صحايح الاحاديث المتفق
على صحتها ترد ذلك وهي اكثر من ثمانين بيتا استوفاها
ابن اسحاق لكنه ذكر ان انشاءه لها كان بعد المبعث وقد
يجمع بانه ذكر هذا البيت اثر هذه الواقعة ثم كملها بعد البعث
ثم رايت في شرح المنهاج للدميري في باب الاستسقا
عن الطبراني وابن سعد ان عبد المطلب استسقى بالنبي
صلى الله عليه وسلم فسقوا ولذلك يقول عبد المطلب
وابيض يستسقى الغمام بوجهه البيت وفيه مخالفة لما
مر انه المستسقى به ابو طالب وانه القايل للبيت فاما الاول
فيمكن الجمع بين الروايات المخالفة فيه بتكرر الواقعة
اذ واقعة ابي طالب كان الاستسقا به فيها عند الكعبة وواقعة
عبد المطلب كان اولها انهم امروا باستلام الركن ثم ترقي ابي قبيس
ليدعوا عبد المطلب ومعه النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمن القوم
ففعل فسقوا لكن قال الحافظ نور الدين الهيثمي شيخ الحافظ
ابن حجر تلميذ الزين العراقي عن رواية الطبراني في سندها رجال

لا اعرفهم

غدق هو

٤٤

لا اعرفهم اي لكن لا يؤثر ذلك فيها لان الحديث الضعيف
يعمل به في الفضايل اتفاقا قال بعض الحفاظ وكذا المناقب
على ان صاحب الروض ذكر روايتين عن ابن الاعرابي
وغيره يوافقانها وحينيذ تعين الجمع بما ذكرته واما الثاني
بكون ابي طالب هو الذي انشا ذلك البيت هو ما درج
عليه ايمة السير وغيرهم ومن ثم جعله السهيلي في روضه
امرا متقررا ثم بنى عليه اشكالا وجوابه الاتي رددتهما واما
قول الدميري انه من انشا عبد المطلب فهو وهم وسبب
الوهم انه في اخر قصة عبد المطلب ان رقيقة بنت ابي
صيفي ابن هاشم وهي التي سمعت الهاتف في النوم
او اليقظة لما تتابعت على قريش سنون اهلكتهم
يصرخ يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث قد
اظلتكم ايامه وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحيا
والخصب ثم امرهم ان يستسقي به تلك قصة يطول
شرحها باصلها امرنا ما قصته الرواية الرابية
المذكورة في القصة اتفاق تمدح النبي صلى الله
عليه وسلم بابيات اخرها مبارك الامر يستسقى
الغمام به ما في الانام له عدل ولا خطر فكان
الدميري لما راى هذا البيت في رواية قصة عبد
المطلب التي رواها الطبراني وهو يشبه بيت ابي
طالب اذ في استسقا الغمام به الذي هو المقصود
توهم ان بيت ابي طالب لعبد المطلب فوهم من وجهين
نسبة هذا البيت لعبد المطلب وانما هو لرقيقة والحكم

بانه عين البيت المنسوب لابي طالب وليس كذالك بل بيانه
شاع ان ما بينهما فتامل هذا المحل فانه منهم وقد اغتر
بكلام الدميري هذا من لا خبرة له بالسير الماخوذة
من الكتب المعتمدة ثم رايت ما يقطع بغلط الدميري وهو
ان النبي صلى الله عليه وسلم نسب وابيض البيت لابي طالب
كما اخرجه البيهقي عن انس قال جا اعرابي الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتيناك وما لنا من صبي
يغط ولا بعير يئط اي ما لنا اصلاً لانه اذا وجد لا بد ان
يئط فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداه حتى صعد المنبر
فرفع يديه الى السما ودعى فما رد يده الى نحره حتى التقت
السما بابراقها وعادوا يضجون فضحك صلى الله عليه وسلم
حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابي طالب لو كان حيا
لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي يا رسول الله
كانك تريد قوله وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل مع ابيات اخر فقال صلى الله عليه
وسلم اجل فهذا نص صريح من الصادق بان منشي البيت
ابو طالب فنسبته لعبد المطلب غلو امر اخ تقتبسه
برواية ابن عساكر هذه يسقط قول السهيلي في روضه
فان قيل كيف قال ابو طالب ابيض البيت ولم يره قط استسقى
انما كانت استسقا انه صلى الله عليه وسلم بالمدينة في سفر
وحضر وفيها شواهد ما كان عن سرعة اجابة الله له فالجواب
ان ابا طالب قد شاهد من ذلك ايضا في حياة عبد المطلب
ما دله على ما قال انتهى ووجه سقوط ما تقدم ان ابا طالب

استسقى

استسقى به صلى الله عليه وسلم فسقي فانشد ذلك
حينئذ والعجب من شيخ الاسلام ابن حجر انه غفل ايضا عن
رواية ابن عباس هذه فاجاب عن استشكال السهيلي
بقوله ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك لما
راى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك منه اذ لو
استحضر رواية ابن عباس هذه لم يبد هذا الاحتمال والثمال
بكسر المثلثة الملجا والعصمة الحافظ المانع والارامل
المساكين رجالا او نسا لكنه في النسا اكثر استعمالا ولما بلغ
صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة سنة خرج به ابو طالب الى
الشام حتى بلغ بصرى فراه بحيرا الراهب فعرفه بصفته
فقال هذا سيد العالمين انكم حين اشرفتم به من العقبة
لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبي واني اعرفه
بخاتم النبوة عند غضروف كتفه كالتفاحة ثم سال عمه
ان يرده خوفا عليه من اليهود رواه ابن ابي شيبة
وفيه صلى الله عليه وسلم اقبل وعليه غمامة تظله وبحير
بفتح فكسر مقصور ذكره جمع في الصحابة بنا على ان الشرط
رويته والايمان به ولو قبل البعث وصح ان سبعة من الروم
اقبلوا يريدون قتله صلى الله عليه وسلم فمنعهم بحيرا
ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا وقوله وبعث
معه الخ وهم من احد رواته لان ابا بكر اذ ذاك لم يكن
متاهلا لذلك ولا اشترى بلالا وفي حديث عند البيهقي
وابو نعيم انهم لما اقبلوا راى بحيرا غمامة بيضا تظله
من بينهم ثم نزل تحت شجرة فاغصنت عليه اغصانها حتى اظلته

وروي ابو نعيم وابن عساكر ان اخته الشيما بنت حليمة رأته
في الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار
سارت ولما بلغ ثمان عشرة سنة سافر الي الشام مرة اخري
لتجارة علي ما ورد لكن بسند ضعيف وقيل ان ابا بكر كانت
معه وان بحيرا قال والله هذا نبي وان ذالك سبب ايمان
ابي بكر به لما بعثه قبل غيره ثم خرج وله خمس وعشرون سنة
مرة ثالثة في تجارة لخديجة ومعه غلامها ميسرة فراي في الهاجرة
ملكين يظلانه من الشمس وكذا رات خديجة ذالك لما اقبلوا
وهي في علية بها وفي هذه السنة تزوجها وكانت بالطاهرة وكان
سنها اربعين سنة ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة خافت قريش
ان تهدم السيول الكعبة فشعثها فامروا باقوم النجار القبطي
مولي احدهم ان يبنيها وحضر صلي الله عليه وسلم معهم الحجارة ثم
لما تقارب بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم تحدث بذالك
احبار اليهود ورهبان النصاري لما في كتبهم من صفته وصفة
زمانه وكهان العرب لان شياطين الجن كانت لا تحجب عن خبر
السما فتسترق السمع وتخبر الكهنة به فيعلمون بعض خبر
السما لكن كانت العرب لا تلقي لذالك بالا لما دني مبعثه حجبت
الشياطين عن السمع كما قال بعث اي ارسل الله علم علي
الذات الواجب الوجود المستحق لجميع الحمد من الخلق عند
بتثليث المعجمة اي قرب مبعثه اي زمن بعثه صلي الله
عليه وسلم اي ارساله الي الخلق كلهم كما قال في خبر مسلم
وارسلت الي الخلق كافة وبين بعث ومبعث جناس
الاشتقاق الشهب عليها الشياطين الذين يسترقون

السمع

السمع فيخطف احدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة كذبة كما في الحديث
ثم يلقيها الكاهن وهي جمع شهاب وهو شعلة نار تحرق الشيطان
المسترق للسمع او تخبله حارسا اما جمع حارس علي غير قياس
كنايم وقيام فهو حال او مصدر اي لاجل الحراسة لشرعيته التي
سياتي بها من الشياطين ان يخلطوا بها ما ليس منها وهو المبالغة
والتاكيد لانه معلوم من قوله تطرد الخ ففيه التتميم كما علي
حبه من ويطعمون الطعام علي حبه ولكثرة تلك الشهب
وعمومها المسترقين في نواحي السما ضاق عنها الفضا اي
المفازات الواسعة فلم يبق محل بعدوته حتي يسترقوا
السمع منه وبين ضاق والفضا الطباق تطرد حال من الشهب
اوصفة له كما في قوله ولقد امر علي اللئيم يسبني لكن ظم
المقام يرجح الحالية اذ رعاية التكبير هنا بعيدة الجن وهي
اجسام نارية تقدر علي التشكل في الصور المختلفة مقاعد
اي امكنة قريبة من السما بعيدة عن الارض للسمع اي يسمعون
نثات الملايكة المتكلمين بما سيقع في الارض من الاقضية
والمغيبات اما الكون ربهم يلقيه عليهم ليكتموه فيتلقونه
منهم او لان بعضهم يستخبره من كتب البعض الاخر بادة في الا عنتا
والظهور للملايكة واصل هذا قوله تعالي قل اوحي الي
انه استمع نفر من الجن الي قوله فمن يستمع الان يجد له شهابا
رصدا فلما سمعوا الجن ذالك عرفوا الحق فامنوا وطلعوا وولوا
الي قومهم منذرين قايلين ما حكاه الله عنهم الي اخر سورة
الاحقاف ويوافق هذا ما رواه اهل السير انه لما حيل بينهم السموات ص
وبين خبر السما قالوا ان ذالك لامر حدث فاضربوا مشارق

الارض ومغاربها فخرجت طايفة منهم من جن نصيبين
باليمن قبل تهامة فوجد والنبي صلي الله عليه وسلم بنخلة
قرية علي بليلة من مكة مع اصحابه يصلي الصبح وهو يقرا
فاستمعوا ثم قالوا هذا النبي حال بينكم وبين خبر السما
فاسلموا وولوا الي قومهم منذرين وفي ذالك نزل قل اوحي
الي الايات واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية قال
الحافظ ابن كثير ذكر ابن اسحاق انه صلي الله عليه وسلم خرج
الي اهل الطايف يدعوهم الي الاسلام وانما انصرف عنهم فبات
بنخلة يقرا تلك الليلة فاستمع جن نصيبين اي مدينة
بالشام انتهي وما ذكره صحيح الا قوله ان استماع الجن
كان تلك الليلة ففيه نظر فان استماعهم انما كان
في ابتداء الوحي كما يدل له حديث ابن عباس عند احمد
كان الجن يستمعون الوحي فيستمعون الكلمة فيزيدون
فيها عشرا فيكون ما يسمعون حقا وما زادوه باطلا وكان
النجوم لا يرمي بها قبل ذالك فلما بعث صلي الله عليه وسلم
كان احدهم لا ياتي مقعده الا رمي بشهاب يحرق ما اصاب
منه فشكوا ذالك الي ابليس لعنه الله تعالي فقال ما هذا
الا لامر عظيم قد حدث فبث جنوده فقال
هذا الحديث الذي حدث في الارض ورواه النساي وصححه
الترمذي قال ابن كثير واما خروجه صلي الله عليه وسلم
الي الطايف فانما كان بعد موت عمه ابي طالب وروي ابن ابي
شيبة عن ابن مسعود انهم هبطوا عليه صلي الله عليه وسلم
وهو ببطن مكة يقرا القران فلما سمعوه قالوا انصتوا قال نزل

[margin: وانظروا ما حال ... في الجن]

الله

الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية فهذا
مع رواية ابن عباس يقتضي انه صلي الله عليه وسلم لم يشعر
بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الي
قومهم ثم ذالك وفدوا اليه ارسالا قوما بعد قوم انتهي
وصح ان الذي اذنه صلي الله عليه وسلم بهم لما وفدوا اليه
شجرة وانهم سالوه الزاد فقال لكل عظم ذكر اسم الله يقع
في يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم وفيه
رد علي من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب والحاصل ان ذهابه
الي الطايف انما كان بعد موت عمه ابي طالب سنة عشر
من البعثة ثم موت خديجة بعده بثلاث ايام او خمسة
ثم تزوجه سوده بعد ايام فكان خروجه الي الطايف
بعد موت خديجة بثلاثة اشهر في شوال لما ناله من
قريش وكان معه مولاه زيد ابن حارثة فاقام به شهرا
يدعو اشراف ثقيف فلم يجيبوه واغروا به سفهاهم وعبيدهم
يسبونه قال موسي ابن عقبة ورموا عقبيه بالحجارة حتي
اختضب نعلاه بالدم زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة
قعد الي الارض فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشي
رجموه وهم يضحكون وزيد ابن حارثة يقيه بنفسه حتي
لقد شج في راسه شجاجا وفي الصحيحين انه لقي منهم اشد
مما لقيه يوم احد وان جبريل نزل عليه حينيذ ومعه ملك
الجبال لياتمره في قومه بما يشاء فقال صلي الله عليه وسلم
بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده
لا يشرك به شيا وجا عن ابن عباس ان الشياطين كانوا

لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بالاخبار
فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث
سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من
السموات كلها فما منهم من احد يريد استراق السمع
الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطي ابدا
فمنهم من تقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من تخبله
فيصير غولا يضل الناس في البراري قال الائمة هذا الرمي
ظاهر قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولم يذكره احد
قبل زمانه وانما ظهر في بدء امره تاسيسا لنبوته نعم جا
عن عمر انه قال للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية
قال نعم قال افرايت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع الاية قال غلظت وشدد امرها حين
بعث النبي صلى الله عليه وسلم وجرى على هذا ابن قتيبة
فقال كان الرجم قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة
مثله بعد مبعثه وعلم من قول ابن عباس شعلة نار
ان الكواكب لا تنفصل عن محله وانما الذي ينفصل عن محله
تلك وقيل ينفض ثم يرجع الى مكانه وطرد تلك الشهب
لاولئك الشياطين طرد بالغ جدا كما موصولة او مصدرية
تطرد الذئاب جمع ذيب بالهمز وقد يخفف وتشبيه
شياطين الجن بالذئاب صرح به الحديث الصحيح الرعاء
بضم اوله وكسره للغنم اذا ارادت العدو عليها فبسبب ذلك
الطرد البالغ للجن عن خبر السما محت اية الكهانة
مفعول مقدم وهي بالفتح مصدر كهن بضم الها اذا صار
كاهنا

كاهنا اي مخبرا بالامور الخفية والمغيبات البعيدة اي
علامتها التي تلقيها اليهم الشياطين بواسطة استراقهم
لبعض كلام الملائكة ثم الغالب مع ما ضموه اليه من الكذب
كم رايات من جملة الوحي وهي الكتابة والاشارة والرسالة
والالهام والكلام الخفي ولذلك كان الوحي الاتي اليه صلى
الله عليه وسلم على اقسام الرويا الصادقة فكان لا يرى
رويا الا جاءت مثل فلق الصبح ما يلقيه الملك في روعه
وقلبه من غير ان يراه لحديث الصحيح ان روح القدس
نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا — و لجنها صح
الله واجملوا في الطلب تمثيل الملك له رجلا فيخاطبه
وصح انه كان ياتيه في صورة دحية اي لانه كان جميلا جدا
اذا قدم بتجارة خرجت الظعن لتراه وتشكل جبريل
مع عظم صورته وان له ستماية جناح تسد الافق
في صورة رجل غير بعيد لان الاجسام النورانية تقبل
انضمام حتى تصغر الصورة جدا كما ان القطن يقبل
الانكباس فتصير الصورة الكبيرة منه صغيرة وهذا
اولى من قول بعضهم ان صورته الاصلية باقية على
حالها فصورة الرجل صورة اخرى له وروحه متعلقة
بهما اي كما في الابدال الذين يتعدد صورهم في الوجود
وروحهم واحدة والتكليف حينئذ مناط اي باي صورة
ارادها الانسان ياتيه مثل صلصلة الجرس وهو اشده
عليه ولذا كانت ناقته صلى الله عليه وسلم تبرك به
وكانت راسه على فخذ زيد ابن ثابت فكادت ترض

من شدة الثقل حتي انه يقول لا امشي بعد اليوم علي
رجلي ابتدا اياتيه علي صورته الاصلية ووقع لمحمد ذالك
مرتين كما في سورة النجم كلام الله بلا واسطة لموسي
واختص بالكليم لان ذالك وقع له وهو بالارض
ونبينا محمد صلي الله عليه وسلم انما وقع له ذالك
كقاب قوسين او ادنى وصح عن الشعبي انه صلي
الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث
سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشي ثم وكل به
جبريل تماه القران ثم وصف ايات الوحي بانها
ما لهن امحاء من محي يمحو ويمحي اي ما لهن ذهاب ولا تغيير
كيف وقد تكفل الله لهذه الشريعة الغرا بانها
باقية علي ممر الدهر الي ان ينزل عيسى صلي الله
عليه وسلم فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة بموت
الطايفة الذين اخبر الصادق بانهم لا يزالون قايمين
بالحق لا يضرهم من خالفهم حتي ياتيهم امر الله اي
ريح لينة تقبض ارواحهم فحينئذ لا يبقي علي وجه
الارض من يقول الله فتقوم الساعة وبين محت والمحا
جناس الاشتقاق ثم ذكر قصة زواجه صلي الله عليه
وسلم بخديجة رضي الله عنها ولو قدمها كما فعلته لتوافق
الواقع لانها قبل قوله بعث الله الخ لكان اولي فقال
ورانه اي علمته وابصرته لما سبق لها من الفضل الذي
فاقت به ساير امهات المومنين خديجة بنت خويلد
ابن اسد ابن عبد العزى ابن قصي ابن كلاب وكانت

ذات

ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر وهي المحال
التقى هو البراة من كل شيء سوى الله وهذا غايته ومبدؤه
اتقا الشرك وواسطه اتقا المحارم وكذا يقال في التقوى
وصح خبر انا اتقاكم واعلم بالله انا وخبر اني لاعلمكم بالله
واشدكم له خشية والزهد هو اخذ الكفاية مما يتيقن
حله وترك الزايد علي ذالك وبه وقد صح خبر ما شبع
الحمد من طعام ثلاثة ايام تباعا حتي قبض وخبر كان
صلي الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا
لا يجدون عشا وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان
ابن بشير لقد رايت نبيكم صلي الله عليه وسلم يظل اليوم
يلتوي ما يجد من الدقل ما يملا بطنه وخبر انه كان
يمضي الشهرات ولا يوقد في ابياته صلي الله عليه وسلم
نار وانما طعامهم التمر والماء وخبر انه صلي الله عليه
وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي علي ثلثين صاعا
من شعير اخذها قوتا لاهله فيه كل منها سجية بالسين
المهملة اي خلق غريزي طبيعي والاختلاف في كون
حسن الخلق غريزة او مكتسبا ينبغي ان يكون محله
في غيره صلي الله عليه وسلم وتمسك من قال بانه غريزي
بالحديث الصحيح ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم
ارزاقكم والتحقيق ان اصول الاخلاق غرايز ولكان
في نوع الانسان وانما التفاوت في ثمراتها وهذا هو
الذي به التكليف بان الغريزي لا تكليف به لانه ليس
في الطاقة نعم من فيه غريزة منه اعانته علي المكتسب

اعلمكم

حتى يكاد يكون غريزيا فيومر بالمجاهدة في الضعيف
حتى يقوى وفي غير المحمود حتى يصير محمودا وقد
صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين
يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كانتا في
او حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خصلتين
يحبهما الله ورسوله صح فترديده السوال وتقريره عليه يشعر بان في الخلق
الجبلي والمكتسب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول
اللهم كما حسنت خلقي بفتح اوله فحسن خلقي وكان
يقول في دعا الافتتاح اللهم اهدني لاحسن الاخلاق
لا يهدي لاحسنها الا انت ولما اجتمع في نبينا صلى الله
عليه وسلم من صفات الكمال وخصال الجلال والجمال
ما لا يحيط به حد اثنى الله تعالى عليه في كتابه العزيز
فقال موكدا لذلك على الاستعلائية وانك لعلى
خلق عظيم والخلق ملكة نفسانية يحمل صاحبها
على كل جميل ووصف بالعظيم مع ان الغالب وصفه بالكرم
لان خلقه لم يقتصر على الكرم المقتضي للسماحة والرافة والذلة صح
بل يعم صفتي الانعام والانتقام اذ كان رحيما بالمومنين
شديدا غليظا على غيرهم والحياء فيه سجية ايضا
على اكمل غاياته ففي البخاري من حديث ابي سعيد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء
اي البكر في خدرها وقيد به لان حياها فيه اشد
لانه مظنة ان يطمع منها طامع يدخل عليها فيه بشي
خلاف بحضرة الناس والحيا بالمد لغة تغير وانكسار يعتري.

الانسان

الانسان من خوف ما يعاب به من الحياة وكذلك سمي
الطرحيا لكنه مقصور وشرعا خلق يبعث على اجتناب
القبيح ومنه التقصير في حق من له حق ومن ثم صح
انه لا ياتي الا بخير وانه من الايمان وجعل منه وان
كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج
الى قصد واكتساب وعلم واتاها الخبر بكرامتين
عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وهما
ان الغمامة وهي السحابة والسرح وهو كما في القاموس
شجر عظام او كل شجر لا شوك فيه او كل شجر طال انتهى
وقضية سياق القصة الاتية ان المراد هنا الاول
والثاني واما الثالث فلم ار ما يدل له اظلته منها حال
من قوله افيا جمع في وهو ما بعد الزوال من الظل
من فا رجع لرجوعه من جانب الى جانب وفرق بعضهم
بين الظل والفي بان الظل ما نسخته الشمس والفي
ما نسخها ومن ذكرها بين الابيين قوله قبيل قوله
بعث الله عند مبعثه الشهب وحاصلها مع بعض
زيادة انها ارسلته في تجارة لها ومعه عبدها ميسرة
الى بصرى فنزل فاستظل شجرة فاظلته فقال راهب
ثم ما نزل تحتها الا نبي وسال ميسرة افي عينيه حمرة قال
نعم لا تفارقه فقال الراهب هو اخر الانبيا ليتني ادركه
اذ يومر بالخروج وقال من خالفه في بيع وهو بسوق
بصرى احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما
قط فقال خصمه لميسرة بري ملكين يظلانه في الهاجرة

ورات خديجة ذلك لما اقبل صلى الله عليه وسلم وهي في علية
لها فاو رته نسا عندها فتعجبن من ذلك فلما جا
ميسرة اخبرته بما رات فاخبرها بجميع ما راه منه وبقول
الراهب السابق وبقوله ما حلف بهما **تنبيه**
ورد في تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم احاديث
اصحها ما رواه جماعه وهو على شرط الصحيح الا ان
في رواية غرابه ان ابا طالب خرج الى الشام في اشياخ
من قريش فرءاهم بحيرا فخرج اليهم على خلاف عادته
فجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هذا سيد العالمين زاد البيهقي ورسول رب
العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقالوا له وما
علمك قال انكم حين اشرفتم من الثنية لم يبق
شجرة ولا حجر الا خر ساجدا اذ لا يسجدان الا لنبي
واني اعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه ثم رجع
فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان صلى الله عليه وسلم
في رعية الابل فقال ارسلوا اليه فاقبل وغمامة تظله
فلما دنا الى القوم وجدهم قد سبقوه الى الشجرة
فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال في الشجرة مال اليه
الحديث رواه ابو موسى وهو اما ان يكون تلقاه عنه
صلى الله عليه وسلم فيكون ابلغ او من بعض كبار الصحابة
او كان مشهورا اخذه بطريق الاستفاضة وروى
ابن اسحاق مفصلا والبيهقي في الدلايل موصولا
انهم لما نزلوا قريبا من صومعة بحيرا صنع لهم طعاما

كثيرا

كثيرا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اقبلوا
وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا ونزلوا
في ظل شجرة قريبا منه فنظروا الى الغمامة حين اظلت
الشجرة وتهصرت اغصانها اي مالت وانعطفت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها القصة وورد
ان حليمة رات غمامة تظلله وهو عندها وولد ذلك بعد
احبه من الرضاعة واشار غير واحد الى ان تظليل الغمام
له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة اذ هاصا وتاسيسا
لنبوته كما ياتي ويدل على انقطاع ذلك الى الصديق
رضي الله عنه اظله صلى الله عليه وسلم حين قدما المدينة
في الهجرة لما اصابته الشمس فظلل عليه بردايه وصح انه
صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمي الجمرة وظلل به
مرة اخرى وهو بالجعرانة وانهم كانوا في اسفارهم اذا اتوا
على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وسياتي
في شرح قوله واذا ما مشى يحيى نوع الظل الخ ما له
تعلق **و**اتاها ايضا **احاديث** الاخبار والرهبان والكهان **ان**
اي بان **وعد رسول الله** مصدر مضاف للمفعول
اي وعد الله به وهو عند الاطلاق لا يتعدا الا في الخير
بالبعث اي الارسال الى الخلق كافة **حان** اي قرب **منه**
اي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله **الوفاء**
اي قرب وفاء الله سبحانه وتعالى بذلك الوعد من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبسبب ما راته منه وما بلغها عنه مما يجلي له ذرة من علمه
علي انه يغسل قدميه ويشرب ما غسلهما **عنه** اي خطبته **الى الزواج**

اي الي ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عمي اني قد
رغبت في نكاحك لما رايته وعرفته منك ومرات سنها حينيذ
كان اربعين سنة وسنه صلي الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين
علي الاشهر فيهما و كانت قد تزوجت قبله برجلين وما احسن
هذه احدي صيغتي التعجب ما مصدرية فيول معه ببلغ
مصدر منصوب المحل علي التعجب المنى الاماني جمع امنية
وهي ما يتمناها الانسان الاذكيا جمع ذكي والذكا بالموحدة
القلب ومزيد بفطنته اي شيي عظيم حسن بلوغ الاذكيا كلما
يتمنونه ومنهم من اكملهم خديجة رضي الله عنها فانها ادركت بقوة
زكاها وتفرسها فيه صلي الله عليه وسلم منه وبه كلما عنته واملته
مما لم تبلغه امراة من هذه الامة اذ هي علي الاصح افضل امهات
المومنين رضي الله عنهن وهذا من انواع البديع المسمي بارسال
المثل وهو ان يذكر الشاعر في بعض بيت ما يجري مجري المثل السائر
من حكمة او نحوها كقول ابي الطيب لان حلمك حلم لا تكلفه
ليس التكحل في العينين كالكحل وهو كثير في كلام الناظم
وما عرضت نفسها عليه صلي الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه
فخرج معه منهم حمزة حتي دخل علي ابيها خويلد فخطبها
اليه فاجاب فتزوجها صلي الله عليه وسلم واصدقها عشرين
بكرة وحضر ابو بكر ورؤسا مضر فخطب ابو طالب فقال
الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل
وضيضي بمعجمتين او مهملتين اصل معد عنصر مضر وجعلنا
حضنة بيته اي الكافلين له وسواس حرمه اي المتولين
لامره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام علي الناس

ثم

ثم ان ابن اخي هذا محمد ابن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح
به وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل
ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد
وبذل لها من الصداق اجله وعاجله من مالي كذا وهو والله
بعد هذا له نبا عظيم وخطب جليل فزوجها ابوها منه
وذكر الدولابي وغيره انه صلي الله عليه وسلم اصدقها
ثنتي عشرة اوقية ذهبا ونصف اوقية قالوا وكانت كل
اوقية اذ ذاك اربعين درهما وهما يدل علي عظيم زكائها
وفرط معرفتها انه اتاه بعد النبوة والرسالة في بيتها جبريل لعند ليبلغه
في جيوحل ليلقي اليه ما امر به من الوحي وكان عندها
من الايمان به علم اليقين فاحبت ان تنتقل الي عين اليقين
كما وقع لابراهيم صلي الله عليه وسلم وعلي نبينا وعلي سائر
الانبيا والمرسلين في قوله بلي ولكن ليطمئن قلبي وكيف
لا تريد هذه المرتبة العلية والذي اي صاحب اللب اي
العقل الكامل وخديجة رضي الله عنها من اكمل اولي الالباب
وازكاهم في الامور اي الاحوال التي قد تشتبه ارتيا اي
استبصار من ارتاب به اي نظرت بالعين او القلب كما
في القاموس او فراسة تقضي بها علي تلك الامور بتمييز
حسنها من قبحها فعلم ان هذه الجملة اعتراضية وان فيها غاية
المناسبة لما قبلها ولما بعدها اذ الاعتراضية لا بد لها من
نكتة فهي هنا الاشارة الي كمال عقلها واستبصارها مع
افادة ان هذا الامر كلي جار مجري المثل والحكمة فهو من ارسال
المثل فبسبب تلك المحبة مع ما عندها من كمال العقل اماطت

الصلاة والسلام

اي ازالت عنها عن راسها الخمار وهو ما يخمر به اي يغطي به الراس
لتذكي اي لكي تعلم عين اليقين اهو اي هذا الذي عرض له
صلي الله عليه وسلم حتي اخرجه من حالته المولوفة منه
الوحي اي حامله وامينه الذي كان ياتي به الانبيا قبله ومرت
اقسامه ام هي معادلة الهمزة المطلوب بها وبام التعيين
وهذا قسم ثان وهو ان تقع بعد همزة التسوية وسميت
فيهما معادلة لمعادلتها الهمزة في افادتها الاستفهام في الاول
والتسوية في الثاني وتسمي فيهما متصلة لان ما قبلها
وما بعدها لا يستغني باحدهما عن الاخر ويقابلها المنقطعة
وهي ثلاثة اقسام مبسوطة في محلها هو الاغما الذي هو من بعض
الامراض العادية ومن ثم جاز علي الانبيا دون الجنون
فبسبب ازالتها الخمار عن راسها اختفي عند كشفها الراس
مفعول لكشف المضاف لفاعله جبريل فما عاد او اعيد
الغطاء اي الي ان عادت تغطي راسها فاعيد ماض مبني للمفعول
والغطا نايب للواقع ووقع الشارح هنا انه قال ولعيد منصوب
بان مضمرة بعد او التي يصلح موضعها الخ وكان هذا الوهم سري
اليه مما يصرح به كلام النحاة ان او غير العاطفة التي بمعني
الي انه لا تدخل الا علي مضارع كما في حتي الغاية المرادفة
لا والمذكورة كما لو صرح بوابه وحينئذ ما اضطره ذلك
الي ما ذكره غفلة عن اعيد ماض لكن كان عليه ان يقول وقول
الناظم اعيد صوابه يعاد ويكن ما اشرت اليه واما كونه
يبقي اعيد علي حاله ويجعله منصوبا بان وهو حلي الفساد
لان الفعل هو ماض لفظا مستقبل معني فليجز دخول الناصبة لما

مرجوا

مر جوابه حتي المرادفة لها شرط النصب بعدها ان يكون الفعل
مستقبلا او ماضيا في نحو المستقبل نظرا الي انه غاية لما قبل
حتي فهو مستقبل بالاضافة اليه لانا نقول معني قولهم او
ماضيا في حكم المستقبل لفظه لفظ المضارع ومعناه ماض
فكان قضية القياس ان لا تدخل عليه حتي الغاية فاجابوا بان
ما فيه من المضي يزول بالاستقبال نظرا الي انه غاية كما تقرر واما
ما لفظه ماض فلا تدخل عليه حتي الغاية اصلا فان قلت كيف هذا
مع قوله تعالي حتي اتاهم نصرنا حتي عفوا حتي جاهم العلم وفي
البخاري حتي فجاه الحق وهو في غار حرا قلت حتي هنا ابتدائية
لا غائية واو الناصبة انما تكون بمعني حتي الغاية لا غير وقد
صرح بذلك الايمة ولخصه الجلال السيوطي في شرح جمع الجوامع
له حيث قال ما ملخصه ان حتي الابتدائية تليها الجملتان
الاسمية والمضارعية والماضوية والمصدرية بشرط ولما
زعم ابن مالك انها جارة غائية قبل الفعل الماضي باضمار ان بعدها
علي تاويل المصدر فغلطه فيه ابو حيان وتبعه ابن هشام
فقال لا اعرف له في ذلك سلفا وفيه تكلف اضمار من غير ضرورة
ورد دا زعمه هو والاخفش انها جارت قبل اذا وان اذا في موضع
جر بها بانها خلاف ما عليه الجمهور انها ابتدائية واذا في موضع
نصب بشرطها او جوابها ثم قال الجلال قال بعض شيوخنا ضابط
حتي انها اذا وقع بعدها اسم مفرد مجرور او مضارع منصوب
فحرف جر او اسم مرفوع او منصوب فحرف عطف او جملة اي
ماضوية فحرف ابتدا ولا محل لهذه الجملة انتهي وهذا الكلام
صريح كما تري في ان كل جملة ماضوية دخلت عليها حتي في القران

او غيره تكون حينئذ ابتدائية ولا تكون جارة بمعنى الى ان وان صح
المعنى لما مر ان ذلك يحتاج لتقدير فلا حاجة اليه واذا تقرر ان
حتى المغايية لا تدخل على الماضي فاو التي بمعناها اولى فان قلت
لم قست او على حتى الغاية في منع وصف لها على الماضي ولم
تقسها على الى ان او الا ان اللذين بمعناها قلت اما كونها بمعنى الا
ان فهو ما ذكره ابن مالك وقد رد عليه حتى ولده ومن ثم قال
ابو حيان قد اغنانا ولده عن الرد عليه وعلى التنزل فالا ان لا تدخل
على الماضي الا عند قوم بشرط ان يتقدمه فعل او قد كما هو مقرر
في محله واما كونها بمعنى الى فوجهه ان حتى انما امتنع دخولها على الماضي
لكونها غائية كما مر مبسوطا وهذا المعنى موجود في الى بطريق الاصالة
فيمنع دخولها على الماضي بنص كلامهم لا بطريق القياس فان قلت تقرر
ان او بمعنى ان وهذه تدخل على الماضي كما في الحديث قام الى ان تورمت
قدماه فلتكن او كذلك قلت هذا اشتباه لان ان المتضمنة او في الناصبة
وهي خاصة بالمضارع بنص دخولها والمتضمنة لها على الماضي طا ان
الملفوظ بها اي وهي التي لا يتصور لها عمل وهي تدخل على الماضي
فلا جامع بين هذه وتلك فان قلت بعضهم يقدر او بالى ان
وبعضهم يقدرها بالى فقط وهذا يدل على ان لا نظر لها قلت لا يدل
لذلك بوجه وانما سبب ذلك انهم اختلفوا في ناصب المضارع
الداخل عليه او فالاصح انه ان مضمرة بعدها وقال قوم هي
الناصبة بنفسها فعلى الاول تقدر بالى ان وعلى الثاني
بالى فقط فان قلت قد ادخل الناظم او على الماضي
في موضع من البردة وسكت عليه شراحها قلت الاعتراض عليه
في ذلك ايضا واما الشراح فيحتمل انهم انما سكتوا على ذلك

نظرا

نظرا للمعنى او انهم غفلوا عما ذكرته من صريح كلامهم الدال على ان
او الغائية لا تدخل على الماضي ثم رايت شارحها العلامة ابن مرزوق
تنبه لما ذكرته فقال في او حلت البطاح بها الى ان او هنا عاطفة
ثم جعلها بمعنى الواو بل او انها على حالها للشك او التخيير تكلف
يباين ذلك ولم يعرج على انها او المغايية بوجه وليس سر ذلك
الا امتناع دخولها على الماضي والا كان معنى الغاية في البيت اقرب
مما تكلفه ولا ينافي نظير ما تكلفه هنا بوجهه والا لبادرت اليه
ومما يصرح بذلك ايضا ان النحاة لم يذكروا او الا قسمين عاطفة
وناصبة وهي الغائية فالعاطفة امرها واضح ولا كلام فيها وان الناصبة صبة
تختص بالمضارع فاذا ثبت بها قسما ثالثا وهو دخولها على
الماضي ولا تكون للعطف فعليه البيان ولا يجد ذلك كما دل
عليه كثرة البحث والتتبع فتامل ذلك كله فانه نفيس
مهم ففعل عنه الناظم وغيره فاشبانه نت خديجة قيل صرفها
للضرورة ويرد بانها باقية على عدم صرفها والوزن صحيح ان ظهر لها
اتم الظهور لانها علمت من ابن عمها ورقة الابي امن غيره ان
جبريل لا ياتي محلا فيه امراة مكشوفة الراس انه ما يعرض للنبي
صلى الله عليه وسلم الذي طلبت الوقوف منه على غي اليقين
فيه الكنز اي الشيء النفيس بل الذي لا نفس منه الذهب
حاولته اي رادته حيازته والظفر به وانه الكيمياء اي
العلم البديع الذي تقلب الاعيان الردية الى الاعيان
النفيسة واستعار الكنز وهو المال المدفون والكيميا وهو
العلم المعروف للوحي لانه بهما تحصل الذخاير النفيسة المنتفع
بها حالا او مالا كما ان الوحي كذلك وايضا كما ان الظفر بهما

الا الغز الناذر كان الوحي كذالك وهم في غاية الندورة والقلة
بالنسبة لبقية الناس واشار بذلك لما وقع لخديجة الى سببه
ذالك وهو قصة ابتدا بعثه صلى الله عليه وسلم وحاصلها
انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ اربعين سنة وقيل اكثر بعثه
الله يوم الاثنين كما في خبر مسلم لسبع عشرة من رمضان
وقيل من ثمان من ربيع الاول وقيل كان في رجب رحمة
للعالمين ورسولا اي لكافة الخلق اجمعين كما قال صلى الله
عليه وسلم وارسلت الى الخلق رواه البخاري وغيره واول
ما بدي به صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقة وكان
لا يري رويا الا جات مثل فلق الصبح وابتدي بها لان الملك
لو فجاه بغتة لم تحتمله قوي البشرية وكان ياتي حرا
فيتعبد فيه الليالي الكثيرة ثم يرجع الى خديجة فيتزود
لمثلها حتى فجاه الحق اي جاه جبريل وهو بغار حرا
فقال له اقرا قال ما انا بقاري اي لست بقاري امتناعا
لانه كان اميا لا يقري ولا يكتب فغطه حتى
بلغ منه الجهد ثم ارسله وقال له اقرا قال ما انا
بقاري قال له اخبارا بالواقع فغطه ثم ارسله
كذالك وقال له اقرا قال ما انا بقاري اي ما الذي اقروه
فغطه وارسله كذالك وحكمة الغط ثم تكريره مزيد
التاهل الى لقا الملك لما بين البشرية والملكية من
التباين ثم الى التلقي منه ثم قال اقرا باسم ربك حتى بلغ
ما لم يعلم فرجع بها يرجف فواده حتى دخل على خديجة
فالي واخبرها الخبر ثم قال قد خشيت على اي قبل ان

بعثه الله صلى

يحصل

يحصل له العلم الضروري بالجائي جبريل او خشيت ان لا اقدر
على حمل اعبا الرسالة وان يقتلني قومي ولا بدع فانه
بشر فقالت كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك
لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف
وتعين على نوايب الحق ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة
وكان شيخا كبيرا قد عمي وهو من تنصر من العرب وعرف
الانجيل فقالت له اسمع ~~والطاعة~~ من ابن اخيك فاخبره صلى
الله عليه وسلم ما راى فقال هذا الناموس الذي انزل على
موسى يا ليتني فيها اي ما منك جذعا اي شابا لا بالغ
في نصرتك اذ يخرجك قومك قال او مخرجي هم قال نعم
لم يات رجل قط بما جيت به الا عودي وان يدركني يومك
انصرك نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر
الوحي فترة حتى حزن صلى الله عليه وسلم وتكرر ذهابه
الى روس شواهق الجبال ليرمي نفسه فيبرز له جبريل
ويقول يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذالك جاشه
واخرج الشيخان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال
جاورت بحرا شهرا اي لا لطلب النبوة فانها موهبة
لا تنال بنسك الله اعلم حيث يجعل رسالاته فلما قضيت
جواري فرايت شيا لم اثبت له فاتيت خديجة فقلت
دثروني دثروني وصبوا علي ما باردا فنزلت يا ايها
المدثر الاية وهذا بعد نزول اقرا باسم ربك وبعد فترة
الوحي اذ اول ما نزل اقرا على الاصح بل الصواب وصح عن
الشعبي انه قال انزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين سنة

الله صلى

فتربت بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان
يعلمه الكلمة الشي ولم ينزل عليه القران على لسانه
فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل
عليه القران على لسانه عشرين سنة وحكمة
الفترة ذهاب الروع الذي وجده صلى الله عليه
وسلم ومزيد تهيجه الى الاشتياق للعود
وروى اصحاب السير انه صلى الله عليه وسلم لما
اخبر خديجة رضي الله عنها الخبر قالت له الا تستطيع
ان تخبرني بهذا الذي يأتيك اذا جاءك
قال نعم فلما جاءه جبريل اخبرها به فقالت
له اجلس على فخذي الايمن ففعل فقالت
اتراه قال نعم فقالت تحول الى الايسر ففعل
فقالت اتراه قال نعم قالت فاجلس في حجري
ففعل فقالت اتراه قال نعم فالقت خمارها
ثم قالت اتراه قال لا قالت اثبت
وابشر فوالله انه لملك ما هذا شيطان
ثم بعد تلك الفترة ونزول قوله
تعالى يا ايها المدثر قم فانذر بادر
صلى الله عليه وسلم الى امتثال
ذلك فحينئذ ثم قام النبي يدعو الى
الله وفي الكفر بجدة واباء قام النبي اي
جد واجتهد في حال كونه يدعو الى
عبادة الله والايمان به وبرسوله وترك

ماهم

ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان
وذلك لان اول ما وجب عليه صلى الله عليه
وسلم الانذار والدعا الى التوحيد ثم فرض
الله ما ذكره من قيام الليل ما ذكره في اول
سورة المزمل ثم نسخه بايجاب الصلوات
الخمس ليلة الاسرى بمكة قاله
النووي وقال في فتح الباري كان
صلى الله عليه وسلم قبل الاسرى
يصلي قطعا وكذلك اصحابه ولكن
اختلفوا هل افترض صلاة قبل الخمس
ام لا فقيل الفرض صلاة قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها لقوله تعالى
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب وروى
ان جبريل عليه الصلاة والسلام
بدا له صلى الله عليه وسلم
في احسن صورة واطيب رائحة
فقال يا محمد ان الله تعالى
يقريك السلام ويقول لك انت
رسولي الى الجن والانس فادعهم
الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله
الارض فنبع عين ماء فتوضى منها جبريل عليه
السلام ثم امره ان يتوضى وقام جبريل

يصلي وامره بيصلي معه فعلمه الوضوء
والصلاة ثم عرج الي السما ورجع صلي الله
عليه وسلم لايمر بحجر ولا مدر ولا شجر
الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله
ثم اتي خديجة فاخبرها فغشي
عليها من الفرح ثم امرها فتوضات
وصلي بها كما صلي به جبريل
عليه الصلاة والسلام فكان ذالك
اول فرضها ركعتين الحديث
وهب للمحال في اهل الكفر
عنده اي قوة تامة وتجبر
عليه وابآء اي امتناع من اتباع
رسول الله صلي الله عليه وسلم
والايمان به اذ ما اشربت قلوبهم
الكفر فقد الضلال فيهم
عيا اي ما مفعول يدعوا اي جاءات امة
الدعوة اشربت بالبنا للمفعول قلوبهم
الكفر اي اختلطت به بتقدير
بجسمه وتمكن فيها حتي صارت لا تقبل علي
غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج
المشروب بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة
وحينئذ فدا الضلالة الذي استقر فيهم اي مرضه او الاضافة بيانية
اي فالدا الذي استقر فيهم وهو الكفر داء لا ابن جي برده عيا بمهملة مفتوحة

فخيمه

فخيمه اي داعيا لاعبر الاطبا مداواته وحصول شفايه
ولما قام صلي الله عليه وسلم يدعوا الي الله دخل في الاسلام
رجال ونسا حتي كمل السابقون الاولون واولهم علي الاطلاق
خديجة ثم من الرجال ابو بكر ومن الصبيان علي وصح اسلامه
مع صباه لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ومن الموالي
زيد ومن الارقا بلال وروي ان ورقة اسلم فان صح كان اول من
اسلم من الرجال وبهذا تجتمع الاقوال المتباينة في اول من اسلم
ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا وكان صلي الله عليه وسلم مخفيا
امره الي ان امره الله باظهار امره بقوله فاصدع بما تومر قالوا
وكان ذلك بعد النبوة بثلاث سنين ولم يبعد منه قومه
ولا ردوا عليه حتي عاب الهتهم سنة اربع من النبوة فاجمعوا
علي عداوته الا من عصمه الله بالاسلام وصدق في المحبة كابي
طالب فانه حدب عليه ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتجاذ
الغيظ وتوامرت قريش علي من اسلم منهم يعذبونهم ومنع الله رسوله
منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب فان رسول الله صلي
الله عليه وسلم كان يطوف علي الناس في منازلهم يقول اعبدوا الله
ولا تشركوا به شيا وابو لهب وراه يحذر منه ويرموه بالسحر والشعر
والكهانة والجنون وكان بعضهم يحثوه بالتراب ويجعل الدم علي
بابه ووطي عقبة بن ابي معيط علي عنقه وهو ساجد عند باب
الكعبة حتي كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا
راسه ولحيته حتي سقط اكثر شعره فقام ابو بكر ومنعه منهم ثم
اسلم عمه حمزة رضي الله عنه سنة ست من النبوة فعز به وكفت
عنه قريش قليلا وسالوه ان يملكوه عليهم ويبذلوا له من الاموال

ما شاء او ينزل ما هو فيه فابى وقال اصبر لامر الله حتى يحكم الله
بيني وبينكم وفي سنة خمس اذن الله لاصحابه في الهجرة الى الحبشة
فكان اولهم عثمان مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم واسلم عمر بعد حمزة رضي الله عنهما بثلثة ايام فعز صلى الله
عليه وسلم كثيرا فاجمعت قريش على قتله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك
ابا طالب فجمع بني هاشم والمطلب فادخلوه صلى الله عليه وسلم شعبهم
ومنعوه **ورأينا** معشر امة الاجابة اي ابصر الصحابة وعلم من
بعدهم بطريق التواتر والشهرة ويصح انها بمعنى علمنا في الكل وهو
واضح وابصر في الكل وهو فيمن بعد الصحابة بالنسبة لمشاهدة
حروف القران الدالة على ايات لا تحصى **اياته** اي معجزاته
وخلقه وخلقه من بديع صفاته **فاهتدينا** اي وصلنا الى
المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع وانما بادرنا الى ذلك لانا اصحاب
عقول كاملة وقد رأينا الحق عيانا لا مرية فيه ولا شبهة فعلمنا
انه **اذا الحق جا** زهق الباطل وبين مجاء الحق فاعل لفعله المحذوف
لان اذا لا تدخل الا على الجمل الفعلية على الراجح **وزال المراء** اي الضلال
والجدال فيه وفي هذا البيت التعريض لكفار قريش حيث لم يوافقوه
صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من كماله الاعظم خلقا وخلقا
وعلما وسيره ومن معجزاته الداله على صدقه **يا رب ان الهدى**
اي اتباع الحق ليس الا **هداك** اي ليس الا بتوفيقك وهدايتك
كما قال في كتابك فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في
السماء من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له **وان اياتك**
التي افهمتنا ادلة على صدق انبيائك ويصح رفعه فعلى الاول كل من
الجملتين .

من الجملتين مؤكدة لما قبلها وعلى الثانية هي مؤكدة ايضا لكن فيها شبهة
اعتراض بها على جواز دفوعه بعد تمام الكلام **نور** كما قلت قد جاءكم من
الله نور **تهدي به من تشا** هدايته ويضل عنها من تشا غوايته
ففي كلامه اقتباس من الايتين المذكورتين كما اشرت اليه واياك
الى ان الايات لا تنفع مع سبق الشقاوة ولما قرر ان الهدى هدى
الله وانه يهدي من يشا ويضل من يشا ذكر ما يستغرب من ذلك
ويقربه وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال
كم مرة اي مرارا كثيرة فهي خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعله
الناظم فان ذكر جر باضافتها اليه عند البصريين وجوز بنو تميم
نصبه وافراده اكثر وافصح من جمعه فان فصل نصب حملا على
كم الاستفهامية نحو **رأينا** اي علمنا وابصرنا نظيرنا مره استعمال
المشترك في معنييه واللفظ في حقيقته ومجازه جائز وعليه
منعه الذي ذهب اليه الاكثرون هو من عموم المجاز **ما** اي شخصا
ليس يعقل اصلا كالحيوان والجماد **قد الهم** من المصالح وهذه
في موضع ثاني مفعولي رأى ما اي كثيرا الجنس **يلهم العقلاء اذ**
ظرف او علة لرأى **ابى** اي امتنع **الفيل** المذكور في الاية من ان يفعل
ما اتى اي عزم عليه **صاحب الفيل** وهو ابرهة ملك صنعا وهو
دخوله الحرم لهدم الكعبة   وبين ابي واتى الجناس المصحف
ومنه قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا **ولم ينفع**
الحجا اي العقل الوافر **والذكاء** اللذان نفعه بهما فلم يوفق لما وفق
له الفيل مع وضوح فرقان ما بينهما والذكا والعقل فعلم ان الهداية
والضلال ليسا الا بتوفيق الله وهدايته او خذلانه وعدم رعايته
وبسط هذه القصة ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي

لام عمر بعد حمزه بثلاثة ايام

انظر قصة اصحاب الفيل

بني كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشي قد بنيت لك كنيسة
واريد ان اصرف حج العرب اليها فجاء رجل من بني كنانة فاحدث
فيها فسمع بذلك فغضب وحلف ليسيرن الى الكعبة العرب
ويهدمها فامر الحبشة فتهيأت ثم سار وخرج معه بالفيل
فيل واحد يسمى محمودا وقيل باكثر فخرج عليه ملوك فهزمهم
واسرهم الى ان قرب من المغمس عند عرفة فبلغ ذلك عبد
المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل لهدم البيت ان له ربا
يحميه ثم ارسل ابرهة خيلا فاستاقت ابل قريش وغيرهم
ولعبد المطلب فيها اربعمائة ناقة فركب في قريش حتى بلغ
جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة مثل
السراج فقال ارجعوا فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا
النور مني الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا ثم ارسل ابرهة رجلا
ليستحضر وهو عبد المطلب ليخبره انه لا حاجة له بدمائهم
وانما غرضه تخريب الكعبة فان يمكنهم من تخريبها فقال له
عبد المطلب لا طاقة لنا بحربه والبيت بيت الله فان يمنعه
فهو بيته ثم حمله اليه فاكرمه واجله ونزل عن سريره وجلس
معه على بساطه ثم قال له ما حاجتك فقال ان ترد علي ابلي
فقال كنت اعجبتني ثم زهدت فيك تكلمني في ابلك دون
بيت هو دينك ودين ابائك فقال اما الابل فانا ربها واما البيت
فله رب يحميه فرد اليه ابله فرجع فاخبرهم فتحرزوا في شعب
الجبال والشعاب ثم اخذ عبد المطلب ومعه نفر من قريش
بحلقة باب الكعبة ودعوا واستنصروا وفي رواية ان رسول

ابرهة

ابرهة لما دخل مكة ورأى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج
لسانه وخر مغشيا عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما
افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش
حقا وروي ان عبد المطلب لما ذهب لابرهة احضر فيله الابيض
العظيم فلما رأى عبد المطلب خر ساجدا وقال السلام على النور
الذي في ظهرك يا عبد المطلب ولما اصبح ابرهة في الغلس هيأ
فيله وجنوده لدخول مكة برك الفيل في محله بناء على الاصح
انهم لم يدخلوا الحرم وقيل دخلوه وانما برك لما وصلوا الى وادي
محسر ولذا سمي بذلك لان فيلهم حسر اي اعيي فيه فضربوه
في راسه ومراق بدنه حتى بالحديد فابى فوجهوه نحو اليمن
فقام ثم نحو الشام فمشى ثم نحو المشرق فمشى ثم نحو الكعبة فابى
ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل كامثال الخطاطيف من البحر مع
كل طائر منها ثلاثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه
كامثال العدس لا يصيب احدا منهم الا قتله فخرجوا هاربين
يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة في جسده فتساقطت انامله
انملة انملة حتى وصل صنعاء وهو مثل فرخ الطائر وسال منه
الصديد والقيح والدم وما مات حتى تصدع قلبه وقد ذكر الله هذه
القصة في سورة الفيل وافتتحها بالم تر مع انها قبل مبعثه بل قبل
ولادته اشارة الى ان المراد من الرؤية العلم والتذكير وان الخبر
بذلك متواتر فكان العلم بذلك ضروريا مساويا للعلم الحاصل بالرؤية
البصرية وقد دلت هذه القصة على غاية شرف نبينا فانها كانت
ارهاصا وتاسيسا لنبوته ويجوز تقدم المعجزة على زمن النبوة
تاسيسا كما مر في تظليل الغمام والشجر والملكين بلحاق الشجر والحجارة

ارط قوله الم تر كيف

ارط جواز المعجزة قبل دعوى النبوة

قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم كان لابد منها بشير الاسلام عليه
سلاما يسمعه باذنيه وعلى شرف قومه وحماية الله لهم ولهذا
دانت العرب لبشر فهم لعلمهم بانه ابرهة لا قدرة للعرب
باسرهم على قتاله فاذا تولى الله نصرتهم عليه دل ذلك
على عظيم اعتناء الله بهم ولقد سمى الارهاص بعد مجي
النبوة وثبوتها بالدلايل القطعية اسلى للحاج فيحه الله
حيث خرب الكعبة ولم يبقا فيه شي ولما ذكرنا ما يتعلق بالهام
الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجماد فقال
والجمادات اي اظهرت ونطقت بكلام مبين فصيح لا تلعثم
فيه قيل خلقه الله فيها جسد من غير حياة وان من شي الا يسبح
بحمده وقيل بل تخلق فيها حياة ولسانا وادراكا فتنطق مختارة
عارفة بما تنطق به ويدل لهذا ما ياتي في حنين الجذع وانينه
فانه لك يدل على ان الله تعالى خلق فيه الحياة والعقل
والشوق حتى حن وان ولا يعارضه ان مذهب الاشعرية
ان خلق الصوت في محل لا يستلزم خلق الحياة والعقل فيه لانا لم
ناخذ الجماد من تصويته بل من اطلاق الصحابة عليه انه
حن وان ومذهب الاشعرية ان الذكر المغلوب والكلام النفسي
يستلزمان الحياة استلزام العلم لها ولذا عامله صلى الله عليه
وسلم معاملة الحي بالتزامه كما يلتزم الغايب اهله با لشهادة
بالانبيا والارسال اي الذي اخرس عنه لا احد متعلق بافصحت
الفصحاء نايب فاعل اخرس وفيه الحباق اي ان العرب قريشا
وغيرهم مع كونهم ارباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت
السنتهم من النطق له صلى الله عليه وسلم بالايمان به والشهادة

له

له بالرسالة اليهم وشهد له بذلك الجمادات الصم بافصح لسان
وابلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصا في يده ثم في يد ابي بكر
ثم في يد عمر رضي الله عنهما يسمع تسبيحهن من في الحلقة
رواه جماعة وهو مشهور ولكن في سنده ضعف وصح عن ابن
مسعود رضي الله عنه كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي سماعهم لذلك غاية
الكرامة لهم وصح ايضا اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل
ان ابعث اني لاعرفه الان قيل هو الحجر الاسود وقيل البارز بزقاق
المرفق لانه كان ممره صلى الله عليه وسلم من دار خديجة الى المسجد
وعليه اهل مكة سلفا وخلفا وصح عن علي كرم الله وجهه كنت
مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها
فما استقبلنا شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول
الله وروى البزار وابو نعيم لما استقبلني جبريل بالرسالة
جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله
والبيهقي وابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم غطى العباس وبنيه
بملاية فقال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولا اهل بيتي
فاسترهم من النار كستري اياهم بملايتي هذه فقالت
اسكفة الباب وحوايط البيت امين امين امين وصح انه
صلى الله عليه وسلم كان هو وابو بكر وعمر وعثمان على احد
وصح ايضا على حرا فتحرك فقال اثبت وضربه برجله فما عليك
الا نبي وصديق وشهيد وصح انه صلى الله عليه وسلم طلب
من رجل الايمان فقال له هل من شاهد قال هذه الشجرة
فدعاها صلى الله عليه وسلم وهي على شاطئ الوادي فاقبلت

تخدّ الارض خدا الى تنتهي اليه فقامت بين يديه فاستشهدها
ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها وفي رواية قل لتلك
الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت
عن يمينها وشمالها ومن بين يديها ومن خلفها فتقطعت
عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت
بين يديه فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي
مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك
الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك
فقال لو كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد
لزوجها وصح ان اعرابيا قال له بم اعرف انك رسول الله قال
بان ادعو هذا العذق من هذه النخلة يشهد باني رسول الله
فدعاه فسقط اليه ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابي تنبيه
علم من كلام الناظم في باب مولده صلى الله عليه وسلم وما بعده
ان من دلائل نبوته ما وجد في كتب الله من نعته وخروجه
بارض العرب وما ظهر بين يدي مولده ومبعثه من العجائب
المبطلة لسلطان الكفر والمنوهة بشرف العرب كقصة
الفيل وما حل باصحابه وخمود نار فارس وما ذكر معها وما سمع
من الهواتف الفارحة باوصافه صلى الله عليه وسلم وانتكاس
الاصنام المعبودة على وجوهها من محالها فمن اعز فعله
فاعلى شدة ثباتها واحكامها وما سبق بعضه من العجائب
التي ظهرت ايام رضاعه وبعده الى بعثته واتباع الخلق له مع
انه لم يكن له مال يطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال مع ما كانوا
عليه من حب الاصنام والمبالغة في الحمية لها والمقاتلة وشن

الغارات

الغارات لا تجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوء فعالهم النظر
في عاقبة ولا خوف لائمة فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع
كلمتهم حتى اتفقت الآراء واجتمعت القلوب فصاروا يدا واحدة
على من سواهم وهجروا اوطانهم واهاليهم في محبته وبذلوا
مهجهم لنصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في اعزاز
كلمته بلا دنيا افاضها عليهم في العاجل ولا غرض لهم في الاجل
اطمعهم في نيله يخبرونه بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم
ان يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتئم مثل
هذه الامور من قبل الاختيار عقلا وتنبي يتفكر فيه لا والذي
بعثه بالحق انما ذلك امر الهي وتاييد سماوي يعجز عن بلوغه
قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين وهذا الذي ذكرته يتضح بتعقيب الناظم لما مر بقوله ويح
منصوب بفعل محذوف او بحرف النداء ... ويح من جحد يا حسرة
على العباد اي احضري هذا اوقتك كذا قيل والذي صرح به الائمة
انه حيث كان المصدر بدلا من اللفظ بفعل وجب نصبه وحذف
عامله نعم بعض تلك المصادر يجوز رفعه كويح فقد قالوا وما استعمل
مفردا ومضافا فاقولهم ويح فلان وويحاله قال ابن طاهر متى اضيفت
ويح وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدأ لا خبر له ومتى افردته
جاز كل منهما وكذا ويل والنصب فيه غير قوي لانه مصدر لا فعل له بخلاف
نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب على ويح الرفع بل قال ابن ابي الربيع يجب
رفعه دون ويل وزعم ان عطفه ويح على ويل نعين نصبه ومنع
المازني عطف ويح على تب وعكسه لتناقض معناهما ورد بان
ويح اخرج مخرج الدعاء وليس معناه الدعاء وتبا يستعمل كقاتله الله

ما اشعره فعلم ان ويح وويل ونحوها مما ينصب فانما هو بعامله
المحذوف وجوبا وانه لا دخل للنداء هنا واعلم انهم اتفقوا على ان
ويح كلمة ترحم يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها وويل كلمة عذاب
وقيل هما بمعنى وعلى الاول فقد يستشكل اتيان الناظم بها في هذا
المحل لان الجافين له صلى الله عليه وسلم يستحقون الهلاك الدائم
وقد يجاب بان كثيرا منهم اسلم بعد ذلك فالترحم باعتبار ما آل
اليه حالهم ويرد بانهم بهذا الاعتبار لا يقال فيهم ويح لانهم لم
يقعوا في ذلك هلاك اصلا فالاحسن الجواب بان الترحم من حيث
النظر الى القرابة التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانهم من عمود نسبه وجلدته والترحم لهم من هذه الحيثية لا محظور
فيه **قوم جفوا نبيا** بلغ من مراتب الجلالة والتعظيم ما لم يبلغه
نبي ابى بغضوه وآذوه الايذاء البالغ بل قصدوا قتله كما مر آنفا بسوطها
بارض الفته ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور رجال السنة ورواه
البيهقي في احاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزي
لا يصح اسنادا ولا متنا وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما راى النبي
صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا او من بك حتى يؤمن
هذا فقال له يا ضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال
الذي في السماء عرشه وكلمات اخر قال من انا قال رسول رب العالمين
فاسلم الاعرابي الحديث بطوله قيل وهو موضوع ورد بان نهايته
الضعف لا الوضع وفي معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو ابلغ
من هذا **والظباء** جمع ظبي وروي حديثه من طرق البيهقي وابو
نعيم والطبراني وساق الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب
لكن ضعفه الائمة بل قال الحافظ ابن كثير لا اصل له ومن نسبه الى
النبي

الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ورد بانه ورد في الجملة في عدة
احاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم انه حديث
صحيح قال التاج السبكي وهو وان لم يتواتر اليوم فلعله استغني
عنه بغيره ولعله تواتر اذ ذاك وهو بينما رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صحراء اذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات
فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي نائم عندها (نائم صح)
فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في
ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين
قالت عذبني الله عذاب العشار ان لم اعد فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابي
فقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية
فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب برجلها
الارض وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول
الله ولم يرد المنظم التحرير في هذين فقد صح ان الذيب العقه (الناظم الصحيح)
واخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم كما جاء من طرق منها طريقان
صحيحان حاصلهما انه اخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال
الا تتقي الله تنتزع مني رزقا ساقه الله الي فتعجب الراعي
من كلامه له فقال الا اخبرك باعجب من ذلك محمد بيثرب
يخبر الناس بانباء ما قد سبق وفي رواية صحيحة انا مجزوما
هو كابنه فاتى الراعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
بذلك فامر ان ينادى الصلاة جامعة ثم امر الراعي فاخبرهم
وفي رواية عند سعيد بن منصور في سننه ان الذيب جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا وافد الذئاب جاء يسالكم ان

ان تجعلوا له شيا من اموالكم قالوا والله لا نفعل واخذ رجل من القوم حجرا رماه به فادبر الذيب وله عوا فقال صلى الله عليه وسلم الذيب وما الذيب وكلمه صلى الله عليه وسلم الحمار ايضا على ما روي في حديث طويل لكن قال ابن الجوزي انه موضوع وكلمه ايضا الجمل كما جا في عدة طرق بعضها سنده جيد وبعضها سنده صحيح وحاصلها ان جماعة من الانصار شكوا اليه صلى الله عليه وسلم جملهم وانه امتنع من العمل حتى عطش النخل والزرع فقال لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحايط فمشى اليه فقال يا رسول الله انه صار كالكلب الكلب فقال ليس علي منه باس فلما نظر الجمل اليه اقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فاخذ بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله في العمل الحديث وفي روايته صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دخل حايطا فراه جمل فحن وذرفت عيناه فمسح ذفريه راسه من قفاه ثم قال لربه الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكى الي انك تجيعه وتديمه اي تتعبه وجا بسند ضعيف ان غنما سجدت له صلى الله عليه وسلم **وسلوه** اي نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشاته فيهم وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله **و**الحال انه قد **حن جذع اليه** كما جا من طرق كثيرة صحيحة وغيرها مجموعها التواتر المسنوبي الموجب لتيقن وقوع ذلك والقطع به وعلى التواتر المعنوي يحمل قول التاج السبكي الصحيح عندي ان حنينه متواتر وسيقفى لذلك عامة وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخل من الجذوع المسقوف عليها المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضعه الان بمسجده ثم تخطى الجذع يوم جمعة ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من في المسجد وفي

روايته

رواية خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفي اخرى خار حتى تصدع وانشق وفي اخرى فجعل يئن انين الصبي وفي اخرى حن حنين الناقة التي انتزع ولدها فنزل اليه صلى الله عليه وسلم وضمه اليه فجعل له حتى سكن وفي رواية فمسحه بيده ولعله فعل به الامرين وفي اخرى ان هذا بكى لما فقد من الذكر عنده وفي اخرى والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل يحوت هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من اكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل اشار الشافعي رضي الله عنه الى انه ابدع من احيا عيسى صلى الله عليه وسلم الموتى لانه عهدت حياته رجعت اليهم بخلاف هذا وفي رواية عند الدارمي انه صلى الله عليه وسلم خيره بين ان يعيده الى مغرسه فينبت كما كان وان يغرسه في الجنة فياكل اوليا الله من ثمره ثم اصغى اليه فقال اختار دار البقا على دار الفنا وامر به فدفن وسياتي في شرح قوله والجمادات افصحت الخ ماله تعلق بذلك **وقلوه** اي ابغضوه **و**الحال انه قد **وده** اي احبه وبين السلو والجفو القلبي والود الصادق كما هو بين الاخراج والابوا الاتيين **الغرباء** الذين هم ليسوا من عشيرته ولا من قومه ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الاعظم كالانصار الاوس والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج في الموسم الذي لقيهم فيه يعرض نفسه على قبايل العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي بعض الخزرج عند العقبة فقال من انتم قالوا من الخزرج قال افلا تجلسون الكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلى عليهم القران وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لان يهود

المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا يبعث الان نتبعه ونقتلكم
معه فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه واسلم منهم ستة نفر
فقال لهم تمنعون ظهري حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا ندعوا قومنا
الى ما دعوتنا اليه فان اجابوا فلا احد اعز منك وموعدك الموسم
العام القابل فلما وصلوا المدينة لم يبق دار الا وفيها ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلقيه في العام القابل اثنا عشر خمسة من الستة
والبقية من الخزرج ايضا الا رجلين فمن الاوس وهذه هي العقبة
الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا فاظهر الله
الاسلام فيهم فكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة من اسلم
ثم ارسلوا يطلبون من يعلمهم القران فارسل اليهم مصعب
بن عمير فاسلم على يديه جمع كثير منهم سيد الاوس سعد بن
معاذ واسيد بن حضير واسلم باسلامهم جميع بني عبد الاشهل
في يوم واحد رجالهم ونساؤهم الا واحدا فيوم احد ولم يكن فيهم من
بني عبد الاشهل منافق ولا منافقة ثم قدم في العام القابل في الموسم
ثلاثة وسبعين رجلا وهي العقبة الثالثة فبايعهم على انهم يمنعونه
مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وصح
عن جابر مكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم
في المواسم بمنى وغيرها يقول من ينصرني حتى ابلغ رسالة ربي وله
الجنة حتى بعث الله من يثرب وذكر الحديث وفيه وعلى ان ينصروني
اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم
وابناءكم ولكم الجنة وحضر العباس رضي الله عنه هذه المبايعة فاكد
عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثم امر صلى الله عليه وسلم
من بقي معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا واقام ينتظر الاذن

له في

له في الهجرة واستاذنه ابو بكر فقال لا تعجل لعل الله ان يجعل
لك صاحبا فتطمع ابو بكر في ان يهاجر معه صلى الله عليه
وسلم ولما بلغ انهم بلغهم انه بويع وامر من معه ان يلحق بالمدينة
وانه ظهر امره بها تشاوروا بدار الندوة ثم اجمعوا ان يثبتوه
او يقتلوه او يخرجوه فاعترضهم ابليس في صورة رجل جميل واظهر
لهم انه يريد نصحهم وامرهم ان يعرضوا عليه اراءهم ليختار
انفعها لهم فقيل نحبسه فقال لقد ينتزع منكم فقيل نخرجه
فقال يا تيكم بما لا طاقة لكم به فقال ابو جهل ارى ان تاخذوا
من كل قبيلة غلاما قويا ثم نعطوهم شفارا فيضربه كل ضربة
ويتفرق دمه في القبائل فلم يقدر اهله على حرب قومهم
فتاخذ واديته فقال ابليس لله درك هذا هو الراي فاجمعوا
عليه فاتاه جبريل فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا
في الليل ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه فامر عليا ان ينام
مكانه ثم خرج عليهم فلم يبق احد منهم الا اخذ الله على بصره فلم
يره ونثر على راس كل منهم ترابا كان في يده وهو يتلو يس
الى لا يبصرون وصح انه ما اصاب احدا منهم تراب الا قتل كافرا
ثم اعلم اجنبتهم فوضع كل يده على راسه فوجد التراب وفي
هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ثم اذن الله
لنبيه في الهجرة كما قال اخرجوه بدله من جفوة منها اي كانوا
السبب في خرجه من تلك الارض التي هي مولده ومرباه ووطنه
ووطن ابائه احب ارض الله الى الله والى رسوله كما صح عنه
صلى الله عليه وسلم ثم قال ولولا اني اخرجت منك كرها ما خرجت
ويتولى كانوا السبب الخ اندفع ما يقال هو لم يخرج منها الا باذن

فهو السبب فقط ووجه اندفاع ان نسبتهم في خروجه لمبالغتهم
في خروجه بالغتهم في ايذايه وايذا اصحابه لاسيما ضعفاوهم
فهو الحامل على انتظاره الاذن له في الخروج مدة حتى وجده
فتسببهم سبب للاستيذان ووقوع الاذن فاسناد الاخراج
اليهم لذلك اظهر منه للاذن تعويلا على سبق السببين مع كون
الاول سببا للثاني ايضا كما تقرر وكان ذلك بعد العقبة الثالثة
بنحو ثلاثة اشهر يوم الاثنين هلال ربيع الاول او الخميس الذي
يليه ووصل المدينة يوم الاثنين ثاني عشر الشهر وجمع بان
خروجه من مكة يوم الخميس ومن الغار ليلة الاثنين وخلف
عليا ليودي ما عنده من الودايع وكان مجيه بيت ابي بكر
وقت الظهيرة فقال انه قد اذن لي في الخروج قال الصحابة
يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتي قال بالثمن
ابى لتتمحض هجرته لله ولا يكون لاحد فيها منة فخرجا ليلا
الى غار جبل ثور فاستخفيا فيه كما قال واوه غار ولما
فقدته قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة
اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره هنالك
فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق عليهم
خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما دخل
الغار قيل انبت الله على بابه شجرة ام غيلان فحجبت عن
الغار اعين الناس وارسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا
على فم الغار كما قال وحمته منهم حمامة فيه جناس سبق نظيره
ورقا وهي ما في لونها بياض يخالطه سواد قيل وحمام الحرم
من نسلهما ومعنى حمايتهما له ان فتيان قريش من كل بطن

لما

لما اقبلوا بسلاحهم جعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين
وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما لك قال
رايت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال
اخر ادخلوا الغار فقال اللعين امية بن خلف وما اربكم في الغار
ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وفي مسند البزار ان الله عز
وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ولذا قال الناظم
وكفته بنسجها عنكبوت يقع على الواحد والجمع والذكر
والانثى ما اي الامر الذي كفته اياهم الحمامة الحصدا اي
اخذه من قولهم شجرة حصدا اي كثيرة الورق فاستعار للحمامة
لكثرة ريشها ووصف الحمامة بورقا وحصدا لاجتماعهما فيها
والممتنع انما هو الوصف بمتضادين او متماثلين وروي ان
الحمامتين باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت على اعلاه
فقالوا لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت قال الايمة
وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود وروي
انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله
وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار فظنهم ان الحمام لا يحوم
حوله وان العنكبوت لا ينسج عليه وفيه احد لما جرت العادة
انهما يستوحشان مهما احسا بالانسان فرا منه وما علموا ان الله
تعالى يسخر ما شا من خلقه لمن شا من عباده وان وقاية الله
عبده بما اراده يغنيه عن التحصن بالامكنة والاسلحة وصح ان
ابا بكر قال يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال
ما ظنك يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما ولذا قال الناظم واختفى صلى الله
عليه وسلم اي استتر والاحسن عطفه على واوه غار منهم على

اي مع قرب مرافقه اي محل رؤيته وفي ذكر الناظم لهذا تعجيب للسامع
وبيان لهذه المعجزة العظيمة وحكمة استتاره منهم مع ظهوره لهم
لو نظر احدهم الى ما تحت قدميه كما تقرر ان من جملة شدة الظهور
عليهم بالغلبة والمعونة الالهية له الخفا عنهم الذي حصل له
خرقا للعادة ظفرا عليهم وخيبة لهم واستعمال الظهور فيما ذكر
مع ان مقابلته والخفا توهم انه اراد به ضده من الفن المسمى بالتورية
والايهام وهي ان يذكر لفظ له معنيان بالاشتراك او التواطي
او الحقيقة والمجاز احدهما بعيد فيقصد ويورى عنه بالقريب
ليتوهمه السامع من اول وهلة وهو هنا ضد الخفا الموهم له
قوله واختفى قال الزمخشري لا ترى بابا ادق ولا الطف
من التورية ولا انفع ولا اعون على تعاطي تاويل المتشابهات
في كلام الله ورسوله نحو الرحمن على العرش استوى اريد من
الاستوى معناه البعيد الذي هو الاستيلا دون القريب الذي
هو الاستقرار في المكان لاستحالته على الله تعالى انتهى ملخصا
وهذه تسمى مجردة لانه لم يذكر فيها شي من لوازم المورى به ولا
المورى عنه والحق بها ما ذكر فيه لازم كل منهما لانهما تكافيا حينئذ
ومنه ما في البيت فانه ذكر فيه لازم كل منهما نذكر اختفى وبالخفي
اذ المتبادر منه انه ليس المراد بالظهور ضد الخفا وان ذكر لانهم
احدهما سبقت مرشحة نحو والسما بنيناها بايد فانه تحتمل الجارحة
وهو المورى به ورشح له بذكر البنا وتحتمل القوة والقدرة وهو
البعيد المقصود وزاد بعضهم في حد التورية مع صحة كل من
المعنيين ولا حاجة لهذه الزيادة كما علم مما تقرر في اية الاستوا
والبنا ولعله اراد في الجملة لا بالنظر لما الكلام فيه وعليه فوجه صحة

الظهور

٦٦

الظهور الذي هو ضد الخفا هنا ان من المعلوم ان شدة قرب
المرامن العين يوجب عدم ادراكها له فكذلك هنا لما اشتد قربهم
منه لم يدركوه ولا يمنع منه ان الاول عادي والثاني خارق للعادة
وكالتورية في كونه اشرف انواع البديع الاستخدام بل
فضله بعضهم عليها ولهم في حده عبارتان اشهرهما ان يوتى
بلفظ له معنيان فاكثر يراد به احد معانيه ثم يوتى بضميره
ويراد به المعنى الاخر وروي ان ابا بكر نظر الى قدميه صلى
الله عليه وسلم في الغار يقطران دما لانه لم يتعود الحفا فبكى
وانه دخل قبله ليقيه بنفسه وانه راى جحرا فيه فالقمه عقبه
فجعلت الحيات والافاعي تضربه وتلسعه فجعلت دموعه
تنحدر وفي رواية عند رزين فدخل صلى الله عليه وسلم
وجعل راسه في حجره ونام فلدغ ابو بكر في رجله فلم يتحرك
فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال مالك قال لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده وروي
ان ابا بكر لما راى القافة اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما
انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فقال صلى الله
عليه وسلم له لا تحزن ان الله معنا اي بالمعونة والنصر فانزل
الله سكينته عليه اي ابي بكر لانه الذي انزعج وهي امنة
تسكن عندها القلوب وايده اي رسوله بجنود لم تروها
اي ملايكة يصرفون ابصار الكفار عنه وبين قوله نبينا
ان الله معنا وقول موسى صلى الله عليهما وسلم كلا ان معي ربي
ما بين متباينهما اذ كمال الامداد للاتباع ليس الا لنبينا فامد
ابا بكر بشهوده المعية ايضا وقصرها موسى على نفسه وايضا

فشتان بين محبة الالوهية ومحبة الربوبية والمشهور
انه صلى الله عليه وسلم مكث في الغار ثلاث ليال وكان عبد الله
ابن ابي بكر مع صغر سنه يبيت بهما ليلا يخبر قريش ثم يخرج من
عندهما بسحر فيصبح كبايت بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى ابي
بكر ياتيهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن واستاجرا عبد الله بن الاريقط
ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما ووعداه
غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما وسار معهما عامر بن فهيرة فاخذ بهما
طريق البحر ونجا فقصد المصطفى على الخلق كلهم محمد صلى الله
عليه وسلم المدينة المسماة بطيبة لان الله طيبها بهجرته
اليها ووقعت في طريق الهجرة غرائب منها انهم مروا بقديد
على ام معبد الخزاعية وكانت تسقي وتطعم من يمر بها وكانت
في سعة فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوه فنظر الى
شاة خلفها الجهد عن الغنم فسالها هل بها من لبن فقالت هي
اجهد من ذلك فقال اتاذنين لي ان احلبها قالت نعم فدعا بها
فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فدرت وسقى القوم حتى رووا
ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى عللا بعد نهل ثم تركوه
وذهبوا فجاء زوجها فعجب منه فذكرت له القصة واوصافه صلى
الله عليه وسلم فقال هذا والله صاحب قريش ولو رايته
لاتبعته واخرج ابن سعد وابو نعيم ان تلك الشاة بقيت
عندهم يحلبونها ليلا ونهارا الى زمن عمر ثم تعرض لهما بعد بد
سراقة كما ياتي وروى البيهقي انه اجتاز بعبد يرعى غنما فاستسقاه
لبنا فاتاه بشاة لا لبن فيها فحلبها صلى الله عليه وسلم بعد ان
دعا وسقى ابا بكر ثم الراعي ثم شرب وهذا محمول على علمه بشدة

العز

العبد مع طلب رضاه والجواب بان هذا مال حربي غير محترم لان هذا قبل
مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال اهل الحرب كما لا
يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا يتم الا بترك التعرض لاموالهم
كنفوسهم ولما سمع المسلمون بالمدينة بمخرجه صاروا يخرجون كل
يوم الى الحرة ينتظرونه الى حر الظهيرة فانتظروه يوما وعادوا الى بيوتهم
واذا بيهودي على اطم من اطامهم فراه فصاح هذا جدكم يا بني
قيلة اي الاوس والخزرج فخرجوا اليه سراعا بسلاحهم فنزل بقبا
فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكتا فكانوا
يحسبون ابا بكر رسول الله لانه اسرع اليه الشيب مع انه اصغر
سنا منه صلى الله عليه وسلم حتى اذا اصابته الشمس ظلل عليه فعرفوه
وكان ذلك يوم الاثنين قبل اول ربيع وقيل ثاني عشره وقيل غير
ذلك وادركه علي بقبا ولم يقم بعده بمكة الا ثلاثة ايام ثم امر صلى
الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة واقام بقبا اربع
عشرة ليلة كما في مسلم واسس مسجدها وهو اول مسجد بني في الاسلام
وكذا كان الاصح انه الذي اسس على التقوى من اول يوم ثم ركب من قبا يوم
الجمعة وصلاها بمسجد الجمعة المشهور ثم ركب فكان كلما مر بدار من
دور الانصار سالوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها اي ناقته
فانها مامورة وارخى زمامها فاستمرت الى ان بركت موضع باب
المسجد ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت بباب
ابي ايوب وبيته بني النجار اخوال عبد المطلب ثم ثارت منه وبركت
في مبركها الاول ثم رزمت فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا
المنزل ان شاء الله واستاقت من الشوق وهو تحرك النفس وهو
هنا مجاز نحو واسال القرية بل حقيقة اذ لا بدع في ميل الجمادات

له حقيقة بان يخلق الله فيها ادراكا حقيقيا ومنه وان من شي الا يسبح
بحمده ولو انزلنا هذا القران على جبل الاية وتسبيح الحصا وتامين
اسكفة الباب وحنين الجذع ونحو ذلك مما المراد الاصح في مثل ذلك
مما لا يحيله العقل ولا الشرع حمله على حقيقته كما في حديث ما بين
منبري وقبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ولهذا
قاله جماعة واختاره بعض المحققين انه صلى الله عليه وسلم ارسل
حتى الى الجمادات لتصريح خبر مسلم بذلك في قوله صلى الله عليه
وسلم وارسلت الى الخلق كافة البدر من مكة التي هي مولده وام
القرى وافضلهن عند اكثر العلما الانحا اي الجهات والنواحي لانها
كانت معمورة بانفاسه صلى الله عليه وسلم فاستوحشت جمع جم
لفقده وبين تحت والانحا جناس الاشتقاق ان قلنا ان الانحا ناحية
بمعنى منحوة اي مقصودة ورد العجز على الصدر وكذا بين تغنت
والغنا وناداه والندا الابيات وتغنت بمدحه الجن المومنون وترجمة
قصة ايمانهم وارساله صلى الله عليه وسلم الى جميع الجن امر معلوم
من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما اجمع عليه الائمة اي اظهرت اوصافه
الجميلة في صورة الغنا الذي يتولع به النفس ولا تصبر فيها متنسبي
لغيره حتى اطرب الانس المومنين بل وغيرهم منه اي الجن ذلك
الغناء الذي سمعوه والطرب خفة تعتري الانسان عند شدة
حزن او سرور وذكر اهل السير عن اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما انها
قالت لما خفي علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من
قريش فيهم ابو جهل فقال اين ابوك قلت والله ما ادري فلطم
خدي لطمة خرج منها قرطي ولما لم ندر اين توجه رسول الله صلى

الدعا

الله عليه وسلم اتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وانشد
هذه الابيات جزى الله رب الناس خير جزايه ٭ رفيقين حلا خيمتي
ام معبد ٭ هما نزلا بالبر وارتحلا به ٭ فافلح من امسى رفيق محمد ٭ فقال
فيا قصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا يجازى وسود ٭ ليهن بني كعب مكان
فتاتهم ٭ ومقعدها للمومنين بمرصد ٭ سلوا اختكم عن شاتها وانايها ٭
فانكم ان تسالوا الشاة تشهد ٭ دعاها بشاة حايل فتحلبت له ٭ بصريح
ضرة الشاة مزبد ٭ والضرة لحمة الضرع والصريح بمهملتين اوله
واخره الخالص اي بلبن خالص مزبد نازل من ضرة الشاة ٭ فغادرها
رهنا لديها لحالب يرددها في مصدر ثم مورد اي خلف الشاة عندها
مرتهنة بان تدر قالت اسما فلما سمعنا قول الجني
هذا علمنا اين توجه النبي صلى الله عليه وسلم ولما وصل صلى الله عليه
وسلم في سفر هجرته اليه قديد محل قرب رابغ اقتفى اي تتبع اثره
سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي قال جانا رسل كفار قريش يجعلون
فيهما ان قتلا او اسرا دية فركبت مستخفيا فلما دنوت منهما عثرت
بي فرسي فخررت ثم قمت وركبته حتى اذا سمعت قراة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت فبكا ابو بكر وقال
يا رسول الله اتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات
فاستهوت به في الارض صافن اي طلبت ان تهوي به فيها هذا مقتضى
الصيغة وليس مراد ابل السين لمجرد التاكيد لانه الذي في القصة انه
صلى الله عليه وسلم لما دعا بتلك الدعوات غاصت قوايم فرسه في الارض
حتى بلغت الركبتين فخر عنها ثم زجرها فنهضت ولم تكد تخرج يداها
فلما استوت قايمة اذا لاثر يديها غبار ساطع في السما كالدخان والحمان
من الخيل الذي يقوم على ثلاثة قوايم ويقيم الرابعة على طرف الحافر

جردا اي رقيقة الشعر وقصيرتها وهذه صفة مدح في الخيل
واصله للشجرة التي قلّ ورقها فاستغيث للفرس ثم ناداه
اي سراقة النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما وصل اليه وقال
الامان يا محمد بعد ما مصدر ربه سيمت الفرس الخسف
بفتح اوله وضمه قاله الشارح وموضع ابي وليته ذلا وقال
في اخراي بعد اسامة الخسف للفرس اي بعد حصول الذل
للفرس المذكور وكان الحامل له عليه هذا ان ظاهر النظم انه لم
يخسف بالفرس حقيقة وليس كذلك لما علمت ان قوايمها
غاصت في الارض فحصل لها الخسف الحقيقي لكن لبعضها فعبر
الناظم بتسميت الخسف بالنظر اليه كلها اي سيمت ان يخسف بها
كلها وحينئذ لا يحتاج لما قاله الشارح فتامله ثم رايت بعضهم
صرح بنحو ما ذكرته فقال بقاله سمته خسفا اوليته ذلا و
كلفته مشقة وتحمل ان يريد بعد ما قاربت ان يخسف بها
ومن الحكم المناسبة هنا لانها كالسبب لما قبلها فهو تذييل لانه
قد ينجد الغريق النداء اي الدعا لله بانكسار وتذلل كما وقع
ليونس صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبيا والمرسلين وسلم
قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر
اي نضيق عليه بسبب مغاضبته وفراقه لقومه لاباهم عليه
فنادى في الظلمات الاية او النداء او رفع الصوت لطلب تخليصه
لانه قد لا يعلم او لا يعبا به احد فاذا نادى وصاح تنبه الناس
له وانقذوه ولما طلب الامان قال اعلم انكما قد دعوتما علي فادعوا
لي ولكما ان ارد الناس عنكما ولا اضركما قال فوقفنا لي فركبت فرسي
حتى جيتهما قال ووقع في نفسي حين لقيته ما لقيت ان سيظهر

امر

امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما
الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزاني اي لم ياخذا مني
منه شيا وقال اخف عنا فسالته كتابا امن به فامر عامر ابن فهيرة
فكتب لي في رق من ادم اخرجها له يوم حنين فقعدها وامنه
ومن يلوذ به تنبيه ذكر الناظم الهجرة وبعض ما وقع فيها من المعجزات
مع انه سيذكر وقايع وقعت له بمكة قبل الهجرة كالاسرا وكان مقتضى
الواقع ان يذكر هذه كلها قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب في الذكر
الترتيب في الواقع ولعله اهتم بشان الهجرة فقدمها لتتشبث
النفس الى حكم ذلك وهي انه انقطع بها عنه صلى الله عليه
وسلم كل اذى كان يصل اليه من قريش وترتب عليها الظفر بهم حتى
استاصل شافتهم وقطع دابرهم فطوي الارض في حال كونه
سايرا عليها وهذا كما طويت له قبل ذلك السموات العليه لما
كان فوقها له اسراء ليلة الاسرا اي ان جاوزها جميعها في
اسرع وقت فقطع مسيرة نحو ثمانية الاف سنة في اسرع وقت
اذ بين الارض والسما خمسماية سنة وكذا سمك كل سما وما بين كل
سما بين هذا بالنسبة الى السما السابعة واما ما بينها وبين
ما وصل اليه مما كان فيه قاب قوسين او ادنى فلا يعلمه الا الله تعالى
فيا لهما من مسير بين مسير في الارض ومسير في السما اظهر الله عليه
فيهما عظيم قدره في سيره واسرايه وافضليته تقدمه على جميع
خلقه في ارضه وسمايه قال بعض الايمة والمعاريج ليلة الاسرا
عشرة سبع في السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع
الى المستوى الذي يسمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار

والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب
بالمكافحة والكشف الحقيقي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم
في سني الهجرة العشر ما كان منها مناسبات لطيفة لهذه
المعارج العشرة ولهذا اختمت بوفاته التي فيها لقاء ربه والعروج
بروحه الكريمة الى الوسيلة وهي المنزلة التي لا ارفع منها كما ختمت
معارج الاسرا باللقا والحضور بحضرة القدس **فصف** ايها
الناظر في شمايله صلى الله عليه وسلم وخصوصياته وما اكرمه
الله به تلك **الليلة** وهي ليلة الاثنين او الجمعة او السبت من
رمضان او شوال او رجب وبه جزم النووي في فتاويه او من
ربيع الاول وجرى عليه في شرح مسلم بعد المبعث بخمس
سنين ورجحه النووي او بعشر او باحدى عشر او ثلث عشرة
اقوال رجح كلا قوم **النبي** وقع ذلك الاسرا فيها من مكة الى بيت
المقدس ثم منه الى السما ثم الى حيث شا الله وما رابه من ايات
ربه الكبرا بما ذكره صفاتها الجليلة بما يمكنك والا فحال السنو عنها
او ان تاتي بتفصيل ما تحيط بها كيف وقصة الاسراء والمعراج
من اشهر المعجزات واظهر البراهين والبينات واقوى الحجج واصدق
الانبا واعظم الايات ومن ثم قال بعض المفسرين انها افضل من
ليلة القدر لكن بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لانه اوتي فيها ما لا
تحيط به الحد ولذا كان الاسرا بالجسم في اليقظة من لا يعتقد خلافه
وزعم تعدد الاسرا لتباين الروايات فيه تباينا منتشرا ولا يمكن
الجمع بينها الا بدعوى التعدد بالجسم تارة والروح اخرى مردود
والاصح انه اسراء واحد بالجسم والروح في اليقظة وان ما خالف

الجادة

الجادة من الروايات ان امكن تاويله تعين والا حكم عليه بانه وهم
كرواية ان الاسرا كان قبل البعثة فان الاجماع على انه بعدها على
انها اولت **وكان للمختار** صلى الله عليه وسلم **فيها** عجايب منها
انه جاه جبريل وفي رواية وميكاييل وفي اخرى ذكر ثالث ولا مانع
ان جبريل نزل اولا ثم ميكاييل ثم الثالث بالحطيم او شعب ابي طالب
او بيته او بيت ام هاني بعد ان انفرج سقفه روايات جمع بينها
بانه بايت في بيت ام هاني وبيتها عند شعب ابي طالب واضيف
اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الى المسجد فاضطجع
لاثر نعاس كان به ثم اخذه فاخرجه من المسجد فاركبه البراق
فاستمرت يقظته ورواية انه كان بين النايم واليقظان محمولة
على ابتداء الامر ورواية فلما استيقظت اي من شغل البال
بمشاهدة الملكوت وحكمة كونه لم ياته من باب البيت انه
انصب من السما انصبابة واحدة بازا محله الذي هو فيه فلم
يعرج على غيره مبالغة في المفاجاة وتنبيها بان الطلب
وقع على غير ميعاد اظهارا انه مراد ووقع في موسى بميعاد
تنبيها على انه مريد وشتان ما بينهما وايضا ففي فرج سقف
البيت التناسب عقبه تنبيه على شق صدره الشريف تلك
الليلة وانه لا باس عليه فيه ومرت قصة شقه هنا عند ذكر
الناظم لشقه عقب رضاعه عند حليمة ومنها ان الملك لما
اخرجه من المسجد اركبه **على البراق** فكان له عليه **استواء**
اي استقرار وتمكن مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس
ما يركبه الادميون وهو كما صح به الخبر دابة اي يشبهها
اذ هو ليس بذكر ولا انثى دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع

خطوة عند اقصى طرفه وذكره باعتبار كونه مركوبا وسمي بذلك من
البرق لسرعة سيره او من البريق او من قولهم شاة برقا اذا كان
في خلال بياضها اسودة وقوله يضع خطوة الى اخر معناه انه يضع
رجله عند منتهى ما يسري بصره وقال ابن المنير يقطع
ما انتهى اليه بصره في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع
من الارض الى السما في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض
يقع على السما فبلغ على السموات في سبع خطوات انتهى وهذا
انما ياتي على رواية فحملت عليه الى البراق حتى انطلق بي جبريل
الى السما الدنيا اذ ظاهرها انه استمر عليه حتى وصل الى السما
والمشهور انه استمر عليه الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج
كما ياتي وفي رواية لابي يعلى والبزار اذا اتى على جبل ارتفعت
رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفي رواية شاذة له جناحان
واخرى ضعيفة له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوايم
كالابل واظلاف وذنب كالبقر وكان صدره ياقوتة حمرا وفي
رواية صحيحة اتي به مسرجا ملجوما فاستصعب عليه فقال
له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك قط اكرم على الله منه فارفض
عرقا وظاهرها كصريح رواية النسا وابن مردويه وكانت
تسخر للانبيا قبله ان الانبيا كانوا يركبونها ولم يطلع عليها
بعضهم فتنفي ركوب غيره صلى الله عليه وسلم لها فاستصعابها
ليس لعدم الفة الركوب بل لبعد عهده به او ليظهر جبريل
له مرتبته صلى الله عليه وسلم وانها علت على ساير المراتب
وانما لم يكن البراق على شكل الفرس اشارة الى ان ركوبه في سلم
وامن لا حرب ولا خوف والى ظهور المعجزة بوقوع هذا الاسراع

الباهر

الباهر من دابة على هذا الشكل وصح ان جبريل حمله على البراق رديفا له
ورواه احمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس
واول بعضهم ذلك بما لا حاجة اليه اذ ركوب جبريل معه لا ينافي كونه
في خدمته وصح انهما مرا بيثرب فامره ان ينزل ويصلي وبمدين
فامره بذلك وببيت لحم الذي ولد فيه عيسى فامره بذلك
واراد عجايب اخرى الى ان وصلا الى بيت المقدس فنزلا فربطه
الى جبريل كما مر في رواية لكن في اخرى النبي صلى الله عليه وسلم وجمع
بانهما ربطاه معا بالحلقة التي كانت الانبيا تربطه بها ثم دخل
وبعث له جماعة من الانبيا وصلى بهم وصح في رواية اتى بارواح
~~الملايكة~~ اي مع اجسادهم لرواية ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين
ما بين قايم وراكع وساجد ثم اذن موذن فاقيمت الصلاة فقمنا
صفوفا ننتظر من يومنا فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت
بهم وفي رواية لاحمد فاذا النبيون اجمعون يصلون معه
وفيها زيادة على رواية جماعة منهم فيوخذ بتلك الزيادة
وفي حديث ما يدل على انه صلى بهم في بيت المقدس بعد العروج
وقبل العشا بنا على انه صلى فيه قبله ولما فرغ من امامتهم
نصب له المعراج كما في رواية ابن هشام والبيهقي وغيرها ووضعت
له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن يمينه ملايكة ويساره
ملايكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهى الى باب السما الدنيا
فاستفتحا ففتح لهما وهكذا الى السما السابعة وراى في السما الاولى
ادم وعن يمينه ارواح المومنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن يساره
ارواح نسمه الكفار فاذا نظر اليهم بكى الى انه يكشف له عنهم وهم في

انه الانبيا باجسادهم

التي هي مستقر ارواحهم والنيل والفرات اي انتهاؤها والا فابتداؤهما
من سدرة المنتهى وفي الثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف
وفي حديث البيهقي وغيره فاذا انا برجل اي يوسف احسن ما خلق الله
قد فضل الناس كالقمر ليلة البدر على ساير الكواكب والمراد غير نبينا بالحسن
صلى الله عليه وسلم لخبر الترمذي ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن
الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا على ان للاصوليين
قولا مشهورا اعتمده النووي وغيره في موضع واعتمده اخرون ايضا
ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ومن ثم قال بعض المحققين المراد
اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وفي
الرابعة ادريس وفي الخامسة هارون وفي السادسة موسى
وفي السابعة ابراهيم وهذه متقدمة على رواية لم يضبط منازلهم
وعلى رواية ادريس في الثانية وهارون في الرابعة وابراهيم
في السادسة وموسى في السابعة لان سابقتها يدل على انه
لم يضبط منازلهم كما صرح به الزهري فالاولى التي فيها انه ضبطها
اولى على انه يجمع بين الروايات المختلفة في ذلك بانه راهم في الصعود
على كيفيات وفي الهبوط على كيفيات اخر فلما جاوز موسى بكى فقال
ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة
اكثر مما يدخل من امتي وبكاؤه ليس حسدا حاشاه الله من ذلك
بل غبطة وحزنا على ما فاته من مضاعفة اجوره نبينا بكثرة
اتباعهم وصالحهم اي ما لا عناية له او رحمة لامته لما وقع
منهم بعده مما لم يوقع نظيره لهذه الامة وذكره بغلام لانه اصغر
سنا منه ولان قوة الشباب معه الى سن الشيخوخة وحكمة
تخصيص هؤلاء بالتلقي الاشارة بكل ما سيقع له كالاخراج من الجنة

ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه

ثم

ثم العود اليها وكمعاداة اليهود له وبدل الهجرة كما عاد وعيسى
واراد واقتله وتجربه وقتلوه وكمعادات اهله له وكرجوع قومه
الى محبته كما رجع قوم هارون الى محبته وكمحاجة قومه
كما صالح موسى قومه وكتمكنه من مكة والكعبة وتمتعه لهما كما
وقع لابراهيم ومن ثم راه مستندا ظهره الى البيت المعمور الذي
هو حيال الكعبة ويدخله من حين خلق الله الخلق الى الابد كل يوم
يدخله سبعون الف ملك فلا يعودون اليه واخذ منه
ان الملايكة اكثر الخلق ثان واختلفوا في رؤيته لهؤلاء الانبيا
صلى الله على نبينا وعليهم وعلى ساير المرسلين وسلم فقيل الارواح
الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على قول واختلفوا
قايلوا هذا اي الذين صلوا معه في بيت المقدس فقيل الارواح
ايضا وقيل الاجساد وقيل خرق الله له الحجب حتى رآه كالذي
قبره من المحل الذي اخبر به وقيل رفعوا من قبورهم تلك
الليلة لتلك المواضع اكراما له صلى الله عليه وسلم وبعد ان جاوز
السما السابعة رفعت له سدرة المنتهى فراها وقد غشيها
من امر الله تعالى ما غشى حتى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع
ان ينعتها من حسنها وزاد انه النيل والفرات وسيحان وجيحان
يخرج من اصلها ورواية انها من الجنة لا ينافي ذلك لان ذلك
الذي ينبع منه تلك الانهار في الجنة فلانها في ما قبل اصلها
في السما السادسة وعليه يحمل رواية انه راها فيها واعلاها
في السابعة وعليه يحمل ما مر انها فيها وسميت بذلك لانه ينتهي
اليها علم الخلايق ولم يجاوزها احد الا نبينا صلى الله عليه وسلم
قاله النووي رحمه الله تعالى ويتعين حمله على انه لا يجاوزها من

ولعله الصواب لنسخة الرابعة

من الملايكة الذين ينزلون الى الارض ويصعدون بالاعمال
لما ياتي من انه صلى الله عليه وسلم جاوزها الى مستوى يسمع
فيه صريف اقلام الملايكة ثم ادخل الجنة واحاط بها ثم خرج به
صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري الى محل عال يسمع فيه
صريف الاقلام اي تصويت اقلام الملايكة بما يكتبونه من اقضية
الله تعالى وفي رواية لم يذكرها البخاري روايات الحجب ثم زج بي
في النور زجا فخرق بي سبعين الف حجاب كل حجاب مسيرة
خمسماية عام ثم دلي لي رفرف اخضر ثم احتملني حتى وصلت الى
العرش وهذه الحجب بفرض صحتها انما هي بالنسبة للمخلوقين
واما هو تعالى فلا يحجبه شي وصح عن انس عنه صلى الله عليه وسلم
قال عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار الى يقرب
المعنوي كما اشار اليه قوله رب العزة جل جلاله فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى كما قال الناظم

حتى ظهرت لمستوى

وترقى به الى قاب قوسين   وتلك السيادة القعساء

وترقى اي صعد البراق **الى قاب قوسين** وقاب القوس
ما بين مقبضه واخر وتره فلكل قوس قابان ومن ثم قيل في الاية قلب
اي قابي قوس ويرد بانه لا يتعين ذلك بل المراد تشبيه قربه
صلى الله عليه وسلم المعنوي من ربه بقرب قاب القوس اذا الحق
بقاب قوس اخر ثم رايت بعضهم قال قاب قوسين اي مقدار
قوسين وقاب قوس اي قدر طولها وقيل قدر الوتر منها قال الجوهري
تقول بينهما قاب قوس اي قدر قوس **تنبيه** ما اقتضاه كلام الناظم
ان البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو ما دلت
عليه رواية البخاري ولفظها ثم علا به فانطلق بي جبريل حتى اتى

السما

على السما الدنيا فاستفتح ثم قال ثم صعد بي حتى اتى السما الثانية
وهكذا لكن صحت الاحاديث بانه استوى على البراق الى بيت المقدس ثم
نصب له المعراج فارتقي فيه كما مر وظاهرها انه لم يركب البراق الا من
مكة الى بيت المقدس لا غير ولهذا التنافي ذهب بعضهم الى ان الاسرا
على البراق وقع مرتين مرة الى بيت المقدس ومرة من مكة الى السما لكن
رد هذا بان الاصح انه لم يتعدد وانه لا تنافي وانما الذي ذكرها
عليه من مكة الى السما اختصر ذكر بيت المقدس وفيه نظر لان رواية
البخاري السابقة صريحة في انه لا معراج وانه استمر راكبا البراق
الى السما الدنيا ثم التي بعدها وهكذا وجرى عليه الناظم كما علمت
فالاولى الجواب جمعا بين الروايتين بان من ذكر بيت المقدس والمعراج
معه زيادة علم فيقدم وعليه فيكون لما وصل في المعراج الى السما الدنيا
ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها وبهذا انتهى رواية البخاري
الظاهرة فيما في النظم والجمع بينها وبين الرواية الاخرى المشهورة
التي عليها العمل يظهر عذر الناظم في ذكره انه ركبه الى مستوى وصوله
لكن في جزمه به نظر ظاهر والحاصل انه بعد وصوله السما الدنيا يحتمل
انه استمر راكبا البراق على ظاهر الرواية الاولى وانه حمله به ثانيا
على الرواية الثانية ويحتمل انه ذهب من غير ركوب شي تعظيما للسموات
اذ هي افضل من الارضين عند الاكثرين وعلى مقابلة المتصور
لان الانبيا خلقوا من الارض وبها مدفنهم ومستقرهم وهم
افضل من الملايكة فتعظيما لمن فيهن من اختص به من الانبيا والملائكة
لا يقال السما لم يعص الله فيها بخلاف الارض لانا نقول هذه مزية
وقد يكون في المفضول مزايا على ان ذلك منتقض بما وقع
لادم وحوا وابليس واه على انهم لم يكونوا في السما يحتاج الدليل

وعلى التنزل فكون المعصية تقع في محل دون محل يقتضي
افضلية الثاني غير مسلم فعلى مدعيه اثباته بدليل يدل له
وانما قلنا فالاولى الجواب الى آخره ولم نقل بالتعدد لان مجرد
اختلاف الروايات في هذا الامر الجزئي لا يقتضيه على ان ما
وقع في تلك الليلة من فرض الصلاة وغيره ذكر في كل رواية الى
السماء ورواية الى بيت المقدس وهذا صريح في اتحاد الاسرا
وعدم تعدده فتامل ذلك كله فانه مهم واعلم ان هذا
التدلي والدنو المذكور في حديث انس وغيره من احاديث المعراج
غير الدنو والتدلي في اول سورة النجم فان هذا في حق جبريل
كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وصح ايضا انه لم يره في صورته التي
خلق عليها الا في هذه المرة المذكورة في الاية ومرة اخرى
عند اول البعثة كما مر وتلك الرتبة التي وصل اليها صلى
الله عليه وسلم ليلة المعراج في السيادة القعساء اي الثابتة
الدائمة التي لا يطرقها تغير ولا زوال ولما وصل صلى الله عليه
وسلم الى ذلك القرب الذي لم يصل اليه مخلوق فرض الله عليه
وعلى امته في يوم وليلة خمسين صلاة فرجع فمر على موسى
فساله عما فرض عليه وعلى امته فاخبره فامره ان يرجع الى ربه
ويساله التخفيف لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع وسال
فحط عنه خمسا ثم رجع فامره بالرجوع ايضا فرجع فحط عنه
خمسا وهكذا الى ان بقيت خمسا فامره بالرجوع وقال له
ان بني اسرائيل فرض عليهم صلاتان فما قاموا بها فقال استحييت
من ربي وفي رواية علمت انها عزمة من ربي فلا اراجعه فقال
تعالى فهن خمس اي في الفعل وهن خمسون اي في الثواب

لايبدل

لا يبدل القول لدي وحكمة فرضها في هذه الليلة انه صلى الله
عليه وسلم لما شاهد تعبد الملائكة فيها وان منهم مديم القيام
ومديم الركوع ومديم السجود اعطاه الله ذلك لامته في ركعة
يصليها الواحد منهم بشرطها وادابها واختص موسى صلى
الله عليه وسلم بامره بتلك المراجعة لانه اطلع من صفات
هذه الامة على ما حمله على قوله اللهم اجعلهم امتي فقال
له الله تعالى تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني منهم وهو
حديث مشهور فكان اعتناؤه بهم كما يعتني بالقوم من هو
منهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فمررت بموسى ونعم
الصاحب كان لكم وفي رواية كان اشدهم علي حين مررت
به وخيرهم لي حين رجعت فائده اختلف العلماء قديما
وحديثا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم راى ربه في هذا المقام
الذي وصل اليه دون غيره من الخلق بعيني راسه او بعيني قلبه
فقط والذي صح عن ابن عباس رضي الله عنه في رواية انه راه
بعيني بصره وفي اخرى انه راه بقلبه ولا يخالفه لانه صحيح
عنه كما رواه الطبراني باسناد رجاله رجال الصحيح الا واحدا
فوثقه ابن حبان انه راه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب
بمعنى انه تعالى خلق فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد
مجرد العلم لانه حاصل له ولغيره فلا خصوصية ورواية ابن
مردويه عنه لم يره بعينه لم تصح وبتسليمها فالاثبات
مقدم على النفي وجاء عن انس باسناد قوي راى محمد ربه
واطلاق الرؤية انما ينصرف لرؤية العين وكان الحسن البصري
رحمه الله يحلف انه راى ربه وبذلك قال عروة وسائر اصحا

ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري ومعمر واخرون وهو
قول الاشعري وغالب اتباعه وانكرت عايشة رضي الله عنها وابن
مسعود الرؤية قال النووي لكن خالفهما غيرهما من الصحابة
والصحابي اذا خولف لا يكون قوله حجة اتفاقا ولا حجة لها بما في
مسلم عنها ان مسروقا قال لها انكرت الرؤية الم يقل الله ولقد
راه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن هذا قلت يا رسول الله هل رايت ربك قال
لا انما رايت جبريل وذلك لانها سالت عما في الاية فاجابها بانه
لم يره اي في قصة الاية وقد مر انها غير قصة المعراج وان التدلي
والدنو الذي في قصة المعراج غيرهما في الاية ولا حجة لها في
لا تدركه الابصار لان المراد لا تحيط بحقيقته ذاته العلية بدليل
الى ربها ناظرة واذا جازت في الاخرة جازت في الدنيا لتساويهما
بالنسبة للمرائي وسؤال موسى اياها في الدنيا اظهر دليل على
ذلك اذ لا يجوز على نبي ان يسال محالا وانكار المعتزلة فيحجهم
الله لها حتى في الاخرة من بدعهم التي خالفوا فيها الكتاب
والسنة وبما جوازها في الدنيا لم تقع الا لنبينا صلى الله عليه
وسلم وصح في مسلم واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا وفي خبر
مسلم عن ابي ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقال نور اني اراه اي ان النور حال بينه وبين رؤيته
ببصره وكيف يراه مع ذلك وقد مر انه راه مرة ببصره ومرة
بقلبه فسبب هذه حصول ذلك النور لا ينافي وقوع الاولى
وسيل احمد رضي الله عنه عن قول عايشة من زعم ان محمدا راى ربه
فقد اعظم على الله الفرية بم يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله
عليه

٧٥

عليه وسلم رايت ربي وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر واذا تاملت
ما وقع له صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا من الكرامات التي تميز
بها على ساير الخلق علمت انها
رُتَبٌ تسقط الاماني حسرى دونها ما وراهن وراءُ
رتب جليلة تسقط الاماني جمع امنية حسرى جمع حسير
من حسر عينه دونها ظرف لتسقط اي لجلالة هذه الرتبة
وعزتها على الخلق سقطت امانيهم وتخلفت طلباتهم واتالهم
عن نيل هذه الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة
عن التاهل لها ولم لا وهي ما وراهن وراء اي ما قدامهن قدام
يعني انه ليس بعدهن مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم
ثم وافى يحدث الناس شكرا اذ اتته من ربه النعماء
نعم لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر الاسرا مر بعير
لقريش تحمل طعاما يايها جمل عليه غرارتان سودا وبيضا فلما
حاذى العير نفرت منه واستدارت وتردى ذلك البعير فسلم
عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ورايه بعير انكسر وجمعه واحد
منهم ثم وافى مكة قبل الصبح فاصبح يحدث الناس بما راى من تلك
العجايب والكرامات امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث شكرا
اي من جهة الشكر او لاجل قيامه بشكر ربه او حال كونه شاكرا لانعم
اذ اي لاجل وقت اتته من ربه النعماء في تلك الليلة وحينئذ
ارتد ناس كانوا اسلموا فذهب مشركون لابي بكر وذكروا له انه يخبر
انه ذهب الى بيت المقدس وجا في ليلة فقال صدق فانكروا عليه
فقال اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك في خبر السما في غدوة وروحة
فلذلك سمي الصديق رضي الله عنه وكرم وجهه رواه الحاكم في مستدركه

وابن اسحق وزاد ان ابا بكر جاءه فقال يقولون انك الليلة اتيت
بيت المقدس قال نعم قال صفه لي فاني جئته فوصفه لي كما
هو لانه رفع اليه فجعل ينظره ويصفه وابو بكر يصدقه
وقوله له صفه انما هو ليرد به على من يشك في ذلك
ورفعه له حتى ينظره رواه رواة البخاري وكذا مسلم
وزاد انهم سالوه عن اشيا فيه لم يثبتها فكرب كربا ما كرب
مثله قط ورفعه له اما بحمل مثاله ووضعه قريبا منه وعليه
تحمل رواية جي بالمسجد بساله واما بحمل المسجد نفسه
اليه وهذا اظهر لما مر في واشتاقت اليه من نكتة الانجا ونظيره
مجي عرش بلقيس الى سليمان صلى الله على نبينا صلى الله عليه
وسلم في طرفة عين واما بازالة الحجب بينه وبينه وبهذا ظهر
الحكمة في الاسرا الى بيت المقدس ثم العروج منه الى السما لما
تقرر ان فيهم من راى بيت المقدس فوصفه لهم كما هو مع
علمهم بانه لم يذهب اليه قط اوضح ابنه على صدقه في جميع
ما اخبر به من امر السما وبما اخبرهم به انه قال لهم من اية
ما اقول لكم اني مررت بعير لكم في مكان كذا وقد اضلوا بعيرا
لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا ويأتونكم
يوم كذا يقدمهم جمل ادم عليه مسح اسود وغرارتان فلما
كان ذلك اليوم اشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريب
من نصف النهار اقبلت العير كما وصف وفي رواية اخبرهم
بقدومهم يوم الاربعا فيومه كادت شمسه ان
تغرب ولم يقدموا فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا

كما وصف

كما وصف وعطف على وافا قوله **وتكذيب** صلى الله عليه وسلم كفار
مكة وغيرهم بما وقع له ليلة الاسرا وما تقدمه من المعجزات كانشقاق
القمر اي طلب منهم ان يعارضوا ما جاء به شاهدا على نبوته بادعا نظيره
والا كانوا كاذبين مدحوضين **فارتاب** اي شك وخرس **كل حزب**
فانقطع عن المعارضة ولم يسعه الا التسليم فمنهم من اسلم ومنهم
من مات كافرا وجحد وابى واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ويلزم
من انقطاعهم عن معارضته ايضاح امره وانه لم يبق فيه شك ولا
ريب ومن ثم قال منكرا على من بقي عنده من ذلك شك ا يتضح ذلك
الامر **ويبقى** معه ريب لا بل اتضح وما بقي منه شك اصلا يبقى **مع**
السيول حال من قوله **الغثا** وهو بضم المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل
مما يجف من النبات فكما ان هذا الغثا لا يبقى مع السيل بل يذهب به
ويهلكه في اسرع وقت فكذلك ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الايات
البينات والبراهين الواضحات لا يبقى معه لولا الجدل لان الاولى شك
بل يذهب ويضمحل في اسرع وقت فعلم انه استعار السيول لما اتى
به صلى الله عليه وسلم لانها الحياة الجسمية وجعلنا من الما كل شي حي
كما ان ما جاء به الحياة المعنوية والغثا لما يجلوه لانه امر حقير لا بقا
له كما ان الغثا كذلك وفي ارتاب ويريب جناس الاشتقاق وفي الختم
بالجملة الاستفهامية التذييل نحو وهل نجازي الا الكفور **تنبيه**
ما قدرته بعد همزة الاستفهام هو راي الزمخشري ومن تبعه وهو
التحقيق وان كان خلاف ما عليه سيبويه والجمهور فيقدر في
نحو اولم يسيروا في الارض امكثوا ولم يسيروا وفي افلا تعقلون اتجهلون
فلا تعقلون وفي اثم اذا ما وقع اتكفرون ثم اذا ما وقع امنتم
به فالهمزة في الكل في محلها الاصلي والعطف على جملة مقدرة بينها

وبين العاطف محافظة على اقرار حرف العطف على حاله من غير تقدم
ولا تاخير ورد ابي حيان لذلك بانه تقدير ما لا دليل عليه وابن
هشام بان فيه تكلفا وانه غير مطرد فيه نظر بلا اليه حاجة وهي
ان المعنى معه اقوم واوضح مع رعاية قاعدة الهمزة وحرف العطف
ودعوى عدم اطراده ممنوعة لان السياق حيث وجد فيه ذلك
يكون قاضيا بذلك المحذوف **واعلم** ان الهمزة اصل ادوات الاستفهام
ومن ثم اختصت بجواز حذفها نحو هذا ربي في المواضع الثلاثه اي اهذا
ربي وتلك نعمة تمنها علي اي اوتلك وبانها ترد لطلب التصور تارة
والتصديق اخرى وهل تختص بالثاني والبقية بالاول وبانها
تتقدم على العاطف كما هنا تنبيها على اصالتها والبقية تتاخر
عنه وبانها تدخل على الشرط نحو افان مات او قتل وعلى الاثبات
والنفي **وهو يدعو** حال من فاعل تكذيبه اي تكذيب الناس والحال
انه مع انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما امر به من التبليغ والدعا
الى الاله اي المعبود بالحق الذي لا يعبد غيره وهو الله تعالى
ولم ينظر الناظم الى كون الاله اسم جنس في الاصل لكل معبود لان
الائمة اعرضوا عن هذا الاصل واستعملوه في المعبود بحق فقط
فصار علما بالغلبة ولم يزل صلى الله عليه وسلم يجدد دعاوه الى
الله **وان شق عليه كفرهم به** اي الاله او النبي **وازدرآء** اي احتقار
وانتقاص له فهو مدبر لذلك الدعا متحمل لمشقة انكارهم وقبح
كفرهم وازدرايهم له ولما جاء الناس اخرج اهل السير انه
صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم يقول لهم يا ايها
الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين ابائكم ورماه الوليد ابن المغيرة
لعنه الله بالسحر وتبعه قومه على ذلك واذته قريش ورموه
بالشعر

بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على راسه
ويجعل الدم على بابه ووطي عقبة بن ابي معيط على رقبته الشريفة
وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا
شديدا وجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر
دونه قايلا اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وصح ان عقبة ابن
ابي معيط لف بعنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا وهو
بفنا الكعبة فخنقه خنقا شديدا فجا ابو بكر ودفعه عنه وروى
احمد في مسنده اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد
فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله اي من القتل بعمه ابي
طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه واما سايرهم فاخذهم المشركون
فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في الشمس وان بلالا هانت
عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه فاعطوه
الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد
اي ليمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وامر اللعين ابو جهل بسمية
ام عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها واخرج
البيهقي عن عروة ان ابا بكر رضي الله عنه اعتق ممن كان يعذب في
الله سبعة منهم الزنيرة بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة
فعميت فقالوا ما اعماها الا اللات فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد
الله عليها بصرها **و**هو مع ذلك ايضا **يدعو الورى** اي الخلق وكان
الناظم اخذ هذا من الحديث الصحيح وارسلت الى الخلق كافة فاما الانس
والجن فبالاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما مر
واما الملايكة فعلى الاصح عند جمع محققين كما يصرح به هذا الحديث وقوله

يشهد بذلك او العالم ما سوى الله وانما
واستعماله هنا في العقلاء
هو لتغليبهم لفضلهم

تعالى ليكون للعالمين نذيراً وقول الرازي اجمعنا على ان المراد الانس
والجن موول بل مردود واما بقية الجمادات فعلى ما ذهب اليه
بعض المتاخرين ومعنى ارساله للملايكة وهم معصومون انهم كلفوا
بتعظيمه والايمان به وانشاده ذكره وللجمادات انه مركب فيها ادراكا
ليومن به وتخضع له وان من شي الا يسبح بحمده اي حقيقة لا بلسان
الحال فقط خلافاً لمن زعمه علي الله اي علي العلم بذاته واسمايه وصفاته
وافعاله وبما يجب له من اثبات كل صفة كمال وسلب كل صفة نقص
بل وكل ما لم يتصل الى اعلى غايات الكمال وما يجوز له من ايجاد الخلق
واعدامهم وبما يمتنع عليه من المحالات التي لا يتعلق بها القدرة
كما هو مقرر في محله وبالتوحيد اي تطلبه منهم توحيده تعالى
بان يقروا بانه تعالى واحد في ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته
فلا نظير له بوجه وافعاله فلا معين ولا شريك له فيها بوجه وظاهر
المتن ان با التوحيد بالاله كلتيهما بالقلم وبوجه بان العلم بالتوحيد
كما ذكر بينا عنه العلم بما يليق بذات الله تعالى واسمايه وصفاته
وافعاله كما تقرر وهو اي العلم بكل ذلك والدلالة عليه المحجه
اي الطريقة الي رضى الله تعالى التي امر بها وبيّنه عليها البيضا
اي النيرة المضيئة الواضحة التي لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا يخشى
فيها من افة وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم
على الواضحة البيضا ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يزيغ عنها الا
هالك ولما صبر صلى الله عليه وسلم على تبليغهم مع ما حصل له
منهم مما اشار الناظم اليه بقوله وان شق تمليه الي اخره اطاع الله
له اكثرهم حتى صار وامن اكابر اتباعه كما قال فيما هو زايده
رحمة واصلة اليه الله وهي في الاصل ميل وعطف نفساني غايته

التفضل

التفضل والانعام او ارادتهما والمراد هنا هذه الغاية لاستحالة
العطف والميل على الله تعالى وكذا كل صفة وردت في القران او السنة
لله تعالى واستحال عليه معناها يراد بها غايتها اي فبسبب رحمة
الله لهم وعطفه عليهم ببركة ابن رسوله وصبره عليهم كما يشير
لذلك قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الذي اقتبس الناظم منه
هذا ايقظ قلوبهم وازال ما فيها من كبر وغي تخفيف لانت صخرة اي
الحجر العظيم من جانبه وجعل الشارح ذلك صفة للصخرة مع كون
من بيانية بعيد ابايهم اي امتناعهم صماء اي صلبة لا يوثر
فيها معول على خلاف العادة وبه يظهر حسن التقابل بين لانت
وصما وهو من الطباق ويسمى المطابقة والتضاد ايضا وهو ان يجمع
بين معنيين متقابلين في الجملة بتضاد او نفي واثبات او عدم
وملكه ونحو ذلك اي زال امتناعهم عن طاعته فيما يامرهم به فاطاعوه
واتبعوه فعلم انه استعار الصخرة التي في غاية الصلابة لابايهم
منه اولا اذا كانوا على غاية النفرة عنه والبغض والابدال ولليونتها
زوال صلابتها لاتباعهم له وانقيادهم لجميع اوامره ونواهيه اخرا
وبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله وهدايته لهم لا
بحوله صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدي من احببت ولكن
يهدي من يشاء وبعد ان لا نواله ببركة لينه لهم لم يزل لهم تزايد
في استجابت له اي اجابت دعوته وامتثلت اشارته بنصر
وفتح اي مع او بسبب ما اعطاه الله من النصر على الاعدا بكثرة الاتباع
والقا الرعب في القلوب والفتح لبلادهم باخماد شكوتهم واستيصال
شافتهم بعد ذلك اي الضعف الذي كان به صلى الله عليه وسلم
وباتباعه لقلة وتخريبهم قتال الاعدا وتحميتهم منا وانشه

ومعادا انه المقوة بشكوتهم وكثرة عددهم وعدتهم الخضرآء

اي السما سميت بذلك لانها ترى كذلك فقد قال القاسم من ابي

بزة ليست السما مربعة لكنها مقبوة يراها الناس خضرا وبين

التوربي سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة تحت الارض اي خضرا

كما في حديث البزار وغيره منها خضرة السما اي وليست في الحقيقة

كذلك للحديث انهم قالوا يا رسول الله ما هذه السما قال هذا موج

مكفوف عنكم ومن ثم سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن السما من اي

شي فقال انها موج مكفوف ويوافقه قول علي كرم الله وجهه

في خلقه والذي خلق السما من ما ودخان وقال كعب السما اشد

بياضا من اللبن وقال الربيع ابن انس السما الدنيا موج مكفوف

والثانية مرمرة بيضا والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة

فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا وجاء عن سلمان

الفارسي رحمه الله لكن بسند واه السما الدنيا من زمردة خضرا

والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة حمرا والرابعة من درة بيضا

والخامسة من ذهبة حمرا والسادسة من ياقوتة خضرا والسابعة

من نور والغبرآء اي الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها من

طين كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما اراد الله ان يخلق الاشيا

اذ كان عرشه على الما واذ لا ارض ولا سما خلق الريح فسلطها على الما

حتى اضطربت امواجه واثار ركامه فاخرج من الما واذ لا ارض

~~ولا سما خلق الريح فسلطها على الما حتى اضطربت امواجه واثار ركامه~~

~~فاخرج من الما~~ دخانا وطينا وزبدا فامر الدخان فعلا وسما فخلق

منه السموات وخلق الطين الارضين وخلق من الزبد الجبال

وبين الخضرا والغبرا ما مر في لانت وصما لكن هنا فيه التذييح لذكر الالوان

فيه

وعلى الاول فتعبير الناظم باستجابة اهل الارض باعتبار والفتح يتعلق بالبعيد كما صح

فيه ومعنى استجابة السما والارض له صلى الله عليه وسلم استجابة

اهلها ويحتمل انه استعار بالسما للرفيع من الناس والارض للوضيع

اي اجابه الرفيع والوضيع حتى لم يتخلف من اهل مكة وغيرهم احد

عنها اذ لم يبق الا مسلم او مسالم واما تقييد استجابة اهل السما

بها فهو بمعنى انه لم ينزله لنصرته الملايكة الا بعد ردها بعدها وذلك

انما هو بعد قوته والقا رعبه في القلوب والاذن له في الجهاد والفتح

عليه ومن جملة استجابة اهل الارض له بعد ذلك انه الطاعة لامره

وهو القول الدال على الطلب بلفظ افعل ونحوه ولنهيه وحذفه

لفهمه مما ذكره العرب بضم فسكون او بفتحتين كما هنا وهم ولد اسمعيل

صلى الله عليه وسلم العرباء ويقال العاربة وهم الخلص من العرب

ويقال لغير الخلص العرب المستعربة وفي القاموس والعرب

بالضم وبالتحريك خلاف العجم بالضم والتحريك ايضا كما ذكره في

مادته وهم سكان الامصار او عام والاعراب منهم سكان البادية

لا واحد له والجمع اعاريب وعرب عاربة وعربة وعربات وعربا

صرحا ومتعربة ومستعربة دخلا ثم قال ويعرب ابن قحطان

ابو اليمن قيل اول من تكلم بالعربية وفي النهاية الاعراب من العرب

ساكنوا البادية الذين لا يقومون في الامصار ولا يدخلونها الا في

حاجة والعرب اسم لهذا الجيل من الناس اقام بالبادية او المدن

وفي الصحاح ليس الاعراب جمع عرب اي لان الجمع لا يكون اخص

من واحده وانما العرب اسم جنس وذكر ابن قتيبة ان الاعرابي

هو البدوي والعربي المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا والاعجمي

الذي لا يفصح وان كان بدويا والعجمي المنسوب للعجم انتهى وبين

المبرد في كتابه نسب عدنان وقحطان ان جميع العرب يرجع اليهما

وعدنان هو الجد الاعلى للنبي صلى الله عليه وسلم وسائر العرب العربا
وبينه وبين اسماعيل ثمانية اباء وقحطان قال الكلبي هو المهيسع
ابن نبت ابن اسماعيل صلى الله عليه وسلم **والجاهلية الجهلا** هو كالعربا
فيه تجنيس الاشتقاق وشبه التاكيد اللفظي كليل اليل وخصهم بذلك
لان تصميمها على الكفر بالغ من القوة والشدة ما لم يبلغه تصميم غيرها
وتوالت اي تتابعت **للمصطفى** صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله
الاية مفرد محلى بال فيكون في معنى ايات وايضا فالتوالي انما يكون
في متعدد اي العلامات الدالة على نبوته والمدحضة لما تقولوه
وافتروه عليه **الكبرى عليهم** كالقران وانشقاق القمر **و**توالت له
عليهم ايضا **الغارة** على بلادهم واموالهم ونفوسهم وذراريهم
ونقل اسم مصدر لاغار **الشعوا** اي الفاشية المتفرقة المحيطة
بهم من سائر الجوانب التي لم يظفر لهم بنفس او مال الا اهلكته بعد
ان استجاب له اهل السما والارض ودخل الناس في دين الله افواجا
وكثرت اتباعه جدا حتى صار **اذا ما** زائدة **تلى** اي قرا كتابا انزل عليه
من الله وهو القران **تلته** اي تبعته لاجل القراة معه او استماع
قراته الكتائب جمع كتيبة لا سيما **كتيبة** بالفوقية اي جيش
خضرا اي يعلوها سواد السلاح والحديد ومن عكسه سواد
العراق لان الكثرة شجرة وهو من بعيد يرى اسود وهي كتيبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل صلى الله عليه وسلم مكة
وهو فيها على ناقته القصوا بين ابي بكر واسيد بن حضير ولما
راها ابو سفيان راى ما لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح
ملك ابن اخيك ما كان عظيما فقال له العباس ويحك انه ليس بملك
ولكنها نبوة وروى البخاري عن عبد الله بن معقل سمعت رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرا سورة الفتح يرجع
وقال لولا ان يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع **وكفاه** صلى الله عليه
وسلم ربه فضلا منه وكرما النفر الاشقيا الذين زادوا في ايذا به
والمنع عليه **المستهزين** به كما قال تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم
جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون في ايذايه والسخرية
به اي تولى اهلاكهم من كعبته فلانا المونة اذا توليتها له فلم تحوجه
اليها وسع توليته تعالى لهلاك المستهزئين به سلاه فاعلمه بان هذا
ليس خاصا به بل الانبيا قبله كانوا كذلك بقوله عز قايلا فاصبر كما
صبر اولو العزم من الرسل ومن ثم اقتبس الناظم هذا كقوله تعالى ولقد
استهزئ برسل من قبلك الاية قوله **وكم** مرات كثيرة **سا** اي احزن
نبيا بينها الخناس المصحف **من قومه** متعلق بقوله **استهزا**
اي سخريه وايذا فيه اقتباس وتلميح وهو الاشارة الى قصة
او شعر او مثل سابر وذكرنا التلميح هنا مع كثرته في كلامه لانه
هنا اظهر باعتبار ظهور قصة المستهزئين وشدة الاعتنا بها وفيه ايضا
التذييل والمثل السابر في الجملة الاستفهامية **ورماهم** اي اصابهم
بدعوة منه عليهم وصلت اليهم فاهلكهم كما يحصل السهم القاتل الى من
رمى به فيهلكه **من** اي بدعوة كاينة في **فنا البيت** اي حوالي الكعبة
وقيل انه شكاهم لجبريل فقال امرت ان اكفيكهم ثم اشار الى كل مما
اصابه وذلك لا ينافي دعاه عليهم لان دعاه كان سببا لاشارة
جبريل عليه السلام اليهم بالهلاك وتجويز تعلقه من برمي وانها للابتدا
الغاية بعيد لكن فيه دقة تشبيه وبلاغة ولعل الناظم قصد ذلك
لاستقامة الوزن مع كل فا ينارها مع كونها خلاف المتبادر وانما هو
عن قصد ثم وصف الدعوة ايضا بقوله **فيها** اي تلك الدعوة **للظالمين**

متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان سبب هلاكهم ظلمهم
وبغيهم عليه صلى الله عليه وسلم والظلم وضع الشيء في غير محله **فقطع دابر**
اي استيصال لهم حتى لم يبق منهم احد وبين فنا وفنا جناس محرف
بدل من المستهزئين او الظالمين ويصح رفعه اي هم لاختلاف حركة
الفا **خمسة** وخصهم بها ان من المستهزئين ابا لهب وزوجته
وعقبة بن ابي معيط والحكم ابن العاص لانهم اشدهم ولذا عجلت
عقوبتهم **كلهم اصيبوا بداء** عظيم **والردى** اي الهلاك **من**
جملة جنوده المعينة عليه **الادواء** جمع داء وهو المرض وهذا
ساقه مساق الحكم لمناسبته لما قبله فانه كالتعليل له اي انما اصيبوا
بذلك الدا لانهم سعوا في تحصيل اسباب الردى لهم حتى وقعوا
فيه ولم تجد واسته تخلصا وبين دا وادوا جناس ناقص كما مر
ثم فصل ذلك الدا الذي اهلكهم الله به فقال **فدهي** من الداهية
وهي الامر العظيم المهلك **الاسود بن مطلب** بن اسد بن عبد
العزى فهو اسدي **باي عمى** اي عمى عظيم لانه كان طمس بصره طمس
بصيرته حتى لم يبق له تمييز بين الحسن والقبيح وليس العمى الا
عمى البصيرة **به** اي بسببه ذلك العمى **الاحياء** في حكم الاموات
الذين لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل ان المراد ان عماه كان سببا
لموته على خلاف العادة مبالغة في هلاك ذلك اللعين فانه
قتل بما لا يقتل عادة لانه حقت عليه الكلمة فمات فورا من غير
سبب ظاهر لذلك وبما تقرر علم ان ميت عمى مبتدا وما بعده سد
مسد الخبر اي ان من شان هذا العمى انه لو وقع للاحيا صاروا به
في حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة بالكلية مؤكدة لما افاده تنوين عمى
انه عمى بصره وبصيرته ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد هذا المبتدا

له

اي كلمة العذاب

جريا على مذهب الكوفيين فانه قوي ومن ثم تبعهم الاخفش
مع تقدمه وتحقيقه وقال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب
وكانه يريد ان يجمع به بين راي البصريين والكوفيين لكنه
لكنه خلاف ما صرحوا به فيكون رايا ثالثا لا يقال ميت خبر مقدم
لانا نقول خبر القال مبتون لوجوب المطابقة ولا حجة في قولهم
خبير بنو لهب ان خبير خبر مقدم لان فعيلا لا تلزم فيه المطابقة وبين
ميت والاحيا الطباق **وده‍ي** ايضا **الاسود بن عبد يغوث** بن وهب
بن مناف بن زهرة فهو زهري ويغوث في الاصل اسم صنم **ان**
سقاه كاس الردى الموت **استسقا** حصل له في جوفه واستمر
به حتى اهلكه وهو دا تحبث على انواع المراد منها هنا الزقي
وهو امتلا الامعا بالما الفاسد المبطل للحرارة الغريزية المفضية
الى الهلاك عن قرب سقا واستسقا جناس الاشتقاق **واصاب**
الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر وابن مخزوم فهو مخزومي
خدشة سهم اي اثر جرحه باسفل رجله من شخص في يده
نبل وقيل اصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر من ان يهوي ليقلعها
فضربها بالسوط فاصاب رجله فتاكلت ومات منها فلو قطعت
بدر فكان سم ذلك الجرح اسرع الى هلاكه واسرع من سم
الافاعي فلذلك **قصرت عنها** اي عن تلك الخدشة **الحية الرقطا**
اي التي يخالط سوادها نقط بيض وهي اعظم الحيات اذا
ووجه قصورها عنها في الافضا الى القتل ان الحية قد
قد يتفق البرء من لسعتها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت
قاتلة له حتما لانها اثر تلك الدعوة عليه المقبولة ثم رايت
بعضهم قال وانما كان ما اصاب الوليد اعظم لان الحية انما تهلك

بواسطة السهم وهذا بلا واسطة انتهى وما ذكرته اوضح واحسن
كما لا يخفى وقضية شوكة دخلت في اخمص رجل العاص عاب
مهجة العاص ابن وائل بن هشام بن سعد بن سهم فهو سهمي
اي قتلته قتلا عجيبا ومن ثم عقبه بما يفيد التعجب وقال
فلله هذه النقعة من قولهم العاص بمقابيع الموت اي انه تخرز بهم
كما تخرز والخرازة المقبعة الشوكا من قولهم بردة شوكا اي
خشنة الملمس اي ما اعجب هذه القتلة الشديدة التي حصلت
له من تلك الشوكة القليلة التاثير عادة فلله درها
من شوكة لها خرته في اسرع وقت وقضت عاب الحارث مولى الطلاطله
بالموت المفظع القبوح جمع قيح وهو المدة البيضا التي لا يخالطها
دم و الحال انه قد سال بها راسه وسا اي قبح ذلك الراس
الذي هو الوعا لتلك القبوح القاتله لصاحبه وبين سال
وسا الجناس الناقص وفي الختم بسا الوعا التذييل هولا اللاعني
خمسة طهرت بقطعهم اي هلاكهم الارض اي مكة ونواحيها
او مطلقا لان ضررهم يسري الى جميع البلاد وكف الادي
الذي كان يصل للناس لا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم منهم
بهم اي بسبب فقدهم او مع فقدهم شلل اي فاقد الحركة
فعلم انه شبه الاذا بالانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس
لا فائدة ان الاذا لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريده
باي وجه كان ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف
الذي يتناول بها سائر المضار التي يريدها ووصفها بالشلل لبيان
ان الاذا بفقدهم صار معطلا لا حركة فيه ولا تاثير ففيه استعاره
مكنيه يتبعها استعارة تخييلية وذكر الشلل الملايم للمشبه

به

به ترشيح فديت بالبنا للمفعول يقال فداك بفتح اوله فيقصر
وبكسره فيقصر ويمد وهو دعا متضمن للتعظيم فهو من خبر
الانشا اي لو امكن ان احدا يكون فدا احد من الموت لسالت ان يكون
هولا فداهم او المراد اللهم اجعلني فداهم من المؤذيات وقوله ان كان
للكرام فدا الدال على انه لا فدا لهم يدل على المعنى الاول خمسة الصحيفة
الاتي بيانهم بالخمسة الملا عن السابق ذكرهم اي جعلتها ولاحمهم
فدا لكل واحد من اولئك من كل مكروه فالمقابلة هنا ليست من باب
ركب القوم دوابهم ان جزاوها محذوف لدلالة ما قبله عليه كان
للكرام فدا واوليك الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة من
جملة الكرام الذين ينبغي فداوهم عند الحاجات والشدايد لانه
ينبغي الفدا لانهم بذلوا نفوسهم في امر عظيم جدا كما يعلم من ذكر
قصتها وهي ان قريشا لما رات عزة النبي صلى الله عليه وسلم بامره
في سنه خمس من النبوة بضعة عشر من اصحابه منهم عثمان
وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة
واستقرارهم فيها وباسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة ايام ه
ويفشوا الاسلام في القبايل اجمعوا ان يقتلوا النبي صلى الله عليه
وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فاتوا اليه بعمارة ابن الوليد اعز فتى فيهم ليا خذه
بدل ابن اخيه فابى وجمع بني هاشم وبني المطلب فادخلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله واجابوه
لذلك حتى كفارهم حمية على عادة الجاهلية فلما رات قريش ذلك
اجتمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم
وبني المطلب ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيا
ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا لهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك في صحيفة بخط بغيضهم فشلت
يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تاكيدا في حفظها وبقائها وكان
ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنوا هاشم
وبنوا المطلب الى ابي طالب فدخلوا فدخلوا معه في شعبه الا ابا لهب
فكان مع قريش فكان مع قريش لعنه الله فاقاموا على ذلك سنتين
او ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شيء الا سرا حتى ان حكيم ابن حزام
حمل غلامه حابر بر به عمته خديجة رضي الله عنها فلقيه ابو جهل
اللعين فتعلق به واراد ان يفضحه فانتصر له ابو البختري بن هشام
بن الحارث ابن اسد وقال خل سبيله فابى فاخذ له لحي جمل فضربه
به فشجه ووطئه وطئا شديدا فلما مضت تلك المدة قام اولئك
الخمسة في نقض تلك الصحيفة وكان راسهم هشام بن الحارث
لقربه بعمه لامه الذي هو اخو عبد المطلب ومن ثم كان واصلا لبني
هاشم فكان ياتيهم ليلا بالبعير وعليه الطعام الى فم الشعب فيخلع
خطامه ويضربه حتى يدخل ولعمره هشام بعد حتى مشى الى زهير
بن عاتكة بنت عبد المطلب فقال ارضيت ان تاكل الطعام و
تلبس الثياب وتنكح النسا واخوالك حيث علمت وشدد عليه
حتى قال لو وجدت رجلا معي لنقضتها فقال انا معك فقال
ابغنا ثالثا فذهب الى المطعم واستنخاه حتى قال لو وجدت
رجلا قال انا قال ابغنا ثالثا قال قد وجدت زهير بن
ابي امية قال ابغنا رابعا فذهب اليه ابي البختري واستنخاه
ايضا فقال وهل من معين تذكره اولئك قال ابغنا خامسا
فذهب الى ابي زمعة واستنخاه فقال هل من احد تذكر
له القوم فاجتمعوا بالحجون واجمعوا على نقضها فقال لهم

زهير

٨٧

زهير وانا اولكم بتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير
بحلة فطاف سبعا ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انا ناكل
الطعام ونلبس الثياب وبنوا هاشم فيما ترون والله لا اقعد
حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال له ابو جهل
كذبت والله لا تشق فقال زمعة انت والله اكذب ما رضينا
كتابتها حيث كتبت وقال ابو البختري صدق زمعة ما نرضى
ما كتب فيها ولا نقر به وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير
ذلك نبرا الى الله منها ومما كتب فيها فقال ابو جهل هذا امر
قضي بليل لتشاور فيه بغير هذا المكان وابو طالب جالس فقام
المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها الا باسمك
اللهم ولا يعارض ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك
قال لابي طالب يا عم ان ربي سلط الارضة على صحيفة قريش فلم
تدع فيها اسما هو لله الا اثبتته ومحت منها الظلم والقطيعة
والبهتان فقال اربك اخبرك بهذا قال نعم فاخبرهم ابو طالب
بذلك وقال انزلوها فان صدق فانتهوا عن قطيعتنا والا
دفعته اليكم فنظروها فاذا هي كما قال صلى الله عليه وسلم
فازدادوا شرا الا انه لا مانع انهم لما نظروا ذلك وازدادوا
شرا قام اولئك الخمسة في اذهابها من اصلها فسعوا وبذلوا جهدهم
ثم قال الشارح ويحتمل ان ابا طالب انما اخبر بعد سعيهم في نقضها
انتهى ويبعده ان الاخبار بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى فالاولى
بل المتعين ما قدمته اذا تقرر ذلك علم انهم فتية اي كرام جمع فتى
وهو السخي الكريم وفيه تصريح بما اومى اليه من وصفهم بمكارم الاخلاق
بيتوا اي دبروا واستتروا بالحجون ليلا على فعل خير هو نقضها

والمخاطرة ونحو بالنفوس لشدة قريش في بقايها مع كثرتهم وعتوهم
حد الصبح اي الفجر والصباح وهو من الفجر الى الزوال ويدل على
هذا مقابلته بالمسا الذي هو من الزوال الى الغروب **امره** اي
شانه وغايته **والمسا** واسناد الجهد لهذين الزمانين مجاز دال
على شدة المبالغة في وقوع الجهد وطلبه على فعل ذلك الخبر
لان الزمان اذا احد على ذلك فمباشر الفعل اولى واحق بذلك
وبين الصبح والمسا الطباق كالشدة والرخا والنقض والابرام
فيما ياتي وجعل الشارح غير الاخيرتين من المقابلة وهما من الطباق
لاتاتي على تفسيرهم الطباق بانه الجمع بين معنيين متقابلين
في الجملة كما مر مبسوطا **بالامر** بفتح اللام هو نقضها ونادا على
عما طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة في تعظيمه
ولذا كان ذلك مفيد التعجب من وقوعه لقولهم بالدواهي
اذا تعجبوا من كثرتها **اتاه بعد هشام** بن الحارث بن حبيب بن
خزيمة بن مالك بن حنبل بن عامر بن لوي فهو عامري وقدمه
لما مر انه اول الخمسة والسبب في اجتماعهم **زمعة** بن الاسود
بن المطلب بن اسد **انه** بالكسر استيناف فيه معنى التعليل لكونه
اول من كذب ابا جهل ورد عن هشام كما مر **الفتى** اي الكريم في
قومه **الاتا** صيغة مبالغة من ابي نفيه مع اتاه جناس الاشتقاق
كما في قديم وقدا **وزهير** بن ابي اميه بن المغيرة وامه عاتكه
بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم **والمطعم بن عدي
وابو البختري** واتي هؤلا الخمسة النقض لا عن غير اتفاق ومواطاة
بل انما اتوه اتيانا كاينا **من حيث** ظرف مكان حقيقة او مجازا وجوز
الاخفش كونها ظرف زمان وتجوز فتحه وجره وحاث وحوث

واعرابها

الخبر لان الزمان اذا احد على ذلك فمباشر الفعل اولى واحق
بذلك وبين الصباح والمسا الطباق كالشدة والرخا والنقض
والابرام فيما ياتي وجعل الشارح غير الاخيرتين من المقابلة
وهما من الطباق لاتاتي على تفسيرهم الطباق بانه الجمع بين
معنيين متقابلين في الجملة كما مر مبسوطا **بالامر** بفتح اللام
هو نقضها ونادا على طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة
العاقل مبالغة في تعظيمه ولذا كان مفيد التعجب كقولهم بالدواهي
اذا تعجبوا من كثرتها **اتاه بعد هشام** ابن الحارث ابن حبيب
ابن خزيمة ابن مالك ابن حنبل ابن عامر ابن لوي فهو عامري
وقدمه لما انه اول الخمسة والسبب في اجتماعهم **زمعة** ابن الاسود
ابن المطلب ابن اسد **ان** بالكسر استيناف فيه معنى التعليل
لكونه اول من كذب ابا جهل ورد عن هشام كما مر **الفتى** اي
الكريم في قومه **الاتا** صيغة مبالغة من ابي نفيه مع اتاه جناس
الاشتقاق كما في قديم وقدا **وزهير** ابن ابي اميه ابن المغيرة
وامه عاتكه بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمطعم ابن عدي وابو البختري واتى هؤلا الخمسة النقض
لا عن غير اتفاق ومواطاة بل انما اتوه اتيانا كاينا **من حيث** ظرف
مكان حقيقة او مجازا وجوز الاخفش كونها ظرف زمان وتجوز فتحه
وجره وحاث وحوث واعرابها لغة قليلة وتلزم الاضافة لجملة
وندرت لمفرد خلافا للكسائي وعدم اضافتها الى الجملة اندر فتعوض
ما وتقترن بها نادر بل انكره ابو حيان والغالب انها في محل نصب على

الظرف فيه او خصص بمدة ولا ينبغ اسم ان ولا مفعولا به على خلاف
فيها وزعم الفارسي انها في الله اعلم حيث يجعل رسالاته
مفعولا به اذ المعنى انه سبحانه وتعالى يعلم نفس الزمان
المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيئا في المكان وناصبها يعلم
المدلول عليه باعلم لا هو لان الذي قصدوا التدبير امرهم
وليتشاوروا عليه افعل التفضيل لا ينصب المفعول به الا ان
اول بعالم شاوا مت اي من المكان الذي قصدوه لتدبير
امرهم وليتشاوروا عليه فلذلك وقع فعلهم الموقع الذي
قصدوه لتخويف لعدوهم وتنجيح الانتاج الذي دبروه نقضوا
بدل من فعل خبر من نقض العهد اي ابطاله مبرم اي محكم
واصله كالبريم الحبل الذي جمع من مفتولين ففتل حبلا واحدا
الصحيفة التي تواطأ قريش على ابطالها على الدوام
الا ان يسلم بنو هاشم والمطلب رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ اي وقت او لاجل ان شدت اي ضمنت عليه اي على
ذلك الامر المبرم وهو عدم نقض تلك الصحيفة من العدا
بيان لقوله الاندا جمع ناد وهو العشيرة ومنه فليدع ناديه
واصله المكان الذي يجلس فيه للتحدث والسمر سمي من فيه باسمه
اي نقضوا هذا الامر المبرم الذي قواه عشايرهم وضموا عليه اذكرتنا
بعد سيانا جملة استينافية لبيان ان لاكل الارضة الصحيفة نظيرا
هو اكلها لعصاة سليمان باكلها تلك الصحيفة والضمير للارضة
الاتية التي هي الفاعل فعاد على متقدم رتبة وهو تابع اكل
مفعول

مفعول اذكر الثاني منساه اي عصاه سليمان بن داود
صلى الله عليه وسلم لما مات وهو متكي عليها فمكث كذلك سنة
والجن يعتقدون حياته فيدابون فيما سخرهم فيه من الاعمال
الشاقة وما علموا بموته الا باكل الارضة لمنساته فخر ساقطا
فعلموا حينيذ انهم سنة مستمرين في العمل وانهم كاذبون في
ادعايهم علم الغيب ولذا قال تعالى فلما قضينا عليه الموت
ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت
الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين الارضة
يعني الدابة قد تسكن كاهنا وهي دويبة تاكل حتى الخشب اكلاه
وربما الخرسا فيه تعجب من شانها اذ ليس من شان الاخرس
التذكير واثبات الخرس لها مجاز اذ حقيقته فقد النطق عمن
شانه النطق وبها اي وباكلها للصحيفة اخبر النبي صلى الله
عليه وسلم عمه اباطالب وهو اخبر قريشا كالامر مسوطا وكم
مرات كثيرة احج صلى الله عليه وسلم اي اظهر خبا اي شيا
مخبيا له الغيوب خبا اي ساترة وبين خبا وخبا الجناس
المحرف وحكم الخ التذييل تنبيهان احدهما يجب
على كل احد ان يعتقد ان الله تعالى هو مختص بعلم الغيب وانما ستنا
يطلع رسله واوليايه عليه اما بوحي من الله تعالى او الهام والا
في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الخ متصل كما هو الاصل
وذكر الرسول لا للاختصاص بل لان كرامة اولياه اتباعه من جملة
كراماته ومعجزاته وفي الحديث اني لا اعلم الا ما علمني ربي

تاسعها في بيان ما اشار اليه الناظم من كثرة ما اخبر به
صلى الله عليه وسلم من المغيبات وحاصل شيء من ذلك ان ما يدل
على كثرة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب من القرآن
منها بما لا يحيط به حد وخبر الطبراني ان الله قد رفع لي الدنيا
وانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كانما انظر
في كفي هذا وخبر ابي داود فقام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقاما فما ترك شيئا الى قيام الساعة الا حدثنا به وفي الحديث
الصحيح فعلمت علم الاولين والآخرين وصح انه صلى الله عليه وسلم
اخبر بموت النجاشي يوم موته بالحبشة وصلى عليه باصحابه
وانه وابا بكر وعمر وعثمان صعد واحدا فتحرك فضربه برجله
وقال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فاستشهدا
وان ملك كسرى وقيصر سينقطع بعده من العراق والشام وكان
كذلك في زمن عمر وانه قال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري
كسرى فالبسهما عمر له لما زال ملك كسرى في زمنه تحقيقا لذلك
واخبر عمه العباس ببدر بما تركه بمكة من المال عند زوجته ولم
يطلع عليه احد غيرها واخبر بكتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع
ناقته حين ضلت وتعلقت بخطامها الشجرة وبان قريشا بعد
الاحزاب لا تغزونه وباستشهاد امراء الجيش الذي ارسله بموتة
بلد بارض الشام ويوم قتلهم زيد بن حارثة ثم جعفر ابن ابي طالب
ثم عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنهم وبان بنته فاطمة رضي
الله عنها اول اهله لحوقا به فماتت بعده بثمانية اشهر او ستة وبان
اشقى

وبان اشقى الاولين والآخرين قاتل علي كرم الله وجهه بضربة
في يافوخه فتبتل من دمها لحيته فضربه الشقي ابن ملجم ضربة
كذلك ومات منها وبان معاوية رضي الله عنه يلي امر الامة وبانه
لم يغلب رواهما ابن عساكر ومن ثم قال علي كرم الله وجهه يوم صفين
لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلته وبان عثمان يقتل ظلما وروايته يقتل
وانت تقرأ البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله موضوعة
وبوقعة الحرة منه على عسكر يزيد عامله الله تعالى بعدله بالمدينة
فابيحت نفوس اهلها وانفاعهم واموالهم وقتل سبعمائة يحفظون
القرآن منهم ثلثمائة صحابي وافتض فيها الف عذراء وبوقعة الجمل
وصفين وقتال عائشة وطلحة والزبير لعلي رضي الله تعالى عنهم ولذ لك
قال علي للزبير رضي الله تعالى عنهما لما برز له يومئذ انشدك الله
هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وانت له
ظالم فانصرف الزبير فقال لا ولكن نسيت وقد يستشكل الوصف
بالظلم مع ان الزبير مجتهد فغايته انه مخطئ وهو له اجر بنص الحديث
الصحيح ويجاب بان اصل الظلم وضع الشيء في غير محله وان لم يكن له اثم
والمراد وانت قد وضعت القتال في غير محله خطأ منك لا تعمدا او
فانت له ظالم حقيقة لو نظرت في الدليل حق النظر بقرينة ما تقرر
ان المجتهد المخطئ له اجر وبقوله في الحسن كرم الله تعالى وجهه ان ابني
هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وكان كذلك
فانه بويع بعد ابيه فمكث خليفة ستة اشهر ثم سار لمعاوية بالرجيح
العافلي فلما تراءى الجمعان علم كثرة الفريقين وانه لا يغلب احدهما حتى

تقتل الفرقة الاخرى فرقة على المسلمين ورحمهم ووقف الملك في جنب
ذلك ابتغا لوجه الله تعالى كا جامعة كرم الله وجهه ثم ارسل لمعاوية
يشترط عليه شروطا وينزل له عن الخلافة فارسل له فارسل له
قرطاسا ابيض وقال له اشترط ما شئت فاشترط ونزل له عن الملك
فصار معاوية بن ابو سفيان خليفة حقيقة وبقتل الحسين كرم الله وجهه
بالطف واخرج بيك تربته وقال فيها مضجعه وصح خبر استاذن
ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الملك
الحسين قال نعم قال له ان امتك ستقتله فاذن له وكان في يوم ام سلمة
في الحسين فافتحه فقبله صلى الله عليه وسلم فقال له الملك الحبه قال
له نعم قال ان امتك ستقتله فان شئت اريتك المكان الذي يقتل فيه
فاراه محا سهلة بالكسر رمل خشن او تراب احمر فاخذته ام سلمة
فجعلته في ثوبها قال الراوي كنا نقول انها كربلا وفي رواية انه
قال لها اذا صار دما فاعلمي انه قد قتل واخبر ابن عمر انه سيعمي فلما
رابى جبريل معه في صورة رجل واخبر ام عبد الله ابن عباس
رضي الله تعالى عنهم بانها ستلد وبانه ابو الخلفا وبان منهم السفاح
والمهدي واخبر بان الترك ستغلب على العرب حتى تلحقها بمنابت
الشيح والقيصوم واخبر بما في المدينة المنورة وبقوله يوشك الناس
ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة قال ابن
عيينة وغيره هو مالك ابن انس ومن ثم كان الناس يزدحمون على بابه
لاخذ العلم عنه حتى يقتتلون وممن روى عنه من الاكابر الزهري
والسفيانان والشافعي والاوزاعي امام اهل الشام والليث امام اهل
مصر

الناس يزدحمون على بابه لاخذ العلم حتى يقتتلون وممن روى عنه
من الاكابر الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي امام اهل
الشام والليث امام اهل مصر وابو حنيفة وصاحباه ابو يوسف
ومحمد وذو النون المصري والفضيل وابن المبارك وابن ادهم وبعالم
قريش رحمهم الله وانه يملا طباق الارض علما قال احمد وغيره نراه
الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض لقريشي صحابي او غيره ما
انتشر للشافعي اي والذي انتشر لعلي وابن عباس ونحوهما
مسايل قليلة جدا انما يعلم ذلك من سبر كلامهم واطلع عليه
وزعم الصغاني ان الحديث موضوع نهو زمنه وانما فيه نوع
ضعف ذكروا له شواهد تجبره وقد جمع الحافظ العسقلاني
طرقه في كتاب مستقل واخبر بالخوارج الذين خرجوا على كرم
الله وجهه وان فيهم رجلا اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة
فقاتلهم علي واخرج ذلك الرجل حتى راه الناس بالوصف الذي
وصفه صلى الله عليه وسلم واخبر بالرافضة وانهم يرفضون
الاسلام وبالقدرية والمرجية وبان امته ستفترق على
ثلاثة وسبعين فرقة وبانها كلها في النار الا الفرقة التي على
ما كان عليه هو واصحابه وهم الطايفة الذين اخبر عنهم بانهم
لا يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم الى قيام الساعة او قربه
بقليل وبامارات الساعة الكثيرة جدا فوقع كثير منها وينتظر
وقوع الباقي ومما وقع منها النار التي قال عنها صلى الله عليه
وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز
تضي لها اعناق الابل ببصرى فخرجت نار عظيمة على نحو مرحلة
من المدينة المشرفة وتقدمتها زلزلة عظيمة بعد عشا الاربعا

ثالث جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة ولم تزل تشتد
وتغلي كغليان البحر الى ان ارتجت منها الارض ومن عليها حتى
ايقن اهل المدينة بالهلاك وكثرت الزلازل حتى وقع منها في
يوم واحد ثمانية عشر زلزلة لكن ببركته صلى الله عليه وسلم
كان يغشى المدينة نسيم بارد ورؤيت من شدة وجبال بصرى
وانطفئت ليلة الاسرا سابع عشرين رجب وقد اوسع المؤرخون
في اخبارها بأطول استقصاء وإذا تأملت ما اطلعه الله تعالى
عليه من الغيوب لاسيما ما يتعلق بأمر الصحيفة علمت ان ذلك
من تمام عناية ربه تعالى به وانه لا يضيمه قط ومن ثم عقب
الناظم ذلك بقوله **لا تخل** بفتح الفوقية والمعجمة من خلت الشيء
خيلا ومخيلة ظننته **جانب** هو في الاصل شق الانسان واريد
به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل فالاضافة بيانية **النبي مضاما**
اي مضيما **حين** وفي نسخة حيث والاول اظهر اذ هو ظرف
لضاما **مسته** صلى الله عليه وسلم **منهم** متعلق بقوله
الاسواء اي الاذايات الكثيرة حال كونها صادرة منهم
كضربه وخنقه واغرا سفهائهم به فرموه حتى سال الدم
على نعلته وكشج وجهه وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو حمله
جبل لم يحمله بل جانبه مع ذلك لم يزل يترقى في مراتب
النصر والفتح الى ان بلغ غاية العزة والجلالة وجنابهم لم
يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل الى حضيض الذل والهوان
قال تعالى اذا جا نصر الله الايات ليظهره على الدين كله
والله يعصمك من الناس ثم ما اصابه صلى الله عليه وسلم من اذاياتهم
له فيه اسوة بالانبيا قبله اذ اصابهم من اذايات اممهم مثل

قدمي صح

ذلك

٨٨

ذلك واكثر منه لكن **كل امر من** الامور العظيمة **نابَ** اي اصاب
النبيين **فالشدة فيه** التي تحصل لهم منه **محمودة** لانها
ترفع درجاتهم العلية **والرخاء** اي السعة فيه محمودة ايضا
لانه تكثر اتباعهم وتقهر اعداهم ومما يبين لك ذلك ويوضحه
ان من المقرر في العقول انه **لو يمس النضار** اي الذهب
هون بالضم اي هوان **من ادخاله الى النار** لاختبار خلوصه
من الغش والنقص **لم اختير للنضار القلاء** اي العرض على النار
لعزته على النفوس وشحها به من ادنى نقص يصيبه فالانبيا
كالذهب والشدايد التي تنوبهم كاصابة النار للذهب فكما ان
النار لا تزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدايد لا تزيد الانبيا
الا رفعة وفي لا تخل الى هنا الكلام الجامع البالغ من الحكم البلاغة
ما لا يخفى عظيم وقعه ولما ذكر ما يناسب قوله لا تخل جانب النبي
مضاما برهن عليه بقوله **كم يد** اي جارحة **عن نبيه كفاه الله**
اي منعها وخذلها فلم تحصل اليه بشيء فقصد تمكنه صلى الله عليه وسلم
به **و**الحال انه قد وجد **في الخلق** اي المخلوقين الذين هم
اعداؤه المريدون لاهلاكه **كثرة واجتراء** اي شجاعة وتهور
واقدام على فعل ما خطر بالنفس من غير نظر في عاقبته **اذ** ظرف لكف
اي وقت ان **دعا** اي طلب حال كونه **وحده العباد** اي عبادة
الله وترك ما هم عليه من الجهالات والاباطيل والضلالات
وان امسنت اي حصلت اذا مسى يستعمل كثيرا في ذلك **منه**
في كل الازمنة **في كل مقلة** منهم وهي شحمة العين التي تجمع السواد
والبياض **اقذاء** جمع قذى وهو ما يسقط في العين مما يولمها
ويكدرها وذلك لانه صلى الله عليه وسلم في ابتدا امره مع وحدته

القلاء صح

وقلة عدده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله وحده
ويبادي عليهم في انديتهم بتسفيه احلامهم وسب آلهتهم
ورميها بكل عيب وسوء فيبالغون حتى اقرب اقاربه كعمه
ابي لهب في اذايته والتجري عليه لكثرتهم ووحدته وهو
مع ذلك محروس بحراسة الله مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه
متماد على ما هو فيه غير ملتفت لاذاهم بل صابرا عليه الصبر الجميل
وامره لا يزداد الا ظهورا وعلوا واصحابه واعوانه يكثرون له
ويتقوون على اعدائهم شيئا فشيئا الى ان مكنه الله من نواصي
اعدائه فاذاق من بقي منهم على كفره الهوان واحل من خضع
منهم لعزته ما من البقاء والامان ومما ينبيك بعظيم اذاتهم
له ونصره عليهم ما ذكره اهل السير ان عمرو بن العاص قال
للزبير ما اكثر ما رايت قريشا اصابوا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر له ان اشرافهم اجتمعوا في الحجر فذكروا ما يفعله
بهم من سبهم وسب آلهتهم فطلع عليهم صلى الله عليه وسلم
فاستلم الركن وطاف فلما مر بهم انتقصوه فساءه ذلك
ثم مر بهم فاساوه ثم مر بهم فاساوه فوقف ثم قال اتسمعون
يا معشر قريش اما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح فاخذتهم
كلمته وارتعدت منها فرايصهم فالانوا له القول وقالوا
انصرف يا ابا القاسم فوالله ما كنت جهولا فاجتمعوا له في
الغد في الحجر وفعلوا معه مثل ما ذكر ثم وثبوا اليه وثبة
رجل واحد يلوذونه بسبب آلهتهم فاخذ بعضهم بمجمع
ردائه فقام اليه ابو بكر وحال بينهم وبينه كما مر **تنبيه**
قرينة سياق النظم مصرحة بان الغذب في العين مستعار لما

حصل

حصل لهم في عيونهم بحاجزهم من ادلاله صلى الله عليه وسلم لهم
بما مر آنفا واما قول بعضهم يحتمل انه يريد بالغذب ما على
اعينهم من الغشاوة المانعة من النظر في امره الحاجبة لهم
عن اتباعه او يريد ما على قلوبهم من الران والصد الحاجب
عن الايمان فيكون عبر بالمقلة عن العين البصيرة عما يعلوها من
الران والصد انتهى فهو غفلة عن سياق المتن او عدم تامل
له بالكلية لانه انما حكم بانه صلى الله عليه وسلم اسكن الغذب
لكل مقلة منهم وحينئذ فلا يصح تفسير الغذب به لبس بما ذكره
وانما يصح تفسيره بما ذكرته فتامل والدليل على تلك الحراسة
الباهرة انه **هم قوم** يدخل فيهم النساء تبعا **بقتله** بالسيف
فابى السيف اي امتنع من الوصول اليه والتاثير فيه **وفا**
اي لاجل وفائه بما اخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع
غير ما مرة فقد جا انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار
له اصحابه شجرة يظل فبينما هو تحتها اذ جاءه اعرابي فاخترط
سيفه ثم قال له من يمنعك مني قال الله عز وجل فرعدت
يده وسقط السيف وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه
كما رويه وصح ان غورث بن الحارث اخترط سيفه صلى الله عليه
وسلم وهو نايم فاستيقظ فوجده في يده صلتا فقال من يمنعك
مني قال الله فسقط من يده فاخذه صلى الله عليه وسلم وقال
من يمنعك مني قال كن خير آخذ فعفا عنه فرجع الى قومه
وقال جئتكم من عند خير الناس وروي انه صلى الله عليه وسلم
وقع له نظير ذلك في غزوة بدر مع منافق تبعه لما خرج لقضا

حاجته ووقع نظير ذلك مع رجل سيد لقومه شجاعة وغيرها
اعزوه على قتله فجاءه ثم رجع اليهم مسلما فانكروا عليه فقال
نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري
وسقط السيف من يدي فعلمت انه ملك واسلمت **وفاتت**
اي رجعت على راسيها او بعقبه وبين وفا الجناس اللاحق **الحصوا**
السيف حتى بدي فعلمت انه ملك واسلمت اي رجعت الحجارة
عن اصابته بل جمدت في يد راسيها الذي هم ايضا بقتله **و**
هو **ابو جهل** بن هشام بن المغيرة المخزومي وكان من اشد
الاعدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك انه اجتمع هو
وقريش يوما فجاءهم صلى الله عليه وسلم وبالغ في انذارهم وتسفيه
احلامهم وسب الهتهم فاظهروا له شدة الاباء والتعنت
فانحرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم ابو جهل اللعين يا معشر
قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون واني اعاهد الله لاجلسن له
غدا بحجر ما يطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به راسه
فاسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع بي بنو عبد مناف
ما بدا لهم فقالوا والله ما نسلمك لشيء ابدا فلما اصبح اخذ حجرا
كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم كعادته وقريش ينظرون
احتمل اللعين الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما
منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على الحجر حتى قذفه
فقاموا اليه فقالوا ما لك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل
ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من
الابل لا والله ما رايت مثل هامته ولا مثل صورته وانيابه
لفحل قط فهم بي ان ياكلني ذكر انه صلى الله عليه وسلم قال

ذلك

ذلك جبريل لو دنى مني لاخذه **اذ** ظرف لهم المقدر قبل ابو جهل
لانه معطوف على قوم يقتله اي وهم ايضا ابو جهل بقتله بالحجر
الذي حمله وقت ان **راى عنق** بسكون النون وضمها **الفحل**
وقد برز **اليه كانه العنقا** اي الداهية العظيمة او الطائر
العظيم المعروف وبين عنق وعنقا جناس الاشتقاق او شبهه
وما ذكر من ان ابو جهل معطوف على قوم وان اذ ظرف لهم هو ما جزم
به الشارح وهو بعيد لانه يلزم عليه ان وقت روية الفحل
هم بقتله وذلك غير واقع بل حصل له حينئذ من الهيبة
والخوف والذلة ما اذهله والحق انه معطوف على الحصوا
اي رجعت الحصوا عن الوصول اليه ورجع ابو جهل عن الرمي
بها وقت روية الفحل فاذ حينئذ ظرف لفاتت مع فاعلها
وما عطف عليه **واقتضاه** معطوف على هم قال الشارح وكانه
على نزع الخافض اي اقتضى منه وظاهر قول القاموس واستقضى
فلانا طلب اليه ان يقضيه وتقاضاه الدين قبضه انه متعد اي
بنفسه اي طلب **النبي** صلى الله عليه وسلم من ابي جهل اذ بولد
دين كهله بن عصام بن كهله من اراش بن الغوث بن اعمرو بن
الغوث **الاراشي** بكسر الهمزة لكونه لما قدم مكة بابل له
ليبيعها اشتراها منه ابو جهل ثم مطله باثمانها فوقف
الاراشي على نادي قريش فقال من رجل يخلصني من ابي الحكم
فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا لا يخلصك
منه الا ذلك الرجل اي محمد صلى الله عليه وسلم قالوا له ذلك
استهزاء به فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا عبد الله
ان ابا الحكم قد غلبني على حقي وقد سالت اولئك القوم فاشا روا

اليك تخلصني منه يرحمك الله فقام معه ليخلصه منه كيف وقد سام
ذكر مع ان الكلام ليس الا الشرا لانه لا نظر له فهو من مراعاة النظير بجو
اي وشراؤه مع هذا الرجل وغيره ولما ذهب اليه امروا والشرا
واحدا منهم ان يتبعه لينظر ماذا يصنع فضرب صلى الله عليه
وسلم بابه عليه فقال من ذا قال محمد فاخرج اليّ فخرج اليه وقد
انتقع لونه فقال اعط هذا الرجل حقه قال نعم لا تبرح حتى ياخذه
فدخل فاخرجه اليه فجا الى اوليك واخبرهم بما وقع فجا ابو جهل
فقالوا له ويلك والله ما راينا مثل هذا الذي صنعت قط قال
ويحكم والله ما هو الا انه ضرب على بابي فسمعت صوته فمليت
رعبا ثم خرجت اليه وان فوق راسي لفحلا من الابل ما رايت مثل
هامته ولا قصرته ولا انيابه لفحل قط والله لو ابيت لاكلني
ومن ثم راى ابو جهل المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد اتاه
بما اي فحلا ابل لم ينج بفتح ثم ضم وبضم ثم كسر مع تخفيف
الجيم ويجوز لا هنا لاجل الوزن تشديدها من نجى ينجو وانجى ينجي
فهو ناج ومنج منه دون الوفا لذلك الدين الذي للاراشي النجاء
بوزن الضراب مبالغة في ناج فالوفا مقصور ويجوز تخفيفا
الجيم مصدرا فالوفا ممدود وفي القاموس نجا نجوا ونجاء ونجاة
ونجاية خلص كنجى واستنجى وانجاه الله ونجاه وعلى هذا الوفا
مقصور وعلى كل هو فاعل ينج ونظيره في المصدر قول الحاجري
مالا الوجد فوادي وبرح التبريح اي ذلك الفحل لا ينجي ولا ينجو
منه النجا بالمبالغة اي من تكررت نجاته من الامور الصعبة
الا ان وفي ذلك الدين ادلا ينجو منه النجا بالتخفيف اي النجاء
الابعد ذلك الوفا هو اي الفحل المرئي في هذه الواقعة ما اي

الفحل

الفحل الذي قد راه من قبل اي في الواقعة السابعة في قوله
وقاتت الضعفوا الخ لكن لا استغراب في ذلك لان هذا اللعين
ما عاين مثله في العتو والتهور السالبين لادراكه والموجبين
لهلاكه وهو ابلغ من عليه لانه اثبات الحكم عليه ببينة
على حد مثلك لا يبخل يعد الخطا لان خطاه لا يحصر فلا يعد
ومد الخطا لغة شهيرة تنبيه قد يسال عن الحكمة في كون
ابي جهل منع في هاتين الواقعتين من ان ينال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسوء مطلقا اشد المنع ولم يمنع من القى السلا
الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو يصلي قلت لعل سر
ذلك امهاله حتى يشتد دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه وفي امثاله ممن كانوا اشد الناس عليه صلى الله عليه وسلم
فيظهر عزه صلى الله عليه وسلم ونصره عليهم للناس باهلاكهم
بدعوته والقايهم في القليب على اخس حالة واقبحها ولو منع اللعين
من ذلك لم يحصل هذه الكرامات فكان تمكينه من ذلك الفعل
هو عين اهلاكه واهلاك نظرايه وتختصر تلك القصة انه صلى
الله عليه وسلم كان في النهار يصلي عند الكعبة وجمع من
قريش في مجالسهم اذ قال قايل منهم الا تنظرون الى هذا المرايي
ايكم يقوم الى جزور ال فلان فيعمد الى دمها وفرثها وسلاها
فيجي به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم
فلما سجد وضعه بين كتفيه وثبت صلى الله ساجدا اي لانه لم يعلم به
لم يعلم بخصوص ما وضع او انه لم ينتقل انه اعاد لاحتمال انه كان في
نافلة بل هو الواقع لان هذه الواقعة قبل فرض الخمس ولم يكن
فرض من الصلاة يومئذ الا ما في سورة المزمل وهو صلاة الليل

فلما راوا ذلك ضحكوا حتى مال بعضهم على بعض فانطلق منطلق الى
فاطمة وهي جويرية رضي الله عنها فاقبلت تسعى وثبت النبي صلى
الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واقبلت عليهم تسبهم
فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش
ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو ابو جهل وقدمه
لانه اشقاهم واشدهم اذية له صلى الله عليه وسلم وعتبة
ابن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد ابن عقبة وامية ابن
خلف وعقبة ابن ابي معيط وعمارة ابن الوليد قال عبد الله
فوالله لقد رايتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب
قليب بدر ثم قال صلى الله عليه وسلم واتبع اصحاب القليب
لعنة وظاهر السياق انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عقب
هذا الدعا فيكون من تمامه وفيه علم من اعلام نبوته ويحتمل انه بعد
انه انما قال ذلك عند القايهم في القليب وقول عبد الله بن مسعود
رايتهم صرعى بالقليب مراده اكثرهم فان عمارة انما مات
بارض الحبشة لكن على اثر قتله فانه تعرض لزوجة النجاشي فامر
ساحرا فنفخ في احليله من سحره عقوبة له فتوحش وصار مع
البهايم الى ان مات في خلافة عمر وايضا عقبة ابن ابي معيط
انما قتل صبرا بالصفرا بعد بدر والقى وامية بن خلف وان قتل
ببدر لم يطرح في القليب **واعدت** عطفه عليهم اي هيات
ام جميل بنت حرب ابن امية **حمالة الحطب** لقبت به لانها كانت
تحمل الشوك وتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارضا لزوجها لعنهما الله **الفهر** اي الحجر الذي على الكف لما انزل
الله فيها وفي زوجها تبت يدا ابي لهب السورة **والحال** انها قد

جات

٩٨

جات اليه وهو في المسجد وابو بكر عنده وبذلك الحجر لترميه به وهي
في غاية السرعة والعجلة **كانها الحامة الورقاء** اي الشديدة
الاسراع اي حال كونها شبيهة بها في ذلك فهي حال منه احلة
بيوم ظرفه لاعدت **جات** في حال كونها **غضبى** من شدة ما سمعته
من ذمها في تلك السورة وفي نسخة غيظا فهو تمييز والغضب
ناركامنه في طي الفواد تاججها طرو السبب المحرك لها بان لم يقدر
على ايقاد شرره في المغضوب عليه سمي غيظا كذا قيل وفي القاموس
الغيظ الغضب او اشده او سورته واوله وحال كونها **تقول**
اي مثلي وانا بنت سيد بني مخزوم متعلق بقالة **من احمد** حال
من الهجا **يقال الهجاء** اي السب والذم ونسبة القول اليه اما
حقيقة وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون الها غير الهتهم ثم انهم
نعم فيهم فرقة يعتقدون الاله وان اصنامهم تقربهم اليه فان
كانت من هولاء ثم تعليلية اي يقول الهجو ذلك لاجله **وتولت**
عطفه على اعدت **و** الحال انها **ما راته** وكيف تراه وهو في ظهوره
للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وهي عمي تلك
المراة في غاية من عمى البصيرة وفساد السيرة **ومن اين تري الشمس**
مقلة اي عين **عميا** ولما راها ابو بكر قال يا رسول الله انها امرة
بذية اللسان فلو قمت قال انها لن تراني فجات لم تره فقالت يا ابا
بكر ابن صاحبك كيف تهجوني فلو قمت قال انها لن تراني فجات
فلم تره فقالت يا ابا بكر ابن صاحبك كيف تهجرني فوالله لو وجدته
لرضيت بهذا الفهر فاه والله اني لشاعرة وذكرت هجوا قبيحا
فقلت لا وهو لا يقول الشعر فقالت انت عندي مصدق وانصرفت
فقلت يا رسول الله لم ترك فقال لم يزل ملك يسترني منها بجناحه

وفي رواية قد اخذ الله بصرها عني فكان صلى الله عليه وسلم
يقول اما تعجبون لما يصرف الله عني من اذى قريش يسبون
ويهجون مذمما وانا محمد صلى الله عليه وسلم تتمة قرا صلى
الله عليه وسلم سورة والنجم حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى فحينئذ القى الشيطان في امنيته اي تلاوته
تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى وفي رواية
القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ فعند سجوده
اخر السورة سجد المشركون معه لتوهمهم انه مدح الهتهم
وفي رواية ما ذكر الهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت
هذه الاية وما ارسلنا من قبلك من نبي ولا رسول الا اذا
تمنى القى الشيطان في امنيته الاية تفشى ذلك في الناس
واظهره الشيطان حتى بلغ المسلمين بالحبشة فاقبلوا سراعا
ثم لما تبين للمشركين خلاف ذلك رجعوا الى اشد ما كانوا
عليه والغرانيق جمع غرنوق او غرنيق وهو طير الما شبهت
الاصنام لاعتقادهم انها تقربهم من الله تعالى بطيور الما
لكونها تعلو في السما وترتفع تنبيه كثر كلام العلما في
هذه القصة من منكر لوقوعها ومبالغ في بطلانها وانه
لا يجوز لاحد القول بها كعياض والفخر الرازي وسبقهما الى
ذلك البيهقي وابدوا بان البخاري وغيره رووا انه صلى الله
عليه وسلم قرا سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون
والانس والجن ولم يذكروا فيها قصة الغرانيق وبان من جوز
على نبي تعظيم وثن فقد كفر وبانها من وضع الزنادقة والحق
خلاف ذلك كله بل لها اصل اصيل فقد خرجها من طرق كثيرة

جدا ابن ابي حاتم والطبري وابن المنذر وابن مردويه والبزار
وابن اسحاق في السيرة وموسى بن عقبة في المغازي وابو معشر
كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير وغيره لكن قال ان طرقها
كلها مرسلة وانه لم يرها مسندة من وجه صحيح انتهى ورد عليه
وعلى عياض وغيره الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر بان طرقها كثيرة
جدا ثلاثة منها رجالها رجال الصحيح وباقيها اما ضعيف واما
منقطع وبعضها تفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور
فزعم ابن العربي وعياض ان رواياتها كلها لا اصل لها ليس في محله
اذ لا يتمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها
دل ذلك على ان لها اصلا قال وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد
منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا
من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وحينئذ يتعين تاويل ما وقع
فيها مما يستنكر كقوله القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق
الخ فلا يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه
ان يزيد في القران عمدا وسهوا واختلفوا في تاويله فاخرج الطبري
عن قتادة انه اصابته سنة تجري على لسانه ولم يشعر به
فلما علم اظهر بطلانه واحكم ربه اياته واعترض بانه لا ولاية
للشيطان عليه في النوم ويجاب بان هذه الاية للشيطان
ولاية عليه وانما غاية الامر ان الشيطان لما راه اصابته تلك
السنة حاكى قراته بصوت يشبه صوته ثم بين الله للناس حاكيه
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بطلان ما وقع من الشيطان
حتى لا يغتر به احد ثم رايت من اجاب بما يؤيد ما ذكرته وهو انه
صلى الله عليه وسلم كان يرتل قراته فارتصد الشيطان سكتة ونطق

بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه
من دنا اليه منهم فظنها من قوله واشاعها واستحسن هذا الجواب
غير واحد من المحققين كعياض وابن العربي وايدوه بما جاء عن
ابن عباس من تفسير تمنى بتلى ومعنى في امنيته اي في تلاوته
وفي ذلك اخبار منه تعالى بان رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان
فيه من قبل نفسه كما حكاه ثم يبين الله تعالى بطلانه فعلم
ان هذا نص في ان الشيطان زاد في قول نبينا صلى الله عليه وسلم
لا ان نبينا قاله وقد سبق الى هذا المعنى الامام المجتهد ابن جرير
الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في العلوم
فصوبه وارتضاه واما الجواب بان الشيطان الجاه الى ان تلفظ
بذلك من غير اختياره فمردود بان الشيطان لو قدر على ذلك
لا يمكن احدا من طاعة او بانه عاق بحفظه ما كان يسمعه منهم
من مدح الهتهم فجرى على لسانه سهوا فهو افسد مما قبله
او بانه قاله توبيخا للكفار فهو بعيد وان ارتضاه عياض ره
كالبا قلاني فقال هذا جائز مع قرينة تدل على المراد لا سيما
والكلام في الصلاة اذ ذاك كان جائزا او بانه لما وصل الى قوله
الثالثة الاخرى خشيوا انه ياتي بذم الهتهم فبادروا بذلك
الكلام وخلطوه بتلاوته صلى الله عليه وسلم على عادتهم
في قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ونسبة ذلك للشيطان
لانه الحامل لهم عليه وفيه نوع بعد او بان المراد بالغرانيق
الملائكة وكان منهم من يعبدهم زاعمين انهم بنات الله تعالى
فيسن ذكر الكل ليرد عليهم بقوله الكم الذكر وله الانثى فلما
سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد عظم الهتنا فنسخ تلك

الكلمة

الكلمة واحكم اياته فهو ابعد مما قبله ثم بعد ما وقع له من هذه
الكرامات وقع له كرامة اخرى في غزوة خيبر سنة سبع من
الهجرة هي انه سمته له زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم
اليهودية الشاة اي جعلت فيها سما قاتلا لوقته لانها شاورت
يهود في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت
بدا الشاة جميعها لكنها اكثرت منه في الذراع والكتف لما قيل
لها انه صلى الله عليه وسلم يحب الذراع وكم مرات كثيرة
سام من السوم الذي هو يعقد منه الشرا او الذي هو الرعي
وبين سام وسمته تجنيس شبه الاشتقاق الشقوة اي
تاثير علها وتخلق بها الاشقياء الذين صاروا كالانعام بل
اضل سبيلا ومنهم تلك المراة وبينها تجنيس الاشتقاق
وقول الشارح ان سام وسمت من هذا التساهل وفي البخاري
انه صلى الله عليه وسلم لما علم ان فيها سما قال اجمعوا الي من
هنا من اليهود فجمعوا له فسالهم عن اشيا منها من ابوكم
قالوا فلان قال كذبتم ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت
ثم سالهم من اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا
فيها فقال اخسؤوا فيها والله لا نخلفكم ابدا ثم قال لهم
هل جعلتم في هذه الشاة سما قالوا نعم قال ما حملكم عليه
قالوا ان كنت كذابا استرحنا منك او نبيا لم يضرك وروى
ابو داود انها سمته شاة مصلية ثم اهدتها اليه صلى الله
عليه وسلم فاكل منها واكل رهط من اصحابه فقال صلى الله
عليه وسلم ارفعوا ايديكم فارسل الى اليهودية فقال سممت
هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتني هذه الذراع

ومن ثم قال فأذاع أي أظهر له صلى الله عليه وسلم الذراع ما فيه
من شوائه سم ينطق معجزة له صلى الله عليه وسلم كما يصرح
بذلك أعني أنه أخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم أخبرتني
هذه الذراع إخفاءه عن الحاضرين أنجاه صلى الله عليه
وسلم أي هو وإن خفي عليهم ظهر له صلى الله عليه وسلم وفيه
طباق ولما قال لها ذلك صدقته ثم قالت قلت إن كان نبيا
فلن يضره وإن لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله
عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة
واحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل منها
وفي رواية عن أبي داود أنها جعلت تسأل أي الشاة أحب
إليه فقيل لها الذراع فعمدت إلى عنز لها فذبحتها وصلتها
ثم عمدت إلى سم موحٍ أي يقتل لوقته فسمتها به وأكثرت
منه في الذراع والكتف ثم وضعتها بين يديه ومن حضر
من أصحابه وفيهم بشر بن البراء فتناول صلى الله عليه وسلم
الذراع فانتهش منها وتناول بشر عظما آخر فازدردا
لقمتيهما وأكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا
أيديكم فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة وفيه أن
بشرا مات وأنه صلى الله عليه وسلم دفعها إلى أوليائه
فقتلوها رواه الحافظ الدمياطي وروايته أن قتلها يعارضها
رواية البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه وجابر أنه لم
يعاقبها ومن ثم قال وبخلق من النبي كريم بل لا أكرم منه
قال تعالى له وإنك لعلى خلق عظيم أي بسبب ما تحلى به
من كمال الحلم والعفو والصفح لم يقاصص بجرحها بواطنهم

بذلك

بذلك السم إذ هو يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر العجماء
أي المرأة ويقال أيضا للبهيمة وقال الزهري أسلمت فتركها
وفي مغازي سليمن التيمي نحوه وأنها قالت استبان لي الآن أنك
صادق وأني أشهدك ومن حضر أني على دينك وأن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله وجمع البيهقي بأنه يحتمل أن يكون تركها أولا
فلما مات بشر قتلها به وبذلك أجاب السهيلي وزاد أنه تركها
لأنه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل أنه تركها
لإسلامها فلما مات بشر تحقق بموته وجوب القصاص عليها
فقتلت وقوله أنه قتلها قصاصا وإنما الوارد أنه قتلها وهو يحتمل لكونه
قتلها بنقضها العهد بما فعلته ويدل عليه ما جاء في رواية أنه
صلبها إذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو فرض أنه لم يصلبها لم يكن
قتلها بالسيف دليلا للقصاص لأن المماثلة فيه معتبرة فقياسها
أن يقتلها بمسموم كما أن اليهودي الذي رض رأس الجارية
بحجر أمر به صلى الله عليه وسلم فرض رأسه بمثل ذلك الحجر إيثارا
للمماثلة المقصودة من مشروعية القصاص لا يقال الصلب
لا يدل على انتفاء القصاص لأن للإمام أن يصلب من يريد قتله
إذا رأى ذلك زجرا وتنكيلا لأنا نقول ليس للإمام الصلب في
قتل القصاص كما يصرح به كلام أئمتنا لما تقرر أن المدار فيه على
المماثلة ما أمكن فلا يجوز للإمام الزيادة عليها ولا النقص عنها
ولم نر أحدا من أئمتنا ولا من غيرهم جوز الصلب في غير قاطع الطريق
فمن ادعاه فعليه البيان بغير محل النزاع الذي نحن فيه فإن قلت
هو يرد على هذا الحصر لأن هذه غير قاطعة طريق وصلبت
قلت الذمي إذا نقض العهد ملحق بقاطع الطريق في أحكامه

لا يبعد ان هذا امنها علي ان ذلك صار كحربي واحكام الحربيين
لا يقاس بها احكام المعصومين فان قلت قولكم لان المماثلة
الخ انما يتاتى على القول بتعينها في القود اما المخير بينها وبين
السيف فيما ليس بمحرم او المخير بينها وبين السيف في القتل
بمسموم فلا يتاتى عليه ذلك البحث قلت بل يتاتى على التخيير
ايضا لان القتل بالسيف لا يعين القود لانه يحتمله ويحتمل انه
لنقض العهد والمدعي انما هو ان قتلها بالسيف لا يدل على
خصوص كونه قودا وتاخير قتلها الى موت بشر لا يدل على القود
ايضا لاحتمال انه ليتحقق عظيم جنايتها وبهذا كله يعلم ان ما
في هذه القصة من قتلها يتقدير صحته لا يرد على قول ائمتنا
من اضاف انسانا فقدم له طعاما مسموما فاكل منه فمات
لا قود عليه لانه تناوله باختياره والمضيف لم يلجئه الى اكله
ذلك لانه لم يثبت انه قتلها بعينه كونه قودا وبهذا الذي قررته
يعلم تحقيق الناظم حيث نفى القصاص مع اطلاعه على الروايات
المخالفة في ذلك فان قلت لا نسلم ان نفيه لذلك بل لان
ثبوته اذا لم يصح من اصله او بذلك القيد فلا دلالة فيه للتحكيم
بوجه وتخلق من النبي كرم من فهو معطوف على لم يقاصص
خلافا لما يوهمه كلام الشارح انه استئناف اي انعم نعمة عظيمة
فضلا مفعول مطلق كفرحت جذلا او مفعول لاجله
وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ما ذكره الله تعالى بقوله
عز قائلا فاما منا بعد واما فداء عن تخلية سبيلهم بعد
ان ملكهم المسلمون اي رفع الرق عنهم لاجل فضله اي احسانه
العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا المعنى هذه العلة

والعلة

والعلة التي تليها المستفادة من اداة منه معلل لشيئين عموم
احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه مولى فيهم وعليه فحرف
العطف مقدر بالثبوت ويصح ان تكون الثانية علة للاولى
وايهامه قصر فضلا عليهم غير مؤثر لانه لم يرد مطلق الفضل بل
فضلا يتعلق بهم سيئوا اعلق على هوازن بمن او بفضلا التعا
بقرينة السياق على هوازن قبيلة حليمة السعدية رضي
الله عنها وهم اهل حنين المذكور في القران وهو واد قريب
من ذي المجاز السوق المشهور من اسواق الجاهلية بناحية
عرفة بين ذلك الوادي وبين مكة نحو ثلاث ليال غزاهم صلى
الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما انتقضت اشراف هوازن وثقيف
على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة
ثمان في اثني عشر الفا عشرة الاف حاربهم والفان من طلقا مكة ولما
هزمهم صلى الله عليه وسلم قصد الطايف وامر ان يجعل سبي هوازن
وغنايمهم بالجعرانة حتى ياتي اليهم وكان السبي وهو النسا
والذراري ستة الاف راس والابل اربعة وعشرين الفا والغنم
فوق اربعين الفا واربعة الاف اوقية فضة ولما رجع صلى الله عليه
وسلم من الطايف انتظر هوازن بضع عشر يوما ليقدموا عليه
مسلمين ثم اخذ في قسمة الغنايم فجاؤا مسلمين فقالوا يا رسول الله
انا اهل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا
من الله عليك وقام رجل من تخذ حليمة فقال يا رسول الله انما
في الحظاير عماتك وخالاتك اي من الرضاع لانهن قرابات حليمة
وحاضناتك اللاتي كن يكفلنك ولو انا ارضعنا الحارث من
ابي شمر او النعمان بن المنذر ثم نزل بنا بمثل الذي نزلت به رجونا

عطفه وانت خير المكفولين فقال لهم صلى الله عليه وسلم ان احسن
الحديث اصدقه ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم فقالوا ابناؤنا
ونساؤنا فقال اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم واذا صليت
الظهر بالمسلمين فقوموا وقولوا انا نستشفع برسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ابنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك واسال لكم ففعلوا
ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب
فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار مثل ذلك وامتنع بنو تميم
وبنو فزارة وعباس بن مرداس من بني سليم فوعدهم صلى الله
عليه وسلم من اول سبي يصيبه بما طابت به نفوسهم فردوا من
بقي عندهم ومن صلى الله عليه وسلم عليهم كذلك **اذ** اي لاجل
انه صلى الله عليه وسلم **كان له قبل ذلك** اي وهو طفل **ربآء**
بفتح الرا والمد تربيته من ربوت في بني فلان وربيت فيهم
اذا نشات بينهم او طول باعتبار ما وصل اليه من لبن حليمة
وتربيتها **تنبيه** جعل الناظم اذ تعليلية خلاف ما عليه
الجمهور فقالوا لا دليل في ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم الاية لان
التقدير بعد اذ ظلمتم وعلى الاول هل هي حينئذ حرف بمنزلة
لام العلة او ظرف بمعنى وقت والتعليل مستفاد من قوة
الكلام لا من اللفظ قولان المنسوب الى سيبويه الاول وعلى
الثاني في الاية اشكالات ليس هذا محل بسطها وترد اسما للزمن
الماضي وهو الغالب ثم قال الجمهور لا تكون الا ظرفا او مضافا
اليها الظرف نحو يومئذ تحدث اخبارها وقال الاقلون تكون

مفعولا

مفعولا بها نحو واذكروا اذ كنتم قليلا وكذا المذكورة اول القصص
كلها بتقدير اذكر او بدلا منه بدل اشتمال او كل من كل ورده الجمهور
بان المفعول او المضاف اليه محذوف وزعم الزمخشري انها تكون
في محل المبتدا انما تفرد به وجوز كثيرون ورودها للمستقبل نحو
فسوف تعلمون اذ الاغلال في اعناقهم فهي لاستقبال تعلمون لفظا ومعنى
واجيب بانه من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الواقع **واي** ذلك
السبيه اصله الاسر والمراد هنا المسبي اي المأسورون الى الجعرانة بامره
صلى الله عليه وسلم كامر لتقسيمها على المسلمين وكان في ذلك السبي **فيه**
اخت النبي صلى الله عليه وسلم من **رضاع** واسمها الشيما كما مر ولما عنفوا
عليها عند سبيها قالت والله اني اخت صاحبكم فاتوا بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اختك قال وما علامة
ذلك قالت عضة منك في ظهري تعرفها لكن **وضع** اي خفض **الكفر**
القايم بها **قدرها** وكذلك وضع قدرها **السباء** اي الاسر القايم
بها ايضا ما اضمحل في جنب ذلة هذين ما فيهما من اخوته صلى الله عليه
وسلم كما اضمحل في جنب الكفر ما في نحو ابي طالب من العمومة والتربية
ومنع الاعدا بكل طريق امكنته ثم من الله عليها بالاسلام وبمعرفته
صلى الله عليه وسلم لها **فحباها** اي اعطاها ما لم يكن في حسابها وجاد
بما فوقها لاجلها **برا** اي لاجل بره لها اذ رحم الرضاع كرحم النسب
ويجوز ان يكون هو المفعول الثاني ويؤيده انه ابدل منه قوله
بسط الرداء كما ياتي ولما اتته بسط لها رداءه واجلسها عليه ثم
خيرها وقال ان احببت فعندي محببة مكرمة وان احببت ان امتعك
وترجعي الى قومك فعلت فاختارت قومها فمتعها وزاد في الاحسان
اليها كما هو شانه وردها الى قومها واعطاها غلاما له يقال له مكحول

وجارية فزوجته بها فلم يزل فيهم من نسلها بقية نوهت الناس
الذي رادا ذلك البراي اي وقع في وهمهم اي ذهنهم واسناد ذلك
اليهم باعتبار ما من شانه به اي بسبب ذلك البر الذي به وصل اليها
منه انا بفتح الهمزة او هي اداة حصر كمكسورتها النسا اللواتي
معها وبينها وبين الناس لجناس المقلوب هدا انا لكبير محمد زهد
المراة اي زوجها اي مهد بات كرجل عدل والجملة في محل مفعول
نوهت الثاني اي توهموا ان النسوة اللواتي معها في السبي لم
يستبن لعظيم ما قابلهن من الاكرام وانا جيئ لاهدا عروس
واجلابها عليه صلى الله عليه وسلم لا لكونهن مسبيات لان ذلك
الاكرام انما يفعل مثله لنسا يهدين عروسا لا لنسا مسبيات
ومن جملة ذلك البر انه بسط فهو بدل من برا تغبيه استعمال
الناظم لانما هذه في الحصر تبع فيه الزمخشري والبيضاوي
وغيرهما وجعل الاولان منه قوله تعالى قل انما يوحى الي انما
الهكم اله واحد فقالا انما لقصر الحكم على شي او لقصر الشي على
حكم نحو انما زيد قايم وانما يقوم زيد وقد اجتمعا في هذه الاية
لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة
انما زيد قايم وفايدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي اليه صلى الله
عليه وسلم مقصور على استيثار الله بالوحدانية وقول ابي
حيان يلزم الزمخشري انحصار الوحي في الوحدانية مردود بانه
حصر مجازي باعتبار المقام ومن جملة ذلك البر انه بسط
فهو بدل من برا كالذي ويصح كونه بدلا من حسبي المصطفى صلى
الله عليه وسلم لها من الظاهر انها زايدة على مذهب
الاخفش وجماعة ردا كان عليه اي نشره وجعله لها فراشا
لتجلس

لتجلس عليه ويصح جعل من للتبعيض فيكون صلى الله عليه وسلم بسط
لها بعضه لتجلس عليه والاول اقرب وعلى كل فعنيا لها في تلك الاكرام
كيف وهو ردا اي فضل اي شرف عظيم لا غاية له حواه اي جمعه
ذاك الردا لمماسته لجسده الشريف صلى الله عليه وسلم
وما احسن هذا التعبير منه ان اي فضل الخ جملة نعت لردا ومن زايده
او بعضه هو المتبادر كما لا يخفى ويصح ان اي مفعول بسط وان
فضل بمعنى فضله من تبعيضية وانه على حاله من تعليلية داخلة
على مضاف اي بسط لها من اجل فرشه رداه لها فضلا عظيما حواه
ذلك الردا اي تميزا ظاهرا على بقية نسا هوازن وفي الردا
رد العجز على الصدر فغدت اي صارت سيدة فيه اي ذلك
الفضل والحال انها هي سيدة اولئك النسوة اللواتي معها
من سبي هوازن لما حصل لها من التميز الباهر عليهن وان اولئك
النسوة اللواتي هن السيدات في اسرهن فيه اي ذلك الفضل
اما اذ صارت كانها سيدتهن وكانهن مع كونهن سيدات اما لها
وبين السيدات والاما طباق وهذه موكدة للجملة الاولى التي هي حال
من فاعل غدت كما علم مما قررته ولما ذكر ما اختص به صلى الله عليه وسلم
من الرفعة والترقي الى ما لم يصل اليه مخلوق وما يتعلق بذلك من صفات
تنقطع اعناق الاطماع عن ان تمد اليها وخصال لم يحولها امال الكل
الا علها طلبه من كل سامع فانه مشاهدة ورتبة ان ينزه في رياض
اسنهن وكانه جرى في ذلك على العرف اذ التنزه كما في القاموس
التباعد مرقاله وارض نزهة بعيدة عن الريف اي الخصب والزرع
وعمق المياه وذباب القرى ومد البحار به وفساد الهوى ثم قال
واستعمال التنزه في الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط
ابح

في اوصاف ذاته من الكلام بجامها في تلك ذات العلوم ومعانيه
اي صفاته الخارجة عن اوصاف ذاته استماعا اي من جهة اسماعك
الى استماع اوصاف ذاته وجميل صفاته الاتية في هذا النظم الجامع
البديع وبين ذاته ومعانيه جناس المقابلة كالاستماع والاجلا
الاتي اذ غزا اي فقد منها متعلق بقوله اخلاء من جلوت العروس
جلا وجلوة واجتليتها اذا نظرت اليها مجلية اي مكشوفة من بينة
اي ان فاتك رؤية ذاته الكريمة ومشاهدة صفاته العلية
فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يتلى عليك من اوصاف ذاته
وعلى صفاته وبه يظهران من زائدة في الايجاب وهو ما اجازه جماعة
وخرجوا عليه قوله تعالى ولقد جاءك من نبا المرسلين يحلون فيها
من اساور من ذهب من جبال فيها من برد يغضوا من ابصارهم
وفيه نظر لامكان نحو التبعيض فلا زيادة فتامله ولا تقتصر
على سماع القليل منه الذ بل املي السمع بان يكثر من سماع ذلك
حتى لو فرض ان ما تسمعه شيء محسوس وان سمعك انا واسع
لملاه ذلك المسموع من محاسن اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم
لا يحوي احد اثارها ولا يشق كامل غبارها وهو جمع على غير
قياس لان مفرده حسن لا محسن الا تقديرا يمليها من امليت
الكتاب ونحوه امليته عليك من هذه القصيدة وغيرها
الانشاد لها من شجو الصوت فانه من الاعراب فقد قالوا من اقوى
الاسباب الباعثة على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات
المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت
محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا او محبة وطربا وذلك
تحدث عندها بسببين احدهما انها في نفسها توجب لذة
قوته

قوته يفتقر فيها العقل الثاني انها تحرك النفس الى جهة محبوبها
فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره في الذهن
وقرب صورته من القلب واستيلاؤها على الفكر وفي هذا من اللذة
ما يعجز العقل لاجتماع لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل للروح
ما هو اعجب من سكر الشراب واقوى في اللذة في عناق الشواب
وقد ذكر الامام احمد رضي الله عنه وغيره ان الله تعالى يقول
لداود في الجنة مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به
في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا ارده عليك
فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته
استفرغ نعيم اهل الجنة واعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب
جل جلاله وخطابه لهم لا سيما ان انضم الى ذلك رؤية وجهه
الكريم فان لذة ذلك تغني عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة
ولا تحيط به الاشارة والانشاء من ناظمها واسناد الاملا اليها
مجاز ومما يحملك على استفراغ سمعك في ذلك التنزه واملا
السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان محاسن
ذاته وكمال صفاته لا يمكنك ان تحيط بها كيف وكل وصف
له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدات انت او انا به
في الذكر او ابتدات بذكره ليحيط بغايته استوعب اخبار
الفضل مفعوله مقدم اي جميع اخبار الفضائل والكمال منه
متعلق بقوله ابتدا اي كلما ابتدات بوصف له صلى الله عليه
وسلم وتاملت ما اشتمل عليه من محاسنه وجميع الثناء والوصف
المبتدا به جميع انواع الفضل وغايات الكمال ولا يستبعد
ذلك فان كل وصف من اوصافه صلى الله عليه وسلم اخذ بحجز

بقية تلك الاوصاف اذ لا يتحقق كمال وصف من صفات الانسان
كالحلم مثلا الا ان كمل في بقية اوصافه كالعلم والكرم والشجاعة
والخلق الحسن وغيرها وحينئذ فكل من صفاته صلى الله عليه
وسلم تدل على ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه منها ايما او استلزاما
كما لا يخفى على من سبر ذلك وتامله وبهذا التحقيق الذي تنبه
له الناظم يعلم انه سقى الله عهده ثاقب النظر كامل المعرفة
متضلع من العلوم والمعارف وليس ذلك بكثير على من حل عليه
نظر القطب الكبير والعلم الشهير سيدي ابي العباس المرسي
وارث ابي الحسن الشاذلي قد بين الله بسرهما ونور ضريحهما
وبما قررته في شرح هذا البيت تعلم انه من غرر ابيات هذه
القصيدة وانه لا تعقيد فيه خلافا للشارح وانه يجب عليك
ان تعتقد ايضا ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم
الايمان بان الله تعالى اوجد خلق بدنه الشريف على وجه لم
يظهر قبله ولا بعده في ادمي مثله وسر ذلك انه محاسن الذات
دليل على ما بطن فيه من بدائع الاخلاق وجلائل الصفات ونبينا
صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التي لم يصل اليها غيره في كل من
ذينك ومن ثم قال الناظم في البردة المديح فهو الذي تم معناه
وصورته البيتين فتبين ان حقيقة الحسن الكامل كملت
فيه وحده ولم ينقسم بينه وبين غيره لانه الذي تم معناه
دون غيره ولو شورك لم يتم معناه وما احسن قول بعضهم
لم يظهر لنا تمام حسنه والا لما اطاقت اعيننا النظر اليه وبين
النعوت وابتداء جناس الاشتقاق **تنبيه** شرح الناظم
بيان تمام معناه بامر وياتي ولم يشرح تمام حسن ذاته

كذلك

الى اخره

كذلك وانما اشار لذلك بقوله بزويه وصرح بصحة التشبيه الخ او
بتقبيل راحته الخ فيتعين علينا ان نشير الى شي من ذلك فنقول
اما وجهه الشريف فصح عن البراء كان احسن الناس وجها واحسنهم
خلقا وعن ابي هريرة ما رايت شيئا احسن منه كان الشمس
تجري في وجهه وعن البراء انه قيل له اكان وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم كالسيف قال لا بل كالقمر اي لم يكن كالسيف
في الطول ولا في اللمعان بل كالقمر في التدوير وفوق لمعان
السيف وصح عن جابر بن سمرة لم يكن كالسيف في الطول ولا
في اللمعان بل كالقمر في التدوير وفوق لمعان السيف وصح عن
جابر بن سمرة لم يكن كالسيف بل كالشمس والقمر وكان
مستديرا فنبه بهذا انه جمع بين الحسن والاشراق والملاحة
والاستدارة وجاء عن علي رضي الله عنه لم يكن بالمكلثم اي شديد
استدارة الوجه بل فيه تدوير قليل وهو احلى عند العرب
وهو معنى قول ابي هريرة كان اسيل الخدين اي فيهما طول وسلامة
من ارتفاع الوجنة وتشبيه غير واحد لوجهه بشقة القمر
اي عند التفاته وقيل احترازا عما في القمر من السواد وسيرده تشبيه
ابي بكر رضي الله عنه وغيره له بدارة القمر وفي النهاية انه كان اذا
سر صار وجهه كالمراة فترى جبال الجدر فيه وفي رواية تلالا
وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وانما كان الاكثر تشبيهه بالقمر
دون الشمس لان من شاهده ينظره كمال النظر ويتانس به
ولا يتاذى منه بخلاف الشمس في الكل ولذا كان من اسمائه
صلى الله عليه وسلم البدر ومن ثم قال الخارجون لملاقاته
مرحبين من تبوك طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ثم هذه

المتشابهات جرت على عادة العرب والا فلا يحدث بما دل
صفاته الخلقية كالخلقية واما بصره فيكفيه ما زاغ البصر
وما طغى وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما كان يرى بالليل
في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وصح انه كان في الصلاة
يرى من خلفه كما يرى من امامه اي رؤية ادراك كهي بالبصر
اي الرؤية الواقعة على جهة الكرامة لا يتوقف عليه ولا على
شعاع ولا على مقابلة عند اهل السنة وما قيل كان له
عينان بين كتفيه كسم الخياط يرى بهما ولا تحجبهما الثياب
لم يثبت ما يدل عليه والاصل عدمه لزعم ان صورهم كانت
تنطبع في قبلته وانها رؤية قلب او ان المراد بها العلم
بوحي او الهام وحديث اني لا اعلم ما وراء جداري لم يعرف
له سند وانما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بلا اسناد وبفرض
وروده فهذا غير ما نحن فيه لان المنفي علم الغيب بما وراء الجدار
حيث لم يعلم به بوحي او الهام ومن ثم لما ضلت ناقته وقال
بعض المنافقين هو يزعم علم الغيب والله اني لا اعلم الا ما علمني
ربي وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا احبستها شجرة
بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم وبفرض
التعارض فما مر في حالة الصلاة وهذا خارجها وجاء انه كان
اذا التفت التفت جميعا اي لا يسارق النظر ولا يلوي عنقه
يمنة ولا يسرة كالطايش الخفيف وان جل نظره النظر بالملاحظة
وهو جانب العين الذي يلي الصدغ وانه عظيم العينين والشكلة
الحمرة في بياض العين وهي محمودة والشهلة حمرة في سوادها
وفي رواية ادعج العينين اي شديد سوادهما وفي اهدب

الاشفار

الاشفار اي طويلهما واما سمعه فحسبك فيه خبر الترمذي
اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق
لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع
جبهته ساجدا لله تعالى وفي رواية لابي نعيم او قائم واما شعره
فصح انه كان بين شعرين لا رجل اي بفتح فكسر وهو ما يتكسر
قليلا ولا سبط ولا جعد قطط كان يرد به وعادته وانه
رجل ليس بالسبط ولا الجعد ولا تخالفه فيه رجولة قليلة فالاولى
لنفي كثرها وانه الى شحمة اذنيه وانه الى انصافها وانه الى
الكتفين ولا تخالفه ايضا لانه ربما تركه بقصره فيطول وربما
يداركه فيقصر وكان ان الفرق بنفسه والا تركه معقوصا
ولعل هذا كان اولا والا فالذي صح انه كان يسدل اي يرسله
ثم فرق ثم رايت ان العلما قالوا ان الفرق سنة لانه الذي رجع
اليه صلى الله عليه وسلم وكان في عنفقته وصدغيه شعرات
بيض دون العشرين وانما لم يكثر فيه مع انه نور في رواية ما شانه
الله بالشيب اي لان النسا يكرهنه غالبا ومن كره منه صلى
الله عليه وسلم شيئا كفر واختلفت الروايات في تغييره صلى الله
عليه وسلم لشيبه بنحو الحنا ولا تخالف لانه فعله كثيرا وتركه
اكثر وتركهم كان سنة عندنا وصح انه كان كثير شعر اللحية
وجا انه كان يكثر دهن راسه وتسريح لحيته وكان اشعر
الذراعين والمنكبين واعالي الصدر ولم يرد فيه انه حلق
راسه في غير حج او عمرة وفي رواية انه كان ياخذ من عرض
لحيته وطولها عن سنة بخلاف رواية اعفوا اللحى ثم
اخذ بها ائمتنا وزاد انه كان ينظر في المراة اذا سرح لحيته

وانه كانت له مكحلة يكتحل منها بالاثمد في كل عين ثلاثة قبل النوم واما
جبينه وحاجباه وانفه وراسه فقد جا انه واضح الجبين مقرون
الحاجبين اي شعرهما متصل وانه غير متصلهما ورجحه ابن
الاثير وقد تجمع بانهما كانا كثيري الشعر كما في روايتة
سابغين كما في اخرى وقيقين كما في اخرى فهما مع كثرة
شعرهما فانهما سوابغ الى اخر العين ودقة في طرفيهما فلكثرة
شعرهما يريان من بعيد كانهما متصلان وليسا في الحقيقة
كذلك وصح انه ضخم الراس ضخم الكراديس اي رؤس العظام وجا
انه اقنى الانف اي طويله مع دقة ارنبته وحدب في وسطه
وعبر بعضهم بانه سايل منخريه وسطه وانه دقيق العرنين
اي اعلى الانف وانه من لم يتامله كسبه اشم اي طويل قصبة
الانف واما فمه فقد صح انه واسعه يفتتح الكلام ويختمه باشداقه
اي لسعة فمه والعرب تمتدحه وتذم ضده وانه اشنب اي
لاسنانه غاية البريق واللمعان وانه اذا تكلم روي كالنور يخرج
من ثناياه وانه مفلج الاسنان اي متفرقها وفي روايته
مفلج الثنيتين اي الثنيتين البقية واما ريقه فقد صح انه يوم
خيبر تفل في عيني علي رضي الله عنه وكرم وجهه وكان به رمد
فبري منه لوقته واعطاه الراية ففتح الله على يديه وجا انه
مج في بير ففاح منها رايحة المسك وانه بزق في اخرى فلم يكن
بالمدينة اطيب ماء منها كان يوم عاشورا يمتق في فم رضعايه
ورضعا فاطمة ويتهي عن رضاعهم فيجزيهم ريقه الى الليل
وانه مضغ قطعة لحم واعطاها لخمس نسوة فمضغتها كل منهن
ولم يوجد لافواههن ريح خلوف واما فصاحة لسانه وجوامع

كلمه

كلمه وبديع بيانه وحكمه فامر اظهر من ان يذكر واشهر من ان ينشر
كيف وقد ارتقى في كل ذلك الغاية التي لا يدركها مخلوق حتى قال
بعض العلما ان كلامه معجز كالقران واما صوته فروى ابن عساكر
خبر ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت
حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه
حسن الصوت والشيخان خطبنا صلى الله عليه وسلم حتى اسمع
العواتق في خدورهن وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال
للناس يوم الجمعة على المنبر اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحه
وهو في بني تميم فجلس مكانه وابن سعد انه خطب بمنى ففتح
الله اسماعهم فسمعوه وهم بمنازلهم واما ضحكه صلى الله عليه
وسلم فهو انه سيد العالمين الاولين والاخرين كما مر مبسوطا
اول الكتاب ضحك الذي يظهر سروره هو التبسم كما رواه
البخاري عن عايشة رضي الله عنها ما رايته مستجمعا قط ضاحكا
اي مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولا ينافيه خبر
البخاري ايضا في الواقع اهله في رمضان فضحك حتى بدت
نواجذه وهي بالجيم والذال المعجمة الاضراس وهي لا تكاد
تظهر الا عند المبالغة في الضحك لان عايشة انما نفت رويتها
وذلك لا ينافي وقوع غير التبسم منه نعم الغالب عليه
بمجموع الاحاديث ان اكثر اوقاته هو التبسم وربما ضحك
والمكروه انما هو الاكثار والافراط من الضحك سوا الكان معه
قهقهة ام لا ومن ثم روى البخاري في ادبه وابن ماجه
النهي عن كثرته وانه يميت القلب والفرق ان التبسم
مبادي الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه

ضحكه

حتى تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفي فان كان ذا
صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة واما بكاؤه فكان من جنس
ضحكه لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه حتى
تهملان ويسمع لصدره ازيز اي غليان يبكي رحمة لميت وخوفا
على امته وشفقة من خشية الله وعند سماع القرآن واحيانا
في صلاة الليل وجا انه صلى الله عليه وسلم حفظ من التثاوب.
بل جا ان كل نبي كذلك واما يده فقد وصفه غير واحد كما في
عدة طرق بانه شثن الكفين اي غليظ اصابعهما وبانه عبل الذراعين
رحب الكفين ووصفه ايضا بان يده الين من الحرير والديباج
واطيب ريحا من المسك ولا ينافي هذا اللين ما مر انفا لانه
جمع مع لين الجلد غلظ العظام وقوتها وتفسير الاصمعي الشثن
بغلظ في خشونة مردود بل نقل ابن خالويه عنه انه قيل له ورد
في صفته صلى الله عليه وسلم انه لين الكفين فاقسم ان لا يفسر
شيئا في الحديث ~~وبتسليمه فهو صلى الله عليه وسلم انه لين الكفين~~
~~فاقسم ان لا يفسر شيئا في الحديث~~ وبتسليمه فهو صلى الله
عليه وسلم كان ربما حصلت له خشونة في كفيه من جهاد او عمل
في مهنة اهله وتفسير ابي عبيد له بغلظ الاصابع مع قصرها
يرده ما جا انه كان سابل الاطراف والتحقيق ان الشثن الغلظ
من غير خشونة ولا قصر وروى الحاكم وغيره انه صلى الله عليه
وسلم مسح بيده الدم عن وجه وصدر من خرج في وجهه فكان
اثر يده غرة سايلة كغرة الفرس وصح انه مسح راس ولحية ابي
زيد الانصاري ثم قال اللهم جمله فبلغ بضعا ومائة سنة وما
في لحيته بياض ولا في وجهه انقباض وروى احمد وغيره انه مسح

راس

راس حنظلة بيده وقال بورك فيك فكان يمسح بمحل يده صلى
الله عليه وسلم الورم فيذهب واما ابطاه فكانا ابيضين كما
جا عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم لكن يعارضه
الرواية الصحيحة كنت انظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض
ليس بالناصع وقد يجمع بحمل البياض في الاول على البياض
غير الناصع وذكر بعضهم انه لا شعر بابطيه ورد بانه لم يثبت
بوجه وكان يسيل منهما مثل ريح المسك وكانت له مسربة
وهي خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بل في رواية
له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب ليس على
صدره ولا على بطنه غيره واما بطنه وظهره فجا انه مفاض
البطن اي واسعه وقيل مستو بل الظهر مع الصدر وان
بطنه كالقراطيس المثني بعضها على بعض وانه بعيد ما بين
المنكبين اي عريض الصدر واما قلبه فهو اول قلب اودع
الاسرار الالهية والمعارف الربانية لانه اول الخلق كما مر وصورته
اخر صور الانبياء صلى الله عليه وسلم فهو اولهم واخرهم في حيازة
اعلى الكمالات الخلقية والخلقية ومما يخبرك بان قلبه اودع
ما لم يودع غيره تكرر شقه وملئه ايمانا وحكمة واخراج
حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطا في مبحث رضاعه
صلى الله عليه وسلم ومحاسنه الظاهرة التي هي اعلام على الاخلاق
الباطنة فكما ان تلك لم يساوه فيها مخلوق فكذلك هذه واما
جماعه فقد صح عن انس كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا
في الجماع وروى الاسماعيلي قوة اربعين زاد ابو نعيم عن
مجاهد كلهم من رجال اهل الجنة والرجل في الجنة يعطى قوة مائة

كما صححه الترمذي وقال غريب واربعون في مائة باربعة الاف ومع ذلك
كان عليه غاية من تقليل الغذا البخر في الله العادة في الامرين ولم يحتلم قط
وكذا الانبيا لانه من الشيطان لكن ظاهر قول عايشة يصبح صايما جنبا
من جماع غير احتلام انه يحتلم وبتسليمه فالاول محمول على ما اذا كان
عن رؤية وجماع لان هذا هو الذي من الشيطان بخلاف مجرد نزول
المني في النوم واما قدمه فجاء عن غير واحد انه شثن القدمين
اي غليظ اصابعهما وكانت سبابة قدميه اطول من بقية اصابعها
ومن روى ذلك في اليد فقط غلط كما بينه غير واحد وكانت
خنصرهما متظاهرة وكانا الاخمص لهما اي لبس في باطنهما كبير انخفاض
بحيث يطابه كله معتدل الخمص وفي رواية مسيح القدمين اي انهما
مع ذلك لينا وملاسة دون تكسر وتشقق واما طوله فكان ربعة
لكنه الى الطول اقرب كما جاءت به الاحاديث الكثيرة وفي حديث ما يفيد ان
هذا ان مشى وحده او مع قصير والاطول على من ماشاه وهو
ينسب الى الطول بل لو اكتنفه طويلان طالهما فاذا فارقاه نسب
الى الربعة واما مشيه فقد صح عن علي كرم الله وجهه انه كان اذا ما مشى
تكفأ تكفيا كانما ينحط من صبب وفي رواية عنه كان اذا مشى تقلع والتقلع
والانحدار من الصبب قريب اراد انه كان يستعمل التثبت ولا يتبين
منه في هذه الحالة استعجال ومبادرة بالمشي وهذا هو مراد الناظم
بقوله والمشي الكاين منه الهوينا تصغير الهون وهو السكينة
والوقار والتعظيم نحو وكل اناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر
منها الانامل وقد مدح تعالى من يمشون كذلك فقال عز قايلا وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافي ذلك رواية الترمذي
عن ابي هريرة ما رايت اسرع من مشيته رسول الله صلى الله عليه
وسلم

وسلم كان الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث لانه
يحزهم عن لحوقه لبس لانه كان يجهد نفسه في المشي كما يدل عليه
قوله غير مكترث بل لانه كان يبارك له في مشيه كما يدل عليه قوله
كان الارض تطوى له فهو مع هون مشيته لا يلحق وفي رواية
ذريع المشية اي واسع الخطوة وقال ابن القيم في رواية كان اذا
مشى تقلع التقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط في الصبب
وهي مشية اولي العزم والهمة وهي اعدل المشيات واروحها للاعضا
فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كانه خشبة محمولة فهي مذمومة
كالمشي بالانزعاج كالجمل الاهوج وهذه تدل على قلة عقل صاحبها
لا سيما ان كثر فيها الالتفات وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى
معه اصحابه قد مهم امامه وقال خلوا ظهري للملايكة وكان
اذا مشى في قمر او شمس لا يظهر له ظل وسره قوله صلى الله عليه
وسلم في دعايه واجعلني نورا واما لونه فقد وصفه جمهور اصحابه
بالبياض كما صح عنهم من طرق متعددة ولا ينافيه رواية مشرب
بحمرة لانه مع ذلك يسمى ابيض نعم قد ينافيها رواية ابيض
شديد البياض الا ان يحمل المشرب بالحمرة على الوجه فقط وما عداه
شديد البياض الا ان يحمل المشرب بالحمرة على الوجه فقط وما عداه
شديد البياض ~~الا ان يحمل~~ كما تدل عليه رواية فنظرت الى ظهره
كانه سبيكة فضة وعلى الوجه يحمل رواية امهق اي احمر ليس
بابيض وقول عياض رحمه الله انها وهم غير صحيح ولذا روايه
ليس بالابيض ولا بالادم اي وقول عياض ان هذه ليست بصواب
مردود بان المراد ليس شديد البياض ولا شديد الادمة وانما
يخالط بياضه حمرة والعرب تطلق على من هو كذلك انه اسمر الوارد

في رواية وتوافقها رواية ابيض بياضه الي السمرة ورواية احمر الي البياض او المراد انه كان تحصل له السمرة اذا اسافر لتاثره من الشمس وتظليل الغمام وغيره له انما كان ارهاصا كما مر وقد انقضى وقته وذهب بعض المالكية الي ان من زعم انه كان اسود يقتل اي لان السواد يشعر بالنقص واما طيب ريحه وعرقه وفضلاته فكان في ذلك الغاية العليا وان لم يمس طيبا كما صح عن انس وغيره وروى ابو يعلى والطبراني ان رجلا استعان به في تجهيز بنته فاستدعى بقارورة وسلت فيها من عرقه وقال مرها فلتتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وورد انه كان اذا مر بطريق تبعه الناس منه وجدوا ريحه وعرفوا بذلك انه مر منه وحديث خلق الورد من عرقه او من عرق جبريل او من عرق البراق موضوع وجا من وجه غريب ان ما كان يخرج منه صلى الله عليه وسلم فتبتلعه الارض وايده الحافظ عبد الغني بان احدا من اصحابه لم يذكر انه راه بخلاف البول فانهم كانوا يستشفون به كدمه ومن ثم اختار جماعة من ائمتنا طهارة جميع فضلاته واما نومه فهو الاغفا اي اخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد عن نوم القلب وغفلته المتولد عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبيا كان تنام عينه ولا ينام قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم ينتقض وضوءه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه وتيقظه ودوام شهوده لربه ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم كان اذا نام لا يوقظ لانه لا يدري ما هو فيه ولا ينافيه نومه صلى الله عليه وسلم بالوادي عن صلاة الصبح حتى حميت الشمس لانه رؤيتها من وظيفة العين والقلب

[illegible]

والقلب انما يدرك نحو الحدث والالم مما يتعلق به دون العين فهي نائمة والقلب يقظان وكانه انما يدرك مرور الوقت الطويل فانه نام قبيل الفجر الي ان حميت الشمس لانه كان مستغرقا في شهود ربه وما يفيضه عليه من معارفه وانما لم ينبه علي ذلك ليقع التشريع بتلك الاحكام الكثيرة جدا التي استفيدت من تلك الواقعة كسهوه في الصلاة وقيل كان له نوم ينام فيه قلبه ايضا وهو الذي كان حينئذ ورد وه بانه لم يثبت فهو مردود علي قايله كتاويل بعضهم قوله لا ينام قلبي بما يخرجه عن ظاهره من غير دليل واذ قد انتهى الكلام علي شيء من محاسن ذاته التي لم يخلق الله تعالى ذاتا اشرف منها فلنذكر شيئا مما يتعلق بمحاسن اخلاقه وصفاته التي لم يخلق الله تعالى اشرف منها ايضا فيقول ما سوى اي تبع غير خلقه النسيم اي الريح التي غاية اللطافة واللين والطيب يعني لا يشبهها خلق احد الا خلقه الكريم وهذا مقتبس من قول ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير ثم قال فلرسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة فان قلت صريح هذا ان خلقه افضل من النسيم بالنسبة بينهما فكيف هذا التشبيه الموذن بشرفها عليه قلت هذا لا انما هو باعتبار الغالب والا فقد يشبه الافضل بالمفضول لنكتة كما في صليت بها التبليغ انما هو باعتبار ما فيها مما يقتبت الروح ويحيي القلب ويجاوز صدر النفس وغير ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان الا به وانما قلت معنى لا يشبهها الخ لا يبين ان هذا المراد من العبارة لا يفي به وذلك لان نفي مشابهة غير خلقه لها لا يفيد انه لا يشبهها الا خلقه لان هذا

[illegible]

الحصر لا دليل عليه في الكلام بل صريح كلام الراغب انه لا مفهوم للنفي
بغير وعبارته غير يقال اوجه الاول ان تكون للنفي المجرد من
غير اثبات معنى به نحو مررت برجل غير قائم وقال تعالى
ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال وهو في
الخصام غير مبين انتهى المقصود منه وسياتي في شرح
قوله وما سواه هو العاصي ماله بما هنا تعلق فاستحضره والخلق
بضم فضم او سكون قال الراغب وهو والمفتوح في الاصل بمعنى
واحد لكن خص المفتوح بالهيات والصور المبصرة والمضموم
بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة ثم قيل المضموم غريزة
لخبر البخاري ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم والحق
ان اصله غريزي وتمامه مكتسب لما صح انه صلى الله عليه
وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة
قال يا رسول الله قديما كان في او حديثا قال قديما قال الحمد لله
الذي جبلني على خلقين يحبهما فترديده السوال وتقرير
النبي صلى الله عليه وسلم له على ذلك يدل على ان بعضه
غريزي وبعضه مكتسب ويدل له ايضا الحديث الصحيح
اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وما صح انه كان يقول
في دعا الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها
الا انت فهو جبلة في نوع الانسان وهم متفاوتون فيه
فمن عدم جنسه او كماله امر بالمجاهدة والرياضة حتى
يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة
تسهل على ربها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه
صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال

مالا يحصره

مالا يحصره حد ولا يحيط به عد اثنى الله تعالى عليه في كتابه
الكريم فقال عز قائلا وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظم
وزاد في المدحة باتيانه بعلى المشعرة بانه صلى الله عليه
وسلم استعلى على معالي الاخلاق واستولى عليها
فلم يصل اليها مخلوق وغيره ووصفه بالعظم دون الكرم الغالب
وصفه به لان كرمه يراد به السماحة والدماثة وخلقه
صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان عنده
غاية الرحمة للمومنين عنده غاية الغلظة والشدة على كما انه
غيرهم فاعتدل فيه الانعام والانتقام ولم يكن له همة سوى
الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه ومن ثم ورد
بسند فيه ضعف ان الله بعثني بتمام مكارم الاخلاق وكمال
محاسن الاعمال وفي رواية الموطا بلاغا بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه ومن ثم قالت عايشة
كان خلقه القران قال السهروردي رحمه الله ونفع به
في عوارفه في قولها ذلك رمز غامض وايما خفي الى الاخلاق
الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا
باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القران
استحيا من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال
وهذا من وفور عقلها وكمال ادبها انتهى وقال بعض العارفين
لما كان خلقه اعظم خلق بعثه الله الى جميع العالمين فيه علم
من كلام عايشة رضي الله عنها انه كما ان خلقه اعظم خلق بعثه
الله الى جميع العالمين اعظم خلق بعثه الله الى جميع معاني القران
لا يتناهى وان التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر ثم ما انطوى

صلى الله عليه وسلم من كريم الاخلاق لم يكن باكتساب ورياضة
وانما كان في اصل خلقته بالجود الالهي والامداد الرحماني
الذي لم يزل تشرق انواره في قلبه الى ان وصل لاعظم غاية
واتم نهاية **واعلم** ان كمال الخلق انما ينشا عن كمال العقل
لانه الذي به تقتبس الفضايل وتجتنب الرذايل والعقل
لسان الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان ولكن
جوهره الصحيح وفي القاموس بعد الاشارة الى الخلاف
في تعاريفه والحق انه روحاني به تدرك النفوس العلوم
الضرورية والنظرية وابتدا وجوده عند اجتنان الولد
ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى والحديث المشهور
اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل الخ موضوع وعقل نبينا
صلى الله عليه وسلم وصل في الكمال الى غاية لم يصل اليها ذو عقل
ومن ثم روى ابو نعيم وابن عساكر عن وهب انه وجد في احد
وسبعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى
انقضايها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا
كحبة رملة بين ما لجميع رمل الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته
صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره
على طباعهم المتنافرة المتباعدة حتى قاتلوا دونه اهاليهم وهجروا
في رضاه اوطانهم واحبابهم بانه لم يطلع على سير الماضين ولا
تعلم من العقلا المجربين وفي هذا ما في الذي قبله مما مر انفا **ولا**
غير محياه اي وجهه **اي الروضة الغنا** اي الكثيرة النبات
والازهار والثمار اي بهجة الروضة الغنا الا وجهه لانه احسن
الخلق وجها كما مر مبسوطا هو **رحمة** وهي عطف وميل نفساني

غايتها

غايتها التفضل والانعام اي عينها مبالغة او ذو وها هو خبر مقدم
واخبر بهذه وبما بعدها بلفظ المصدر اشارة الى انها قد امتزجت
بذاته واستحال انفصالها عنه حتى كانها هو وكانه هي اي ركب
منها وطبع عليها وخلق منها **كله** كما قال تعالى وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين يجوز نصب رحمة على الحال على انها اسم فاعل او
ومفعولا لاجله وعلى حذف مضاف اي ذا رحمة والعالمون قيل
الجن والانس وعليه الجمهور وقيل والملايكة وعليه غير واحد
من المحققين ويدل له ايضا ليكون للعالمين نذيرا ونقل الرازي
وغيره الاجماع على انه لم يرسل للملايكة مردود بل اخذ بعض متاخري
ايمتنا المحققين بظاهر خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة
كما مر وعلى كل فهو رحمة للمومن بالهداية وبالامان من القتل وللكافر
بتاخير العذاب ولساير الحيوانات لان بوجهه يستسقى
الغمام وبدعايه ينزل قطر السما فينبت النبات ويكون لها
سقيا ورعيا وللمنافق وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر
لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه
وسلم اخر من كذبه الى الموت او الى القيامة واما من صدقه
فله الرحمة في الدنيا والاخرة فعلم ان ذاته رحمة للمومن والكافر
كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وروى
الدارمي والبيهقي حديث انما انا رحمة مهداة وقال بعضهم
زينه ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع شمايله رحمة
على الخلق وقال اخر الانبيا خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى
الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف هو رحمة وقد جانه

بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول انما ذلك لمن ادبروا استكبر
ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد ومن اوصافه تعالى الرحمن الرحيم
والجبار المنتقم وفي الشفا وحكي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
هل اصابك من هذه الرحمة شي فقال نعم كنت اخشى العاقبة
فامنت ولما شج وجهه وكسرت رباعيته يوم احد قالوا له لو دعوت
عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اي اغفر لهم هذا الشي المخصوص
لا مطلقا والا لاسلموا كلهم ذكره ابن حبان وانما دعا عليهم يوم
الخندق بان يملا بطونهم نارا الا انهم شغلوه عن الصلاة الوسطى
فكان الدعا لله لا لحظ نفسه **وحزم** كله اي جميع احواله التي
تصدر منه انها تصدر على غاية من الضبط والقوة والشدة
الباطنة والظاهرة لان منشا ذلك العقل الكامل وقد مر انه لا
اكمل من عقله بل لا مساوي له من بشر ولا ملك **وعزم** كله من
عزم على الشي فقطع بصواب جميع ما يفعله بوحي واجتهاد انما
يفعله مع امضايه والقطع به من غير اعراض عنه ومن ثم كان
من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه اذا كان فعل خيرا لزمه
ادامته كما وقع له ان ناسا شغلوه عن سنة الظهر البعدية
حتى دخل وقت العصر فصلاها حينيذ واستمر يصلي ركعتين
بعد العصر الى وفاته **ووقار** كله لان الله تعالى القى عليه
من المهابة ما لا غاية له ومن ثم قال خارجة ابن زيد كما رواه ابو
داود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه
وعن ابي سعيد الخدري كان اذا جلس في المجلس احتبى بيديه
وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه

فصلا

فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم
مجلسه مجلس علم وحيا وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك
فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساوه كانما على رووسهم الطير جا اليه رجل
فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون
عليك فاني لست بملك ولا جبار انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد
بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس
اني اوحي الي ان تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغي احد على احد
ولا يفخر احد على احد وكونوا عباد الله اخوانا وراته قيلة بنت
مخرمة في المسجد قاعدا القرفصا فارعدت من الفرق رواه
ابو داود وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال
صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملات عيني منه قط حيا
منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه لما قدرت واذا كان هذا وهو
من اجلا الصحابة كذلك فما بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه
وسلم لولا انه كان يباسطهم ويمزح معهم ومع ذلك لا يقول
الا حقا ويتواضع لهم ويونسهم لما قدر واحد منهم ان يجالسه ولا
يحادثه لما القى الله عليه من المهابة والجلالة وقد خير صلى الله
عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاشار الى جبريل كالمستشير
فاشار اليه ان تواضع فاختار العبودية **وعصمه** اي حفظه
بما يستحيل شرعا وقوع خلافه من ساير الذنوب صغيرها وكبيرها
عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها في ساير حركاته وسكناته
في باطنه وظاهره سره وعلانيته جده ومزحه رضاه وغضبه
والخلاف في بعض ذلك لا يعول عليه كيف وقد اجمع الصحابة
رضوان الله عليهم على اتباعه والتاسي به في كل ما يفعله من قليل

وكثير وصغير وكبير لم يكن عندهم في ذلك توقف حتى اعماله في
السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم
ومن تامل احوالهم معه استحيا من الله كما قاله الامام المجتهد التقي
السبكي ان يخطر له تشكك في انه معصوم في كل ما ذكرنا وكذلك الانبيا
كلهم معصومون كما ذكر وحكي في عصمتهم قبل النبوة خلاف ومحله
في غير الجهل بالله وصفاته اما هو فهم معصومون منه اجماعا بل لم
ينشاوا الا على اكمل الاحوال من الايمان بالله ومعرفته كما ينبغي
وحكي في عصمتهم من الصغاير بعد النبوة خلاف ايضا وهو في غاية
الضعف بل الزم قايلوه بخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم ومحله
في غير صغاير الخسة كسرقة لقمة وفي غير ما يتعلق بطريق التبليغ
اما هذا فهم معصومون اجماعا واما قوله تعالى ووجدك ضالا منه مح
فهدى فالمفسرين فيه اقوال كثيرة احسنها ما جا عن ترجمان
القران ابن عباس رضي الله عنهما واخرين من صحابه وتابعين ان معناه
وجدك ضالا عما اتاك من معالم النبوة فهداك اليها ويويده
قوله تعالى ما كنت تدري اي قبل الوحي ما الكتاب اي القران
ولا الايمان اي الدعا اليه او ولا الفرايض والاحكام اذ الايمان
يطلق عليها حقيقة نحو وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت
المقدس كما يصرح به سبب النزول وما جا من قوما اي وجدك
ضالا عن جدك عبد المطلب حتى كاد الجوع يقتلك فرده اليه
او هو من ضل الما في اللبن اذا تغيب فيه اي وجدك مغمورا بين
كفار مكة فنصرك عليهم واما قوله ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك فاختلف المفسرون فيه على اقوال
كثيرة بها يبطل الاحتجاج به للقول الساقط السابق انفا ومن
احسنها

احسنها ان المعنى خففنا عنك اعبا النبوة التي اثقلت حقوقها
والقيام بموجباتها ظهرك حتى كاد ان يكون له نقيض اي صوت
او المراد عصمناك من الوزر الذي لو تحملته صوته ظهرك من
ثقله فسمي العصمة وضعا مجازا او رفعنا عنك اوزار امتك التي
اثقلت ظهرك خوف عاقبتها حتى اسلك الله ذلك في العاجل بقوله
عز قايلا وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واعطاك الشفاعة
فيهم في الاجل واما قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فاختلفوا فيه كذلك واحسن ما فيه ايضا قول ابن عباس رضي الله
عنهما انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان او المراد بالذنب
في ذنوب امته على وزان ما مر او ترك الاولى والاخرى كما قيل
حسنات الابرار سيئات المقربين وعليه قوله تعالى عفا الله
عنك لم اذنت لهم اي محى عنك ما ارتكبته من خلاف الاولى وحفظ
صلى الله عليه وسلم انجا من اعدايه الحريصين على قتله فكان
اصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فاخرج
صلى الله عليه وسلم راسه من القبة وقال يا ايها الناس انصرفوا
فقد عصمني ربي وتواعد جماعة على قتله فلما دخلوا اليه سمعوا
صوتا مهولا فخشي عليهم ثم تواعد والمرة اخرى فلما راوه جاءت
الصفا والمروة فحالتا بينه وبينهم وواعد ابو جهل قريشا
ان راه ليطان على عنقه فاعلموه به فذهب اليه فولى هاربا
فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملو نارا فكدت ان اهوي
فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قال صلى الله عليه وسلم
تلك الملايكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ووفد عليه عامر ابن
الطفيل واربد ابن قيس ليغتالاه فشغله عامر فاراد اربد قتله فلم ير الا

وورد في بعض نسخ هذه ... الا ... المفسرين ... النساء ... [illegible]

لعنه ولعنه الاله ابو جهل

عامرا وحيا كله كما يصرح به خبر البخاري عن ابي سعيد رضي الله
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حيا من العذراء في
البكر في خدرها قيل ذكره من باب التتميم لان العذراء في خدرها يشتد
حياوها اكثر مما يكون خارجه عنه لان الخلوة مظنة وقوع الفعل
بها وقيل الظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها في خدرها لا
حيث يكون وحدها فيه والمد بالحيا بالمد لغة تغير تعتري الانسان
من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع
من التقصير في حق ذي الحق من الحياه وكذا الحيا المقصور وهو
المطر وقوته وضعفه بقوة حياة القلب وضعفه وهو اقسام
ثمانية يطول استقصاوها منها حيا الكرم كحيائه صلى الله عليه
وسلم ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده المقام ان يقول
لهم انصرفوا ومن ثم كان لا يواجه احدا بما يكره بل اذا بلغه عن
احد شي قال ما بال اقوام ولم يقل ما بال فلان قالت عائشة
ما رايته منه ولا راى مني ومنها حيا المحبة وهو حيا يخطر بقلب
المحب في غيبة محبوبه تهيجه اليه ومنها حيا العبودية وهو
ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته
لمعبوده فيستحيي منه لا محاله ومنها حيا المومن نفسه ان
رضيت بالنقص او قنعت بالدون حتى كان له نفسين يستحيي
باحدهما من الاخرى وهذا اكمل ما يكون من الحيا وهو حيا النفوس
الشريفة الرفيعة هو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم
الحيا لا ياتي الا بخير والحيا من الايمان رواهما البخاري وجعل
من الايمان مع انه غريزة لان استعماله على قانون الشرع
يحتاج الى قصد واكتساب وعلم فالحيا المكتسب هو الذي جعله

الشارع

الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي غير
ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى
يكاد يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين
فكان في الغريزي اشد حيا من العذراء في خدرها [illegible]
عقله صلى الله عليه وسلم اوسع العقول ولذلك اتسعت اخلاق
نفسه الكريمة اتساعا لا يحد ثم ذلك اتساع خلقه العظيم في الحلم
والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره لا سيما في الشدة حتى انه
لا تخل لها باسا اي الشدة وان افرطت لا سيما في الحروب
وقد استعرت نيرانها واصطلت عقول شجعانها منه فتتعلق
بما بعده من المضاف او المضاف اليه او يتخلل عرى الصبر وهو
حبس النفس على ما تكره اي اسبابه من الحلم والعفو والصفح
والشجاعة المشبهة في اشتمالها على من قامت به حتى يمنعه من
وقوع نادرة منه عند ثوران نار الغضب بحبال ربطت
على شي واحكمت في عرى فاستمسكت عليه ولم يكن حلها ولا نقضها
فذكر العرى استعارة تخييلية وتشبيه الصبر بالثوب السابغ
ذي الازرار والعرى المحكمة استعارة بالكناية وذكر لا تخل ترشيح
وحسبك صبره على من جار عليه يوم احد في اشد ما نالوه به
من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه الشريف
وشق ذلك على اصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم فقال
اللهم اغفر لقومي او اهد قومي فانهم لا يعلمون اي لا تعاجلهم بالعقوبة
من اجلي فانهم لا يعقلون تفاصيل ما يترتب عليهم في ذلك من انواع
العذاب واصناف العقاب وروي عن عمر رضي الله عنه
انه قال بابي وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال

ربِّ لا تذر الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ
ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا
فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وإنما قال صلى الله عليه
وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة العصر اللهم املأ قلوبهم نارا
لأن الحق له وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه وإنما يغضب
إن انتهكت حرمات الله امتثالا لقول الله سبحانه جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم في أماكن
متعددة لأسباب مختلفة لكن مرجعها إلى أنه لم يغضب لنفسه
بل لربه وقد صح عن زيد بن سعنة بمهملة ونون مفتوحتين وهو
أجل أحبار اليهود الذين أسلموا أنه قال لم يبق من علامات النبوة
شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه
إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل
عليه إلا حلما فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه فابتعت
منه تمرا إلى أجل فأعطيته الثمن فلما كان قبل محل الأجل بيومين
أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه
بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله إنكم يا بني عبد
المطلب مُطْل فقال عمر أي عدو الله تقول لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي
رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون
وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك
يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب
به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل
فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم إلا اثنتين وذكرهما ما مر وقد عرفتهما فأشهدك
أني قد أسلمت وروى أبو داود أن أعرابيا جاء إليه صلى الله
عليه وسلم فجذبه بردائه وكان خشنا حتى أثر في عنقه الشريف
وقال له احمل لي على بعيريَّ هذين فإنك لا تحمل من مالك ولا من مال
أبيك فقال صلى الله عليه وسلم لا وأستغفر الله وكررها ثلاثا لا
حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني كل ذلك والأعرابي يقول
له لا أقيدك أبدا ثم أمر له بحمل بعير تمرا وبعير شعيرا وروى
البخاري أن أعرابيا جبذه حتى أثرت حاشية البرد في صفحة
عنقه الشريف من شدة جبذته وقال يا محمد مر لي من مال الله
الذي عندك فضحك ثم أمر له بعطاء وروى الترمذي عن عائشة
رضي الله عنها لم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزي
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أي لم يكن له الفحش خلقا
ولا تكسبا وروى البخاري أن رجلا استأذن عليه فلما رآه قال
بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس إليه ألان له
القول وانبسط إليه فلما خرج سألته عائشة عما قال وعما فعل
فقال متى عهدتني فحاشا والعشيرة القبيلة وانبساطه إليه
تألفا له لأنه رئيس قومه وتعليم للأمة وفيه جواز المداراة اتقاء
الشر وهي بذل الدنيا لصلاح الدين أو الدنيا أو هما بخلاف المداهنة
فإنها بذل الدين لصلاح الدنيا وهو صلى الله عليه وسلم إنما
بذل له من دنياه حسن عشرته ولم يمدحه فكان قوله فيه
حق وفعله معه حسن عشرة وهذا الرجل يعني بعضهم أنه
عيينة بن حصن الفزاري وقد كانت منه أمور في حياة النبي
صلى الله عليه وسلم وبعد موته تدل على ضعف إيمانه بل ارتد

في زمن الصديق وحارب ثم اسلم في زمن عمر فما قاله صلى الله عليه وسلم فيه من علامات النبوة ولا ينافي ما مرانه لم يدنتقم لنفسه امره بقتل عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يوذيه صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى فايس من ايمانهم ومن ثم لما طمع في ايمان المنافقين امهلهم مع شدة ايذايهم له بما لا يصبر عليه بشر وصبره عليهم مع علمه بعدم ايمانه للمصلحة العامة كما اشار لذلك صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال له اقتلهم لا تتحدث الناس واشجع الناس وان اهل المدينة فزعوا اليه فخرجوا فرأوه راجعا من جهة الصوت متقلدا سيفه على فرس لابي طلحة فقال لهم لن تراعوا ما رأينا من باس وحارع صلى الله عليه وسلم ابطالا مغمورين بانهم لا يجرعون فصرعهم وفي البخاري عن البراء انه قيل له افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على المغانم فاستقبلونا بالسهام ولقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا سفيان بن الحارث اخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وثباته حينئذ نهاية الشجاعة كيف وقد فر جيشه عنه ولم يبق معه الا بضعة عشر رجلا فوقف في نحو الوف مولفة على بغلة لا تصلح لكر ولا فر وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من جهله ومن ثم قال الصحابة كنا اذا احمر الناس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه بيننا وبين العدو

دفنا

وفيما خلقه مجتمعين به ولما قال اللعين ابي بن خلف يوم احد اين محمد لا نجوت ان نجا تناوله صلى الله عليه وسلم الحربة بن الحارث بن الصمة وقال لاصحابه بعد ان اراد والتعرض له خلوا سبيله فطعنه في عنقه طعنة كان فيها او ثابات نفسه الخبيثة اللعينة • **ولا تستخفه** اي لا تخرجه عن ثباته وتواضعه ووقاره **السراء** اي الرخا والسعة في الجيوش والفتوح التي منحها في اواخر حياته بل هو معها كهو قبلها لم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ومن ثم لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح في تلك الجيوش الهائلة التي لما راها ابو سفيان قال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال له ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وهو على ناقته القصواء في كتيبته الخضراء بين ابي بكر واسيد بن حضير حنا انه وضع راسه تواضعا لله لما راى ما اكرمه الله به تعالى من الفتح حتى ان راسه ليكاد يمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته ان احل له بلده ولم يحله لاحد قبله وانما اتصف صلى الله عليه وسلم بهذه الكمالات التي لا توجد في غيره لانه **كرمت نفسه** لانه تعالى لما اراد ايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من انواره الصمدية في حضرته الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه كمال حكمه وسبق في ارادته وعلمه ثم اعلمه تعالى بكماله ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته وبانه نبي الانبياء وواسطة جميع الاصفيا وابوه ادم بين الروح والجسد بل ولا روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر بمد الهاي في عالمها المتقدم على عالم الاشباح وكان هو الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات

والناس فهو وإن تأخر وجود جسمه متميز على العوالم كلها برفعته
ونفد مده إذ هو خزانة السر الصمداني ومحتد نفوذ الامداد
الرحماني فبسبب كرامة نفسه وتنزيهها عن كل رذيلة ونقيصة
ما يحمل السقم على قلبه ولا الضجر لكنه وقلبه قد طهره
الله بشق الملائكة المرات المتعددة عند تنقله في الأطوار المختلفة
كأمر بيانه وإخراج ما فيه مما جبل عليه النوع الانساني مما يقتضي
دنسًا ثم طهر وغسل وحشي من الحكم والعلوم ما لا يحيط به
إلا المان به عليه وذكر الضجر مع العلم بانتفائها بالأولى من
انتفاء السقم لأنها السوء الذي جاوز حده لأن المقام مقام إطناب
وإذا تأملت ما آتاه الله تعالى لنبيه مما مر من تلك الكمالات
التي لا تحد ولا تعد علمت أنه قد عظمت نعمة الإله عليه
عظمة قطعت سائر الخلق عن أن يصل أحد منهم إلى مبادي غاياتها
فبسبب هذه العظمة المذكورة استقلت لذكره أي عند
أي وقت ذكر ما أنعم الله به عليه ونظيره الخ الصلاة لذكري العظماء
أي جميع ما أنعم به عليهم ونظيره الخ الصلاة لذكري لأنه أوتي
غايات الكمالات الباهرة التي لا يدرك شأوها مخلوق ولو عرض
منها على ذوي العقول الكاملة جميع النعم والفضائل التي
أوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها دون كمالاته
وقطعوا بأن ما عنده أعظم وأجمع وبين عظمت والعظما تجنيس
الاشتقاق وكان صلى الله عليه وسلم من الحلم على ما ينافي أذاه
وزيادة الاحتمال لأعدائه وفرط الحلم عليهم والإغضاء عنهم
بالغاية التي لم يصل إليها غيره ومن ثم جهلت قومه أي قريش
وغيرهم عليه أي آذوه إذا لا يطاق فضربوه وخنقوه وأغروا

به سفهاءهم وصغارهم فضربوه ورجموه بالحجارة إلى أن أدموا
رجليه فسال منهما الدم على نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته
ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله مرات
وحصروا لأجله بني هاشم وبني المطلب في شعبهم سنتين حتى
كادوا أن يهلكوا من الجوع كما مر جميع ذلك في البخاري ومسلم
من حديث عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى
عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان
أشد ما لقيت منهم يوم العقبة وذكر ما مر من ذهابه إلى
ثقيف فأغروا به سفهاءهم وصبيانهم فضربوه ورجموه فأغضى
عنهم حلمًا وتكرمًا لا سيما وقد جاءه لما أن اشتد إيذاؤهم له ملك
الجبال كما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة السابق أنفا
قال بعد أن ذكر ما آذاه به ثقيف لما خرج إليهم بعد موت
أبي طالب يدعوهم إلى الله ويستنصر بهم على قريش فانطلقت
وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب
أي ميقات أهل الحجاز فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت
فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك وما
ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فناداني
ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا
ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك إن شئت
أن أطبق عليهم الأخشبين فقال صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن
يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا فكان
الأمر كما رجا صلى الله عليه وسلم وأخو الحلم أي الثابت في الأمور
وعدم الانتقام ممن أتى بمكروه وإن عظم إلى الذي طبع عليه حتى

صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه دابه اي شانه وعادته المستمر
هو عليها الاغضا اي التغافل عن ان يلتفت الى اذاه او ذي فضل
عن ان ينتقم ممن اذاه وفي كلامه المقابلة لما قررته ان المراد بالجهل
لازمه من ابذايه بالايطاق ومن ثم لما اذوه يوم احد بشج وجهه
وكسر رباعيته قيل له ادع عليهم فقال اللهم اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون اي عاما ينتفعون به واما جهلهم اي اعتقادهم الشي
على خلاف ما هو عليه وكثير منهم كانوا كذلك فكانوا يعتقدون ان
في ايذايه ومقاتلته غفلة عما لو انتفت فلعلهم الهمه ادي الثقافه
من معجزاته لعلموا الحق واتبعوه من فورهم واما لعنادهم
وهم الاكثرون قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا اي فنزل علمهم منزلة الجهل بل هو اضر منه كما لا
يخفى وبهذا يعلم ان في تعبير الناظم بالجهل تضمينا لجملة قوله
لا يعلمون وان المراد بالحلم لازمه من عدم الانتقام وكذا
بين الامساك والاعطا والتحقق والظن الاتيان وفيه
ايضا جناس الاشتقاق بين اغضى والاغضا والتذييل
بالمثل السادس واصل الاغضا اطباق الجفن عن روية المكروه
فاستعير لما ذكر بجامع الاعراض عن المكروه فيهما واذا كان
اخو الحلم دابه ذلك فكيف بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو الذي
وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تعالى
هو الذي تولى تاديبه بنفسه وافاض عليه من حقايق
حلمه وقدسه حيث قال له خذ العفو وامر بالمعروف
واعرض عن الجاهلين وفسرها جبريل للنبي صلى الله عليه
وسلم حين ساله فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من

قطعك

من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا عمن ظلمك وكل من اثر له حلم
واحتمال عرفت له زله وهفوة تنافي الحلم الانبيا صلى الله عليه
وسلم فانه لا يزيد على كثرة الاذا الا صبرا من سطامة ظلمها فقط
الا ان يكون حرمته من محارم الله اي المتعلقة به تعالى كما مر
ذلك مستوفي في شرح قوله لا تحزن الباس امنه عن في الصبر
ومنه قصة الاعرابي الذي جذبه برداية حتى اثر في عنقه
الشريف وقال له اعطني من مال الله لا من مالك ولا من مال ابيك
فقال صلى الله عليه وسلم المال مال الله وانا عبده ثم طلب
منه العود فقال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيية
السيية فضحك وامر له لا تحمل بعيره ومر في قصة اليهودي
الذي اسلم ان من علامات نبوته ان حلمه يسبق غضبه
وانه لا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما ولما دخل في غزوة
فتح مكه على قريش وقد اجلسوا في المجلس المسجد الحرام واصحابه
ينتظرون امره فيهم من قتل او غيره قال لهم ما تظنون اني
فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما
قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقا
وصح بالكسر العالمين جمع عالم وللمحققين في الاية
كلام منتشر لا باس بتلخيصه وتحريره هنا وهو مع اشتقاقه
من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به مع كونه
مشتقا من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق تعالى فصار اسما
لكل واحد ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها
وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع
ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يبعد زعمه ان المفرد

وهو العالم دال على الشمول والاستغراق اذا الجمع قد يحتمل
غير الشمول لان الغرض هنا افادة ان له اجناسا مختلفة كالجن
والانس والملائكة والافلاك والدواب والجماد واستغراق
جميعها بطريق المطابقة ولو قيل العالم لاوهم استغراق
بعض افراد تلك الاجناس فقط ولاصحاب حواشي الكشاف
هنا كلام سنابين هذا احسنه وغلب في جمعه بالواو
او اليا والنون العقلا لشرفهم وجمع جمع قلة مع ان الظاهر
مستدعي للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم
وان كثرت قليلة في جنب عظمة الله وكبريائه وقيل العالم
اسم وضع لذوي العلم وهم الانس والملائكة والجن وتناوله
لغيرهم على سبيل الاستتباع فهو مشتق من العلم وقيل
عني به الناس فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل
على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض التي
يعلم بها الصانع ولذلك سوى بين النظر فيهما فقال
تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقد بين حجة الاسلام
في كتابه الانتصار لما في الاحياء من الاسرار وجه اشتماله
الانسان على نظير ما في العالم بما فيه طول فراجعه فانه
بديع ومنه ان العالم ينقسم الى عوالم عالم الملك وهو
الظاهر للحواس والى عالم الملكوت وهو المدرك بالعقل
وعالم الجبروت وهو المتوسط الذي اخذ بطرفي كل عالم
منها والانسان كذلك فالمشابه للاول اجزاء بدنه وللثاني
نحو روحه وعقله وارادته وللثالث الادراكات الموجودة
بالحواس والقوى الموجودة باجزا البدن علما تمييز

الذي وسع

١١٥

اي وسع علمه علوم العالمين الانس والملائكة والجن لان الله
تعالى اطلعه على العالم فعلم علوم الاولين والاخرين ما كان
وما يكون كما مر وحسبك في ذلك القران الذي اوتيه
ومثله معه كما صح عنه وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب
من شي ويلزم من احاطته صلى الله عليه وسلم بالعلوم القرانية
ومثلها الذي اوتيه ايضا انه احاط بعلوم الاولين والاخرين
وان علومهم مندرجة ومنغمرة في علومه صلى الله
عليه وسلم بالعلوم القرانية ومثلها الذي اوتيه ايضا انه
احاط بعلوم الاولين والاخرين وان علومهم مندرجة
ومنغمرة في علمه صلى الله عليه وسلم (وحلما) اي وسع حلمه
حلم العالمين باسرهم كما عرف مما سبق انه ما من حليم قط
الا وقد عرفت له زلة او هفوة تخدش في كمال حلمه الانبيا
صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيده شدة الايذا له والجهل
عليه الا حلما وعفوا وصفحا فهو بسبب جمعه لتلك المعالي
التي لم تجتمع لغيره بحر اي واسع العلم والحلم وغيرهما من اخلاق
نفسه الزكية وصفاتها العلية فهو تشبيه بليغ او استعارة
على قول من زده اي كالبحر الذي هو خلاف البر والبحر سمي
بحرا لاتساعه وعمقه لم يعيه من اعيي فلان في مشيه اي
تعب او وقف الاعبا جمع عبي بكسر اوله وبالموحدة والهمز
وهو الحمل والثقل من اي شي كان اي لم يكد زكي علمه شك
ولا شبهة ولا زكي حلمه ابدا ولا جهالة فاستعار الاعبا للكدورة
والاعبا للشبهة والجهالة الاتية واذا تاملت ما تقدم من اوصاف
كماله الباهرة وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذي

وبينه وبين ما قبله الجناس المضارع

والبحر

انه رجحت البحار كلها في همته والحليم الكبير الذهب فدخل كل كريم وحليم
تحت حيطة كرمه وحلمه علمت انه لعصمته عن التلفت لما سوى
الله تعالى مستقل اي محتقر ذو نباك اي الاموال التي هي
من جملتها اذ هي في الاصل اسم لما بين السما والارض ان ينسب
الامساك منها اليه وان ينسب اليه ايضا الاعطا منها لانه
لا يهالعنا بها وكثرة الاستغناك بها عن المعالي حقيقته بمزيد الاعراض
عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها ولو لم يسمحها اختيارا
لشانها وتعليما للامة عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه صلى الله
عليه وسلم عنها اشد الاعراض خبر الترمذي انه صلى الله عليه وسلم
قال عرض علي ربي ان يجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت يا رب ولكن
اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا
شبعت شكرتك وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بخطابه
تعالى والا فهو عالم بالاشيا جملة وتفصيلا وروى الطبراني باسناد
حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا فقال
يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لال محمد سفة من دقيق
ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من
السما افزعته فقال صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم
قال ولكن امر اسرافيل بنزول اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل
فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزاين الارض
وامرني ان اعرض عليك اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا
وذهبا وفضة فعلت فان شيت نبيا ملكا وان شيت
نبيا عبدا فاوما اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا
فانظر الى همته العلية كيف عرضت خزاين الارض فاعرض
عنها

عنها وأباها مع انه لو اخذها لم ينفقها الا في طاعة ربه لكنه اختار
العبودية المحضة فيالها من همة شريفة رفيعة ما اسناها ونفس
زكية كريمة ما ابهاها وقد اشار الناظم الى ما هنا بقوله في بردة المديح
وراودته الجبال الشم من ذهب الابيات الثلاثة ومعنى البيت
الثالث كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا
وزينتها وهي وما فيها انما خلقت لاجله كما صح به الخبر السابق تنبيه
قوله هنا مستقل الى اخره احسن من قوله ثم واكدت زهده فيها
ضرورته لان بعض العلما انكر وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد
ويويده قول محمد بن واسع وقد قيل له فلان زاهد فقال
وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها واذا انكر وصفه بالزهد فالضرورة
من باب اولى وفي السيف المسلول للتقي السبكي عن الشفا واقره
ان فقها الاندلس افتوا باراقة دم من وصفه صلى الله عليه
وسلم في اثنا مناظرته بالتيتم عن زعم ان زهده لم يكن قصدا ولو
قدر على الطيبات اكلها وذكر البدر الزركشي عن بعض الفقها المتاخرين
انه يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله
حاله فقير بل كان اغنى الناس بالله قد كفي امر دنياه في نفسه
وعياله وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا
ان المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي ان لا تجد ما يقع
موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك
انتهى واما خبر الفقر فخري وبه افتخر فموضوع وقد صح انه صلى الله
عليه وسلم استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنا
فايده اكثر القران مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها
ودعوتهم الى الاخرة بل هذا هو المقصود بالذات من ساير الشرايع

كيف وهي عدوة لاوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا
مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم
بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها فخذلتهم احوج ما كانوا
اليها وروى جماعة في قصة ثعلبة من ابي حاطب الذي انزل الله
فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الايات
انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له بان الله
يرزقه مالا فقال له قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه
فاعاد السؤال فقال له صلى الله عليه وسلم اما لك في اسوة اما
ترضى ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت
ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت الحديث مطولا وصح انه
صلى الله عليه وسلم راى شاة ميتة فقال والذي نفسي بيده
للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه الشاة على اهلها ولو كانت
الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا شربة ماء وفي
الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه
وعالما ومتعلما وصح ان ابا بكر رضي الله عنه دعا بشراب فاتي بماء
وعسل فبكى حتى ابكى اصحابه ثم بكى ثم مسح عينيه فسالوه
فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع
عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي
تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك
عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من
بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر اخشى عليكم
ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان
قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم تنبيهات

اولها

اولها المراد بالدنيا المذمومة في الاحاديث وغيرها ما في قوله تعالى زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين الاية ويجمع ذلك كل ما لك
فيه عاجل حظ او شهوة من غير ان يعين على عمل اخروي ولا يقصد به
ثانيها تعارضت الاحاديث في ذم المال الصالح للمرء الصالح وكل ما جاء
في ثواب الصدقة والضيافة والاحسان والزكاة والحج ونحوها
فهو ثناء على المال لانه يتوصل به اليه وفي حديث البيهقي وغيره
كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال وصح على نزاع فيه ولذلك
قال بعض الحفاظ انه حسن وزعم بطلانه غلط صريح اللهم
من آمن بي وصدقني وعلم ان ما جئت به هو الحق من عندك فاقلل ماله
وولده وحبب اليه لقاءك وعجل له القضاء ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني
ولم يعلم ان ما جئت به الحق من عندك فاكثر ماله وولده واطل عمره
وطرقه لكثرة مختلفة منها وهي صحيحة على شرط الشيخين ان اباذر
اتى النبي صلى الله عليه وسلم الله قال الله قال للفقر تحفا فان الفقر
اسرع الى من يحبنا من السيل من اعلى الاكمة الى اسفلها وصح دعاؤه صلى
عليه وسلم لخادمه انس بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان
ووجه الجمع ان المدعو به في الاول من قلة المال المراد منه قلة
فتنتهما لان الغالب فيهما الفتن كما هو واضح من الايات والاحاديث
وفي الثاني من كثرتهما المراد به كثرة فوائدهما الاخروية فالمال ليس
خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف
في يد المقاتل يقتل به خصوما تارة ويهدر اخرى او كحية في يد
انسان فيها سم وترياق لكن سمها اكثر واغلب واوحى للنفوس
واذا تاملت ايضا ما تقرر من كمالاته العلية علمت انه شمس
سماء العلوم والكمالات باسرها كيف وكل فضل تحلى به كامل فانما

هو بواسطه استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك تحقق
من حق بمعنى ثبت الظن بمعنى الاعتقاد الجازم المطابق للواقع فيه
اى في ذاته وصفاته انه بالنسبة الى بقية الكمل في اشرافه ورفعته
عليهم الشمس المشرقة على هذا العالم البائنة عنه رفعة فلا يصل
اليها احد منهم وانه الضياء المفيض عليهم اضوا الكمالات وخوارق
الامدادات وبين الشمس والضيا تجنيس مراعاة النظير وفيهما التشبيه
البليغ والاستعارة الاصلية المطلقة على القول الذي مر رده ومر
اوائل اوائل الكتاب ما للبلغاء في التشبيه بالشمس فراجعه لكن ليس
كون المشبه به اعلى من المشبه امرا مطردا بل قد ينعكس الحال كما في
صلاة التشهد كما صليت على ابراهيم على الاجوبة فيه وما هنا من ذلك
كما نبه الناظم رحمه الله لذلك حيث بين انه صلى الله عليه وسلم
اعلى شانا في الضيا من الشمس فقال عاطفا بفا السببية اشعارا
بالنكته التي ذكرنا انه نبه لها فبسبب ان المشبه قد يكون اعلى
من المشبه به كان شانه صلى الله عليه وسلم انه اذا لم يتكلم الحال
بن هشام على هذه في المغني لانها في القران في غير موضع وتكلم على اذ
ما مع كونها ليست فيه وتكلم على تلك الها السبكي في عروس الافراح
في ادوات الشرط لكنه لم يتعرض الى ان زيادة ما حولها الى الحرفيه
او لا قال الجلال السيوطي يحتمل ان تجري فيها قولا اذ ما قول سيبويه
انها حرف والمبرد وغيره انها باقيه على الظرفيه ويحتمل ان تجزم ببقائها
على الظرفيه لانها ابعد عن التركيب بخلاف اذ ما انتهى وفيما علل به
الجزم نظر لانه قابل للمنع فالذي يتجه جريان الخلاف وان الاصح بقاؤها
على الظرفيه لان ما يزاد في نحو ذلك كثيرا وحينئذ فيجري فيها
احكام اذا غير الحجازيه من ان الغالب انها ظرف للمستقبل تضمن
معنى

معنى الشرط وتختص بالجمل الفعليه ولو بتقديره كاذا السما انشقت
وتحتاج لجواب وتقع في الابتدا عكس الفجائية وجوابها اما فعل
كما هنا او جملة اسمية مقرونة بالفا او باذا الفجائيه نحو اذا هم
يستبشرون او فعليه طلبيه كذلك وقد يقدر الجواب
لدلالة السياق او المقام عليه ثم المحققون على ان ناصبها
شرطها فالاكثرون على انه ما في جوابها من فعل او شبهه ولا
تخرج عن الظرفيه عند الجمهور وزعم الاخفش في حتى اذا جاؤها
انها مجرورة بحتى وبين حتى في اذا او قعت الواقعة بنا على نصب
خافضة رافعة ان اذ الاولى مبتدا والثانية خبر والمنصوبان
حالات وكذا ليس ومعمولاها نعم قد تخرج عن الاستقبال
فترد للحال نحو والليل اذا يغشى وللماضي نحو واذا راو تجارة
الاية فانها نزلت بعد الروية والانفضاض وعن الشرطية نحو
واذا ما غضبوا هم يغفرون لانها ظرف لهم المبتدا وزعم انها جوابها
يتقيد برفعهم بغفلة عن ان حذف الفا ضرورة وان هم تاكيد لواو
يغفرون او الذي هو جوابها محذوف تكلف بلا ضرورة وقد يستعمل
الاستمرار الازمنة نحو واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد
ينظر فيه بان الاستمرار هنا وفي نظايره التي استند لها انما
اخذ من قرينة السياق دون موضوع ويفارق ان في اذا
احكام كثيرة منها ان اذا للمتيقن والمظنون الكثير الوقوع كما للمتيقن
هنا وان للمشكوك والموهوم النادر ولا يرد نحو وليس
منه لان الموت لكثرة الغفلة عنه والجهل بوقته نزلته منزلة
الموهوم ولا يجوز واذا مس الانسان الضر لانه لتخويفهم واخبارهم
بانه لا بد ان يمسهم شي من العذاب يجي به مس عقب طلوع الشمس

وهذا ليس لتقييد الجزاية اذ محو نوره الظل يكون في هذا
الوقت وغيره لكنه في هذا الوقت اظهر لقوة ضيا الشمس
وصحو نورها حينئذ يمحي نوره وبين هفا وضحى التجنيس
اللاحق وهفا والضحى تجنيس الاشتقاق الظل مفعول ابي
ظل ذاته الكريمه او مطلق الظل مبالغة بل حقيقة لان نوره صلى
عليه وسلم اصل كل نور وهو لا يبقي معه ظلمة ومنها الظل او المراد
بالظل كل ضلالة ونقص وبنوره ما جا به صلى الله عليه وسلم
من الكتاب والسنة والعلوم والاداب والحال انه قد اثبت
الظلال جمع ظل وهو ما ينسخه الشمس او ينسخها هو واخص
منه الفي لانه اسم لما بعد الزوال من الظل وما نسخ الشمس وقيل
كلما نسخته فهو فيء وظل وكل ما لم تنسخه فهو ظل لا في الضحاء
اي ارتفاع الشمس ومده لضرورة النظم نبينا صلى الله عليه
وسلم اكمل من الشمس رفعه وضوءا لان نورها يذهب الظل ونور
نبينا يمحوه ويدل على المعز الاول ان خصايصه صلى الله عليه
وسلم انه اذا مشى في الشمس لا يظهر له ظل لطهارة ذاته وبعضهم
عن كل بعض ولان الله تعالى استجاب له دعاه المشهور انه
يجعله كله نورا فكان بدنه في نهاية الاضاءة التي لا تحجب ما يقابلها
قيل مد الضحا لضرورة النظم انتهى وفيه نظر بل الذي في القاموس
ان الممدود ما قرب من انتصاف النهار كما مر ثم ذكر ان المقصود
الشمس وحينئذ ان اريد بالضحا الشمس كان مده ضرورة
او اقرب انتصاف النهار كان مده صحيحا لا ضرورة فيه تنبيه
لك ان تستشكل تركيب قوله شمس فضل الخ بان حكمه عليه بانه
شمس الفضل يغني عن قوله تحقق الظن الخ لانه اذا اثبت اولا انه

اذا ثبت

١١٩

اذا ثبت اولا انه شمس الفضل الذي هو اسم لكل كمال علم انه الشمس في
الرفعة وانه الضيا فقوله تحقق الخ لا حاجة اليه وجوابه ما
اشرت اليه في حله من ان جملة تحقق الظن فيه الخ حال مؤكدة لما
قبلها وصاحب الحال الضمير العايد عليه صلى الله عليه وسلم او مستقل
وشمس فضل معطوفان على خبر حذف حرف العاطفة او معدد او كل
مبتدا استقينا فانه تعدد شبابه صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه
كل مستقل كامل في ذاته لتضمنه للمبقية كما مر في شرح قوله
كل وصف له ابتدات الخ ولما ورد على ظاهر ما قرره ان نوره يمحو الظل
ما سبق له صلى الله عليه وسلم ان الغمامة كانت تظله بان يقال
كيف يمحو نوره الظل والغمامة اظلته فلم لم يمح نوره ظل الغمامة ولم
احتاج اليه مع انه الضيا الاعظم من ضيا الشمس اشار الى الجواب ذلك
لكن بما قد تقصر عنه عبارته بتأدب الرأي فقال فبسبب
محو نوره الظل الحسي على ما مر صار صلى الله عليه وسلم هو الظل المعنوي
الاعظم على جميع اتباعه حتى كان الغمامة لما اظلته قبل النبوة
ارهاصا وتأسيسا لما ستصير اليه امره اعلمته بانها استودعته
الامة باسرها لكن اصحابه وهم الدفعا ومن بعدهم بواسطة
استمداد الاولين من ظله وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل
بالدين بواسطتهم من اب الذين اظلته هم من بعض ظله
الاعظم الدفعا جمع دافع كعلما جمع عالم وهم جيوشه سمي
الجيوش بذلك لانهم يدفعون نحو العدو اي يسيرون اليه
لدفعه واستيصاله وحاصل الجواب ان ذلك التظليل الذي
كان قبل النبوة كالحكمتين احديهما الارهاص كما تقرر وثانيتهما
اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤل اليه امره من ان الله

سيجعل له امة اكثر الامم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن مستمد
من القرون الذين قبلهم وان الكل مستمدون وممدون من ظله فسائر
القرون مستمدون وممدون من اصحابه مستمدون من ظله وممدون
من ظله وحينئذ فلا تنافي بين محو نوره الظل وبقا الظل مع نوره
عند تظليل الغمامة له لان المحو هو الاصل المستمر والبقا انما كان على خلاف
الاصل لحكمتين المذكورتين احدهما الارهاص والثانية الاعلام له بقوم
ظله المعنوي على الامة من اولهم الى اخرهم فتامل ذلك فانه مهم
بل انغلق معنى هذا البيت على الشارح فقال انه وجد هذا البيت
في نسخة وانه غير مفهوم المعنى بسبب انغلاقه عليه جعله الضمير
المفعول في استودعته للظل لا يقال بل ربما قاله من رجوعه للظل
يتضح به المعنى لكن ان جعلنا الدفقا للطيور يكون في البيت حينئذ
التلميح الى قصة هي ان الطيور كانت تظل الانبيا قبله كداود وسليمن
وبني اسرائيل وظللنا عليهم الغمام وحينئذ فكانه يقول هذا المعنى
لا يطابق اللفظ سلمناه مع ما فيه من البعد والتكلف فوزن
دفقا فعلا وهو انما يكون جمع الفعيل اذا كان وصف ذكر عاقل
بشروط اخر ولما دل على سجية حمد او ذم لشروط اخرى كشجاع
وشجعا وصالح وصلحا وشاعر وشعرا وجاهل وجهلا فعلم انه
لا يصح حمله على الطيور اصلا لانه انما يكون جمع الصفة عاقل مذكر
او سجية حمدا وذم بشرطها على ان الذي سمع في الطير دفوف
في العقاب وفعلا لا يجمع عليه اصلا والدفاف فيما يطير بجناحيه
ولا يصفه وهو وصف لغير عاقل ودفيف وهو لغير وصفا
للطائر بل لحركته بتسليم انه وصف له هو غير عاقل فان قلت
المعنى الصحيح ان الغمامة لما اظلته استوعبت الظل الطيور التي اظلت

الانبيا

وعن هذا الكلام في هذا البيت

الانبيا من ظله فهلا يحمل النظم عليه قلت يعارضه ما تقرر في
قاعدة جمع فعلا وبتسليمه بجوازه في الجميع فالنظم ينبو عن هذا
المعنى بكل وجه كما هو واضح فان قلت ظاهر كلام الناظم في البردة
انه احتاج لتظليل الغمامة لبقية حر الشمس فينافي ما مر ان تظليلها
للحكمتين السابقتين قلت ما افهمه كلامه لم يعارضه ان تظليلها
لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كما مر ولو كان لما ذكره لكان بعد النبوة
ايضا فان قلت قد ظلل عليه صلى الله عليه وسلم عند رميه الجمرة
بثوب وهو يشعر بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الجبلة البشرية
وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتامله وايضا
فهو صلى الله عليه وسلم برز للشمس في عرفة ولم يظلل اشارة الى ان
السنة للمحرم ان يبرز للشمس وظلل عند الرمي اشارة الى انه لا يتعين
البروز للشمس هنا كذا ذكروه وعليه فلا اشكال اصلا ومر قصة
تظليل الغمام وروايتها في شرح قوله واتاها ان الغمامة والسرح
اظلته منهما افيا واذا تقرر ان كل فضل مستمد من فضله وان
نوره يمحو الظل على ما سبق في معناه علم انه قد خفيت عنده
اي في جنب ما اوتيه الفضائل التي اوتيها غيره من الانس والملائكة
والجن وانه قد انجابت اي في جنب ما اوتيه الفضائل التي اوتيها
غيره من الانس والملائكة والجن وانه قد انجابت اي انكشفت به
اي بسبب ما بثه فينا من علومه وادابه واخلاقه عن عقول
حسرا منة الاجابة والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبعها
العلم بالضروريات عند سلامة الالات وفيه خلاف طويل
اشار اليه في القاموس وعبارته العقل العلم او بصفات الاشيا
حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها او العلم بخير الخيرين وشر الشرين

او مطلق الامور والقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ولما
يجتمعه في الذهن تكون بمقدمات تستنتج بها الاغراض والمصالح
او الهيئة محمودة للانسان في حركاته وكلامه والحق انه نور روحاني
به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتدا وجوده عند
اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهت
الاهوا اي الضلالات والنقايص فلم يقع في ورطة من منها
كما وقع فيها من اعرض عن الهدى وسلك سبيل الردى ثم استدل
على ذلك الخفا وكشفه الهوى بافادة الاستفهام الانكاري فقال
على طريق اللف والنشر المرتب ا يوجد مع الصبح للنجوم تجل او يوجد
مع الشمس للظلام بقا اي انما خفيت الفضايل عنده لانه الفجر
الصادق وغيره من ساير الكمل كالنجوم كما ان النجوم لا يبقى لها نور
مع الفجر فكذلك ساير الكمل وانما كشف عن عقولنا الاهوا لانه الشمس
كما مر والاهوية والنقايص كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس
فكذلك الاهوية والضلالات لا يبقى مع اشراق الشمس من غير حايل
بينها وبين ما اشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام
تجنيس التقابل وفي ولما قورنا يتعلق بقوله شمس فصل بما بعده
الى هنا لانه مناسب له عطفه بحذف حرفه واستانف نظير
ما مر فقال معجز القول لان الله تعالى امتن عليه بجوامع الكلم
التي اوتيها دون غيره ومن ثم قال بعض العلما ان كلامه معجز
كالقران وكان الناظم رحمه الله اعتمد هذا القول حيث عبر
بما وافقه وان احتمل ان يريد ما يوافق مذهب الاكثرين
ان كلامه غير معجز ومعجز الفعال فلا يقدر مخلوق ان يوجد
فعلا مطابقا لساير المصالح الظاهرة والباطنة في ذلك الوقت

الذي اوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هي مرتبة
وارث الحضرة الالهية الذي لا يدخل احد اليها الا باذنه كريم الخلق
كما يعلم مما قدمته مبسوطا في شرح قوله فتنزه في ذاته الى اخره وكريم
الخُلق بضم اوله كما مر مبسوطا في شرح قوله ما سوى النسيم وبين
القول والفعل والخلق والخلق تجنيس التقابل مع تجنيس التحريف في الثاني
مقسط اي عادل في احكامه واقواله وافعاله فلا يصدر منه شي
قط الا على غاية العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من راه وعلم احواله
حتى اعدايه ومماويه الاشرب ان قريشا لما بنوا الكعبة والنبي معهم
قبل النبوة فوصلوا الى موضع الحجر الاسود اختلفوا فيمن يضعه
في محله ثم اجمعوا على انهم يحكمون اول داخل المسجد فكان النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا الامين نحكموه فامر بوضعه بثوب
وامر كل رئيس قبيلة ان يمسك بطرف الثوب ثم يرفعوه ففعلوا
الى ان بلغوا به محله فاخذه صلى الله عليه وسلم ووضعه في محله
وصح ان رجلا قال وهو يقسم اعدل فقال ويلك فمن يعدل ان لم
اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل وكان يقول ابلغوا حاجة من لا
يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبته
الله يوم الفزع الاكبر وكان لا يواخذ احدا بقول احد ولا يصدق
احدا في احد معطا اي كثير العطا الذي يعجز عن ادناه الملوك فقد
صح عن انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود
الناس واقتصاره على هذه الثلاثة من جوامع الكلم التي منحها من
امداده صلى الله عليه وسلم لانها امهات الاخلاق اذ كل انسان
ثلاث قوى الغضبية وكمالها الشجاعة والشهوانية وكمالها الجود
والعقلية وكمالها اكتساب الفضايل واجتناب الرذايل وصح عنه ايضا

ما سئل صلى الله عليه وسلم شيئا الا اعطاه فجاه رجل فاعطاه غنما بين
جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا يعطي عطي من لا يخاف
الفقر واعطى صفوان ابن امية يوم حنين حتى اسلم اعطاه
مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وصح عن جابر ما سئل صلى الله
عليه وسلم عن شي قط فقال لا اي لا ينطق بالرد بل ان كان عنده
المسئول وساغ الاعطا بان كم يرضوا ما عنده لما هو اهم
اعطاه والا سكت كما في حديث مرسل لحينئذ لا ينافي الحديث
الاية قلت لا احد ما احلكم عليه فهو لا يقولها منعا للعطا بل اعتذارا
حيث لا ينفع السكوت لتوجهل السايل وفي حديث الترمذي انه
حمل اليه تسعون الف درهم فقام اليها فما رد سايلا حتى فرغ
منها وقال لسايل ما عندي شي ولكن ابتع علي فاذا جانا شي قضيناه
فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره منه ذلك فقال
انصاري انفق يا رسول الله ولا تخف من ذي العرش اقلالا
فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال
بهذا امرت وفيما اعطاه يوم حنين فكان خمسماية الف
الف قيل هذا انهاية الجود الذي ما سمع لاحد مثله وصح انه اتي
اتي بمال من البحرين فامر بصبه فصب في المسجد وكان اكثر
مال اتي به صلى الله عليه وسلم وفي رواية مرسلة كان مائة
الف فخرج للصلاة فلم يلتفت اليه ثم بعدها جلس اليه
ففرقه ومع هذا الجود الواسع الذايع كان صلى الله عليه
وسلم يعيش عيش الفقرا وياتي عليه الشهران لا يوقد في
بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع
وجاه سبي فسالته فاطمة في خادم يكفيها مونة بيتها فامرها

[catchword, bottom margin of the right page:] الشنقيني

١٢٢

ان تستعين بالتسبيح والتكبير والحمد وقال لا اعطيك وادع اهل الصفة
تطوي بطونهم من الجوع واذا علمت اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه
الاوصاف الجليلة التي لم يوجد مثلها ولا ما يقاربها في مخلوق غيره علمت
ان من الواجب على كل من عرف ذلك ان يقول لمن لم يعرفه خبره وقدره
لا تقس من قسنت الشي بغيره قدرته على مثاله اي لا تشبه **بالنبي**
الموصوف بما ذكر وهو نبينا صلى الله عليه وسلم **في الفضل** الجامع
لتلك الصفات بل ولا في كل صفة منها على حدته لان كل وصف من
اوصافه وصل فيه الى غاية لم يلحقه مخلوق فيها **خلقا** نبيا او ملكا
او غيرهما اي لا يعتقد ان مخلوقا يساويه او يقاربه في وصف من
اوصاف كماله لما مر اول الكتاب في شرح قوله لم يساووك في علاك
الى اخره **فهو** لا غيره **البحر** الجامع لكل وصف من اوصاف الكمال
البالغ النهاية في توفيه **والانام** هو كما في القاموس كسحاب والانام
بالمد والانيم كامير الخلق والجن والانس او جميع ما على وجه الارض
انتهى والمراد هنا الاول بدليل قوله الاتي في العالمين **اضاء**
بالكسر والمد جمع اضاه كقناة وهو الغدير وتجمع ايضا على اضا
كقنا وشتان ما بين البحر والغدير وفيه مراعاة النظير وكيف
لا و **كل فضل** وجد في العالمين الانس والجن والملايكة وتبيين
فضل والفضل لتجنيس الاشتقاق **استمداره** حال من ضمير
الظرف المستقر **الفضلا** لانه المعد لهم اذ هو الوارث للحضرة
الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لا يستمد
منه الا بواسطته فلا يصل منها لكامل شي الا وهو من بعض مدده
وعايد به فايات كل نبي انما هي مقتبسة من نوره لانه كالشمس
وهم كالكواكب فهي غير مضيئة بذاتها وانما هي مستمدة من نور

[left margin, written diagonally:] فهو النبي من فضل ربه على الانبياء والمرسلين والملايكة والجن والانس ...

الشمس فاذا غابت اظهرت انوارها فهم قبل وجوده صلى الله عليه وسلم انما
كانوا يظهرون فضله وانوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده
الواسع فلا يرد ان ظهور رحله فى ادم واحاطته بالاسما كلها انما
هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص به نبينا صلى الله عليه وسلم
ثم توالت الخلايق الى زمن بروز جسمه فلما برز كان كالشمس
اندرج فى نوره كل نور وانطوى تحت منشوره اياته كل اية لغيره
من الانبيا فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطى نبينا مثلها
او اعظم منها كما سبره الايمة ووضحوه ومنه ان ادم لما اعطى خلق
الله تعالى بيده اعطى نبينا انه شق صدره وملاه ذلك الخلق
النبوى فتولى من ادم الخلق الجسمى ومن نبينا الخلق النبوى
ولذا كان هو المقصود من خلق ادم ومن ثم لم يكن سجود الملايكة
الا للنور محمد الذى فى جبهة ادم كما قاله الفخر الرازى وادريس لما اعطى
المكان العلى اعطى نبينا المعراج الافخم الاعظم ونوح لما ان نجيهم
وقومه اعطى نبينا ان الله لم يهلك امته بعذاب عام ووقع
فى تفسير الرازى انه اعطى مكان السفينة انه دعا حجرا وهو
على شط ما فانقلع وسبح الى ان جا اليه وشهد له بالرسالة
وابراهيم لما نجى من النار نجا نبينا من نار الحرب قال تعالى كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وروى النسائى انه احترق
جلد طفل كله فمسحه صلى الله عليه وسلم فصار صحيحا ولما اعطى
مقام الخلة اعطى نبينا ذلك وزاد بمقام المحبة الارفع من كل مقام
ومن ثم يقول ابراهيم فى الموقف لما يسال فى الشفاعة العظمى انما
كنت خليلا من ورا ورا ولما اعطى بنا الكعبة اعطى نبينا وضع
الحجر الذى هو روحها فى محله لما تعنته قريش ولما اعطى موسى

قلب

قلب العصا حية اعطى نبينا حنين الجذع الذى هو ابهر واغرب وذكر
الرازى وغيره ان ابا جهل اراد ان يرميه بحجر فراى على كتفيه ثعبانين
فانصرف مرعوبا واليد البيضا التى بياضها يغشى البصر اعطى نبينا
انه كان عنده عباد ابن بشر واسيد بن حضير ليلا فخرجا وبيد
كل عصا احدهما فمشيا فى ضويها فلما افترقا اضات عصا الاخر
صححه الحاكم واخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وابو نعيم
عن حمزة الاسلمى قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا
فى ليلة ظلما فاضات اصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك
منهم وان اصابعى لتنير وانفلاق البحر اعطى نبينا انشقاق القمر
الذى هو ابهر لانه تصرف فى العالم العلوى على انه نقل ان بين
السما والارض بحرا يسمى المكفوف بحر الارض بالنسبة اليه كقطرة
من البحر المحيط فعليه يكون انفرق لنبينا صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسرا وتفجير الما من الحجر اعطى نبينا تفجيره من بين اصابعه
وهو ابلغ لان الحجر من جنس الارض التى ينبع منها الما والكلام اعطى
نبينا مثله ليلة الاسرا وزيادة الدنو والروية بعين البصر وشتان
بين جبل الطور الذى نوجى موسى عليه وما فوق العرش الذى
نوجى نبينا عليه وهارون الفصاحة اعطى نبينا ابلغ منها واظهر
على انها فى العبرانية والعربية افصح منها ومن ثم لم يكن فصاحته
معجزة بخلاف فصاحة نبينا فانها معجزة عند بعضهم وكذا عند
الكل لكن بالنسبة لما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات
ولم يتحد نبى بها الا نبينا ولقد قال له بعض اصحابه ما راينا الذى
هو افصح منك فقال وما يمنعنى وانما نزل القران بلسانى
لسان عربى مبين ويوسف شطر الحسن وتاويل الرويا

اعطي نبينا الحسن كله كما في الحديث وعبر من المرائي فوقعت كما عبر ما لا
يدخله الحصر وتعبير يوسف انما كان في ثلاث مرائيه كما في سورته
داود تليين الحديد اعطي نبينا ان العود اليابس اخضر بين
يديه وان شاة ام معبد درت ببركة يده ولم تلد قط كما مر وسليمان
كلام الطير اعطي نبينا انه كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى وكلمه ذراع
الشاة المسمومة والظبي وشكا اليه البعير والريح التي غدوها شهر
ورواحها شهر اعطي نبينا البراق وهو اسرع من الريح بل من البرق
الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في لحظة واحدة واقل مسافة
في ذلك سبعة الاف سنة وما فوق العرش الى المستوى
والرفرف لا يعلمه الا الله تعالى وايضا الريح سخرت لسليمان لتحمله
الى نواحي الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض اي جمعت
حتى راى مشارقها ان الله مكنه من شيطان تفلت عليه في الصلاة
فاراد ان يربطه بسارية وسخر له الجن حتى اسلموا ولم يسخروا
لسليمان الا في العمل وعد والطير من جملة جنوده اعجب منه حمامة
الغار وعنكبوته بل هذا اعجب لان فيه الحماية من العدد الكثير بالشيء
القليل وعيسى ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى اعطي نبينا رد العين
الى محلها بعد ما سقطت فعادت احسن ما كانت وذكر الرازي
انه صلى الله عليه وسلم مسح برص فشفيت والبيهقي ان رجلا
قال لا او من بك حتى تحيي لي ابنتي فاتى قبرها فخاطبها فاجابته
وتسبيح الحصى وحنين الجذع ابلغ من تكلم الموتى لان هذا من
جنس من يتكلم وبالجملة فقد اوتي صلى الله عليه وسلم مثلهم وزاد
بخصايص لا تحصر اعلاما بانه الممد لهم دايما وفيه تجنيس الاشتقاق
وعدل عن استعارة ليتصفهم بالفضل اي هم مع كونهم فضلا كاملين

على

على بقية العالم انما يستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم لا على وجه
الاصالة والاستقلال بل على وجه الاستعارة المستحقة
الرد اذا اراده المعير ومن لا يكون كذلك وقد شق صدره وفي
نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره والاتم قلبه
المرة بعد المرة الى ان تكرر ذلك الشق اربع مرات او خمسا مبالغة
في التطهير والتخليص من الاغيار ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك
ولا ما يقاربه وقد مر الكلام على ذلك مستوفى في مبحث رضاعه
صلى الله عليه وسلم فراجعه فانه نفيس وشق له اي لاجله
البدر اي القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبه كفار
مكة وبالغوا في عناده فطلبوا منه اية يبرهن بها اباهم بذلك
على صدقه وهو ان تشق لهم القمر نصفين ربه فانشق له كذلك
كما نص عليه القرآن وتواترت الاحاديث به كما حققه التاج
السبكي وغيره واجمع عليه المفسرون واهل السنة اعلاما
بصدقه في دعواه الرسالة والوحدانية لله تعالى وان ما يعبدون
باطل لا يضر ولا ينفع ولم يقع انشقاقه لغيره صلى الله عليه
وسلم وهو من امهات معجزاته لا يكاد يعدلها شيء من ايات
الانبيا لظهوره في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في
هذا العالم المركب من الطبايع فلم يطمع احد في الوصول اليه بحيلة
وفي روايات ما يوهم تعدد الانشقاق مرتين وظاهر كلام
بعضهم حكاية الاجماع عليه لكن رد بان احدا من ايمة الحديث
لم يجزم بذلك وبان من قال مرتين اراد فرقتين كما في روايات
او فلقتين كما في اخرى وفي روايات ان فرقة كانت فوق جبل
حراء واخرى كانت اسفله وفي رواية انه كان بمكة والمراد منها ان ذلك

قوله شق صدره خمس مرات

كان وهم بمكة قبل الهجرة فلا دليل فيه على انه صلى الله عليه وسلم
كان بمكة ليلتئذ وفي رواية لاحمد فصار فرقتين فرقة على هذا
الجبل وفرقة على هذا الجبل وفي رواية انه قال لهم اشهدوا
فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان يسالوا السفار ان جاوا من كل جانب
واخبروا انهم رأوه فقال بعضهم لبعض لا يستطيع محمد ان يسحر الناس
كلهم وانكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة
ذلك مبني على انكارهم خرق الاجرام العلوية والتيامها وذلك
من جملة كفرهم وتقولهم بمقتضى عقولهم مما ندين للشرائع
بما وردت به واما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا
واشترك اهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها اهل مكة
لتوفر الدواعي على نقل العجايب فهو من تهوراته لانه ما قاله
انما يتوجه لو كان نهارا او اول الليل والناس مستيقظون اما
اذا وقع لحظة والناس الا القليل قد ناموا ومن لم ينم لم ينظر السماء فلا
يلزم ما ذكره بوجه على ان الاجماع الموافق للقران والسنة لا تحدث
فيه مثل هذه التخيلات الفاسدة وكان هذا لم يسمع بما هو
الواقع البديهي ان الكسوف قد يدركه اهل قطر دون اهل قطر اخر
وما قيل ان القمر دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من
كمه باطل لا اصل له **تنبيه** البدر القمر ليلة اربعة عشر
وظاهر تعبير الناظم به دون القمر ان الشق كان ليلة اربعة عشر
ولم ار له في ذلك سلفا ولعله اراد بالبدر مطلق القمر سمي بذلك
لانه مبادر الشمس بالطلوع كانه تعجلها المغيب قبل تمامه
ويناسب هذه المعجزة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم بعد
ما غابت حقيقته لما نام صلى الله عليه وسلم وراسه في حجر

الشمس بعد غروبها

علي بالصهبا

١٢٥٥

علي بالصهباء قرب خيبر حتى غابت ولم يمكنه ايقاظه لاحتمال انه
يوحى اليه فلما استيقظ سأله أصليت العصر قال لا فدعا الله
ان يردها عليه لانه كان في طاعة الله ورسوله فردت ليصلي
العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث في
صحته جماعة بل جزم بعضهم بوضعه وصححه آخرون وهو
الحق وقول اسما في الرواية الصحيحة فرأيت الشمس طلعت
بعد ما غربت حتى وقفت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضا
وصلى العصر ثم غابت رد لزعم انها انما وقفت ولم ترد وزعم ان
حركتها انما ابطات فقط وفي رواية سندها حسن امر صلى
الله عليه وسلم الشمس فتاخرت ساعة من نهار ومرة انها ردت
عليه بعد الاسرا لما اخبرهم بعيرهم ولا يعارض ذلك كله الحديث
الصحيح لم تحبس الشمس على احد الا ليوشع بن نون حين قاتل
الجبارين يوم الجمعة فلما ان ادبرت الشمس خاف ان تغيب قبل ان
يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فرد
عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم وذلك لان المراد على احد غيري
على ان كثيرين او الاكثرين من الاصوليين ان المتكلم لا يدخل في
عموم كلامه وروي حبسها يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر
وذكر البغوي في تفسير ردوها علي انها حبست لسليمان صلى الله
عليه وسلم ورد بان المراد الصافنات لانها المذكورة دون الشمس
وبين شق وشق التام وهو ان يتفق اللفظان حروفا وعددا
وهيئة ومنه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا
غير ساعة واعترض بان الساعة في الموضعين بمعنى واحد وشرطه
اختلاف المعنى وان لا يكون احدهما حقيقة والاخر مجازا بل حقيقتين

اختلاف

من قولهم

قاعدة الاصوليين ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه

وزمان الساعة وان طال لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة فاطلاق
الساعة على القيامة مجاز وعلى الاخر حقيقة وذلك مخرج الكلام على
التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا بليدا انتهى فان قلت
هذا ياتي هنا لان الشق في الموضعين بمعنى واحد وبتسليم الاختلاف
فهو في احدهما حقيقة وفي الاخر مجاز قلت يمكن ان يقال انه فيهما
مختلف وحقيقي اذ شق الاجرام الجمادية غير شق الاجرام الحيوانية
من حيث الصورة والالة وايضا فشق القمر شق جرمه كله وشق الصدر
ازالة بعض اجزائه لا غير وكفى بهذا اختلافا ثم المتبادر من كل منهما انه
حقيقي كما لا يخفى قيل ليس في القران من الجناس التام غير هذه الاية
واستدرك عليه شيخ الاسلام ابن حجر باية يكاد سنا برقه يذهب
بالابصار فانه استعمل الابصار اولا بمعنى العيون وثانيا بمعنى
البصائر وقد ينظر فيه بان استعمال الابصار في البصائر مجازي
وقد تقرر انه لا يكفي وقد يجاب بادعاء انه حقيقة عرفية وعلى
كل فاقول في القران اية اخرى اظهر من تلك وهي يلوون السنتهم
بالكتاب لتحسبوه من الكتاب فالاول ما كتبوه بايديهم المذكورة
في فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم والثاني التوراة والانجيل
والثالث الجنس الشامل لكتب الله كلها انه ما هو من شيء من كتب
الله فان قلت هذا اعم من الثاني فليس مغايرا له من كل وجه قلت
بل يسمى مغايرا له حقيقة كما صرحوا به وعلى التنزيل وان هذا التغاير
لا يكفي هنا فيكفي التغاير من اللفظين الاولين فيتحقق الجناس التام
فيهما فان قلت لم لم يعد وامثاله ان النفس بالنفس الخ قلت
كانه لكون هنا مميزا يمنع تمام التجنيس وهو لنا الدال على المقابلة
فتامله فان قلت لم اكتفوا في التورية بكون احدهما مجازا لا هنا قلت

عليه ال

لوضوح

لوضوح الفرق اذ مبنى التورية على قصد المعنى البعيد والمجاز قد يكون
كذلك ولا كذلك الجناس التام فلم يكف فيه كون احدهما مجازا ومن ثم
اقر بعض المحققين بشرط كونهما حقيقتين وعليه يحتمل ان يقال
لا بد ان يكون كل حقيقة في الشرع او في العرف او في اللغة فلا يكفي
كون احدهما حقيقة شرعية والاخر حقيقة لغوية مثلا لان
هذين كالحقيقة والمجاز وقد تقرر انهما لا يكفيان ويحتمل ان يقال
يكفي ذلك ويؤيده اطباقهم على ان الاية فيها الجناس التام مع ان
حقيقة الساعة لغة او عرفا او شرعا شيء واحد وانما الاختلاف
من حيث انها في مطلق الزمن حقيقة لغوية وفي القيامة حقيقة
شرعية وهذا الثاني اقرب ومما يرد اشتراط كونهما حقيقتين
انه ما من لفظ غالبا الا ولها الاولى حقيقة ومجاز فلو قلنا لا بد يكفي
كون احدهما مجازا لزم وجود التجنيس في غالب الالفاظ او كلها وهو
بعيد جدا ولك ان تاخذ من قولهم ليس في القران جناس تام الا ما
مع ما فيه من نحو النفس بالنفس الذين قال لهم الناس ان الناس
الحر بالحر ونحو ذلك ان شرط الجناس التام ان لا يكون في اللفظ قرينة
ظاهرة تدل على تغاير معنى اللفظ المتحد وهو متجه لانه مع فهم
التغاير ليس فيه تعمية اصلا ومبنى الجناس التام انما هو التعمية
على السامع وامكن نظير التورية ولم ار لاحد من اهل البديع في هذا
المبحث ما يشفي فتامله فان قلت ما ذكر في شق من الاختلاف انما هو
بالنظر لمتعلق الشقين دون موضوعهما وذلك لا يكفي قلت
هذا وان كان ظاهر كلامهم الا انه لا يمنع من ان يلحق به اختلافهما من
حيث المتعلق اذا تناقضت به صورتهما وانما شق له القمر لانه شق
عن صدره حتى اخرج قلبه ثم شق وطهر تجوزي عليه ذلك الذي من شرط

كل شرط وقع في البدن لغرض مقصود ان يكون له جزاء
من برء من مرض او غيره فكذا هنا المراد وعمل صلى الله عليه وسلم
بشق قلبه المرة بعد المرة وبما حصل له من الخوف والتألم جوزي
على ذلك بجزاء عظيم مشابه له في الصورة هو شق
القمر الذي هو اظهر معجزاته وابهرها بعد القرآن ومن الكلام فيها
ــــــ وفي كلامه الجناس التام بين شرط وشرط اذ هما مختلفان
معنى وحقيقتين ولا يقدح فيه كون الاول حقيقة نحوية والثاني
حقيقة عرفية على ان الاول يحتمل ان يكون بمعنى العلامة فيكون
مع كون الثاني بمعنى الجرح كل منهما حقيقة لغوية فجا التجنيس
التام اتفاقا وبفرض ان احدهما مجاز يكون فيه التورية او حقيقة
ايضا ولكنه بعد فهما من اللفظ يكون فيه الجناس التام التورية
ومن الكلام فيهما مستوفي اذ الشرط المراد به في الاول ما علق
لحصوله حصول شي اخر يسمى جزا وفي الثاني شق الجلد واللحم
والجزا فيه تورية ايضا هو مطلق على الجزا النحوي والجزا العرفي
وهو المجازاة على صنيع وقع منه ومنه جزيته وجازيته
بما صنع جزا ومجازاة ومن مجازاته صلى الله عليه وسلم ايضا
انه في غزوة بدر وغزوة حنين رمى اعداه بالحصى فافحم
اي اصاب فاهلك جيشا عظيما كانوا كانوا تالبوا عليه تالبوا
عليه حتى ظن ظان انهم لا يبقون احدا من المسلمين وبيان ذلك انه
لما التقى الجمعان يوم بدر تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى
فرمى به في وجوههم وقال شاهت الوجوه اي قبحت وانهزمت
فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل عينيه
ومنخريه منها شيء فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديدهم واسر من

اسر

اسر من اشرافهم قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله تعالى وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر اخذ صلى الله عليه
وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في
ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا
وكذلك روى غير واحد انها نزلت في رميه يوم بدر وان كان رمى في
غيره ولاهل الجبر في هذه الاية غلط لا باس بذكره ثم رده قالوا فيها
سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه واضافته الى ربه وهو عين
الجبر وابطال نسبة افعال العباد اليهم وليس كما زعموا والا لزمهم
ان لا تكليف ولا عقاب وسرها في الاية ان تلك الرمية من البشر لم
يبلغ هذا المبلغ كان منه صلى الله عليه وسلم مبدأ وهو الحذف
ومن الرب تعالى نهايته وهو الايصال فاضاف اليه رمي الحذف
الذي هو مبدأه ونفى عنه رمي الايصال الذي هو نهايته ونظير
هذا في الاية نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى انه المنفرد
بالتاثير وان غيره ليس منه الا الاسباب ليظهر للناس فتأمل ورماهم
بالحصا يوم الاحزاب وفيه نظر وانما الذي نقل انه صلى الله عليه
وسلم لما بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم فقال اللهم منزل الكتاب
سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فارسل الله
عليهم الريح فرمتهم بالحصا وسفت عليهم التراب وقلعت اوتادهم
فسقطت عليهم وكفات قدورهم وسمعوا في ارجاء معسكرهم
التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا خائبين آيسين وقد اخبر
صلى الله عليه وسلم انهم لا يغزونهم بعد اليوم فكان كذلك ولما التقى
الجمعان يوم حنين استقبل المسلمون ولم يبق معه صلى الله عليه
وسلم الا اناس قليلون من اهل بيته العباس وابي سفيان بن الحارث
وابو ...

وقع على التكبير وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى

ومما وقع الاحزاب

مع هوازن ...
مثلها في السواد ...
فخلوا اهله ...

قريش ثم

وعلى ذوي الفضل واصحابه ابي بكر وعمر واخرين رضي الله عنهم فامر صلى الله
عليه وسلم ان ينادي في الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه اقبلوا كانهم
الابل اذا حنت على اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فاقتتلوا مع
الكفار واشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس وهو
التنور يخبز فيه اي اشتد حر الحرب حتى اشبهت التنور وحينئذ
تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه
ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملا عينيه
من تلك القبضة وفي رواية لمسلم قبضة من تراب والجمع انه
رمى بكل مرة او انها قبضة واحدة لكنها مختلطة وفي رواية
عند احمد وغيره ان المسلمين لما ولوا قال صلى الله عليه وسلم يا عبيد
الله انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم عن فرسه واخذ كفا من تراب
فضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلا
عيناه وفمه ترابا ولاحمد والحاكم عن ابن مسعود فحادت به بغلته فقلت
ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلات
اعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كانها الشهب
فولى المشركون الادبار واذ قد علمت ما ترتب على رميه صلى الله عليه
وسلم بالحصى من تشتيت جمعهم وافتراق شملهم وهزيمتهم ان لك
ان تقول لمن قال لك انه القى موسى لعصاه والسحرة لحبالهم وعصيهم
يعادل الرمي بالحصا لا تقل ذلك ما استفهام انكاري العصا
التي القاها موسى على حبال سحرة فرعون وعصيهم العصا على
تلك عنده اي الحصا المرمي وما الالقا لتلك الحبال والعصي التي
فعلها سحرة فرعون اي لا يقاس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
في القائه الحصا بمعجزة موسى صلى الله عليه وسلم في القا عصاه

على ما ذكر

على ما ذكر لان معجزة نبينا اظهر وابهر اذ القا موسى لعصاه حاكى القا
السحرة لحبالهم وعصيهم ومعجزة نبينا لم تحاك قط ووصول
تلك الحصيات القليلة الى جميع ذلك الجيش الذي هو الوف
مؤلفة حتى هزمهم عن اخرهم وشتت شملهم ابهر من قلب
العصا ثعبانا وابتلاعها لتلك الحبال من حيث انها مع ذلك
لم تقهر العدو ولا شتت شمله بل زاد بعدها طغيانه وعتوه
على موسى وقومه وجانس بين الحصا والعصا ونغير بين رمي
والالقا تنبيه اكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية لبلادتهم
وعمى بصيرتهم واكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال
افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر
الى يوم القيمة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر
كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري ما من الانبياء نبي
الا اعطي ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه
الله الي فارجو (ان اكون) اكثرهم (تابعا) في معناه قولان غير متنافيين اذ يرجع
حاصلهما الى ان المراد ان معجزات الانبيا انقرضت بانقراض اعصارهم
مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصى موسى وناقة صالح فلم
يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القران تشاهد بالبصيرة وتستمر
الى القيامة لا يمر عصر الا ويظهر فيه شي اخبر بانه سيكون فكان من
يتبعه لاجلها اكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جا بعد
الاول ومن معجزاته ايضا انه دعا للانام مر تفسيره لكن المراد به
هنا غيره ثم اذ هم هنا اهل المدينة ومن ضاهاهم اذ اي وقت
او لاجل انه دهمتهم اي غشيتهم سنة من اجل محولها
متعلق بما بعده اي شدة جدبها وقحطها شهباء اي الخضرة

فيها ولا مطر والسَّنَة زمن الجدب والمحل وسطو الزمن المخصوص فعلى الاول فيها
تاكيد وعلى الثاني تاسيس وسبب دعايه ما في الصحيحين ان الناس اصابتهم
سنة على عهده صلى الله عليه وسلم فقام اعرابي وهو صلى الله عليه وسلم يخطب
يوم الجمعة فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا
فرفع يديه وليس في السما قطعة سحاب فما وضعهما حتى ثار السحاب
مثل الجبال فلم ينزل حتى رايت المطر واستمر الى الجمعة الاخرى فقام ذلك
الاعرابي او غيره فقال يا رسول الله تهدم البنا وغرق المال فادع الله
لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فاقلعت السحابة وخرجوا
يمشون في الشمس وسال وادي قناة شهرا ولم يجي احد من ناحية الا حدث
بالجود وهو بفتح الجيم المطر الواسع الغزير **فـ**بسبب دعايه **استهلت**
بالغيث اي صبت المطر بشدة **سبعة ايام** كوامل لما علمت انه من
خطبة الجمعة الاخرى فالى الكسر **عليهم سحابة** فاعل استهلت
وطفا اي مسترخية الجوانب لكثرة مايها حال كونها **تخريب** اي
تقصد تلك السحابة بمايها واسناد ذلك اليها مجاز نظرا لما ياتي في
الا ان يراد الملايكة المتوكلون بها **مواضع الرعي** اي الكلا الذي يرعى
و مواضع **السقي** التي تجمع الما فيها لتشرب منه البهايم وفي الرعي
والسقي مراعاة النظير والسقي والسقا تجنيس شبه الاشتقاق
و تخريب ايضا **حيث العطاش** اي مواضع التي **سوهي** بالبنا للمفعول
اي تخرق **السقا** منهم فيها اي ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن
بمايها حتى انها تخريب الامكنة المعطشة التي تخرق اسقية العطاش
فيها فيحتاجون الى المدد للشرب منها وهذا اظهر واولى مما سلكه
الشارح كما يعرف تاليه لا يقال مواضع السقي يشمل مواضع الشرب
فلا يحتاج لقوله وحيث الخ لانا نقول قرينة قرن السقي بالرعي

نصرفه

تصرفه الى سقي البهايم فاحتاج الى افادة عمومها الى التصريح بمواضع
شرب العطاش ايضا قال الشارح ايضا وفي قوله وحيث العطاش الخ
اقتباس المثل وهو قولهم خل سبيل من وهى سقاوه ومن هريق في الفلاة
سقاوه لمن لا يستقيم امره فضرب به المثل هنا في المحل والجدب انتهى ملخصا
وفيه نظر لبعد معنى المثل مما نحن فيه الا بتكلف لما تقرر ان مراد الناظم
ما دلت عليه عبارته من ذلك النص على عموم ذلك الغيث جميع الاماكن
ولما استمرت عليهم سبعة ايام وكادت ان تهلكهم **اتى الناس** اليه صلى
الله عليه وسلم وهو على المنبر كحالة يوم سالوه ان يدعو بها **يشكون**
اذاها اي تلك السحابة اي الما النازل منها كقطعة السبل وتعطيله
المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان الشاكي واحد لان ما به
بهم فكانه الكل شاكين بلسان الحال فلذا اسنده اليه كلهم ونظيره قوله
تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم اذ المراد بالناس الاول
واحد كما هنا **ورخا** اي سعة من المطر **يودي الانام غلا** اي
شدة عظيمة واصله ارتفاع السعر المودي الى الشدة وبين اذاها
ويودي جناس الاشتقاق والرخا والغلا جناس التضاد **فـ**بسبب
ان هذا الرخا الذي المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضده
وهو اهلاكها **دعا** صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشفه عنهم **فانجلا**
الغمام اي السحاب عقب دعايه وخرجوا يمشون في الشمس كما مر
واذا تقرر هذا **فقل** ايها العالم بهذه الواقعة ما تشبت من الكلام
الدال على التعجب او فتعجب **في وصف غيث اقلاعه** اي انكشافه
استسقا اي ذو استسقا على خلاف المتعارف اذ الاستسقا
غالبا انما يكون لطلب وجوده لا لطلب رفعه وبهذا يندفع قول
الشارح الاحسن ان الاستسقا بمعنى السقي لانه يلزمه فوات

هذه النكتة التي سبب التعجب ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع
ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم اثرى الترب اي كثر المطر الواقع
عليه حتى كثرت فوائد التراب لكثرة انباته الزرع والثمار المؤدية
الى كثرة الاموال من اثرى الرجل كثر ماله فبسبب هذه الكثرة
قرت اي فرحت واطمانت من اقر الله عينه اي اعطاه حتى لا تطمح
عينه الى من هو فوقه عيون لاهل المدينة بسبب ما زال
عنهم من الكرب وحصل لهم من الخصب وبسبب عمارة قراها
اي العيون او المدينة وبلادها بتلك الفوائد الكثيرة بعد خرابها
واحييت بعد ما حصل لها من الجدب والشدة ما صيرها كالموتى
من احياه الله يحيى بالفك وحي بالادغام وهو الاكثر احياء جمع
حي اي قبائل العرب بواسطة احيا نفوسها ومواشيها وفيه
تجنيس الاشتقاق في اثرى الترب وقرت قراها واحييت
احياء فترى انت لو شاهدت الواقعة الارض عنه اي عقب
ذلك الغيث المتولد عنه ما يدهش الابصار كانه حملت علمية [في الهامش: من النبات والزهور]
اشرقت اي زالت عنها من اجل نجومها الظلل ففيه تجوز اذ [في الهامش: لسما ان جعلت راي بصرية وهو الظاهر او مفعول ثان]
الاشراق انما يستعمل للنور ووجه الشبه ما حصل للارض
باصابة الغيث وللسما من النجوم من زوال ظلمتها الحقيقية
في السما والمجازية في الارض وبين الارض والسما والاشراق
والظلمة الطباق وتراها ايضا تحلى اي تحير وتدهش الدر
اي اللولو واليواقيت وهي فارسي معرب واسناد التحلي اليهما
مجازا وهو على حذف مضاف اي اهلها يعني ان من بايديهم
تلك الجواهر الغريبة والاعشاب العجيبة من نحو بفتح [في الهامش: يشاهدونها ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عن رؤية تلك الازهار]
النون اي زهر وهو بيان لما على تحلي الاني رباها بضم

الوا

الوايه المحال المرتفعة منها وخصت لان ما بها انضر وابهى من
بقيتها البيضا راجع للدر والحمرا راجع لليواقيت اي تحلي نورها
الابيض الدر ونورها الاحمر اليواقيت ففيه اللف والنشر المرتب
ومراعاة النظير بذكر المعدنين والتقابل بذكر الضدين ويسمى
التدبيج لانه الوان وما تقرر ان الناظم انما اراد القصة المذكورة
التي كانت بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان
ان يريد ايضا ما وقع بمكة على ما ورد ان قريشا لما ابطوا عن الاسلام
ودعا عليهم صلى الله عليه وسلم بالقحط فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها
واكلوا الميتة والعظام جاه ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة
الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا الغيث فاطبقت
عليهم سبعا فشكى الناس كثرة المطر فسال الله رفعه
ولما ذكر من صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما يشوق كل سامع
لشي منها الى رويته ووجهه الكريم تمنى ذلك فقال ليته هي
لتمني ما لا طمع في حصوله او ما فيه عسر خصني برويه وجد
اي ليتني ادركت زمنه لاكون من اصحابه اذ هم افضل من جميع
ما جا بعدهم عند الاكثرين وذهب ابن عبد البر الى انه يمكن ان يكون
فيمن بعدهم من هو افضل من بعضهم للخبر الحسن بل قيل انه يرتقي
الى درجة الصحة مثل امتي مثل المطر لا يدرى اخره خير ام اوله
وللخبر الحسن ايضا ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم او خير ثلاثا
ولخبر ابي داود والترمذي تاتي ايام للعامل فيهن اجر
خمسين قيل منهم او منا قال منكم وتجانب عن الاول باحتمال انه
قبل ان يعلم افضلية اصحابه فلما علمها صرح بها بقوله لو انفق احدكم

ملء الارض ذهبا لم يبلغ مد احدهم ولا نصيفه وبقوله خير القرون
قرني وعن الثاني بان اوقية تحمد زاد لك ايضا وعن الثالث بانهم صرحوا
بان مجرد زيادة الثواب لا يقتضي الافضلية على ان فضيلة الصحبة
لا يعادلها عمل ومن ثم لما سئل ابن المبارك عن عمر بن عبد العزيز
ومعاوية رضي الله عنهما ايهما افضل قال للغبار الذي دخل في انف فرس
معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل عمر بن عبد
العزيز واشار بعضهم الى انه محل الخلاف في صحابي لم يحصل له الا
مجرد الرؤية واما من زاد على ذلك بنحو رواية او غزو فلا نزاع
فيه اولينبغي اراه في الموقف وعلى الحوض وفي الجنة شافعا نافعا
اوليتبين اراه في النوم لاخباره صلى الله عليه وسلم في الاحاديث
الصحيحة بان من راه فيه راه حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته
ولا يتشبه بها وبان من راه فيه فقد راه في اليقظة اي كانه
راه حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته ولا يتشبه بها من
راه فيه فقد راه في اليقظة اي كانه راه في اليقظة لما تقرر ان
الشيطان لا يتشبه به نحو وان امكن من التصور باي صورة
اراد لم يمكن من التصور بصورة نبينا صلى الله عليه وسلم مطلقا وقال
جمع ان رايه بصورته التي كان عليها وقال بعضهم ان رايه بصفته
التي نص عليها حتى عدد شيبه وصح هذا عن ابن سيرين وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ما يفهمه وفي حديث ضعيف اني ارى
في كل صورة وصحح النووي وغيره انه يرى حقيقة ولو على غير
صفته قال ابن العربي وغيره لكن رؤيته على غير صفته مثال
فرؤيته مقبلا او بصورة حسنة كاملة تدل على خير وعكسه

بعكسه

بعكسه وقال في رواية مسلم من راني فسيراني في اليقظة
يحتمل ان المراد رؤيته على صفته موجبة لرؤيته في الاخرة على
نوع مخصوص من قربه منه او شفاعته له وفي هذا اقوال
اخر كثيرة وقال الغزالي في رؤيته على صفته ليس المراد رؤية
ذاته حقيقة بل مثال يجعلها على التحقيق كما في رؤية الله تعالى
اذ لا صورة له تنزيه بل معرف لها من نور او غيره اوليتبين اراه في
يقظتي بناء على ان امكان ذلك وهو ما حكاه ابن ابي جمرة والبارزي
واليافعي وغيرهم عن جماعة من التابعين ومن بعدهم انهم راوه في
المنام فراوه بعد ذلك في اليقظة وسالوه عن اشيا مغيبة فاخبرهم
بها فكانت كما اخبر قال ابن ابي جمرة وهذه من جملة كرامات الاوليا
فيلزم منكرها الوقوع في ورطة انكار كراماتهم وفي منقذ الغزالي
ان ارباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح الانبيا
ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد وقال
البدر حسين الاهدل وقوعها للاوليا تواترت باجناسها الاخبار
وصار العلم بذلك قويا ينتفي عنه الشك وما تواترت عليه اخبارهم
لم يبق فيه شبهة ثم اخذ يبطل ذلك ويفسده ويغلظ النكير على
مجوزه بلا حجة فيه ومما يبطل جميع ما يتدين به وجاوز في
الحد ان من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وانه لا يراه
في اليقظة الرؤية الاولى وانه لا يبعد ان من اكرم برؤيته ان يكرم
بازالة الحجب بينه فهو صلى الله عليه وسلم مع كونه في قبره يراه
الاوليا في اليقظة في قبره ويحادثونه وان بعدت ديارهم
واختلفت مراتبهم في الحالة الواحدة ولا يلزم من وقوع ذلك
لهم على جهة الكرامة الباهرة انهم صحابة لان الصحبة انقطعت

انظر روية الاوليا له عليه السلام في اليقظة

بموته صلى الله عليه وسلم واذا كان من راه بعد موته وقبل دفنه
غير صحابي فنها ولا كذلك بالاولى فاندفع قول فتح الباري هذا مشكل
جدا ولو حمل على ظاهره كانوا صحابة اسنهى ومما يؤيد ان الناظم يحتمل
انه اراد ذلك انه تلميذ القطب ابي العباس المرسي فهو الذي حلت
عليه بركته حتى وصل الى النظم البالغ الذروة العليا والقطب المذكور
العلياء القطب المذكور وارث القطب الاكبر ابي الحسن الشاذلي
وكل منهما حفظت عنه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بل قال
بل قال ابو الحسن لو حجب عن النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت
نفسي مسلما والقطب محمد بن القطب محمد بن ابي الوفا وهما من جلة المنتسبين
الى القطب الشاذلي ومن ثم قالوا طريقته الوفائية خلاصة طريقة
الشاذلية ممن حفظت عنه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة مرارا
لا سيما عند قبر والده بالقرافة كما هو مسطور في كراماته فكون الناظم
منسوبا لهؤلاء الوفائية لهم الرؤية يقظة يقرب انه سالك في وقوع
ذلك له كما وقع لهم ولقد كان شيخي وشيخ والدي الشمس محمد بن ابي
الحمايل يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع له انه يسال في
الشيء فيقول حتى اعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدخل راسه
في جيبه ثم يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون كما
اخبر لا يتخلف ذلك ابدا فاحذر من انكار ذلك فانه السم الموحي زال
ان يحول فزال هنا تامة لا ناقصة **عن كل من راه** مؤمنا في حياته
او بعد موته في يقظة الرائي لان ذلك يدل على الخير ورؤيته
المخصوصة في الاخرة **الشفاء** اي جميع انواعه لان الصحابة
رضوان الله عليهم كلهم عدول كما يشهد له الكتاب والسنة نحو اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وما وقع لبعضهم مما يخالف ذلك

تداركه

تداركه الله فيه برحمته فوفقه للتنصل من وصمته وجاه لجعله من
احبته ببركة حلول نظر نبيه صلى الله عليه وسلم ولما ذكر ذلك الوجه
الكريم وزوال الشقاء عن كل من راه انبعه بذكر صفات وخصوصيات
له ذكر مع كل ما يناسبه كما هو شان البلغا فقال **مسفر** ذلك الوجه
حسنا اي مشرق نوره الذي يكاد ان يخطف الابصار **يلتقي** ذلك
الوجه ايضا **الكتيبة** اي الجيش بالمثلثة او المثناة من تكتبت تجمعت
اذا اجتمعوا حال كونه **بساما** اي مبتسما يفتر عن مثل سنا البرق
او عن مثل حب الغمام **اذا اسهم** اي غير من سهم يفتح عينه او ضمها وجهه
اذا اصفر وتغير **الوجوه اللثام** للعدو في حول الحالات التي فيها
يزعج غيره ويضطرب ويتغير وجهه على غاية من الطمانينة
والثبات والتبسم لعظم ما اتاه الله من الشجاعة التي لم يصل غيره
الى ادناها وقد صح كما مر عن انس انه كان اشجع الناس وان صياحا
وقع بالمدينة ليلا فخرج صلى الله عليه وسلم الى ان ابعد فلم ير شيئا فلما
رجع راى الناس خارجين فقال لن تراعوا اي روعا عن حقيقة
ما رايتم من شيء وصح انه صرع ركانة مرات ولم يصرع فقال له متعجبا
منه ان شانك لعجيب وصرع اخر بلغ من شدته انه كان يقف
على جلد البقرة ويتجاذب اطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدمه
فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه وصح انه في غزوة حنين لما
لما تفرق عنه اصحابه ولم يبق معه الا نحو عشر ثبت على بغلته
مع انها لا تصلح لكر ولا فر وهو مع ذلك يركضها الى وجه العدو وهو
ينوه باسمه ليعرفه من لا يعرفه قائلا انا النبي لا كذب انا ابن عبد
المطلب ولا شجاعة وراء ذلك ومن ثم قال الصحابة رضي الله عنهم

كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه
امامنا واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه وذهب بعض المالكية
الى ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب
والا قتل لانه تنقصه اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصة نفسه
لعلمه بان الله ناصره وحافظه واعترضه بعض المالكية بما حاصله
انه حيث كان ذلك تنقيصا لم يستتب ولم تقبل له توبة انتهى
وقياس مذهبنا خلافا لمن اخطا فيه انه ان نوى بذلك تنقيصه كفر
والا فلا واذا قلنا بكفره فذهب بعض ائمتنا الى انه لا تقبل توبته
وحكي فيه الاجماع والمعتمد قبولها منه **جعلت مسجدا له** اي لاجل ذلك
الوجه المكرم ولامته بطريق التبع له **الارض** كلها كما اخبر بذلك
صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة حيث قال اعطيت
خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل حيث
والمراد بقوله مسجدا موضع سجود اي ان السجود لا يختص بموضع منها
دون غيره قيل ويمكن ان يكون مجازا عن المكان المبني للصلاة وهو من
مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في
ذلك وقيل المراد جعلت لي الارض مسجدا وطهورا ولغيري مسجدا
لا طهورا لان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان يسيح فيها
ويصلي حيث ادركته الصلاة وقيل المراد ان الصلاة لم تبح الا في محل
يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة ابيحت لها بكل الارض الا
ما يتيقنون نجاسته والاصح الاول وهو انها لم تبح لمن قبلنا الا في
اماكن مخصوصة كالبيع والكنائس والصوامع للخبر المصرح

بذلك

بذلك وكان من قبلي انما يصلون في كنائسهم ويوافقه رواية
ولم يكن من الانبيا احد يصلي حتى يبلغ محرابه وبهذه يرد الاحتجاج بقصة
عيسى المذكورة لمنع ما ذكر فهذا لا دلالة في هذين على خلافه وبفرض صحته
فهو لا ينافي الخصوصية لانها ثابتة لنبينا وامته بخلاف عيسى في سبب
هذا الجبل **اهتز** اي تحرك طربا وفرحا **به** صلى الله عليه وسلم **للصلاة** اي
لاجلها **فيها** اي الارض **حرا** بالكسر والمد وهو الجبل الذي كان صلى الله
عليه وسلم كان عليه هو وابو بكر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت
الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبي
او صديق او شهيد وفي رواية وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر
عليا اخرجها مسلم واخرجه الترمذي وذكر انه كان عليه العشرة
الا ابا عبيدة وقال اثبت حرا وفي رواية اهدأ حرا ورواه البخاري
في احد بلفظ انه كان معه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه
صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان ورواه النسائي والترمذي في ثبير وهو جبل يقابل
حرا انه صلى الله عليه وسلم كان عليه ومعه ابو بكر وعمر وعثمان
فتحرك حتى تساقطت حجارته بالحضيض اي القرار في قراره واسفله
فركضه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك
نبي وصديق وشهيدان ومما اشار اليه الناظم بتعبيره باهتز من
ان ذلك التحرك انما كان للطرب والفرح لا للغضب نقله شارح
البخاري ابن التين في احد فقال قيل الحكمة في ذلك انه لما رجف
اراد صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس
رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب
وهذه هزة الطرب لهذا نص صلى الله عليه وسلم على مقام النبوة

والصد بقيه والشهادة التي توجب سرورا انحلت به
لا رحمانه فاقر الجبل بذلك فاستقر استهى قال الطبوبي وغيره
واختلاف الروايات يحمل على انها قصص تكررت وهو اقبح
لان كلا منها صحيح فلا وجه الا التعدد وايده شيخ الاسلام
الحافظ العسقلاني بعد ما توقف فيه بان الذين معه نحوا
ازيد ممن معه باحد **فان قلت** ما وجه التعليل في قول
الناظم للصلاة فيها **قلت** كانه يشير الى ان الله تعالى
لما قطع نديه الارض وجعلها كلها مسجدا له وشرفها بصلاته
فيها دخل في ذلك جبالها فاذا اصعد بعضها تذكر الجبل ذلك
الحمل وتلك الصلاة اللذين حصل بها للجبل كبقية الارض غاية
الشرف فحينئذ تحرك اعلاما للامة باحصل له مما يوجب
السرور والطرب ثم رايت بعضهم جعل ضمير فيها للجبل
وجعل المراد بالصلاة صلاته صلى الله عليه وسلم فيه لما كان
يختلي فيه قبل البعثة وهذا كلام ساقط لانه لم يعرف انه
صلى الله عليه وسلم صلى قبل النبوة ولان الاهتزاز بعد النبوة
بكثير لرواية ان العشرة الا واحدا كانوا معه **مظهر** ذلك
الوجه الكريم **شجة الجبين** اي جرح جبينه وهو المنحرف عن
الجبهة فوق الصدغ وفي التعبير به مسامحة وتجوز لما يأتي
ان الذي شج جبهته وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفي
التعبير به مسامحة وتجوز لما يأتي ان الذي شج جبهته
وفي رواية وجنته والجبين غيرها فالتعبير بالجبين من مجاز
المجاورة **على البرء** اي فيه او نحوه من برئ من المرض بالكسر
برءا بالضم وبرءا بالفتح فيهما وهذه الشجة كانت يوم احد

اخا سعد بن ابي وقاص

اخرج ابن هشام عن ابي سعيد الخدري ان عتبة بن ابي وقاص اول
من رمى بسهم في سبيل الله وكان صلى الله عليه وسلم يناوله
السهام يوم احد ويقول له ارم فداك ابي وامي قال فلم
يجمع ابويه لغيري وكان يفتخر به ويقول هذا سعد
خالي اي لانه زهري فليرني امرؤ خاله قيل شتان ما بين
هذين الاخوين رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
كسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد
الله بن هشام الزهري شجه في جبهته وان ابن قميئة جرح
وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها ووقع صلى الله عليه
وسلم في حفرة وفي رواية وهشموا البيضة على راسه ورموه
بالحجارة حتى رموه ليسقط في حفرة الحديث وروى الطبراني
وغيره ان عبد الله بن ابي قميئة رمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم احد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها
وانا ابن قميئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن
وجهه اقماك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه
حتى قطعه قطعة قطعة واحمد والترمذي والنسائي وعن
انس كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه
فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح
قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل
الله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم
فانهم ظالمون وفي مرسل قوي ان وجهه صلى الله عليه وسلم
ضرب يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها
كلها **كما** مصدرية **اظهر الهلال البراء** بفتح الموحدة وهو

اول ليلة من الشهر اي من وجهه المكرم اظهر اثار تلك الشجة مع
بريقها ظهورا واضحا ليس فيه ادنى شين بل فيه غاية الجمال كظهور
الهلال ليلة استهلاله ليلة لحكمتين ليتذكر وانه لذلك والراوون
عنهم ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظيم الصبر عليها
حتى يقتدى به فيه ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه حاشاه
من ذلك بل زادته جمالا على جماله لانها صارت بعد البرء كالهلال في
وجهه الاحسن من الهلال كما قال **ستر** ذلك الوجه **الحسن**
الاصلي منه **بالحسن** العارض وفي هذا كالذي قبله الجناس التام
المتماثل بناء على ما مر في الكلام عليه في شرح شق عن قلبه وشق
له البدر واما جزم الشارح بانه من ذلك مع اختلاف موضوعه
باعتبار الاصلي والعارض كما تقرر لا من حيث الوضع فغير صحيح
ولو حصل تمام التجنيس من اللفظين مع اتفاق الوضع واختلاف
المراد لعدو امنه الذي قال لهم الناس ان الناس ان النفس بالنفس
الخ نعم يمكن ان يقال قد يجانس اختلاف المراد باختلاف الوضع
حيث لا قرينة مميزة كما هنا بخلاف ما في الاياتة فان قرينة التغاير
فيها ظاهرة مع التجنيس فلو عبر الشارح بيحتمل او نحوه ليسلم من
الجزم بما كان مهم كالصريح في رده كظهور الهلال ليلة استهلاله لحكمتين ليتذكر الراوون لذلك والراوون عنهم ما وقع له صلى
عليه وسلم من المحنة وعظيم الصبر عليها حتى يقتدى به في ذلك
وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه حاشاه من ذلك بل زادته
جمالا على جماله لانها صارت بعد البرء كالهلال في وجهه الاحسن
من الهلال كما قال **ستر** ذلك الوجه **الحسن** الاصلي منه
بالحسن العارض من الشجة **فاعجب لجمال** اصلي **له اجمال** العارض

وفي هذا

وفي هذا كالذي قبله الجناس التام المتماثل بناء على ما مر في الكلام عليه
في شرح شق عن قلبه وشق له البدر واما جزم الشارح بانه من ذلك
مع اختلاف موضوعه باعتبار الاصلي والعارض كما تقرر لا من حيث الوضع
فغير صحيح ولو حصل تمام التجنيس من اللفظين مع اتفاق الوضع واختلاف
المراد لعدو امنه الذين قال لهم الناس ان الناس ان النفس بالنفس
الخ نعم يمكن ان يقال قد يجانس اختلاف المراد باختلاف الوضع حيث
لا قرينة مميزة كما هنا بخلاف ما في الاياتة فان قرينة التغاير فيها
ظاهرة مع التجنيس فلو عبر الشارح بيحتمل ونحوه ليسلم من الجزم بما
كلامهم كالصريح في رده وفي البرء والبرء الجناس المطرف **وقاد**
وسبب ذلك ان الله تعالى اعطى نبيه غاية الجمال التي لم يعطها
لمخلوق كما مر بدليله في باطنه وظاهره ويكفيك شاهدا على
ذلك ما مر ان الله تعالى جعله كله نورا حتى لم يظهر له ظل فكان
جلده ساترا لجماله الباطن فلما ازالته الشجة ظهر من انواره الباطنة
ما صيرها كالهلال في وجهه وصار حينئذ حسن ظاهره مستورا
بما ظهر من حسن باطنه فيما جالان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما
وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه بتشابيه توضح
ذلك وتكشفه فقال **فهو** اي ما ظهر بالشجة من باطن بدنه **كالزهر**
اي نور النبات اذا **لاح** اي ظهر **من سجف** بفتح اوله وكسره اي ستر
الاكمام هو كالاكمة جمع كم بالكسر وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر
الجلد **وهو** ايضا مثل العود الذي يتطيب به اذا **شق عنه اللحاء**
وهو قشر الشجر من لحوته قشرته باللحا فظاهر الجلد كاللحا
وباطنه كالعود وفي هذين التشبيهين ما يعلمك ان جمال باطنه
ربما فاق جمال ظاهره ومن ثم قال **كاد** ما ظهر بالشجة **ان** وهي

من الشجه

وما بعدها سدت مسد مرفوع كاد وخبرها **يغشي** بالغين المعجمة
اظهر من المهملة **العيون** اي يغطي عليها **سنى** بالقصر اي ضوء
عظيم خارج منه **لسنى** عظيم وفي نسخ بسر **فيه** اي في ذلك
الباطن الذي ظهر هو مصيره كله ضيا اعظم من ضيا الشمس ومن
ثم كان اصل ذلك السر لانجاله **حكته** اي شابهته **ذكاء** بضم
المعجمة وعدم الصرف وامتناع دخول ال عليها اي الشمس وذكرها
بعد سنى من مراعاة النظير ومما تقرر علم ان من اسباب عدم
تشبيه تلك السجية ما اوتيه من الحسن الذي لم يؤته غيره ومن
ثم **صانه** ذلك **الحسن** لو ابرز وكشف **و** قد اتم اليه
السكينة اي وقار الظاهر مع طمانينة القلب وعدم تحركه
مما يتحرك به من الموذيات التي لم يسكن عندها غيره **ان تظهر في**
اثارها هو ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو **الباساء** اي الشدايد
فلذلك لم يظهر عليه من تلك السجية الا غاية الطمانينة ونهاية
الجمال كامر فعلم انه لما اودع الله فيه من كمال الجمال وتمام البها
في حالة السر كهو في حالة الباسا فلا تؤثر فيه الباسا البتة **وتخال**
اي تظن انت **الوجوه ان قابلته** اي عاينته وجهه وجواب
ان محذوف لدلالة ما قبله عليه خجلت من فرط جماله وتلونت بالالوان
المختلفة كما يشاهد ممن قويت خجلته حتى كان تلك الوجوه عند ذلك
التلون **البستها الوانها** ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو **الحرباء**
المشهور ومن شانها انها تستقبل الشمس وتدور معها كيف تدور
وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة **ف**بسبب هذا الجمال الباهر
المستلزم لباهر الافضال والاحسان **اذا شمته** بالمعجمة من شمت
البرق نظرت اليه سحابة **بشره** اي طلاقة وجهه **وندا** اي

جوده

جوده اي اذا تطلعت الى مخايله بصرك منتظرا اليه **اذ هلتك**
اي انستك ما انت بصدده **الانواء** الباهرة التي تحصل لك
من بشره عند رويته وجهه **والانواء** جمع نوء وهو ما تضيف
العرب الامطار اليه من النجم او نحو مطرنا بنوء الثريا وهي هنا
كناية عن الخيرات الواصلة منه صلى الله عليه وسلم لمن ناداه وايله
ففيه لف ونشر مرتب لرجوع الانوار للبشر والانواء للندى وفيهما
الجناس اللاحق ونوع من مراعاة النظير يسمى تشابه الاطراف وهو
ان يختم الكلام بما يناسب ابتداه في المعنى نحو لا تدركه الابصار
الاية فاللطيف يناسب لا تدركه الابصار والخبير يناسب وهو
يدرك الابصار ولما تمنى روية المكرم واستشبعه باوصافه
العاليه اخذ في تمنى تقبيل راحته الكريمه ووصفها باوصافها
العلية فقال **او** ليتني خصصت **بتقبيل راحة** اي بلثمها
في اليقظة او النوم نظير ما مر لكنه التي **كان لله** اي لاجله ابتغا
لوجهه دون غرض اخر **وبالله** اي بسبب شهود امانته وقدرته
اخذها والعطاء اسم مصدر بمعناه اي واعطاوها لبراءتها
من كل غرض بنا في الكمال الاعظم فلم يقع تصرف منها في شي منذ
افاض الله عليها خوارق جوده الا وشهود سلبه كل حول وقوة
عما سواه تعالى **و**لهذا الشهود الاعظم في تصرفها كانت **تتقي**
بفتح التاء اي تخاف وتحذر **باسها** اي شدة نهايته في الحرب
الملوك لقيصر وكسرى والمقوقس الى ان ظفرها الله
بجميعهم **و**كانت **تحظى** اي تفوز **الغنا** الحسي والمعنوي
من نعض **نوالها** اي عطايها **الفقرا** لانه كان اجود الناس

فيعطي الحسي والمعنوي من بعض نوالها اي عطاياها الفقرا
لانه كان اجود الناس فيعطي الحسي عطا يعجز عنه الملوك ومع
ذلك يعيش عيش الفقرا الايثاره على نفسه وعياله وكان جوده
كله لله وفي ابتغاء مرضاته يبذل المال تارة للفقير والمحتاج
وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتالف به من يقوي له سلامه
او من يسلم باسلامه نظراوه وبين الاخذ والعطا والملوك
والفقرا وتشفي وخطي تجنيس التقابل لا تسل اصله
بالهمز ثم خفف بحذفه كما قرى به في سال سايل سيل
هو الما الكثير الجاري وبينهما تجنيس التحريف والتصحيف
جودها بفتح الجيم وهو المطر الغزير اي لا تسال هذا الامر المكني
به عن سعة عطايه وجوده فان هذا شي لا يقدر احد من البشر
قدره بل انما الذي يليق بك ان تسال ما يكفيك وهو ان يصل
اليك من وكفه اي قطر سحبها جمع سحاب الانداء جمع ندا وهو
البلل عادات بل بهذا القطر فيه الغنا الكلي فمن وصلت اليه
بلة من قطرة منه كانت سببا للغناء في الدنيا والاخرة ومن
اوصاف تلك الراحة العلية ايضا انها درت الشاه اي ارسلت
لبنها الغزير حين مرت عليها فبسبب ذلك صار لها بعد
فقد اللبن منها بالكلية اذ لم يكن طرقها فحل قط ثروة اي كثرة
اللبن بها اي بسبب تلك الراحة الكريمة ونما اي زيادة
في تلك الكثرة وهذه القصة وقعت له صلى الله عليه وسلم
لما خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه ابو بكر ومولاه
عامر بن فهيرة فاخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بعد يد
قريبه رابع على ام معبد عاتكه بنت خالد الخزاعيه وكانت برزه

تسقي

مطلب شاة ام معبد درت اللبن ... لما مسح عليها صلى الله عليه وسلم ...

تسقي وتطعم وكانوا في غاية القحط والجهد فطلبوا منها لبنا ولحما
يشترونه فلم يجدوا عندها شيا فنظر صلى الله عليه وسلم الى
شاة في كسر الخيمة تخلفت عن الغنم لشدة الجوع فسالها هل
بها من لبن فقالت هي اجهد من ذلك والله ما ضربها من فحل قط
فقال اتاذنين لي ان احلبها قالت نعم ان رايت بها حلبا فاحلبها
فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح بضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت
ودعا باناء يشبع الجماعة فملاه من حلبها وسقى القوم حتى رووا
ثم شرب اخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى علا بعد نهل ثم
تركه عندها وذهبوا ذكر ذلك اصحاب السير وغيرهم ومن اوصاف
تلك الراحة الجليلة ايضا انه نبع الما بها اي بسببها وعدل
اليها عن منبعها المعتاد للتقييد انه نبع تارة منها وتارة ببركتها
من غيرها اما الاول فقال القرطبي قصة نبع الماء من بين
اصابعه قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن
في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها
العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه
المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين
عظمه ولحمه وعصبه ودمه وذكر المزني صاحب الشافعي رضي
الله عنهما ان هذا ابلغ من نبع الماء من بين عظمه الحجر بضرب موسى
صلى الله على نبينا وعليه وعلى ساير الانبيا والمرسلين وسلم
لان الحجر يولف منه خروج الما ولا كذلك البدن فمن جملة تلك
المواطن ما في الصحيحين عن انس ان الناس احتاجوا الصلاة
العصر فلم يجدوا الما فاتي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع
يده في ذلك الانا فنبع الما من بين اصابعه حتى توضوا كلهم

على نبع الماء من بين اصابعه

مطلب

زاد البخاري كانوا ثمانين وان الماء نبع من بين اصابعه واطراف
اصابعه وفي رواية لابن شاهين انه وقع نظير ذلك في غزوة
تبوك لما شكوا اليه فطلب فضلة ما فاتي بها فصبها في صحفة
ثم وضع راحته بها فتحللت عيون بين اصابعه فوردوا
وابلهم وتزودوا منه وفيهما عن جابر انه صلى الله عليه وسلم
كان يتوضأ من ركوة فجاؤه يشكون العطش فوضع يده
في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه كامثال العيون ه
فتوضأوا كلهم وكانوا الفا وخمسمائة بل قال جابر لو كنا مائة
الف لكفانا وفي رواية لاحمد عنه فوالذي ابتلاني ببصري
لقد رايت العيون عيون الما تخرج من بين اصابعه وظاهر
الروايات ان الما نبع من نفس اللحم الكائن في الاصابع وهو
ما صححه النووي وجزم به غيره وانما استدعا قليل ماء
تادبا مع ربه فانه المنفرد بايجاد المعدومات من غير اصل
نعم في رواية عند جماعة انه فعل ذلك مرة من غير ما لكن استدعى
بشن يابس ووضع يده فيها فنبعت عيون الما واما
الثاني ففي مسلم انكم ستاتون غدا ان شا الله عين تبوك
وانكم لن تاتوها حتى يضحى النهار فمن جاها فلا يمس من
مائها شيا حتى اتي فسبق رجلان وماؤه قليل فاتي بها
ثم اغترف له قليلا فغسل به وجهه ويديه ثم صب
الغسالة في العين فجرت العين بما كثير ثم قال يا ابا معاذ
يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما ها هنا قد ملي بساتين
وعمرانا وفي رواية الموطا وغيره فانخرق من الما ماله حس
كحس الصواعق وصح عليه بما كالا في بعض رواية ان العطش

اشتد

اشتد بهم في غزوة تبوك حتى كادت رقابهم تنقطع وكان
الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل الباقي على
كبده فسالوا ابو بكر ان يدعو لهم فقال اتحبون ذلك قال
نعم فرفع يديه فلم يرجعها حتى سالت السما فانسكبت فملوا
ما معهم من ابنية ثم ذهبوا ينظرون فلم يجدوها جاوزت
العسكر وفي البخاري في غزوة الحديبية نحو ذلك مرتين
مرة امرهم بوضع سهم من كنانته في محل الما ففاض ومرة
بوضع يده في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه
ومن اوصافها ايضا انه اثمر النخل في عام اي في سنة غرسه
بها اي بسبب مس تلك الراحة الكريمة لذلك النخل في قصة
سلمان الفارسي رضي الله عنه التي ذكرها اصحاب السير
ابن هشام وابن سيد الناس وغيرهما وحاصلها انه صلى
الله عليه وسلم لما قدم المدينة اتاه سلمان وآمن به وكان
مسترقا فامره صلى الله عليه وسلم ~~لما قدم المدينة~~ ان يكاتب
سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى يثمر
واربعين اوقية ذهبا ثم اخبره صلى الله عليه وسلم بذلك
فامر اصحابه ان يعينوه بالودي فاعانوه ثم وضعه صلى
الله عليه وسلم بيده فما ماتت منها واحدة بل اثمرت كلها
في عامها وفي رواية غرست منها واحدة فقلعها صلى الله
عليه وسلم واعادها فساوت البقية فاداها وبقي عليه
الذهب فجا النبي صلى الله عليه وسلم مثل بيضة دجاج من
ذهب من بعض المعادن فاعطاها له فقال واين تقع هذه
مما علي قال خذها فان الله سيودي بها عنك فوزن لهم

[illegible] سلمان في اثمار النخل في عام

علي تسبيح الحصا

منها اربعين اوفيه ومن اوصافها ايضاً انه **سبّحت بها** اي في راحته
الحصا اي الحصى كما رواه البزار والطبراني في الاوسط وغيرهما
انه صلى الله عليه وسلم كان عنده ابو بكر وعمر وعثمان فتناول حصيات
فسبحن في كفه حتى سمع لهن حس كحس النحل فنا ولهن ابا بكر فسبحن في
كفه كذلك ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم اخذها الحاضرون
فلم تسبح مع احد منهم قال الحافظ شيخ الاسلام والحفاظ ابن حجر
العسقلاني ليس لحديث تسبيح الحصى الا طريق واحدة مع ضعفها
لكنه مشهور عند الناس اشتهر نعم اخرج البخاري من حديث
ابن مسعود كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن
نسمع تسبيح الطعام وفي فتح الباري عن الشفا انه صلى الله عليه
وسلم مرض فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه فسبح
تنبيه تسبيح الجماد كالطعام والحصى معناه ان الله تعالى
خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة خرقا للعادة ومع
ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز لان اللفظ انما يضاف حقيقة
لمن قام به ومن اوصافه العلية ايضا انها **اجيت المرملين**
اي الذين نفد زادهم من القحط حتى اشرفوا على الموت فتسميتهم
موتى حتى وصفوا بالحياة مجاز كما ان اسناد الاحيا الى الراحة
مجاز ايضا فهو استعارة تبعية **من موت جهد** اي قحط شديد
والاضافة بيانية مبالغة بادعا ان ذلك الجهد لما كان سببا
قريبا للموت اطلق عليه اسمه **اعوز القوم فيه** اي ذلك
الجهد **زاد وما** من اعوزه الشي اذا احتاج اليه وعبر مرادمع انه
انما يقال في طعام المسافر اشعارا بانهم لما حصلت لهم تلك الشدة
التي ادت بهم الى الاشراف على الموت صاروا كالمسافرين المشرفين على

الهلاك

وبطريق البيع ... المرملين قلت الفرق بينهما ... لان ... القوم ... الا ... لفظ ... قلنا ...

كما ينبت الف بالصاع وهم جياع وريهم به وهم ظماء

الهلاك وبين الموت والاحيا والزاد والما الطباق كالربيع التسبيح
المفهومين مما ياتي **فبسبب** احيائه لهم كثر الله تعالى كرامة
ومعجزة له الطعام والما القليل جدا حتى **تغدى** بالدال المهملة
اي اكل وقت الغدا وهو ما قبل الزوال **بالصاع** الواحد وهو
قدحان بالكيل المصري تقريبا **الف جياع وتروى بالصاع
الف ظماء** جمع ظامي اي عطشان اما تروي الالف الظما بالما القليل
النابع من بين اصابعه تارة وببركة دعائه اخرى فقد مر الكلام
عليه مستوفى والتعبير بالصاع فيه المراد به الما القليل جدا
كما يعلم مما مر وانما ذكره علي جهة مجاز المشاكلة لما قبله نحو وجزا
سيئة سيئة ومكروا ومكر الله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك وبالالف المراد به العدد الكثير ففي بعض المواطن كالحديبية
كانوا الفا واربعماية او خمس مائة وفي بعض المواضع كانوا ثلثماية
وفي بعضها كانوا اقل وفي غزوة تبوك الوفا مولفة واما تغدي
الالف الجياع بالصاع فهو ما في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه
انه راي بالنبي في غزوة الخندق جوعا شديدا فذهب لامراته
واخبرها فاخرجت صاعا من شعير وشاة داجنا اي سمينة فذبحها
وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم في البرمة ذهب الى النبي صلى الله عليه
وسلم واخبره وطلب ان ياتي بنفر معه فصاح النبي صلى الله عليه
وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع سورا اي طعاما فحي هلا بكم ثم امره ان لا
ينزل البرمة ولا يخبز العجين حتى يجي فلما جا بصق في العجين وبارك فيه
ثم في البرمة وبارك ثم امرها ان تدعو خابزة تخبز معها وان
تغرف من برمتها ولا تنزلها فاكلوا وهم الف حتى تركوه وانحرفوا
وبرمتهم كما هي وفيهما ايضا الا بعض زيادات ففي مسلم عن انس

قصة ابي طلحة في غزوة الخندق

رضي الله عنه في غزوة الخندق ان ابا طلحة عمه زوج امه عرف
جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم في صوته فذكر ذلك لام سليم
زوجته فاخرجت اقراصا من شعير ولفتها بخمار واعطتها لانس ولفت
طرف الخمار على راسه مرتين كالعمامة وارسلته الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجده بالمسجد اي الموضع الذي اعده لمحاصرة
الاحزاب ومعه الناس فقال له ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال
الطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فتقدمهم انس فاخبر
عمه فقال يا ام سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس
وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت الله ورسوله اعلم فتلقى ابو
طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
هلمي يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى
الله عليه وسلم ففت وعصرت عكة فادمته ثم قال فيه صلى الله عليه
وسلم ما شاء الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة فاكلوا حتى شبعوا
ثم خرجوا فقال ائذن لعشرة وهكذا فاكلوا وشبعوا وهم
ثمانون ثم اكل صلى الله عليه وسلم واهل البيت وتركوا بقية وفي
طرف هذه القضية ما يقتضي تعددها وادخلهم عشرة عشرة
لاتحاد القصعة وصغرها وقول انس انما كان الاستحيا به
من كثرة الناس فقال ذلك لشبعة النبي صلى الله عليه
وسلم وحده واما الان من ارسله ذكر له انه اذا راى كثرة الناس
دعاه وحده وفي رواية ان ابا طلحة قال انما ارسلته انسا يدعوك
وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى فقال ادخل فان الله سيبارك
فيما عندك وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم مسح القرص
فجعل ينتفخ ويتسع في الجفنة وفي اخرى ان ابا طلحة راى رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم مسح القرص بغير بني اصحاب الصفة سورة
النسا وقد ربط على بطنه حجرا وروى مسلم انهم في غزوة تبوك
جاعوا فسال عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو بفضل
ازوادهم ثم يدعو الله لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع شيء يسير
فدعا صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم فما تركوا في
العسكر وعا الا ملوه فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال
صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الحديث
وفيهما عن انس بحثنا ان امه ارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحيسة في تور وهو عروس بزينب فامره ان يدعو من
لقي فكانوا زهاء ثلثماية فوضع صلى الله عليه وسلم يده على تلك
الحيسة وتكلم بما شا ثم دعا عشرة عشرة فاكلوا حتى شبعوا
فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت وصح عن
سمرة بن جندب انهم تداولوا قصعة من غدوة الى الليل يقوم
عشرة ويقعد عشرة قيل له فما كانت تمد قال ما كانت
تمد الا من ههنا واشار الى السما ومنها انه وفي قدر بيضة
اي ببيضة دجاج من نضار اي ذهب دين سلمان الفارسي
رضي الله عنه الذي كان من جملة ما كانت عليه سيده ومع
صغر تلك البيضة وعظم ذلك الدين لكن ببركة مسه صلى الله
عليه وسلم لتلك البيضة براحته الكريمة حين حان اي قرب
الوفاة اي حلول الاجل وبين وفي والوفا الجناس الناقص ورد
العجز على الصدر وعلى العجز وحين ودين وحين وحان الجناس اللاحق
وسبب هذا الدين على سلمان انه كان يدعي قنا اي ارق
بالباطل وملخص قصته كما حكاه هو عن نفسه انه من اصبهان

واجتهد في المجوسية حتى صار قطنها فمر بكنيسة للنصارى
فاعجبوه فذكر لابيه فقيده وقال له دينك ودين ابائك خير
من دينهم وكان سالهم عن اصل دينهم فقالوا بالشام فارسل
اليهم اذا جاءكم احد من الشام فاخبروني فمضوا فحل القيد وتوجه
اليها فسال عن اعلمهم فدل عليه فخدمه الى ان مات ثم خدم
من اقيم مقامه فلما احتضر قال له بمن توصي قال بفلان بنصيبين
فجاءه واخبره وخدمه فلما احتضر ذكر له ذلك قال بفلان بعمورية
من ارض الروم فلما احتضر قال له قال يا بني ما اعلم احدا على
ما كنا عليه آمرك ان تاتيه وانه اظل زمان نبي هو مبعوث
بدين ابراهيم يخرج من ارض العرب يهاجر الى ارض بين حرتين به
علامات لا تخفى ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم
النبوة فان استطعت ان تلحق بارضه فافعل ثم مات فمر بي
نفر من كلب فقلت لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم
ما عندي فحملوني فلما بلغوا وادي القرى ظلموه فباعوه من يهودي
فباعه من ابن عم له من بني قريظة بالمدينة قال فحملني اليها
فعرفتها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع له ذكر ثم هاجر
فبينا انا اجني لسيدي ثمرا جاءه ابن عمه فقال له قاتل الله بني
قيلة وهي ام الاوس والخزرج انهم الان لمجتمعون بقبا على
رجل قدم اليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فاخذتني
رعدة وشدة حتى ظننت اني ساقط فنزلت فقلت لسيدي
ماذا قال لك هذا فغضب ولطمني لطمة شديدة وقال
ما لك ولهذا اقبل على عملك فلما امسى اخذ شيئا جمعه وذهب به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبا فقال له هذا

صدقة

صدقة فامر اصحابه باكله ولم ياكل فجمع شيئا آخر واتى به وهو بالمدينة
فقال له هذا هدية فاكل هو واصحابه ثم جاءه بالبقيع وقد تبع جنازة
فجعل ينظر الى ظهره فعرف انه يتامله لشيء وصف له فالقى رداءه
عن ظهره فراى خاتم النبوة فقص عليه حديثه واسلم فامره صلى
الله عليه وسلم ان يكاتب نظرا لحالته الراهنة والاخير من جملة
الاحبار والذين هم اتباع حواري عيسى عليه الصلاة والسلام
على غرس ثلثمائة نخلة وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقية
ذهب فغرس له النخل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة
من ذهب توفت الاربعين **فاعتق** باد النجوم **لما ابتعث**
الى نضجت **من نخله** حال من قوله **الاقنا** جمع قنو وهو العذق
الى العرجون والاجار ما ذكر عن سلمان انه بمجرد سماعه لذكر النبي
صلى الله عليه وسلم اخذته الرعدة والشدة وهو على راس نخلة
يجنيها لسيده وشاهد كسيده منه وسمع ذلك الدال على
نبوة محمد وانه بلغ امره ونعته الاباعد والاقارب لما فهم ان لو
تلفتنا الى سماع خبر النبي صلى الله عليه وسلم لطمه لطمة شديدة لانه
كان من جملة اليهود الذين كانوا يفتخرون على الانصار بانه قرب
زمن نبي عربي فيكونوا له من يتبعه ويقتلهم معه قتل عاد
وارم فلما جاءهم المدينة كفر به اكثرهم كما قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به عرض الناظم رحمه الله لموالي سلمان منكرا عليهم اذ لم يؤمنوا
بنبينا صلى الله عليه وسلم مع ما شهدوه من حال سلمان بل زادوا
في الطغيان يضربه فقال اتلطمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع
بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يؤمن به **فلا تعذرون سلمانا** اذ يرون

له عذرا يمنعكم من ايذايه ومنعه وقد وضح الدليل عندكم على نبوته
لنا اي حين ان عرفته اي غشيته من اجل ذكره اي ذكر اليهودي
لقربه النبي صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس به في قبا الهروله
اي قوة الجري ومشيها في اوله اخذها الانسان بالشدة والرعدة وما
ذكرته في تقرير هذا البيت المطابق لما في قصة سلمان والذي فيه
غاية المناسبة للمقام وغاية الانكار على اليهود ورميهم بالعناد
والبهتان اولى مما وقع للشارح في تقريره على ما فيه من النظر كما
يعلم بتامله وبين عزته والعروله تجنيس شبه الاشتقاق ومن
اوصاف تلك الراحة ايضا انها ابرأت بلمسها لمن به امر اعيت
الاطبا كل داء اي البرته اي استعظمته وعجزت عن بريه
الطبة جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذي هو حفظ صحة الانسان
بمنع الواصل ودفع الحاصل واسادا بكسر الهمزة اي مرض جمع
اس كراع وذراع وروي الدارمي ان امراة جات الي النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه لياخذه عند
غدايا وعشايا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فثع ثعة فخرج من جوفه
مثل الجرو الاسود فشفي فايده روي البخاري ان سلمة
اصيب يوم خيبر ضربة في ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم
ثلاث نفثات فما اشتكى قط ومن اوصافها ايضا انه بريت منها
عيون باصرة مرت بها تلك الراحة وهي رمد اي معطلة
الابصار فارتها اي تلك الراحة تلك العيون ما اي الشي
البعيد الذي لم تره الزرقاء المشهورة بزرقا اليمامة التي
كانت ترى من مسيرة ثلاثة ايام روي البخاري في غزوة خيبر
انه صلى الله عليه وسلم قال ابن عابد ابي لاعطين الراية ويكون

الفتح على يده

الجنون وغيرها

وعين الزرقا كانت تنظر على مسيرة ثلاثة ايام

على يده كما في رواية اخرى قالوا يشتكي عينيه قال ارسلوا اليه فاتي
به فبصق صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرا حتى كان لم
يكن به وجع وعند الطبراني عن علي فما رمدت ولا صدعت منذ
دفع النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه
فوضع صلى الله عليه وسلم راسي في حجره ثم بزق في راحته فدلك بها عيني
وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لي صلى
الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر فما اشتكيتهما
حتى يومي هذا فايده وروي ابن ابي شيبة والبغوي
والبيهقي والطبراني وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث
في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا وكان وقع
على بيض حية فكان يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة
وان عينيه لمبيضتان ومنها ايضا انها اعادت على قتادة
بن النعمان عينا له ذهبت فهي حتى الى مماته النجلا اي
الواسعة والمراد واسعة النظر وقصته ان عينه اصيبت يوم
احد فوقعت على وجنته فاتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ان لي امراة احبها واخشى ان راتني تقذرني فاخذها
صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسها
جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت
الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رجل من
ذريته فقال له عمر من انت قال ابونا الذي سالت على الخد عينه
فردت بكف المصطفى ايما رد فعادت كما كانت لاول امرها
فيا حسن ما خد فوصله عمر واحسن جايزته قال السهيلي وفي
رواية اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي فاتيت بهما

عين علي

عيني فديك وكانتا

انظر رد الاعين ماعين ويا حسن خد

النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق بهما فعادتا تبرقان قال
الدارقطني هذا حديث غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو
ثقة واخرج الطبراني وابو نعيم عنه كنت يوم احد اتقي السهام
بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اخرها
سهما ندرت منه حدقتي فاخذتها بيديه وسعيت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما راها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم ق
قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدها
نظرا ويجمع بين رواية الواحدة ورواية الثنتين على تقدير
صحتهما بان احد الرواة ظن ان الساقط واحدة وبعضهم علم انهما
ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة
مقبولة وبها تترجح رواية الثنتين او لبنة خصت في اليقظة
او النوم نظير ما مر يلثم اي تقبيل الترب المنفصل من قدم له
موصوفة باوصاف جليلة كما يعلم منها انها اذا كانت
على حجر لانت حيا اي لاجل ومن جهة استحيائها منها واجلالها
من اجل مشيها اي تلك القدم الكريمة لها الصفواء اي الحجارة
الصلدة فاعل لانت واعيد ضمير مشيها وما بعده عليها لتقدمها
رتبة ونبه بذلك على انه ينبغي لك ايها العاقل ان تستحي من
مخالفتك ما جاء عن نبيك لانك اذا علمت ان الحجر الاصم استحى
منه ان يبقى على صلابته مع مشيه عليه فتشقق عليه وصلابته
فلان له حتى يتسهل عليه مشيه عليه فانت اولى بالاستحياء منه
ان تبقى على مخالفته مع علمك بجليل اوصافه وعلى خلافه ثم هذا
الذي ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخصائص لكن بلا سند موطي
بدل من الترب الاخمص بفتح الميم المراد به الجنس اي الاخمصين

وهو من التعبير بالبعض عن الكل اذ الاخمص من القدم الموضع الذي
لا يلتصق بالارض منها عند الوطئ والخمصان المبالغ فيه ولا يرد على
كلامه ما رواه البيهقي عن ابي هريرة كان صلى الله عليه وسلم
اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وابن عساكر عن ابي
امامة كان صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطا على قدمه كلها لان
المراد ان اخمصه متند لك الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابي اذا كان
خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو
احسن ما يكون وان استوى او ارتفع جدا فهو مذموم الذي نعت
للمضاف ولا يصح كونه نعتا للمضاف اليه الا بتكلف منه صفة
للمبتدا الذي هو وطا تقدمت عليه فصارت حالا للقلب
خبر المبتدا وهو الفؤاد وقد يعبر به عن العقل ومر المراد بالقلب
والخلاف في العقل وذكر القلب بعد الاخمص فيه تجنيس مراعاة النظير
اذا مضجعي اي جنبي الذي اضطجع عليه اقض بالقاف والمعجمة
اي اصابه القضض وهو التراب الذي يعلو الفراش كما في القاموس
وطاء اي فراش وصفه ذلك التراب الذي هو موطئ القدم من
البشر يعني بانه لو فرض ان مضجعه اصابه تراب فراشه الذي هو
من جملة ذلك التراب سرى به سر ذلك التراب الاكبر الى قلبه فاباره
واراحه من الاغيار وصيره على كمال الاحوال وصانه من قبائح الخطرات
والاحوال كما ان الفراش يصون من فرش له عن ذلك وهذا اولى
واظهر مما حل به الشارح هذا البيت فتاملهما ومن اوصافها بجنانه
خطى المسجد الحرام يعني جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك
كثيرا كما في القران في مواضع كثيرة بل كلما ورد فيه من ذلك المراد به
مكة الا في نحو قوله وجهك شطر المسجد الحرام تمشياه اي بمشي

تلك القدم فيه اي فضل حرم مكة سابر البقايع ما عدا موضع قبره
المكرم كما عليه اكثر العلما بواسطة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم
وتربيته ونشاته فيه ومن ثم صح من غير نزاع فيه لاحد انه صلى
الله عليه وسلم قال لمكة والله انك لاحب ارض الله الى الله ولولا
اني اخرجت منك كرها ما خرجت الحديث المعارض لذلك المنعي
بروبه تفضيلو المدينة المنورة موضوع كما اعترف به امام المالكية
ابو عمر بن عبد البر وصرح بان افضليه مكه هي الحق عند من الهم
رشده وبري من التعصب ولم تمس خطه منه ايليه الى
اي بيت المقدس بل شرفه بمشيه فيه ايضا وصلاته فيه بالانبيا
ليلة الاسرا كما جا ذلك في الاحاديث الصحيحة ولم يذكر المدينة
الذي انما شرفها كما قال في الحديث الصحيح اللهم ان ابراهيم حرم
مكه واني حرمت المدينة الحديث فقوله حرمت المدينة اي نزل
تحريمها على لساني ولم يسبق زمني بخلاف مكة فان تحريمها
من يوم خلق الله السموات والارض كما في حديث البخاري وغيره
فحديث البخاري وغيره ايضا ان ابراهيم حرم مكة معناه اظهر
حرمتها لا غير جمعا بين الحديثين فانه متعين ما امكن وليس الكلام
فيما انشا حرمته وانما هو فيما عرفت حرمته من قبله على لسان
غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لكن ازدادت حرمته ببركة
حلوله به ومشيه فيه ففضل غيره حينئذ ففضل مكه وبيت
المقدس ليس لتقدم حرمتها قبله صلى الله عليه وسلم بل لاجل
حلوله ومشيه فيها وبين خطى وخطه كورمت ورمي تجنيس
شبه الاشتقاق ومن اوصافها ايضا انها ورمته كما في حديث
الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه

فقيل

فيه هذه الاحاديث في تفاضل الحرمين

فقيل له انتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
حتى تورمت قدماه فقيل له انتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر حتى تورمت قدماه فقيل له انتكلف هذا وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر افلا اكون عبدا شكورا
وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا
شكورا فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا اراد ان يركع قام فقرا
ثم ركع والفا للسببية والتقدير اا ترك تهجدي فلا اكون عبدا
شكورا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد لمحض الشكر فكيف
اتركه قال ابن بطال شارح البخاري في هذا الحديث اخذ الانسان
على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك ببدنه لانه صلى
الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف من لم يعلم
بذلك فضلا عن لم يامن انه استحق النار انتهى قال بعض المفسرين
قام صلى الله عليه وسلم طول ليله على قدميه الا قليلا فلما تورمت
قدماه كان يقف على اطراف اصابعه فانزل الله عليه طه اي
طا الارض بكل قدميك واسترح مما انت فيه من التعب فانا ما انزلنا
عليك القران لتشقى اذ اي وقت اولا حل انه رمي بها ظلم الليل
فيه استعارة بالكناية شبه القدم الشريفة بسهم صائب
من حيث ان قيام القدم في طاعة الله اوجب زوال ظلمة الليل ووحشته
كما ان رمي السهم في طاعة الله يزيل سورة عدوه وطايه فتشبيه
القدم بالسهم في ذلك استعارة بالكناية لبنائها على هذا التشبيه
المكني في النفس واثبات الرمي لها استعارة تخييلية وبهذا التقرير
البديع المنفي للباعث حالها يندفع زعم الشارح انها بمعنى من او عن

فقال

وانه لا يصح بقاؤها على حالها ولما كان قيام الليل كذلك ينشأ اما عن
عن مزيد خوف او سعة رجا بين الناظم رحمه الله ان قيامه صلى
الله عليه وسلم لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما افاده
قوله افلا اكون عبدا شكورا مع التلذذ بمناجاة الله تعالى والقيام
بين يديه وان خوفه ورجاءه اللذين وصل فيهما اليه غاية لم
يصل اليها غيره انما كانا لمحض التقرب بهما الى الله تعالى فقال
الى الله خير مقدم منه خوفه قال صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم
به واخوفكم منه والرجا اي وسعة امله فيما عنده لا الى غفر ما اخر
لان الله تعالى عصمه من ان ينظر او يميل الى غيره طرفة عين بل هو
دائم المثول في حضرات الشهود الاقدس والتناهي في معالي القرب
الانفس ووقع للشارح رحمه الله حمل هذا البيت على خلاف
ما ذكرته وما ذكرته اولى وانسب بمقامه صلى الله عليه وسلم
كما لا يخفى على متامل ثم رايت القرطبي اشار لما ذكرته حيث
قال الظن من ساله في حديث الصحيحين المذكور عن سبب
تحمله المشقة في العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب
وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى
ذلك فافادهم ان هنا طريقا اخر للعبادة وهو الشكر
اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك
منه سمي شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور
وفي الحديث بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من ~~الجهات~~
الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه قال العلماء انما الزم
الانبيا انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم
وانه ابتداهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته

ليؤدوا

ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العباد انتهى
وقيام الليل كان في اول الاسلام واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته
كما ذكره الله في اول سورة المزمل ثم نسخ بما في اخرها ثم نسخ عن
الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه الشافعي رضي
الله عنه ولكن اكثر اصحابه على انه لم ينسخ عنه لقوله تعالى ومن
الليل فتهجد به نافلة لك اي عبادة زائدة في فرائضك لان الامر
للوجوب وقيل معناه زيادة خالصة لك لان تطوع غيره يكفر
ذنبه وتطوعه خالص له لكونه لا ذنب عليه فسائر تطوعاته
صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب واما حديث
اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك
من النار وما قرب اليها من قول او عمل فهو تعليم لامته وبين الخوف
والرجا المقابلة ومن اوصافها ايضا انها دميته اي خرج دمها
في الوغى قال الشارح هو الصوت والجلبة ويقال للحرب
لما فيها من الصوت والجلبة اصوات وهو المراد هنا انتهى تكسب
هو طيبا ما اي الذي اراقته من الدم بيان لما الشهدا جمع شهيد
فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما اعد الله له فيها عند طلوع روحه
ومفعول لان ملائكة الرحمة تشهده عند ذلك وهو فاعل اراقت
اي من حكم خروج الدم من رجله المشرفة ان يعود طيب ذلك الدم
وبركته على جميع دم الشهدا احق بكون رائحة دمهم كريح المسك
كما اخبر صلى الله عليه وسلم عن دمهم بانه كذلك وكان ينبغي للناظم
ان يذكر هذا من اوصاف يده الكريمة لان الذي في البخاري انه صلى الله
عليه وسلم دميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت وفي
سبيل الله ما لقيت وقد حمل كلام الناظم على انه سبق ان صلى الله عليه

صح هذا الحديث

[illegible]

وسلم خرج الى ثقيف يدعوهم الى الله فابوا واغروا به سفهاهم فرموه
بالحجارة الى ان ادموا رجليه فجلس من شدة الالم وزيد مولاه يحميه
منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغا فكيف
تقدم اذ اصل الوغا الصوت والجلبة وهذا موجود هنا على ان لنا
ان نمنع قولك ليس هنا حرب وسند المنع انه اقام عندهم شهرا يدعوهم
وهم لا يجيبونه بل يغرون به سفهاهم وعبيدهم يسبونه قال
موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدما
زاد غيره وكان اذا ادلقته الحجارة قعد الى الارض فياخذونه بعضديه
فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد ابن حارثة يقيه
بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا وهذا حرب اي حرب لان من
اقام بين ظهراني العدو ويواجههم بما يكرهونه من غير ان يزجرهم
ولا يكفه عنهم بضربهم محارب لهم اي محارب وبدل لذلك ان اميننا
عدوا من المحاربين الصفين اذا التقيا بحيث يحمل سلاح كل الى الاخر
وان لم يقع قتال بل ولا سل سيف ولا رمي سهم تنزيلا لما بالقوة منزلة
ما بالفعل فكذلك هنا بل في صرفه الوغا عن معناه الحقيقي الى معناه
المجازي وقال انه المراد هنا اي كما يقتضي به سياق النظم لكن كان عليه
بانتفا التعدد بلوكما وان خلفهم لم يلزم كلو كان انسانا لكان حيوانا
فالانسان لازم للحيوان عقلا لانه جزوه ~~وتخلفه في ترتيب الحيوان~~
~~غيره كالحمار ويثبت الثاني مع انتفا الاول انه لم يسان انتفاه وتناسبه~~
~~لما بالاولى كان عمر والمرتب فيه عدم العصيان على عدم الخوف وهو~~
~~لا يخوف لها دبل والسبب للترتب عليه ايضا في قصده والمعنى انه~~
~~لا يعصي الله مطلقا الا مع الخوف وهو ظاهر ولا مع انتفائه اجلالا له~~
~~تعالى عن ان يعصيه او المساوي لقوله صلى الله عليه وسلم في بنت~~
كتب السير ا وغيرها واخوالنغو

ام سلمة
راقي

[illegible]

ام سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة
رواه الشيخان اي لا يجل لي اصالة لان لها وصفين منسا وبين
المصاهرة والرضاع لو انفرد كل منهما حرم اولادا ونه كلو انتفت
اخوة الرضاع حلت للسبب الاد ونه منه الرضاع واذا تقرر انه
صلى الله عليه وسلم قام على قدميه حتى تورمتا وانها دميت في
الحرب لتكسب طيب دمها دم الشهيد اطيبا فهي حينئذ قطب المحراب
وقطب الحرب اي انتهى اليها الثبات في الصلاة والحرب الى
حالة لم توجد في غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا اتقى ولا اخشى
لله منه ولا اشجع منه كما مر فهي قطب العبادات والجهاد في سبيل
الله لا تتحرك ولا ينتقل عن مكانها فلذلك دارت عليها قبائل العرب
~~الذين اكرمهم الله بطاعته للاقتداء والمجاهدة معها كما قال~~ وكم
اي مرات كثيرة دارت عليها في طاعة لله حال من قوله ارحا اي قبائل
وهذا تذييل وقطب الرحا ما يدور عليه ويسمى امير الجيش قطب
رحا الحرب لانها انما تدور عليه فلهذا دارت عليها قبائل العرب الذين
اكرمهم الله بطاعته للاقتداء والمجاهدة معها كما قال وقطب الرحا
ما تدور عليه ويسمى امير الجيش قطب رحا الحرب لانها انما تدور عليه
استفيد من ذلك انها مركز دايرة الوجود فهو نقطة الكون المخلوق
لاجله ابتدا والمنصرف فيه انتهاء وبين المحراب والحرب تجنيس
الاستقاق واراه اي اعلم انه صلى الله عليه وسلم لو جيء شرطها
وجوابها سدت مسد المفعول الثاني ويجوز ان ما حته هو المفعول
وجواب لو محذوف دل عليه ما حته واعلم ان الكلام على لو كثير
اختلاف العلما فيه وقد اوردت هذا ايراد خلاصته لانه مما يضطر
الى معرفته فاقول شرط للماضي غالبا واختلفت عبارات النحاة في معناها

حتى قيل انهم لم يفهموه قال سيبويه هو حرف لما كان سيقع لوقوع غيره
وقال البصريون حرف امتناع لامتناع واختلف في مرادهم بذلك
فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع الشرط لامتناع الجواب لا عكسه
لان انتفا السبب لا يدل على انتفا مسببه لجواز ان يكون للشي اسباب
واستدل لذلك بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لانها
مسوقة لنفي تعدد الالهة بامتناع الفساد لا عكسه اولا يلزم
من انتفايها انتفاؤه اذ المراد فساد نظام العالم عن حالته وذلك
جايز ان يفعله الاله الواحد سبحانه انتهى وردوا عليه واطالوا
وصوبوا ان المراد امتناع جوابها لامتناع شرطها كما هو المتبادر
للافهام واعترض ذلك بان الجواب قد لا يمتنع في اماكن كثيرة نحو ولو
ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد
صهيب لو لم يخف الله لم يعصه لان عدم العصيان محكوم به وجد الشرط
ام لا وكذلك عدم العصيان وجد الخوف ام لا فلذلك حرر جمع محققون
العبارة عن معناها فقالوا انها حرف يقتضي امتناع ما يليه واستلزام
لتاليه من غير تعرض لنفي التالي فقيام زيد من لو قام زيد قام عمرو
محكوم بانتفايه وبكونه مستلزما ثبوته لثبوت قيام عمرو وهل
لعمرو قيام اخر غير اللازم عن قيام زيد او ليس له لا تعرض لذلك
ثم ان ناسبه بان لزم الثاني الاول عقلا او شرعا او عادة ولم يخلف
المقدم في ترتيب التالي عليه غيره لزم انتفاؤه بانتفايه كلو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا فان فسادهما لازم لتعدد الالهة على
وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشي ولم يخلف التعدد
في ترتب الفساد غيره فينتفي الفساد بانتفا التعدد المفاد بلو
وان خلفه لم يلزم كلو كان انسانا لكان حيوانا فالانسان لازم للحيوان

عقلا

عقلا لانه جزؤه ويخلف الانسان في ترتيب الحيوان غيره كالحمار ويثبت
الثاني مع انتفا الاول ان لم يناف انتفاؤه وناسبه اما بالاولى كما ثم عمرو
المترتب فيه عدم العصيان وهو بالخوف المفاد بلو انسب للترتب عليه
ايضا في قصده والمعنى انه لا يعصي الله مطلقا لا مع الخوف وهو ظاهر
ولا مع انتفايه اجلالا له تعالى عن ان يعصيه او المساوي كقوله
صلى الله عليه وسلم في بنت ام سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت
لي انها لابنة اخي من الرضاعة رواه الشيخان اي لا تحل لي اصلا لان
لها وصفين متساويين المصاهرة والرضاع لو انفرد كل منهما حرم
او الادون كلو انتفت اخوة الرضاع ما حلت للنسب الادون منه
الرضاع لو يسكن هو بها اي تقدمه قبل بالبنا على الضم حرا مفعوله
يسكن بالصرف هنا لا غير لئلا ينزحف الوزن وفي هذا الجواز كل
منهما به بالاعتبارين المعروفين ماجنة اي تحركت واضطربت
بدا اي القدم والنبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة بها الذماء اعلم
ان الشارح تكلم على هذا البيت بما فيه خفا ونظر لانه جعل مفعول
اراه الثاني ماجنة ولو لم يكن شرطا جوابه محذوف لدلالة الكلام
عليه وقال في الذماء هي بالمعجمة كانه اراد بها سرعة الحركة
وقال في حله ومن اوصافه انه لو لم يسكن بالقدم المذكورة حرا لما
اراد التخشب فيه ماجنة به سرعة الحركة واستمر اضطرابه به صلى
الله عليه وسلم كما انه لما صعد احدا تحرك به فقال اثبت
احد فذلك تسكين بالقول وهذا بالفعل انتهى ولم يظهر من هذا
الكلام مع ما قبله من الاعراب معنى مطابق للنظم وجعل سرعة الحركة
فاعل ماجنة في غاية الخفا مع عدم المناسبة لما قبله على انه في القاموس

لم يذكر الداما بالمعجمة اصلا ولا لذامه بالمعجمة معنى مناسبا لسرعة الحركة
ولا مقاربا لها اصلا لا وعبارته في ذامه بالمعجمة كمنعه حقره وذمه
وطرده وخزاه والاذام الرعب وما سمعت له ذامه كلمة اشتهت
وانما ذكر الداما في المهملة فقال دام الحايط كمنع وعمه وتدام الماء الشيء
عمره والنحل الناقة تخللها وتدامه الامر لتما على تراكم عليه
وتزاحم والداما البحر ثم قال وجيش مدام كمنبر يركب كل شيء انتهى
والذي يتجه في حله ان ماجت جواب لو وان الداما بالمهملة وانها
البحر وان فيها الاستعارة المصرحة لانه شبه الجبل بالبحر لانه لما
تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه تحركه حينئذ تحرك البحر
براكبه وان ماجت استعارة مرشحة لانها تناسب المشبه به وهو
البحر اذ لا يستعمل ماج الا في الما كما يصرح به كلام القاموس
وحينئذ فالمعنى والله اعلم انه لو لم يسكن بقدمه حرا قبل ان عند ابتدا
تحركه به بقوله له اثبت حرا الى اخر ما مر في شرح قوله فاهتز به
للصلاة فيها حرا الماج اي استمر اضطرابه وتحركه الى اخر الدهر
لما مر انها هزة الطرب والسرور برقيه صلى الله عليه وسلم
عليه وكان القياس لو لم يسكن بقدمه قبل حرا ماج لكن لما احتاج
الى تشبيه الجبل بالبحر من البلاغة المبنية على الاستعارتين المذكورتين
فان قلت الذي مر في حرا انه انما قال له اثبت او نحوه ولم
يضربه بقدمه وانما الذي ضربه بقدمه احد وثبير قلت
ابقي للناظم قوله لو لم يسكن بها قبل حرا قلت كانه نظر الى ما في
بعض الطرق في مسند الحارث بن ابي اسامة اذ فيها احد او حرا
بالشك وصح في رواية حرا وفي رواية احد فاقتضى لك ان الضرب

بالقدم

بالقدم الكريمة في حرا كما انه في احد ولك ان تحمل النظم على ان المراد لو لم
يسكن حرا قبل اي قبل علوه عليه هو واصحابه بقدمه اي بمشيه
عليه واقامته فيه للتعبد قبل النبوة لاستمر تموجه واضطرابه
حين طلع عليه ثانيا هو واصحابه وحينئذ لا يرد على الناظم شيء
الا انه يقال المسكن له كل من قدمه وقوله له اثبت او اهدا حرا
فلا وجه لتخصيص القدم بالذكر وقد يجاب بانه لا مانع ان المسكن
له كل من الامرين فنسبته الى القدم لا ينافي انه لا يستحق غيرها
ولك ايضا ان تحمل الداما الارض تسمية للمحل باسم الحال وحينئذ
فالمعنى لو لم تسكن بقدمه حرا اي بتعبده فيه قبل النبوة لماجت
به الارض بعد النبوة فرحا وطربا الى اخر الدهر لانه صلى الله عليه
وسلم خصه بتعبده فيه دون غيره تنبيه اشار صلى الله
عليه وسلم في احد الى ان سبب تحركه به محبته له فقال احد جبل
يحبنا ونحبه رواه الشيخان قال الخطابي والمراد يحب اهل
اهل المدينة نحو واسال القرية ورده المحبوب وسمعوه بانه
لا مانع من حمله على ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبيا
والاوليا واهل الطاعة نظير ما مر في حنين الجذع لما فارقه صلى الله
عليه وسلم وحديث ان حجرا كان يسلم عليه قبل النبوة وروي للبزار
وابو نعيم حديث لما اوحي اليه جعلت لا امر بشجر ولا حجر الا قال
السلام عليك يا رسول الله ولما ذكر جملة كثيرة من معجزاته
صلى الله عليه وسلم التي من شاهدها امن بها من فوره بين ان
الكفار الذين شاهدوها ولم يزدهم الا ضلالا لا يحتفون بان يقال
في شانهم عجبا بدل من اللفظ بفعله وهو الامر المستغرب
الخارج عن قياس العقول للكفار اي منهم حاله كونهم زادوا

فلا لا سيما المعجزة القرآن وغيره الذي فيه اي في كل فرد من افراده للعقول السليمة الخلية عن العناد والخذلان والحسد والغلو في الكلام على العقل وما فيه من الخلاف اهتداء الى الدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والى صحة ما تحدى به ويصح ان يراد العقول لا بالقيدين المذكورين حملا للاهتداء على ما يشملها بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها الاهتداء بالقوة وان قارنها عنادا وخذلانا وبين الضلال والاهتداء والجن والانس الاتيين الطباق ووجه التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الايات والمعجزات التي ترشد العقول الى الحق لا يزدادون لما عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفا منهم الا اباء وكفرا وتمردا كما قال تعالى عنهم وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وعجبا ايضا من الذين يسالونه منه على جهة التعنت والعناد وهو وهو كثير منه كتاب منزل معه عليهم من السما فذا اتاهم به وهم يشاهدونه وارتقا منه اليها وغير ذلك مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملايكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السما ولن نومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا من السما نقرؤه وقالوا له ايضا لقد علمت انه ليس احد من الناس اضيق بلدا ولا اقل ماء ولا اشد عيشا منا فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا في بلادنا وليخرق فيها انهارا كانهار الشام وليبعث لنا من مضى من ابآينا وليكن فيهم قصي بن كلاب فانه كان

يشبع

يشبع صدق فان صدقوك صدقناك وما قررته في هذا البيت اولى مما قرره الشارح فيه ان الذي مبتدا خبره كتاب وارتقاء معطوف عليه لانه حينئذ لا تعلق له بما قبله ولا بعده مع ما فيه من غموض المعنى بخلاف ما ذكرته فان مناسبته لما قبله واضحة وكذا لما بعده كما يدل عليه الاستفهام التعجبي الانكاري عليهم في قوله اتقولون ذلك كله وتتعنتون به ولم يكفهم عن ذلك كله من الله حال من فاعل يكفهم وهو ذكر واصل اليهم وتسميته ذكرا جا في انه مراد به الشرف كما في وانه لذكر لك ولقومك وفي اخرى مراد به انه مذكر لكل ما ينفع ويحذر عن كل ما يضر فيه للناس والجن بل والملايكة رحمة باهتدا المومنين به وتاخر عذاب الاستيصال عن الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم وشفا من كل دا ظاهر وباطن حسي ومعنوي كما قال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفا وتخصيص المومنين لانهم المقصودون بذلك بالذات وغيرهم بطريق التبع وانما قلت والملايكة لقول بعض الكابر ايمتنا ان الملايكة لم يعطوا فضيلة حفظ القران لكنهم حريصون على استماعه من غيرهم قال العلما لما نزل الله من السما شفا قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجح في ازالة الداء من القران فهو للدا شفا ولصدا القلوب جلا كما قال تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين قال الفخر الرازي وغيره ومن ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القران شفا من الامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة في الالهية والنبوة والمعاد وفي القران من النصوص القاطعة بفساد ذلك ما يكفي ويشفي وكالاخلاق المذمومة وفيه اوضح بيان لانواعها

وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالمبتلى بقراءته عليها لكن مع
الخلوص وفراغ القلب من الاغيار وفرسه واقباله على الله تعالى بكليته
وعدم اكل الحرام وعدم رين الذنوب وعدم استقبال الغفلة على القلب
وصح حديث ان الله لا يقبل الدعا من قلب غافل لاه وقراءته مع هذه
حالته على ذي مرض كان مبرئة له وان اعيى الاطبا ومن ثم قال بعض
الايمة متى تخلف الشفا فهو اما لضعف تاثير الفاعل او لعدم
قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدوا كما
يكون ذلك في الادوية والادوا الحسية وقد روي حديث
من لم يستشف بالقران لا شفاه الله نعم روى ابن ماجة انه صلى
الله عليه وسلم قال خير الدوا القران وعن العارف الامام الكبير
ابي القاسم القشيري رحمه الله ان ولده اشتد به مرض فانزعج
عليه فراى النبي صلى الله عليه وسلم فشكى اليه ما بولده فقال
له اين انت عن ايات الشفا وهي ست ايات مشهورة نكتبها
ومحاها يا وسقاها له فكانما نشط من عقال ثم استطرد بذكر
شي مما اشتمل عليه القران العزيز من المعجزات الباهرة والايات
الظاهرة فمن ذلك بل ابهره في قمع المعارض وادحاض الجاحد
انه اعجز قيل علم اعجازه ضروري والاصح انه نظري فمن شاهد
النبي صلى الله عليه وسلم او علم وجوه الاعجاز وظاهره ان المشاهد
يحصل له العلم الضروري باعجازه وان لم يعلم وجوه الاعجاز
ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه الغطا عند المشاهدة
يحصل له قطعا العلم الضروري بانه رسول الله ما جاء به من عند
الله وانه معجز للخلق عن محاكاته لان هذا امر يدركه الذوق السليم
وان لم يمكن صاحبه ان يعبر عنه بل لو ادعى مدع ان ذلك قد يحصل
لبعض

لبعض حذاق العوام بعد لا سيما وكل يدرك فرقا ما بينها بين
القران وغيره عند سماعها الانس اية عبر بها تبعا للقاضي
ولم يبال بان الذي عليه الجمهور ان اقل ما وقع به التحدي اقصر
سورة منه وهي ثلاث ايات او مثلها طلب منهم صلى الله عليه
وسلم ان ياتوا بمثله فعجزوا فطلب ان ياتوا بعشر سور من مثله
فعجزوا فطلب منهم ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا فكان اقل
ما طلب منهم قدر اقصر سورة من سوره وذلك لان في دليل
الجمهور شيئا اذ يلزم من كونه لم يطلب منهم دون السورة انهم
قادرون على اقل منها لان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا حتى
عن بعض الاية المفيد كما يفيده قوله النظم الاتي او بعضها يلزم
من كونه لم يطلب منهم دون السورة انهم لان في ارتباطها بما قبلها
وبعدها انواعا من بدايع الحكم لا تحيط بها غيره صلى الله عليه
وسلم فالحق انهم عاجزون عن محاكاة اية من اياته حتى ثم نظرا و
بعضها المفيد لكن مع النظر لمناسبتها لما قبلها وما بعدها واما
التصريح بانه لم يقع العجز الا عن ثلاث ايات فترده المشاهدة
الخارجية اذ لم يسمع عن احد قط انه حاكى شيئا منه منه واعجز
الجن اية منه ايضا وذكرهم كالانس لان التحدي وقع لهم ايضا لانه صلى
الله عليه وسلم مبعوث اليهم اجماعا ثم انما ذكروا تعظيما لاعجازه
لانهم ليسوا من اهل اللسان العربي ويرد بان الاية تقتضي انهم
يحسنون اللسان العربي فادعا خلافه يحتاج لدليل قيل ولم يذكر
الملايكة لانه صلى الله عليه وسلم ليس مرسلا اليهم ويرد بان الاصح
خلافه ومن ثم قال بعضهم انهم مستغنون في الاية ايضا
وانهم لا يقدرون على معارضته ايضا وكان حكمة عدم ذكرهم عصمتهم

عن المخالفة فلم تخش تحديهم وعابهم كل فلم يستطع احد من الفريقين
مع الثلاثة في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان ياتي بمثل سورة
ان ياتي بمثل اية او سورة منه على نظمه البديع وتاليفه المنيع وعذوبة
منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلايل البعث
والنبوة والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وحينئذ فهلا هي في اصلها
للتخصيص والمراد بها هنا التهكم ونظيره من حيث ان لولا بمعنى هلا
فيقيته لهذه ما تلك فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
الاية فهي هنا للتوبيخ والتنديم فلذلك هلا هنا للتوبيخ من
يزعم امكان المعارضة كبعض اهل الضلال والالحاد تاتي بمثلها
اي الاية والمراد بعضها المعنيه البلغا جمع بليغ والفرق بين الفصاحة
والبلاغة ان الاولى خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة
القياس اللغوي ويوصف بها الكلام والمتكلم والكلمة والثانية
مطابقة الكلام والمتكلم والكلمة والثانية مطابقة الكلام لمقتضى
الحال بان يدل على ما تقتضيه حال المتكلم والمخاطب والمحل من
تنكير او اطلاق او تقديم او اضمار او ايجاز او فصل وضد كل ويوصف
بها ما عدا الكلمة وبلاغة المتكلم ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام
البليغ غير محتاج الى تعسف او استمداد وافاد الناظم رحمه الله
ان البلغا فضلا عن غيرهم مع انهم العرب الفصحا والخطبا البلغا
والشعرا الفهما في قريش وغيرها والمتقدمون في اللسن والبيان
والرسا في قوانين المعاني والبديع والبيان والفرسان في ميادين
الفصاحة والشجعان في مهامه البلاغة اظهروا عوار عجزهم عن

المعارضة وعثار عقلهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك
اعجب في الاية واوضح في الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
لان قوم عيسى لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش
كان اعلا ربهم ومنتهى طلبهم التفنن في ادبه الفصاحة والتنزه
في رياض البلاغة والتقدم في اعاجيب الخطابة واساليب البداعة
فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه انما هو لكونه من اعلام نبوته وبرا هين
رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة اذ محال ان يلبثوا ثلاثا
وعشرين سنة على السكوت عن معارضة اية منه المستلزمة لبعض
امره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم
عليها وطلبها منهم وقول اكابرهم وهم لا يزدادون الا تغريبا لهم بعجزهم
حتى يكشف من نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم اني
افتريته لعلمي باخبار الامم فاتوا بمفترى مثله فلم يرو ذلك خطيب
ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه مصنع ولا الظهر ووجد من يستجيده
ويحامي عليه ويزعم بمجرد الدعوى انه عارض وناقض فاذا لم يوجد
ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه وعارض شعر اصحابه وخطبا امته
قطع بعجزهم وتحيرهم وانقطاعهم ومن ثم قال الخطابي وقد كان
صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله وقد قطع القول فان ما اتى به من
عند ربه وانهم لا ياتون بمثل اقصر سورة منه فلولا انه على بينة
واضحة من ربه والا لم يقطع بشيء من ذلك على انه لم يزل ينادي
عليهم بالعجز عن معارضته من ربه والا لم يقطع بشيء من ذلك
على انه لم يزل ينادي عليهم بالعجز عن معارضته وبالتقصير
عن بلوغ الغرض في مناقضته فلم يستطع احد منهم ينا وبه
ولم يرفع راسه اليه ان يباريه بل رضيت هممهم السوقية وانفسهم

الابداد كانوا انف شيء واشد حمية بسفك الدم وهتك الحرم ولذا
قال العلماء من اعاجيب وجوه اعجاز القرآن ان فصاحته وبلاغته خرقت
عادة العرب مع انهم اوتوا منها ما لم يؤته غيرهم لانهم كانوا يأتون
منها على البداهة بالامر الاعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون
بديها عند شدة الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب
ويترسلون في ادبيتهما فيأتون منهما بالسحر الحلال وينطقون
من دررهما اجل من سمط الجمال ولا يشك عاقل انهم الموع مرادهم
وسلك قيادهم فما راعهم الا رسول كريم بكتاب قدم لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بهرت بلاغته
العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم افصح ما كانوا في هذا
الباب مقالا واشهرما وجدوا في الخطابة والشعر مثالا لاحا رجافيهم
في كل حين مقرعا لهم على رؤس الملا اجمعين فأتوا بسورة من
مثله والا فانتم المردودون الى اسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم
ويوبخهم ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويسب آلهتهم ويستبيح
نفوسهم واموالهم وهم لا يزدادون الا تقهقرا عن المعارضة
لم يأتوا بمثاله صابرون وعلى الجلاء والقتل والصغار والاذلال
فان نكصوا عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم
بالتشغيب والتكذيب والاعتراف بالافترا في قولهم ان هذا الا سحر
يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة
والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه
وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب والادعاء مع ظهور
غاية العجز عليهم بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال
لهم تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا اذ لو طاقوا ادنى

معارضة

معارضة لبادروا اليها واتجه الخصم الذين كانوا محافظين على
اطفاء نوره واخفاء اموره مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر
الوالد وما ولد بل ابلسوا فايسوا وقطعوا فانقطعوا هذا وكله
والآتي اليهم به مكث بين ظهرانيهم اربعين سنة اميا لا يحسن
نظم كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم سحرا ولا انشد شعرا ولا يحفظ
خبرا ولا روى اثرا حتى اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل
قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون وروى البيهقي وغيره ان عتبة بن ربيعة
قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال
له اسمع مني وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
الى ان بلغ السجدة فسمع ما بهره فقال للنبي صلى الله عليه وسلم
انت وذاك فقام الى اصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم
بغير الوجه الذي ذهب به فقالوا له ما وراءك قال سمعت
قولا ما سمعت مثله قط فوالله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة
اطيعوني معشر قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكو نن
له نبأ ولما بلغ فقد انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
امسكت فمه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم انه اذا قال
شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وروى ابن اسحاق
والبيهقي ان الوليد ابن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة
طلب منه ان يقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية
فاستعاده اياها فاعادها فقال والله ان له لحلاوة وان
عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو

وما يعلا وما يقول هذا بشر وما فيكم اعلم مني بالشعر واجمعوا فيه
رايا قبل حضور وفود العرب في الموسم لئلا يكذب بعضكم بعضا
فقالوا نقول كاهن قال ما هو بزمزمته ولا بسجعه قالوا
مجنون قال ما هو بخنقة ولا بوسوسة قالوا شاعر قال
قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه وبسيطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا بعقده وما
انتم فاعلون من هذا شيا الا وانا اعلم انه باطل وان الحاكم
ان هذا الشيخ لمارق لقراة القران عليه جاء ابو جهل
فقال يا عم ان قومك يرون ان يجمعوا لك مالا لانك اتيت
محمدا للمال فقال قد علموا اني من اكثرهم مالا قال فقل فيه
ما يعلم قومك انك كاره له فقال لعاذا اقول وذكر ما مر من
مدح القران قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال
فدعني حتى افكر فلما فكر قال هذا سحر يوثر اي ينقله عن غيره
فتامل قبحنا هاولاء على نفسهم بالعناد المحض والسفساف
القبيح والمنقول الباطل ومع ذلك لم يزدادوا الا ضلالا وعنادا
وطغيانا وفسادا وما احسن ما قيل لو وجد مصحف بفلاة
لشهدت العقول السليمة بانه من عند الله بكيفه وقد جاء
على يد اصدق الخلق وقال انه من عند الله وتحداهم باقصر
سورة منه فعجزوا هذا وقد علم مما تقرر وجوه اعجازهم
اجمالا واما تفصيلا فقد بينها الايمة بما حاصله انه ينحصر
مقصود اعجازه في امور اربعة وعدها بعضهم اكثر من ذلك
وهو يرجع الى ما قلناه احدها ما فيه من الايجاز والبلاغة
والتراكيب بحيث وصل في كل منها ومن مراتب البلاغة فيها الى

المرتبة

المرتبة العليا لفظا ومعنى لعدوده ممن احاط علمه بجميع مراتب
الالفاظ ومعانيها فلا يضع لفظه عقب لفظة الا اذا لم يوجد
غيرها ابلغ ولا انسب منها وغيره ليس كذلك ومن ثم لما سمع
اعرابي فاصدع بما تومر سجد وقال سجدت لفصاحة هذا
الكلام ولما سمع نصراني قوله تعالى ومن يخش الله ويتقه الاية
قال جمعت هذه الاية ما انزل على عيسى من امر الدنيا وامر
الاخرة ولقد رام بعض سخفا العقول محاكاة بعض قصار المفصل
فاتى من الهذيان بالعجب العجاب كقول مسيلمة الكذاب اللعين
يا ضفدع كم تنقين اعلاك في الماء واسفلك في الطين لا الماء
تكدرين ولا التراب تمنعين وقوله محاكاة للنازعات والذاريات
والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا
والطاحنات طحنا والحافرات حفرا والباردات بردا واللاقمات
لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر وقال
اخر الم تر كيف فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى من
بين شراسيف واحشى وقال اخر الفيل وما الفيل وما ادراك
ما الفيل له ذنب وبيل وشعر طويل فان ذلك من خلق ربنا القليل
ثانيها انه مع كونه من جنس كلام العرب خارج من سائر فنونه
من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها فحير عقولهم حتى
لم يهتدوا اليه ~~مثل بعض من المتاخرين ولقد رام قوم انتهت~~
اذ لا مثال له ولقد رام قوم انتهت اليهم فصاحة وقتهم شيا من
محاكاته فاعترتهم هيبة فطمتهم عن ذلك ومنهم من المتاخرين
فصل كلاما وجعله سورا فسمع صبيا يقرا وقيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر فتاب ومحا ما عمل

ثالثها ما يسره في النفوس والقلوب كيفية تجد من اللذة والحلاوة
عند سماعه ما لا تجده عند سماع غيره ومن ثم كان ان قاربه ومعه
لا علمه بل كلما ازداد تكريره زادت حلاوته وانفتحت طلاوته رابعها
ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والاخرين ما فرطنا في الكتاب
من شيء ومن الاخبار بالمغيبات فما كان ويكون نحو ولن تفعلوا
ولا يتمنونه ابدا فما فعل مثله مخلوق ولا تمنى الموت يهودي وهذا
ايضا من ابهر المعجزات قال بعض المحققين اعجازه من وجهين
اما لذاته من حيث لفظه ومعناه المخصوصان اذ تاليفه ليس
على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال له رسالة ولا
خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا يخرج عن ذلك
واما لصرف الناس عن معارضته والاعجاز في هذا ظاهر ايضا
اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة محمودة او مذمومة الا
وبينها وبين قوم مناسبة خفية واتفاق جلي لتوجه
ولذا تجد هذا ابو شر حرفة لانشراح صدره لها وذاك يكرهها
وينشرح لاخرى وهكذا فلما دعا الله اهل البطالة الذين
يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم الى معارضة
القران فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا المعارضة
لم تخف على اولي الالباب ان صارفا الهيا صرفهم عن ذلك
واي اعجاز ابلغ من ذلك انتهى ملخصا وحاول بذلك توجيه
القول بالصرفة مع انه للنظام من المعتزلة لكن افسدوه
بان قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية دليل ظاهر
على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة
لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما

يحتفل

يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز الى القران
والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله لا الى القران وحينئذ
يلزمه زوال الاعجاز والذهاب التحدي وفيه خرق لاجماع الامة
ان معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية اظهر من القران
ويلزم الصرف ايضا انه لا فضيلة للقران على غيره فان قلت
القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال
قلت معنى قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكاة
لظنها القدرة عليها فعجزت وعلى القول لم يتوجهوا المعارضة بالصرفة ح
اسهل القطعهم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليها البتة
فان قلت توجه الهمم اليها مع العجز عنها في نفس الامر لا يسمى
قدرة قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر
عن الغايات ولا شك ان اهل فن البلاغة لا يقطعون بسلب
القدرة عن المحاكات ابتداء بل بعد الاختبار فتامله لتعلم سقوط
ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك
خطاب الله فيه عدم الايمان بالايمان كابي جهل وابي لهب ابي ح
نظرا لقدرتهم عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للمغيبات
والعواقب ومن الفاسد ايضا قول فريق ضلال ان الخلق قادرون
على الاتيان بمثله وانما تاخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب
لو تعلموه لوصلوا اليه به واخرين ان العجز انما وقع من الموجودين
واما من بعدهم ففي قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم
ان جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة في الفصاحة تعرضوا لمعارضته
كابن المقفع والمعري والمتنبي ونظرائهم فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع
وتنبو عنه الطباع ونادت عليهم بالخزي والانقطاع وصيرهم

مثله وتجربة وصحكه الى ان مات اكثرهم ولم يقدر به سه وتسكه ولاشتمال
القران على ما لا يحصى من العلوم والمغيبات واحوال العالم الذي يجرى ويجرى
والاخروى وغير ذلك من العجائب كانه كل يوم اي وقت تهدى
فاعله القراء اي توصل وافاد التعبير به تشبيه المعجزات بالتحف
المهداة فهو استعارة بالكناية ثم استعارة تخييلية ولاشتمال
~~القران على ما لا يحصى من العلوم والمغيبات واحوال العالم الذي يجرى~~
~~والاخروى وغير ذلك من العجائب كان~~ كل يوم ~~اي وقت~~ تهدى
~~فاعله القراء~~ اي سامعيه معجزات مر بيان المعجزة بما يتعين
الوقوف عليه ليعلم منه ان المراد بها هنا الامر الغريب وان لم
يصدق عليه حد المعجزة بما يتعين الوقوف عليه ليعلم منه
ان المراد بها هنا الامر الغريب وان لم يصدق عليه حد المعجزة
السابق مبتداه من لفظه كعذوبته وانسجامه وجزالة
معناه وغاية ايجازه مع غاية بلاغته وبيانه مع فصاحته
وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار جنسا اخر متميزا
عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة اخباره الصادقة
تارة على الامم الماضية واخرى عن المغيبات وما فيه
من العلوم التي لا يمكن حصرها ونقل الامام ابن سراقة من
اصحابنا ان كل واحد من هذه واي قوم انه سبب اعجاز
القران ثم اعترضهم بانهم كلهم ما بالعوا في وجوه اعجازه
جزا واحدا من عشر معشاره وتبعه البدر الزركشي فقال
اهل التحقيق على ان الاعجاز وقع لجميع ما سبق لاشتماله على
الكل فنسبته الى واحد منها بخصوصه تحكم بل فيه غير ذلك ككونه
لا يزال غضا طريا على الالسنة وفي الاسماع مع ضمه الجزالة

والعذوبة

والعذوبة وهما كالمتضادين اذ لا يجتمعان غالبا في كلام البشر
وكونه مستند اركاعلى جميع الكتب قبله غير مفتقرة اليه وهو
غني عنها ومن ثم كان ابهر في الاعجاز من سائر معجزات الانبيا
بل ومعادلا للكل لان سبيلها واحد هو مخالفة العادة وهو
كثير كما تقرر في وجوه اعجازه وسيل بعضهم ما موضع الاعجاز
من القران فقال هذا شبيه بقولك ما موضع الانسان في
من الانسان ومعناه انه ليس للانسان موضع اشرت اليه جملة
فقد حققته ودللت على ذاته لذلك القران لشرفه لا يشار
الى شي منه الا وكان ذلك المعنى اية في نفسه ومعجزة لمحاوله
وهدى لقائله وليس في قدرة البشر الاحاطة باسرار الله
من كتابه فلذلك طارت وتاهت البصاير عنده واختلفوا في
تفاوته في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على بلوغه الذروة
العليا كما مر فاختار القاضي المنع وان ما المتفاوت ادراك الناس
له واختار ابو نصر القشيري وغيره تفاوته وتبعهم ابن
عبد السلام ولم يات كله بالافصح لئلا يخرج عن نمط كلام العرب
فجا على نمط كلامهم ليتم ظهور تحقق العجز عن معارضته القرا
لان من سمع الفاظ القران وتدبرها حتى تدبرها علم من كل لفظ
منها باعتبار ما دل عليه امرا يحير الابصار ولا يناقض واذا
بلغ القران في الجلالة التي جرت الاشارة اليها ما لم يبلغه غيره
كان حقيقا بانه تحليه اي يحليه المسامع من التحلية بالفاظه
ويتحلى بالفاظه الافواه من الحلو فهو الجانب راجع للاول والحلو
بالفاظه راجع للثاني رق اي حسن لفظا اي من جهته فلا
تجد لفظة منه فيها ما ينافي كمال الرقة الموجبة للفصاحة

من تنافر او تعقيد و راق اي اعجب كل ناظر فيه معنى اي من جهته
فلا تجد معنى من معانيه الا وهو واصل في الاحكام ووضوح الدلالة
الغاية القصوى وفي رق وراق والحلي والحلو الجناس كحلاها وحلاها
وسور وصور والنظائر الابيات والمساجع والافواه واللفظ
والمعنى مراعاة النظير كالرقة والصفا والايات والحروف والهجا
الابيات وفيما بعدها اللف والنشر المرتب في بسبب كون سوره
رقت وراقت جات فاعله الحسنا وما قبله حال منه اي حال
كونها في حلاها اي صفاتها الجميلة وحليها اي زينتها
للخنسا بنت عمرو وخصها من بين كثيرات سمين بذلك لانها
كانت شاعرة مفلقة كما ياتي بسط الكلام في ترجمتها
شبه سور القران في صفاتها العالية وترتيبها بما اودعته
من الاسرار البهية بامراة بلغت من الرتبة واوصاف الحسن
ما لا يمكن التعبير عنه واربتنا اي اوضحت لنا وفاعله رقم
الاتي فيه اي القران غوامض اي خفايا بالفضل كالعلوم والمعارف
المستنبطة منه التي لا حد لها ولا غاية ومن ثم جاء عن علي
كرم الله وجهه لو شئت ان اوقر بعيرا من تفسير سورة
الضحى لفعلت رقم كاينه من زلالها الزلال ماء في غاية
الحلاوة والبرودة توجد في اجواف صور توجد في
نحو الثلج تشبه الحيوان وليست في الحقيقة بحيوان كما
قاله بعض اكابر ايمتنا وصفا من ذلك الزلال شبه آي القران
في محاسن اساليبها وصفا موارد المعجبين لمن حدق
في صفا بابها حديد نظره وحقق في غورها دقيق فكره
برد اليقين وصفا القلب عن كل سوى حتى اطلع على سائر

الغوامض

الغوامض من العلوم الالهية والمعارف الاختصاصية والمواهب
الرحمانية والمآرب الروحانية بما في غاية العذوبة والبرودة
وصفا الجوهرية ورقتها بحيث لا تمنع من روية ما تحته مما من
شانه ان يخفى وبهذا الذي قررته من برد اليقين وصفا القلب
يعلم ان ذلك انما يحصل لمن انصقلت مراة فكره كما اشار
لذلك بكلام جامع بديع على عادته فقال انا تجتلي الوجوه
اي تنظر ظهورا واضحا لا خفا معه بوجه اذا قوبلت بالمراة اذ ما
زائدة جليت اي ازيلت وبين هذا وتجتلي تجنيس الاشتقاق
عن مراتها بكسر الميم والمد الاصدا فكذلك مراة القلوب
لا تجتلي لها العلوم والمعارف من القران الا اذا جليت عنها
اصدا الاغيار وادامت قواها فيما هي بصدده آناء الليل واطراف
النهار سور جمع سورة وهي الطائفة المخصوصة المسماه
باسم مخصوص توقيفي منه لبيان الجنس لان ما ياتي ليس خاصا
ببعض سورة بل يشملها كلها اشبهت لاشتمال كل منها على
معادن من العلوم وغيرها مستقلة بها لا يتوقف عليها في
الاخرى ومن ثم وقع التحدي باقصر سورة منه صورا
جمع صورة وصورة الشي شكله منا في اشتمال كل منها
على عقل وادراك وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف
عليها في غيره وكان الناظم قصد بهذا التشبيه الرد على
من زعم ان الاعجاز انما هو بمجموع القران لا بكل من سورة
لان ما فيه من انواع الاعجاز السابقة انما يستفاد من
مجموعه وهذه مقالة فاسدة لا يعول عليها لمنافاتها
لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله كما مر بيانه فالصواب

خلاف هذه المقالة بل نافلوها معتزلة لا يقام لهم وزن ومثل
النظاير جمع نظيره النظرا جمع نظير ايضا وهم المثل والمناظر
ويطلق النظاير غالبا الاماثل والافاضل وكل منهما يصح ان يكون
مرادا هنا خلافا للشارح وهذا اسا فهم كالمثل لما قبله فيكون من
التذييل اي ومثل تلك السور التي نظاير كما قال ابن مسعود
لقد عرفت النظاير التي كان يقرا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهي عشرون سورة الاماثل والافاضل الذين يتناظرون
في التحلي بالفضايل والتخلي عن الرذايل والاقاويل جمع
قول والمراد به هنا اللفظ المفيد عندهم اي الكفار ظرف
للمبتدا او لخبره وهو كالتماثيل جمع تمثال وهو الصورة
يعني ان تقولهم في القران وافتراهم عليه بما يقدح في حقيته
امر مزخرف مموه بالاباطيل كما ان التصاوير التي يخترعها
المصورون كذلك فكما ان هذه لا وجود لها في الحقيقة ولا
اعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور واذا تقرر لك ان جميع
ما قالوه في القران باطل قطعي البطلان فلا يوهمنك الخطبا
اي فاحذر ان يوقع مزخرف الكلمات بتشدقهم وتفاصحهم
في ذهنك ادنى ريب او شك في شيء من اوصاف القران التي
مر بيان بعضها وما ينبه عليها بقي منها كم ابدت لك كثرة ايات
اي اوضحت اياته جمع اية وهي لغة العلامة واصطلاحا قران
مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدا ومقطع مندرج في سورة
قاله الجعبري ويشكل عدهم نحو ثم نظر في المدثر اية اذ ليس
في هذه جمل ولا تقديرا ولعل الاولى قول غيره طايفة من القران
منقطعة عما قبلها وما بعدها لكن قوله من القران الاولى ان
يقول

يقول بدله من السورة وسميت الاية بذلك لانها علامة على صدق
الاتي بها وعلى عجز المتحدين بها وياتي قريبا بها عدة اي القران من
زايدة في الاثبات كما هو راي جماعة علوم لا غاية لها كما قال تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء وقال وانزلنا عليك القران تبيانا لكل شيء وفي حديث
الترمذي وغيره ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله
فيه نبا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم واخرج سعيد بن منصور
عن ابن مسعود قال من اراد العلم فعليه بالقران فان فيه خبر الاولين
والاخرين قال البيهقي يعني اصول العلم واخرج عن الحسن انزل الله
مائة واربعة كتب اودع علومها اربعة منها التوراة والانجيل
والزبور والفرقان ثم اودع علوم الثلاثة الفرقان اي مع زيادات
لا تنحصر ومن ثم قال الشافعي رضي الله عنه جميع ما تقوله الامة
شرح للسنة وجميع السنة شرح للقران وقال ايضا جميع ما حكم به
النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القران وما ثبت ابتدا بالسنة
فهو في الحقيقة ماخوذ منه لانه اوجب علينا اتباعه صلى الله عليه
وسلم ولهذا قال مرة بمكة سلوني عما شئتم اخبركم عنه من كتاب الله
فامتحن بدقايق فاستنبطها في الاثبات كما هو راي جماعة من القران
منها لو قتل محرم زنبورا هل عليه جزا فاستنبط لهم منه انه لا جزا
عليه لان عمر رضي الله عنه امر بقتله والنبي صلى الله عليه وسلم
قال اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر والله تعالى يقول وما
اتاكم الرسول فخذوه الاية وتبعه اعني الشافعي العلما على ذلك
فقال واحد ما قال صلى الله عليه وسلم شيئا وحكم او قضى بشيء الا وهو
او اصله في القران قرب او بعد وقال اخر ما من شيء في العالم الا وهو
فيه فقيل له فاين ذكر الخانات فيه فقال في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا

قف على المائة واربعة كتب

تعرف على ذكر الخانات

بيوتا غير بيوتكم مسكونة فيها متاع لكم يعني الخانات وقال اخر ما من شي
الا يمكن استخراجه من القران لمن فهمه الله حتى ان عمره صلى الله
عليه وسلم ثلاثا وستين سنة استنبط من اخر سورة المنافقين
لانها راس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن لظهوره في فقده
صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استاثر تعالى بعلمه ثم ورث عنه معظم
ذلك اعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه بحسب تفاوت علومهم كابي
بكر فانه اعلمهم بنص ابن عمر وغيره وكعلي كرم الله وجوههم لقوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث الحسن خلافا لمن زعم وضعه انا مدينة
العلم وعلي بابها ومن ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما جميع ما اوتيته
لكم من التفسير فانما هو عن علي كرم الله وجهه وكابن عباس حتى
قال لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله ثم ورث عنهم
التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل ما حمله اوليك من
علومه وفنونه فنوعوا انواعا ليضبط كل طايفة علما وفنا ويتوسعوا فيه
بحسب مقدرتهم ثم افرد غالب تلك العلوم وتلك الفنون التي
كادت تخرج عن الحصر وقد بين هذا القايل وجه استنباط غالبها
منه بتاليف لا يحتمل وقال اخر علومه خمسون علما واربعماية علم
وسبعة الاف علم وسبعون الف علم على عدد كلم القران مضروبة
في اربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ويجتمع لذلك اعتبار
تركيب ما بينها من روابط لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به فقال نعم
او علومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم ومن ثم سميت الفاتحة ام الاشتمالها
على هذه الثلاثة والاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير
الثلاثة التوحيد والاخبار والديانات وقال اخر اشتمل القران على
كل شي كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شي اما العلوم فلا تجد مسيلة

هي اصل

استنباط عمره صلى الله عليه وسلم من اخر سورة المنافقين

عن هنا الحديث وكلام الله فيه

فنوعوا علومه

عدد علوم القران عدد اياته على علوم القران خمسون علم وسبعة وسبعون الف علم واربع مايه و ٧٧٤٥٠

هي اصل الا وفي القران ما يدل عليها وفيه عجايب المخلوقات وملكوت
السموات والارض وما في الافق الاعلى وتحت العرش وبدء الخلق واسماء
مشاهير الانبيا والملايكة وعيون اخبار الامم السابقة وشانه صلى الله
عليه وسلم وغزواته واخباره الى مماته ثم شان امته من بعده وبدء
خلق الانسان الى موته وامارات الساعة وجميع احوال البرزخ والحشر
والجنة والنار ~~بينهما وبين من الجناس اللاحق~~ وزعم الجاحظ انه لا يوجد
فيه شي من المذهب الكلامي الذي هو احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة
تقطع الخصم على طريقة ارباب الكلام ولا من النوع المنطقي الذي يستنتج
منه النتايج الصحيحة من المقدمات الصادقة وردوا عليه بانه مشحون
من ذلك اذ ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد مبني من كليات
العلوم العقلية الا وكتاب الله قد نطق به وقد بين الاسلاميون من اهل
هذه العلوم كثيرا من ذلك منه انه من اول سورة الحج الى قوله وان الله
يبعث من في القبور خمس نتايج تستنتج من عشر مقدمات بل فيه الاشارة
حتى لعلم المهندسين بل الاشكال ايضا ومنه وهو الشكل الثلاثي بقوله انطلقوا
الى ظل ذي ثلاث شعب الاية قاله الايمة وانما اوردت حججه على عادة العرب
دون دقايق المتكلم لقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ولان من
استطاع ان يفهم غيره بالاوضح الذي يفهمه الاكثرون لا ينحط
الى الاغمض الذي لا يفهمه الا الاقلون والا كان ملغزا ومن ثم اخرج تعالى
في مخاطبته في محاجة خلقه في اجلى صورة واوضحها ليفهم العامة
ما يقنعهم ويلزمهم الحجة بسببه والخاصة ما يليق بهم من دقايق
المعارف التي يجمعها منتهى كل ومبلغ اربه ومن عجيب تلك الابانة انها
ابانت تلك العلوم التي لا غاية لها حالة كونها متفردة عن بعضها وبين
من الجناس اللاحق حروف قليلة بالنسبة اليها اخرج ابن الضريس

بالنسبة اليها اخرج ابن الضريس عن ابن عباس قال جميع آي القران ثلثمائة
الف حرف وستمائة حرف واحدى وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد
بها حروف التهجي بل مسمياتها حروف التهجي اسما كاشفة عن تلك المسميات
كما قال ابان اي كشف عنها الهجاء اي التهجي وهو تعديد الحروف
بذكر اسمائها فانك اذا قلت ضرب مركب من ضاد رب فقد عددت
للحروف البسيطة التي هي مادة الكلمة قبل ان تحصل صيغته والمراد
هنا ان يتهجى بالاسماء عن المسميات حتى يتبين موضوع كل وبيانه
ان الحروف الذي اول زيد مثلا له مسمى هو ز والخطابة تحذف هاء
السكت لا يوثر لانه للتعليم وله اسم هو الزاي لانه تعتريه سائر علامات
الاسم ومن ثم قال سيبويه قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف
تقولون اذا اردتم ان تتلفظوا بالكاف التي في ذلك والباء التي
في ضرب فقيل نقول باكاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تتلفظوا
بالحرف وقال اقول كه به فحروف القران من الاول وحروف
التهجي من الثاني ودليل تسميتها حرفا الخبر الصحيح من قرا حرفا من كتاب
الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولام حرف
وميم حرف فتسميته كل حرفا اما لغة او مجازا باعتبار مدلوله وحينئذ
فهي اي حروف القران وان عزت معانيها وكثرت احكامها لا يستبعد
منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها لان
لها مثلا لا يقرب بها نوع قرب حروف اسماء الاعداد والافتنان ما
بينهما اذ هي ما يأتي له امد معلوم يفنى فيه عن قرب وهذه مستمرة
النمو والزيادة على ممر الاعصار وتوالي الازمان في هذه الدار وفي
دار القرار كما يدل عليه الحديث الصحيح انه يقال للقارئ في
الجنة اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ويأتي ذلك قريبا
بزيادة

من المراد حم
بل الف حرف حم

بزيادة وذلك المثال هو انما انها كحروف اسماء الاعداد فانها مع كونها
الفاظا محصورة لا يتناهى الوهم الى المعدود بها واما انها كالحبة الذي يلقيه
الزارع والنوى الذي يلقيه الغارس في الارض فينشأ عن الاول من
السنابل والحبوب ما يكاد ان الذي يلقيه الغارس بالارض فينشأ
عن الاول من السنابل والحبوب ما يكاد ان لا يحصى ولا يتناهى ومن
الثاني من الثمر ما هو كذلك وفي هذه الحالة اعجب فاعلم باني فقول
الشارح ان فيه ضميرا الحبة والنوى وان فاعله سنابل سهو منه اذ كيف
يتصور في فعل ان له فاعلين ضميرا وظاهرا في حالة واحدة الزراع
والغارس كما يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفا كسرابيل تقيكم الحر اي والبرد
وفيه ايضا اللف والنشر المرتب لعود الزراع للحبة والغارس للنوى
وعود السنابل للاول والوكالها منها اي تلك الزروع والاشجار
سنابل وركاء اي نمو يفوت الحصر بحيث لو اجتمع اهل الارض على
استقصاء عددها لما اطاقوه فقد علمت ان المتناهي هنا كما يحصل
منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القران هي متناهية ويحصل منها من
العلوم والمعارف ما لا يتناهى وهذا المثل المراد به التقريب لا غير كما
عرف مما مر والافتنان بين الامرين الاخرين ان عدم تناهي تلك الحبوب
والثمار انما هو في مدة قليلة ثم يفنى عن قريب واما تلك الحروف
فان معانيها لا تتناهى في الدنيا وبه يعلم انه يقرأ او يلتذ بالقراة
ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها وما يفتح الله به على القراء من انواع
المعارف اللائقة بتلك الدار وتلك الذوات التي تتم فيها التناهي
وذلك امر لا يتناهى ابدا ومن عجيب شان الكفار انهم مع هذه المعجزات
والآيات البينات كلها استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض
والانكار فطالوا فيه التردد والريب اي نموه ~~لا حقيقة له~~

اي الشك عطف مراد ف فقالوا كما حكاه الله عنهم في كتابه تهو
تلميح مرة انه سحر اي تمويه لا حقيقة له واصل السحر لغة كل ما لطف
ماخذه ودق وقالوا مرة اخرى انه افتراء اي كذب ومرة اساطير
الاولين الي غير ذلك من افترايهم وافتراحهم ومباهتتهم وتلبيسهم
وضلوا فيما قالوا بل هو والله المتفضل بانزاله قران مجيد في لوح محفوظ
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكل ذلك
ينادي عليهم بالبوار والعناد وانه لا عقل لهم ولا راي ولا استعداد
ولكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق
لما هو المقرر في العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة انه
اذا كانت البينات اي الحجج القطعية البرهان الواضحة البيان لم
تغن هم اي تفدهم شيا من الهدي فالتماس الهدي اي طلبه
منهم بتلك الحجج بعد الياس من ايمانهم اي طلبه منهم بتلك الحجج بعد
الياس من ايمانهم عنا اي تعب لا يفيد شيا واذا اضلت عن طرق
الحق العقول جمع عقل وسبق الكلام عليه مستوفى على اي مع
علم منها بتلك الطرق اي اضلها باريها فماذا تقولوه اي فاي
قول تقوله الانبيا النصحاء وقولهم لا يفيده شيا والبيت الاول حينيذ
مقتبس من قوله تعالى وما تغن الايات والنذر عن قوم لا يومنون
والثاني من قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم
وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من
بعد الله افلا تذكرون وبما قررته كلامه تعلم ان هذين البيتين
من الكلام البديع الجامع تنبيه لا يتوهم من النظم انه مخالف لقول
الايمة اجمعت الامة على التكليف بالمحال لغيره كتكليف ابي جهل
مثلا بالايمان مع علم الله بانه لا يومن وذلك لان التكليف بالمحال
لغيره بذلك

لغيره لتكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوي عنا علمها فنبها
لهم بالنسبة اليها مكلفون بالايمان لعدم تميزهم عليه ظاهرا وان كانوا
عاجزين عنه باطنا لعلم الله بانهم لا يومنون لان هذا لا ينظر اليه
والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنابذ لما جات به الشرايع
فاحذر ان تميل اليه فتزل قدمك وتحق ندامتك واستحضر قوله
تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون فوايد منها قيل حكمة
تنزيه القران من الشعر مع ان الوزن يورث الكلام عذوبة ان
الشاعر التخييل مجوز الباطل في صورة الحق والافراط في
الاطرا والمبالغة في الذم والايذا دون اظهار الحق ولهذا نزه الله نبيه
عنه ومن ثم قال بعض الحكما لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا في شعره
صادق اللهجة مفلقا في شعره اي غالبا وما وقع فيه على صورة الشعر
لا يسماه لان شرطه القصد ومن ثم لم تعارضه العرب ولو اعتقدوه شعرا
لعارضوه وقيل دون البيتين ليس شعرا لعارضوه وقيل دون البيتين
ليس شعرا وقيل الرجز كذلك ومنها سيل الغزالي عن قوله تعالى لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا فقيل الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد نفي
اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القران فليس نظمه مختلفا
ولا بعضه يدعو للدين وبعضه يدعو للدنيا بخلاف كلام البشر لاختلاف
فواهم واغراضهم واحوالهم ومنها ان ساير كتب الاعجاز فيها من حيث
النظم والتاليف لان السفهاء كذلك كان كل ما في القرآن حكاية عنهم انما حكايته
لمعنى الفاظهم ذكره ابن جني وغيره ومنها وقع في القران ايات متشابهات
من حيث النظم كايراد القصة الواحدة في صور وفواصل مختلفة كوكلا فكلا
يذكرون وتذكرون يستغربه ويستزيده وذلك كثير وقد افرد خلايق
الجواب عن ذلك ابن عباس رضي الله عنهما ثم تبعه الايمة حتى افرده بعضهم

هو ح
[illegible] عند بعضهم على [illegible] عدة القابل [illegible]
واو لمن تكلم في الجواب [illegible]

ذلك بالتاليف كالعوا في مختلف الحديث وبيان الجمع بين الاحاديث
المتعارضة ومن حيث ابهام المتشابه الذي استاثر الله بعلمه أو علمه
ايضا الراسخون في العلم وهو مبحث طويل فلا باس بذكر خلاصته
وهو قيل القرآن كله محكم كما في اية وقيل كله متشابه كما في اية والاصح
انقسامه اليهما والمراد باحكامه اياته انها اتقنت وتنزهت عن
نقص يلحقها وبمتشابهها انه يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق
والاعجاز ثم المحكم ما عرف المراد منه قيل ولو بالتاويل والمتشابه
ما استاثر الله بعلمه والحروف المقطعة اوايل السور ونحوها اقوال
اخر ثم المتشابه هل علم فيه قولان منشاهما هل الوقف على الا في العلم
وعليه طايفة قليلة كمجاهد وفي الضحاك وهو رواية عن ابن عباس
وقال النووي انه الاصح لانه يبعد ان يخاطب الناس بما لا سبيل
بوجه من الخلق الى معرفته وابن الحاجب انه المختار والاكثرون
من الصحابة فمن بعدهم خصوصا اهل السنة ان الوقف على الله
وهو اصح الروايات عن ابن عباس وعد ابن السمعاني اختيار الاول
هفوة وجمع بعضهم بان من المتشابه ما يمكن الوقوف عليه ومنه
ما لا يمكن فصح الوقفان بهذا الاعتبار ومن المتشابه ذكر ايات الصفات
التي فيها ذكر نحو الاستوا واليد والعين وجمهور اهل السنة منهم
اكثر السلف واهل الحديث على تفويض معناها المراد منها الى الله
تعالى مع تنزيهه عن ظواهرها وذهب الخلف الى تاويلها بما يليق
بجلاله تعالى وكان امام الحرمين يميل الى هذا ثم رجع عنه فقال
الذي نرتضيه دينا وندين الله به عقدا اتباع سلف الامة
فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وتبعه ابن الصلاح
فقال على ذلك مضى صدر الامة وساداتها واياها اختار ايمة

الفقها

الفقها وقادتها واليها دعا ايمة الحديث والنحو فقال واحسن فيما قال
لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا بدليل منفصل وهو اما لفظي وهو لا
يعتبر هنا لانه مظنون اذ القطع به يتوقف على انتفا الاحتمالات
العشر وهو مظنون واما عقلي وهو انما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره
لاستحالته دون اثبات المعنى المراد لانه ترجيح مجاز على مجاز وتاويل
على تاويل وذلك انما يكون بالظني وقد تقرر انه لا يفيد الا الظن وهو
لا معول عليه في المسايل الاصولية القطعية قال فلهذا اختار الايمة
المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على ان
حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض في تعيين التاويل الا ان قرب
في لسان العرب كعلى ما فرطت في جنب الله اي في حقه وما يجب له الا ان نجد
اية كتاويل استوى باستولى ولما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين
ما ال اليه امرهم شرع في الكلام مع اهل الكتابين لتبيين ما ال اليه
امرهم ايضا فقال يا قوم وحذف حرف الندا جايز الا في الندبة والاستغاثة
ومع المضمر وكذا مع اسم الاشارة واسم الجنس على قول فيه عيسى
المدعوين بالنصارى عاملهم قوم موسى وهم اليهود بما التصديق
بكتابهم وهو التوراة الذي عاملكم بنظيره وهو التصديق بكتابكم
الذي هو الانجيل الحنفا اي المسلمون جمع حنيف وهو المايل عن
كل دين الى الدين الحق ثم بين ما الهمه وفي هذا التفاوت لان قوم عيسى
خوطبوا اولا واعيد عليهم ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وبين عيسى
وموسى الجناس اللاحق كقابيل وهابيل الاثنين والتصديق والتكذيب
الطباق بقوله صدقوا اي قوم عيسى كتبكم وهو التوراة وما بعدها
كالزبور وكذبتم كتبهم وهي الانجيل وجمعه للمشاكلة وللتنزيله
منزلة كتب متعددة ان ذا الذي فعلتموه معشر اليهود لبعض العوائد

اي الصنيع الذي رجعتم به القهقرى وهذا مقتبس من قوله تعالى
وباؤا بغضب من الله **لو جحدنا** من الجحد وهو الانكار عن علم **جحودكم**
اي مثلكم بان انكرنا كتابكم كما انكرتم كتابنا وكتاب عيسى **لاستوينا** نحن
وانتم اي يكون ذلك منا لا يتصور ذلك كيف **وليس للحق** وهو ما نحن
عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله **بالخلال** وهو ما هم
عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض **استوا** اي مساواة
بل بينهما غاية التضاد فالحاصل انا لم نجحد شيئا من كتب الله وانما وقع
الجحد من اليهود لكتاب النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف
ما يوهمه النظم قال تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على
شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب
اي المكذب لهم في ذلك وكان الشارح اخذ من هذا قوله وانما
وقع التجاحد بين اهل الكتاب اذ التعبير بالتفاعل مصرح بما ذكر
مما يخالف النظم ويوافق ظاهر الاية انتهى وقد يقال لا يلزم من
ادعا كل فرقة في الاخرى ما ذكر انكار كتابها اذ لا مانع ان النصارى
قائلون في اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شيء اي باعتبار
تبديلهم وتغييرهم فصح ما في النظم ويحتمل ارجاع ضمير صدقوا ولكنهم
الى الحنفا وضمير الخطاب في لستم ولكذبتم للفريقين اليهود والنصارى
ويكون ذلك تفسير الها لكم الحنفا وفي السياق ما يؤيد كلا من
الاحتمالين لكن الاول اقرب ولما كان من المعلوم المستفاد ان اليهود
اشد الناس حسدا قال تعالى ام يحسدون الناس على ما اتاهم
الله من فضله وانهم حسدوا عيسى حتى قتلوه في زعمهم الفاسد
واستمر حسدهم للنصارى من بعده حتى قالوا ليست النصارى
على شيء الموجب لقول النصارى فيهم ذلك ايضا وان الطايفتين حسدوا

محمدا

محمدا صلى الله عليه وسلم واشتد حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر
عن سخفا العقول فضلا عن غيرهم شرع الناظم في بيان ذلك كله منهم
من العناد ما لا يصدر على وجه بديع فقال **ما لكم** اي حال حصل لكم
معشر الفريقين **اخوة الكتاب** سماهم بذلك لانه لما جمعهم
ما فيه من التكاليف والاحكام صاروا مستوين فيه كاستوا الاخوة
في الانتساب الى اصل واحد حال كونكم **اناسا ليس** شانكم انه **يرعى لحق**
منكم اخاء بكسر الهمزة فاعل يرعى ومجرور انه اسم ليس وناب فاعل
يرعى ضميره اي مواخاة اي ليس يصدر منكم مراعاة لدين الحق بالقيام
بما يجب من الحقوق التي منها تصديق محمد صلى الله عليه وسلم عملا
بما في كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته وفي جمع
اخوة ردا العجز على الصدر وبين الاخوة والاخا جناس الاشتقاق
كالشهادة والشهدا الاتية ومن عدم رعايتكم لذلك انه **يحسد الاول**
الاخير كما وقع لليهود انهم حسدوا عيسى صلى الله عليه وسلم حتى
زعموا انهم قتلوه وصلبوه وما دروا ان الملاعين انه شبه لهم مثله
فقتلوه ونجاه الله منهم ثم رفعه الى السما لينزل اخر الزمان
حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا ورا المهدي اول
نزوله ليعلم انه نزل تابعا لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم
ومنها انه لا يقبل الجزية بل يقتل كل يهودي ونصراني في الارض
لان نوعا ما الشبهة المجوزة لقبول الجزية منهم ارتفع بنزوله
وتكذيبه لهم **وما زال كذا** اي هكذا المذكور من حسد الاول للاخير
المحدثون والقدماء من لدن ادم الى اليوم **قد** هي للتحقيق
علمتم يا اهل الكتاب **بظلم قابيل** من اضافة المصدر الى فاعله
وهو اول اولاد ادم وهم اربعون جاوا له من حوا من عشرين

اولاد ادم

قيل حسد قابيل هابيل

بطنا في كل بطن ذكر وانثى وبارك الله في نسله في حياته حتى بلغوا
اربعين الفا هابيل يشدخ راسه بين حجرين وهو ثاني اولاد
ادم صلى الله عليه وسلم حسده اخوه على الذي من ادركوت الله تعالى
تقبل قربان هابيل فلم يتقبل قربانه فحينئذ قال له لاقتلنك فاجابه
بانه يستسلم لقضا الله ولا يجزي بالسيئة السيئة كما افاد ذلك
ما حكاه الله تعالى عنه بقوله عز قايلا لئن بسطت الي يدك لتقتلني
الاية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كن خير ابني
ادم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وجا ان سبب حسده
له انه تزوج اخت هابيل وكانت ليست كجمال اخته التي تزوجها
هابيل وكان من شريعة آدم ان اختلاف بطون حوا بمنزلة
اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس
وهو مع مخالفته لظاهر الاية يمكن تاويله بانه لا مانع ان حسده
بسببين اخروي وهو ما في الاية ودنيوي وهو ما ذكر على انه
جا في القصة ان آدم عليه الصلاة والسلام لما امر قابيل ان يزوج
اخته لهابيل فامتنع امرهما ان يقربا قربانا لله وكانت العلامة
على قبوله اذ ذاك نزول نار من السما تاكله فقرب كل منهما قربانه
فتقبل قربان هابيل فزاد حسده اليه انه قتله وبين الاول والاخر
والمجنون والعقد ما جناس الطباق كوفيتم وخانوا واحسنتم واساوا
والابا والانبيا ومظلوم الاخوة الاضافة فيه بمعنى من ويصح بتكلف
كونها بمعنى في واخبر عنه بالجمع لانه للجنس الصادق بالجمع وقسيميه
الاتقيا لانهم الذين يصبرون على تحمل الاذا ولا ينتقمون لانفسهم
وهذا فيه نحو رسالة المثل للاستدلال به على ما قبله وكذا وما زال
الخ وعلم من قولي وهذا فيه الخ ان ليس المراد بالاخوة هنا خصوص

قابيل

قابيل وهابيل حتى يجاب بانه اراد بالاخوة الاخوين بنا على القول
بان اقل الجمع اثنان وقد سمعتم هو لليقين لان المراد في كل العلم
ملكيا بنا يعقوب المسمى في القران باسرائيل اي عبد الله بن اسحاق
الذبيح عند الاكثرين الاشهر انه اخوة اسماعيل بن ابراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم اخاهم يوسف صلى الله عليهم وسلم كما هو مبسوط
في قصته المصدرة بقوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص
اي لانها سيقت على اسلوب لم يسبق عليه غيرها من بقية القصص و
بنوهم من كبد هو له المحكي عنهم في قصته ولا من ذكرهم اثر قابيل
الكافر اللعين ان ذلك بنا في صلاحهم لاتفاق العلما على انهم كلهم
صلحا عدل اليه عن انبيا لانه الامر المتفق عليه كما تقرر اذ لعتوة الحال
عنده في عدم نبوتهم بخلاف يوسف فانه لا خلاف في نبوته لكن الحق
انها ظاهر الاية او صريحها وهي قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل
الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط اذ الاسباط
هم اولاد يعقوب وقد ذكرت الاية انهم انزل عليهم بين كتب
الايمان به غير ما انزل على ابائهم وذلك الشي هو الوحي كما هو المتبادر
بل صرحت بذلك واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وحينئذ فنفي نبوتهم المستلزم لنفي الوحي اليهم مناقض
لصريح الاية فتامله ولا ينافي نبوتهم ما حكي عنهم في تلك القصة
لانه انما صدر منهم عن تاويلات تراها شريعتهم وما يقرب
ذلك انه العلما اتفقوا على صلاحهم وان تلك الامور التي جرت منهم
لم تؤثر في صلاحهم فكذا في نبوتهم على ان في عصمة الانبيا قبل
النبوة خلاف محل بسطه كتب الاصول حين ظرف لكيد القوه في
غيابة الجب هو البير التي لم تطو وغيابته قعره وكاده وه بذلك

خوفا من تقدمه مع كونه اصغرهم عليهم الذي ابانت عنه روياه
المذكوره اول السورة اذ الاحد عشر كوكبا امثال لهم لانهم
احد عشر والشمس والقمر ابوه وخالته وسجود الكل له دخولهم
تحت امره وطاعته وكان الامر كذلك كما في اخر السورة فانهم
لما جاوا اليه مع ابيهم وخروا له سجدا قال يا ابت هذا تاويل رؤياي
من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجا
بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وليس في
التعبير بنزغ الشيطان بينه وبينهم ما يقدح في نبوتهم على
القول بها قال تعالى لافضل خلقه واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله لان معناه واما يستخفنك غضب يحملك
على ترك الاعراض عن المكذبين لك والنزغ ادنى حركة امره تعالى
انه متى تحرك عليه ادنى غضب على عدوه واراد الشيطان ان يغريه
ادنى وسوسة اليه ان يستعيذ به تعالى ليكفيه امره وهكذا
من تمام عصمته لانه لم يسلط عليه باكثر من التعرض له بهذا الامر
الذي لا تاثير له من بعد قدرة له عليه ومن كيد هؤلاء ايضا انهم رموه
بالافك حيث قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يريدون
يوسف وهو بري كما ان ابن يامين بري منه وفي تسميته الناظم هذا افكا
نظر ظاهر بل لا يصح كيف وقد اخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي
الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ان يسرق فقد
سرق اخ له قال سرق يوسف صنما لجده ابي امه من ذهب وفضه
فكسره فالقاه على الطريق فعيره اخوته بذلك واخرج ابن جرير
عن قتادة قال سرقته التي عابوه بها اخذ صنما كان لابي امه
وانما اراد بذلك الخير وروي نحو ذلك جماعة عن زيد ابن اسلم

وسعيد

وسعيد بن جبير وابن جريج وزاد ان امه امرته بذلك لانها
كانت مسلمة قال الشافعي رضي الله عنه كان زيد هذا من
العالمين بالقران فالحاصل انه وقع منه صورة سرقة فذكروها
تعييرا له فهم لم يكونوا اتوا الذنب وقعوا فيه انهم عيروه بما لا عار
فيه بل بما فيه غاية الرفعة والمدحة كما ذكرته في كتابي سعادة
الدارين في صلح الاخوين وذكرت فيه ايضا نحو ما سبق وملخصه
اعلم ان واقعة يوسف مع اخوته واقعة عجيبة تشتمل على
غرايب وعجايب وحكم واحكام وعبر وامثال وذل وانخفاض
وعلو وارتفاع وعلى حسن عاقبة الصبر وخشية عاقبة الحسد
وعلى نصر المحق وان لم يكن له اعوان ولا انصار وعلى خذلان المبطل
وان كان اعوانه وانصاره الوزرا والملوك فضلا عن غيرهم وعلى
ان التباغض والتحاسد بين الاخوة امر قديم قل ما يسلم منه خيار
اولاد بم وان كملوا وجلوا وعلت مراتبهم وزكت معادنهم ومنابتهم
لما ان اخوة يوسف وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحا بل انبيا
بنص قوله تعالى قولوا امنا بالله الاية اتفقوا على ان المراد بالاسباط
اولاد يعقوب فكوننا امرنا بالايمان بما انزل الى ابيهم وبما انزل
اليهم ظاهر او نص في انه انزل عليهم ما يجب علينا الايمان به اجمالا وهذا
صريح في نبوتهم وعليه فقد يستشكل ما وقع منهم في هذه القصة
من الامور الكثيرة التي ظواهرها يجب تنزيه الانبيا صلى الله عليهم
وسلم عنها بنا على الاصح بل الصواب ان الانبيا جميعهم الرسل وغيرهم
معصومون قبل النبوة وبعدها من صغاير المعاصي وكبايرها
سهوها وعمدها ويجاب بان ذلك يتاتى على مذهب
كثيرين بل نقل عن الاكثرين ان العصمة انما هي بعد النبوة لا قبلها والاولى

ان يجاب بان هذه الامور انما تستشكل على قواعد شرعنا اما
على شرعهم فنحن لا ندريه ويعرض انه يوافق شرعنا في ذلك
فيحتمل ان لهم تاويلا يسوغ لهم ارتكاب ما فعلوه وتعبير كثير من
كالناظم بجهلهم وحسدهم ونحو هذا من العبارات التي ظاهرها
لا يليق بهم انما هو بناء على عدم نبوتهم كما هو قول فيهم واخرج ابن
جرير وابن المنذر ان ابا عمرو قيل له كيف تقرا نرتع ونلعب بالنون
وهم انبياء فقال لم يكونوا يومئذ انبياء والحاصل انه يجب علينا الايمان
بنزاهتهم وبراءتهم من كل ما لا يليق بهم انتهت عبارة الكتاب
المذكور واذ قد علمتم معشر المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدائد
والمحن وصبروا عليها ففازوا برضى الله ومحبته فتاسوا اي
تعزوا والتاسي التعزي من تاسيت بفلان تعزيت به اي رايت
حالي على حاله فمعنى التاسي تسكين النفس على الامر المشق وتصبيرها
عليه والتعزي الحمل على الصبر بوعد الاجر فمعنى التاسي تسكين
النفس على الامر المشق وتصبيرها عليه والتعزي الحمل على الصبر
بوعد الاجر فمعنى التاسي والتعزي واحد او متقارب وساغ
ذكرهما على الاول لاختلاف لفظهما بمن مضى قبلكم من الكمل في ذلك
اذ اي وقت او لاجل ان ظلمتم الكفار بما رموكم به من الحسد والبغضاء
والعداوة والقتال فالتاسي في المصائب لا سيما بالكمل للنفس
فيه عزاء اي تسل وتصبير لحملها على ان لا يصدر منها الا كمال الاخلاق
والاعراض عن النظر الى ما يصدر من اهل النفاق والشقاق وهذا
من التذييل انوكم الفاعل لاهل الكتاب والمفعول للمسلمين اي
اتعلمكم اهل الكتاب وفيتم بما عاهدتم الله عليه فاظهرتم الحق
ودمتم على العمل به حتى طرف لوفيتم الواقع موقع المفعول الثاني

خانوا

خانوا ما عاهدوا الله عليه فكتموا الحق وابوا قبوله من غيرهم ام منقطعة
لا انها معادلة للهمزة السابقة تركتم اهل الكتاب احسنتم في اتباع نبيكم
في جميع ما جاء به فلم يغيروا منه شيئا قط ولم يبدلوا في حياته ولا بعد وفاته
اذ اساءوا الطوية فلم يستمروا على العمل بما جاءتهم به رسلهم بل بدلوه
وغيروه ايثارا لما نالوه من اتباعهم من الحظوظ الدنيوية بل لا يرون
شيئا من ذلك وانما الذي حملهم على اتباع الانبياء صلى الله عليهم وسلم انه
تمادت اي تتابعت واستمرت على التجاهل الموجب لرفض الحق واتباع
الباطل اي اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فاظهر الحق ودمتم على العمل
اباء بنيه وسن الابناء الطباق ثقفت اي تبعت اثارها الباطلة
الابناء انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون بنبئه
اي الحق الذي من جملته نبوة محمد وعموم رسالته توراتهم المنزلة
على موسى عليه الصلاة والسلام من اوريت الزند قدحته لتخرج
ناره والنار يستلزم النور والاناجيل المنزلة على عيسى عليه الصلاة
والسلام من نجل الشيء اخرجه التي لهم كما حكاه الله تعالى عنهما
بقوله عز قائلا الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ولا منافي في هذا جمع الناظم
له لانه باعتبار افراده وهذا من اعظم الادلة على صحة نبوته
وعموم رسالته وعلى انه صلى الله عليه وسلم على البينة الواضحة
من امره لانه صرح بذلك على رؤوس اهل الكتابين ولم يخش ان
احدا منهم يقول له ليس ذلك في كتابنا فاذ قد صرح بذلك ولم
يعترضوه كانوا عالمين به وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد
والحسد قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه

يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله
الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اسمه احمد فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به واخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق
ان ابن سلام لما سمع بخروج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه
فقال له انت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال انشدك الله الذي
انزل التوراة على موسى تجد نبي في التوراة قال انسب ربك فارتج
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد الى اخرها فقراها
فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله والله ان الله مظهرك ومظهر
دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله اي التوراة يايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي
بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يستقيم
به الملة العوجة حتى يقولوا لا اله الا الله يفتح بها اعينا عميا واذانا
صما وقلوبا غلفا واخرج البيهقي وابو نعيم عن كعب والبخاري عن
عمرو بن العاص رضي الله عنهما انهما نقلا عن التوراة والانجيل نحو
ذلك وزيادة عليه وفي التوراة تجلى الله من طور سيناء اي بتكليمه
موسى عليه واشرق من ساعير اي بتكليمه عيسى عليه واستعلن
من جبال فاران اي جبال بني هاشم المطلة على شعبهم بمكة بارسال
محمد منها الى جميع الخلق كما يشرق اليه بتعبيره باستعلان وفي الانجيل
كالتوراة من ذلك ما يضيق عنه هذا المحل وهم اي اليهود والنصارى
في جحوده اي ذلك الحق الذي بينه كتاباهما وهو الانكار بعد العلم
شركا اي مشتركون فلعنة الله عليهما ان شرطية يقولوا اي اهل
الكتاب ما نافية بينته اي التوراة ولا الاناجيل الحق المذكور فما زالتهما

اي التوراة

اي التوراة والانجيل عن عيونهم عشوا بالمعجمة والمهملة اي عن
مجاري رؤيتهم ظلمة مانعة لهم من ابصارهم الحق من قولهم ركب فلان العشواء
اذا كان قد خبط امره على غير بصيرة وقولهم مشى عميا وخبط خبط
عشواء وهي الناقة التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيدها كل شيء وفيه
الاشارة للمثل المذكور والاستعارة بالكناية لانه شبه العيون بالنجاب
والعشو بالظلمة المذكورة والاستعارة التخييلية في قوله ما بينته
لانه يناسب المشبه به او يقولوا قد بينته كما هو الحق فما اي فلاي
شيء حصل للاذان اي الالة سمعكم حتى انها عما يقوله التوراة والاناجيل
وانسنا د العقول اليها فيه الاستعارة ان السابقتان انفا وكذا في
قوله الاتي من طعنتهم الى اخره وقوله كساهم الخ صمماء اي ساعة
له سماع قبول اي فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض العناد والحسد
عرفوه اي الحق السابق معرفة نفسه بمواطنهم وانكروه نطقوا
كما قال تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وبين عرفوه وانكروه
طباق وذلك نتيجة الالزام السابق وظلما مفعول لاجله كتمته اي الحق
المذكور الشهادة بدل اشتمال من كتمته اي كتمت الشهادة به
بل شهد الذين هم اهل الكتابين لانهم عرفوا صفة النبي صلى الله
عليه وسلم وصفة دينه معرفة قطعية ثم انكروا ذلك رابسا
حسدا وعنادا ومكرا منه وتلبيسا على ضعفائهم لسعوا بنالوه
منهم ونكتة ايقاع الظاهر موضع المضمر اذ الاصل كتموا الشهادة
به التسجيل عليهم بما قررته انهم بلغوا من العلم به صلى الله عليه
وسلم ونحققه دينه ما يمنع رؤية الشمس ومع ذلك كتموه وسماه له
لقوة علم الشاهد اشتراط اتيانه بلفظ الشهادة لانها ابلغ من
العلم كما يفيده الحديث الصحيح على مثل هذه اي الشمس فاشهد

ومن ثم لم يكف قوله اعلم ~~لا يكون ذلك يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم~~
~~ويابى الله الا ان يتم نوره وكيف يطفا ذلك النور الالهي~~ وهو الذي
به يستضاء اعلم ا يكتمون ذلك ويظهرون الضلال ونور الاله
الذي هو النبوة والرسالة والاله المعبود بالحق تطفيه من طفيت
النار اذا هبت حرها الافواه اي الالسنة المنقولة بالباطل وهذا
من الكلام البديع الجامع لا يكون ذلك يريدون ان يطفئوا نور الله
بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره وكيف يطفا ذلك النور الالهي
وهو الذي به يستضاء ظاهرا وباطنا اي يبصر الحق من الباطل
والصادق من الكاذب بل يستمرون على ضلالهم انهم محقون وينكرون
نبوته ولا ينكرونه من محنتهم اي اهلكتهم بوجاها اي سلحتها
الفيحا اي حربه صلى الله عليه وسلم لا ينبغي ذلك بل الذي ينبغي
لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف بانهم ان استمروا عليه محنتهم
صلى الله عليه وسلم برحى حربه كما طحن اباهم وابناءهم واهاليهم
بجلاء بني النضير الى ارض الشام والزمهم انه لا يحمل كل واحد منهم
الا حمل بعير من غير السلاح وقيل قريظة والشدة باسم وظهور
نصرته صلى الله عليه وسلم عليهم كساهم ثوب الصغار الضرب
الرق على غير القايلين من بني قريظة استعارا للباس للصغار
حد فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بما يلايم المشبه به وهو
الكسوة وبما يلايم المشبه وهو طول دما وصون دما فالاولى ترشيحة
والثانية تجريد به والحال انه قد طلت اي دفعت وما هم كبني
قريظة وصينت دما منهم كبني النضير والمراد دما المسلمين ان الله
جعل لهم الغلبة والدايرة على اعدايهم واذا تقرر انصاف اهل الكتابين
بتلك القبايح الشنيعة حق لهم ان يقال في حقهم كيف يهدي الله

منهم

منهم تلوبا حشوها اي ملئها من هي بمعنى اللام المعدية له
حبيبه صلى الله عليه وسلم البغضاء اي شدة البغض لحبيبه
ويصح على بعد انها للتعليل اي من اجله او البدل اي حشوها بغضه
بدل حبه وفي هذا الاستعارتان السابقتان ايضا حوونا اي علونا
يا اهل الكتابين التوراة والانجيل من اين استفهام انكاري
اتاكم تثليثكم اي ادعاؤكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة
الاب والابن وروح القدس ومن اين لكم معشر اليهود البداء بالموحدة
والمهملة من بدا ظهر وهو كما ياتي ظهور مصلحة بعد خفايها وبنوا
على ذلك امتناع النسخ اي لم ياتكم واحد من هذين عن دليل صحيح بل عن
محض سفههكم وعنادكم تنبيه حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان
لفظ البدا غير صحيح لغة لانه من بدى يبدي بدوا ثم رده بان ابن دريد ذكره
قال التبريزي هو بالمد من قولهم بدا لي في الامر اي تغير رايي
فيه عما كان ونقله الزركشي عن صاحب المحكم عن سيبويه وقال
السهيلي لا يسمى البدا ولا يقال في المصدر قال ومن احال البدو والظهور
كان البدا في وصف الباري سبحانه محالا لانه لا يبدو وله شي كان
غايبا عنه ويحكى مثل المعتزل اراد كما في حديث الاقرع والاعمى والابرص
بدا لله ان يبتليهم اي اراد لا ظهر لانه كفر كما ياتي ما اتى بالعقيدتين
المذكورتين كتاب من كتب الله تعالى ابدا واعتقاد وهو جزم الذهن
بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما في نفس الامر كاعتقادنا فصحيح
والا كاعتقادهم فباطل لا نص فيه اي في اثباته وعبر بالنص
وهو ما لا يحتمل لفظه غير معنى واحد معين بان خلا عن الاحتمالات
العشر المقررة في محلها دون الدليل الاعم عن ذلك لان الاعتقاد بال
لا يكفي فيها الدليل الظني اذ عاد اي باطل لانه اختراع في الدين بمجرد

الدشهي وكالنص حكم العقل فالقطع لاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم
يرد فيه نص بل الورود النص بخلاف تاويل النص اليه كايات الصفات
واحاديثها ان ظاهرها محال على الله عقلا فوجب صرفها عنه بتاويلها
بما يوافق العقل واكثر جمع متاخرون من الحنابلة تاويلها لزللهم باعتقاد
ظواهرها من التجسم والجهة واطالوا في ذلك بما كان سببا لمحقهم
وسحقهم في الدنيا والاخرة والدعاوي التي تقولون بها معشر
اليهود والنصارى بفتح الواو وكسرها كالفتاوي ما مصدرية
ظرفية لم تقيموا عليها بينات اي ادلة قطعية ان الكلام في
الاعتقاديات وهي لا يفيد فيها الظن ابناوها اي نتايجها ادعيا
اي باطلة والدعي في الاصل من ينتسب الى شخص بالكذب ومن يتبناه
الانسان وليس بابن له وان عرف نسبه شبه دعاويهم بوطي
الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد بما ينشا عنه لانه
ناشي عن اصل فاسد وهذا استعاره بالكناية ثم خيلها بذكر ما هو من
لوازم المشبه به الذي هو وطي الزنا وهم الابنا الذين هم نتيجته ثم
رشحها بذكر الادعيا المناسب للمشبه به وبين الادعا والدعاوي
والادعيا تجنيس الاشتقاق وشبهه كخلطوها والخطا والصفات
ووصفه الابيات وفي النظم القياس الاقتراني المركب من مقدمتين
حمليتين المنتج انتاج الشكل الاول فالاول الاعتقاد الذي لا نص
فيه باطل تنبيه فرق النصارى ثلاثة نسطورية ويعقوبية
وملكية ولكل فرقة اعتقاد معروف وقد اشار الناظم للبحث مع الكل
والرد عليهم اجمالا والاكثر الكلام مع القايلين بالتثليث لانهم
الاكثر واشد كفرا ومن ثم خصوا بالذكر في قوله عز قايلا لقد كفر
الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة الايه لبته حرف تمني شعري

اي علمي

اي علمي اي ليتني علمت لم تقولونه اضطرابا حتى اتكلم معكم في رده
بابلغ مما هنا وهو ذكر الثلاثة الصادر منكم تارة حيث قلتم ان الله ثالث
ثلاثة الاب والابن وروح القدس وذكر الواحد الصادر منكم تارة
اخرى حيث ادعيتم توحيده نقص في عدكم ام نما اي زيادة حيث
ذكرتم التثليث كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يوجد
من عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده
ولذا قال متعجبا منهم كيف وجدتم ايها القايلون بالتثليث الهنا نفي
التوحيد عنه الاباء والابناء اللذان ابدعتموهما في دعواكم التثليث
ايمكن ان يوجد الاه مركبه من ثلاثة اجزا او اقل او اكثر لا لانا ما سمعنا
بالوهية اجزا او جزا اي وجود اله كذلك بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله
العقل بالبديهة كما انها تحيل تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور
في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل
لما ذكر انه لو فرض اله مركب من اجزا او متعددة قيل لهم الكل منهم
نصيب اي جز من الملك فان قالوا نعم قيل لهم فهلا وفي نسخة
فلم لا وجد فيه الالف ما الاستفهامية لدخول الجار عليها نحو عم يتساءلون تميز
بالبنا للفاعل اي تميزا وللمفعول الانصبا اي نصيب كل من الالهة
حتى يكون ذلك التميز دليلا على ما زعمتموه ولا تميز فلا تعدد كما
هو بديهي وبين الثلاثة والواحد والنقص والنما جناس التقابل كالحاجة
والاضطرار والاماته والاحيا الابيات فان قالوا الكل انصبا لكنهما خلطوها
قيل لهم اتراهم اي اتظنهم لحاجة اي احتياج واضطرار وهو شدة
الحاجة الى الشي بحيث لا يجد مندوحة عنه خلطوها خلطا يمنع تميزها
فان قالوا نعم قلنا الاله لا يحتاج ولا يضطر لشي مطلقا لانه غني بذاته
عن غيره فاحتياجه او اضطراره دليل قطعي على عدم الوهيته فان قالوا

خلطوها الا لحاجة ولا لاضطرار قلنا لا يتصور وجود شركة دائمة
بين شريكين فاكثر والحال انه ما تقع اي يظهر الخلطا اي الشركا اي نافية حو
بعضهم بباب بعض لا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة وجد
التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم المشاهد لانهما
ان استويا في القوة تمانعا لم يقع فعل من احدهما وان تفاوتا
وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم ان لا ينتظم نظام هذا
هذا العالم لان الغرض وقوع الشركة وعدم التميز واحتمال توافقهما
دائما الذي يجوزه العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التي هي
مناط الادلة القرآنية والسلايق العربية فليس ذلك دليلا اقناعيا
خلافا لمن وهم فيه بل لزم قايله الكفر بعض المتاخرين والعفو فيه لكنه الزام
باطل كما هو جاي وكون العادة تحيل ذلك مما لا يحتاج لبيان لان كل
من عرفها حكم ان الشريكين في الاحاد والامداد لا يتصور دوامهما على
الموافقة لان من شان النفس ان لا يوجد بقا شريك معها وكل ذلك
باطل لانا نشاهد هذا العالم باقيا على اكمل وجوه الاتقان واحكم
قواعد الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا
وان الاله لا شريك له وبيان بطلان التعدد من وجه اخر وبيانه
ان عيسى صلى الله عليه وسلم كان يركب الحمار كما عرف ذلك بالتواتر
عنه وحينئذ فيقال لهم يقولون في حال ركوب عيسى الحمار اهو اي
الاله الراكب الحمار فان قلتم انه هو فركوبه يستند عن حدوثه
ونقصه وهو يستند عن عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا وما
زعمتموه يلزمه عجزه وحدوثه وحينئذ فيا عجزا له تعجب من
دعواهم المستلزمة ذلك يسمه الاعيا اي التعجب ام
يقولون الثلاثة الذين زعمتموهم الهة جنح على الحمار فيقال

لكم

لكم لقد جل حينئذ حمار جمعهم اي الاله اي مجموعهم مشاء صيغة مبالغة
من مشى وقبح الا يحتاج اليه ان يمشي به حمار فالجملة الخبرية في النظم تفيد
التعجب مما يترتب على ما فيها ام منفصلة لمعادلتها للهمزة يقولونه سوالهم
اي الثلاثة الذين على الحمار هم الاله فبسبب ذلك ما استفهامية
نسبة عيسى اليه خبر نسبة والانتما هو الانتساب فهو عطف مرادف
على النسبة اي اخبرونا عن انتما عيسى وانتسابه الى الاله حينئذ هل يوجب
التثليث الذي زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه بل ولا يقتضيه
وقوله فيا عجزا له وما بعده تذييل متكرر ام منفصلة كذلك ادعى
بها اي بالثلاثة التي زعمتم انها الهة الصفات القايمة بذات الاله
والصفة ما دل على معنى زايد على الذات فلم مرا نعا الكلام بها
خصت ثلاث بالصرف للوزن بوصفه اي الاله وثناء
اولهما معدول عن ثلاثة ثلاثة واثنين اثنين والمراد هنا
ليس ذلك التكرير بل نفس الثلاثة فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة
فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنين فقط عند من ينظر
الى الاله بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط عند من
ينظر الى الاله بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط وعلى
كل فالصفات لا تنحصر في اثنين ولا في ثلاث فادعا التثليث
صرف وهو لا يقول به عاقل ام يقولون هو اي عيسى ابن الله
فيقال لكم لم اختص عيسى بذلك مع انه ما نافية شاركته في معاني
النبوة الانبيا بل عيسى وبقية الانبيا في ذلك على حد سوا
فادعا البنوة لعيسى تحكم باطل ايضا قتلته اي عيسى اليهود
حال كون قتلهم له انا هو بها اي في القول الذي زعمتم معشر
النصارى والزعم اصله وموضوعه قول كذب ومن ثم قالت العرب

زعموا مطية الكذب وقد يستعمل بمعنى قال مجردا عن التكذيب كقول
ام هانئ للنبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة زعم ابن امي اي علي كرم
الله وجهه انه قاتل من اجرته فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هانئ وكيف يزعمون ذلك والحال
انه لامواتكم به اي بسبب عيسى احياء وهو رد الروح الى الجسد
بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيي الموتى فكيف يحيي الموتى من يمكن
منه من يقتله فتصديكم لليهود شاهد صدق على سخافة عقولكم
وانه لا مسكة لها ولا تدبر لانكم تقعون في التناقض الصريح ولا
تتنبهون له وعلى كل حالة انه قولا مما حكي عنكم كقولكم بالتثليث
اطلقتموه على الله تعالى عما يقولون انتم وامثالكم علوا كبيرا اذكرا
اي جاؤوا تعظيما له في قولكم الله ثالث ثلاثة لقوله هرآء يتضمن
الهاما من هذا الكلام اذ كثر في الخطاء وفي لنسخ بالزاي من قولهم
هزوه بالتسكين اي مهزو به ويصح انه ذكرا تميز عن تعالى
او تعالى ذكره وهذا من القول البديع الجامع مثل يجوز نصبه
حالا اي لقوله هرآء حال كونه مثلا او نعتا لمصدر محذوف ورفعه
خبر مبتدأ محذوف اي مثل ما قالت اليهود اي قولهم بالبداء
فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل من المقالتين
وكل من الفريقين لزمته اي لزمته دعواه مقالة شنعاء
اي قبيحة جدا اذ هم استقبحوا البداء اي تدعوه حتى قالوا ما عدا
العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا سمعا على الله نسخ ملة بملة لانه
يوهم البداء وهو ظهور مصلحة له بعد خفائها حتى نسخ ما صحى
لاجلها ووافقهم بعض غلاة الرافضة ومنهم من جوزه عقلا ومنعه
شرعا واما قول بعض المسلمين الحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهي فلا

يكون

يكون نسخا ممنوع بل هو نسخ وحينئذ فالخلاف لفظي واعلم ان
شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا ه
واختلفوا في شريعة عيسى صلى الله عليه وسلم هل هي ناسخة لشريعة
موسى صلى الله عليه وسلم او مخصصة والاظهر انها مخصصة لا ناسخة
لقوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال الامام الحرمين في تفسيره
روي ان الرسل تبقى بعد موسى كلهم على شريعته الا شريعة
عيسى تنبيه ذكر الامام ايضا في المطالب العالية في الحكمة في
نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه
بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ عليه كمعرفة الله
تعالى وطاعته ابدا ومحاسن هذه الشرائع العقلية امران التعظيم
لامر الله والشفقة على خلق الله ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع بها
الا من السمع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة نسخه ان الاعمال
البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن
انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها لما هو المقصود من معرفة
الله وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطريق وعلم ان المقصود
من الاعمال انما هو رعاية احوال القلب والروح في المعرفة والمحبة
فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر
الى تطهير السرائر وقال عزه حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة
من الشيء فوضع في عصر كل رسول شريعة جديدة ليفتشوا في
ادابها واعظم حكمها اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه
نسخ ببعثته شرائعهم وشريعته لا ناسخ لها ومن حكم النسخ بقاء
ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يأمر بدواء في يوم ويأخر
في يوم ثان وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثاني ابعد تنبيه

اخو ما زعمه اليهود ان النسخ يستلزم البدا باطل لما تقرر ان المصالح
الداعية للنسخ ترجع اما الاحوال المكلفين او الازمنة وذلك لا يستلزم
بل ولا يقتضي ان الله تعالى ظهر له شي بعد ان لم يكن وزعم اليهود انه
يستلزمه فمنعوا النسخ وزعم كفرة الرافضة انه يجوز البدا عليه
لوقوع النسخ منه وهذا اغلظ في الاولين من كفر اليهود فعلم
الجواب عن قولهم الفعل اما حسن فالنهي عنه او قبيح فيستحيل
الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه انه التحسين والتقبيح
العقليين باطلان وبتسليمهما فالعلم العادي قاطع بان الفعل
قد يكون مصلحة في وقت مفسدة في وقت اخر وكذا بالنظر للمكلف
يكون مصلحة في حق واحد مفسدة في حق اخر ولا مانع انه علمه تعالى
يتعلق بان حرمة كذا ينتهي بوقت او فعل كذا قالوا والسمع يمنع
النسخ ايضا لان اللفظ الدال على شرع موسى اما ان يدل على الدوام فان
ضم اليه ما يقتضي نسخه فهو تناقض وان لم ينضم له ذلك لغو في العمل به
مره فلا يتصور فيه نسخ قالوا ومما يمنعه ايضا ما علم بالتواتر من
قوله التوراة تمسكوا بالسبت ابدا وجوابه انهم في زمن بخت نصر
قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر بل قيل لم يبق منهم الا
ستة اطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به الزمن الطويل كما في
التوراة في صور كثيرة وكم اي مرات كثيرة ساقوا بالا اي
عذابا اليهم استنقاذ وفيه هذين كفالته ومقالة السابق جناس — كفالته
الاشتقاق كرد العجز على الصدر وفي المسخ والنسخ ونسخ ومسخ
الجناس اللاحق وخالفوهم وخالفوهم الجناس المضارع لقرب
المخرج والمصحف وقوله وكم الخ من التذييل البديع واراهم
اي اعلم انهم لقولهم بذلك اعني امتناع النسخ لئلا يلزم البدا لم
يجعلوا

اي يعتقدوا
يجعلوا الواحد في ذاته وصفاته وافعاله فلا شريك له بوجه ما القهار
في الخلق اي للخلق على نفوذ ما اراده فيهم وبعض تعلقه بفاعلها
فبقي على حالها فاعلا ما يشا لان امتناع النسخ عليه يستلزم قهره
وعجزه جوزوا النسخ جواب لو الاتية تجويزا مثلا ما مصدر به
جوز المسخ عليهم لو انهم فقهوا ~~كرد العجز على الصدر وفي المسخ والنسخ~~
~~ونسخ ومسخ الجناس اللاحق وخالفوهم وخالفوهم الجناس المضارع لقرب~~
~~المخرج والمصحف وقوله وكم الخ من التذييل البديع واراهم اي اعلم~~
~~انهم لقولهم بذلك اعني امتناع النسخ لئلا يلزم البدا لم يجعلوا اي~~
~~لم يعتقدوا الواحد في ذاته وصفاته وافعاله فلا شريك له بوجه~~
~~ما القهار في الخلق اي للخلق على نفوذ ما اراده فيهم وبعض تعلقه~~
~~بفاعلها فبقي على حالها فاعلا ما يشا لان امتناع النسخ عليه يستلزم~~
~~قهره وعجزه جوزوا النسخ جواب لو الاتية تجويزا مثلا ما مصدر به~~
~~جوز المسخ عليهم لو انهم فقهوا~~ اي فهموا ولا فهم لهم اذ لا ابلد في العرق
منهم والنسخ لغة الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس الظل
والريح التراب ونسخت الكتاب وشرعا بيان انتهاء حكم شرعي
بخطاب اخر شرعي وزيد فيه متراخ ليخرج نحو الاستثناء ورد
بان الكلام لا يعرف حكمه الا بانتهايه فلا يحتاج للاحتراز عن ذلك
بهذا القيد اي لو ثبت انهم فقهوا لجوزوا النسخ لانه كما علم من حده
لا يلزم عليه محذور البتة وزعمهم البدا باطل لا يعول عليه ومما
يدل على جوازه ووقوعه ما علمه اليهود من وقوع المسخ وهو
تحويل الصورة الى اقبح منها في كثيرين منهم في زمن موسى لما
خالفوه في السبت فمسخهم الله قردة وخنازير كما قصه
تعالى علينا في كتابه العزيز وكيف يمنعون النسخ وهو

ليس فيه الا ان يرفع الحكم الشرعي ابدا استمراره وتعلقه فعلم ان المراد
بالحكم تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن كما ثبت قدمه استحال عدمه ثم
النسخ يكون الى بدل فان كان الى بدل زيد في الحد بالحكم الشرعي
وان كان لا الى بدل لم يزد ذلك وخلق اي ايجاد فيه اي المسخ للصورة
الثانية بعد اذهاب الصورة الاولى وامرا اي تصرف برفع الحكم
الاول وايجاد الثاني سواكلا تعترران المسخ فيه رفع الصورة الاولى
وخلقها الصورة الثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول وخلقه الحكم الثاني
فاذا جوزتم الاول لزمكم ان تجوزوا الثاني والا فانتم سفها معاندون
لا يلتفت اليكم وكيف تستبعدون النسخ وانما غايته ان كان لبدل
ان فيه حكمين المنسوخ وهو المراد بقوله وللحكم من الزمان انتهاء
والناسخ وهو المراد بقوله وللحكم من الزمان ابتداء ولا ينافي هذا
تفسيره النسخ بالرفع لما علمته ان المراد رفع تعلقه بالمكلف
او دوامه وهو الانتهاء المذكور هذا وقول الشارح انه اشارة
الى تفسيرين في النسخ غير صحيح لان حقيقة الرفع مستحيلة فوجب
تاويل التعبير به بما قلنا كما هو المقرر في محله فتامله وعلى كل فجواز النسخ
اولى من جواز المسخ لان ذلك في الاحكام وهذا في الذوات سوا جعلنا
النسخ رفعا ام بيانا وسوا جعلنا المسخ في صورتهم حتى صاروا ن
اقاربهم من المومنين لا يعرفونهم وهم يعرفونهم فيجي الفرد الى
قريبه ويتمسح به وتدمع عيناه فيقول له الم ننهكم عن المخالفة
فيشير براسه ان نعم ام في قلوبهم فقط على ما ذكره مجاهد والنظم
مشير الى هذه القصة ففيه تلميح وبين ابتدا وانتها طباق
واذا اردت ايها المسلمون المبالغة في ادحاض حججهم فسلوهم
قايلين لهم اكان في مسخهم التفت عن خطابهم مبالغة في تحقيرهم

ايجعلهم

اي جعلهم قردة في الصورة كما هو المشهور او في قلوبهم وجعلها كقلوب
القردة لا تقبل هداية مع بقاء ذواتهم على ما زعمه مجاهد نسخ الايات
الله وهي الصورة الاولى مع احكامها وللادراك الاول بناء على كلام مجاهد
ام انشا الايجاد صورة مستقلة وحكم مستقل يتعلق بها او لادراك
كذلك فان قالوا بالاول فقد ناقضوا انفسهم ولزمتهم الحجة او بالثاني
فهو مكابرة للحس والحق ان المسخ متردد بين انشاء الخلق وبين
النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة الى الصورة
الثانية المتجددة انشا لا يقال قد لا يعترفون بطريق
التغير على قلوبهم بنا على قول مجاهد لانهم اعترفوا به في قولهم
قلوبنا غلف اي مغطاة بأغشية خاصة لا يصل اليها ما جيت
به وبدا بالمد وسبق معناه وهو مبتدا خبره في قولهم
الثابت عنهم ومقولهم ندم الله على خلق ادم ام خطا المشهور
فيه القصر ويجوز مده كما جرى عليه الناظم وهو عطف على بدا
اي سلوهم عن قولهم هذا اهو عن قصد منهم او عن خطا منهم
فان قالوا عن قصد كان عين البدا الذي انكروه لانه يستلزم
جهل الله تعالى بعواقب الامور وحينيذ فكيف يمنعون النسخ
فرارا من لازمه عندهم وهو البدا هذا تناقض قبيح وان قالوا
انه خطا منهم فيكفيهم الفراق به على نفوسهم وانهم في غاية من
السفاهة والغباوة وسبيلهم الاعتراف بالبدا لا بالخطا فانتج
بطلان زعمهم استحالة النسخ حذرا من البدا وسلوهم ايضا
عما لا يمكنهم انكاره لانه امر محسوس ورد القران على طبقه فقولوا
لهم اعلامة الليل والنهار كل منهما باقية فلا تزول احداهما بالاخرى
ام محي اي اذهب الله اية اي علامة الليل ثم جنس جمعي واحده

ليلة كثيرة ويأتي بالنهار بدله وهكذا الى يوم القيامة **ذكر**
بضم الذال تمييزا اي من جهة الذكر اي العلم والتعهد **بعد**
سهو ليوجد الامساء اي الدخول في المساء وهو ما بعد الزوال
والمناسب ان يراد به هنا ما بعد الغروب اي سلوهم هل هذا
المحو واقع ام لا وبفرض وقوعه فهل هو عن عمد بعد سهو او عن
سهو ابتداء فان قالوا بالاول الزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته
او بالثاني من الترديد الاول فقد كابروا الحس او من الترديد
الثاني لزمهم القول بالبداء لان من يجوز السهو يجوز البداء لانه
بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه وقد بين تعالى حكمة اختلاف
الليل والنهار في غير ما آية فقال تبارك أرأيتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا الآيات وقال وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
اي يخلف احدهما الآخر لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال وجعلنا
الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة
لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب والحاصل
ان الحكمة كما تقتضي دوام اشياء بلا تبدل ولا تغير تقتضي تبدلها
وتغيرها وفي ذكر التعهد جناس لتطابق المحرم والتحليل والتعهد وا
وامن الآيات **ام بدا لله في ذبح اسحاق والحال انه**
قد كان الامر فيه اي بذبحه من الله تعالى لخليله ابراهيم صلى الله
عليهما وسلم في النوم **مضاء** اي ماضيا نافذا وفي نسخة قضا بالقاف
اي حتما وذلك لان رؤيا الانبياء وحي اي سلوهم فيما وقع للخليل انه
امر بذبح ولده امرا جازما ثم عند ارادته له لما اضجعه على جنبه
نسخه تعالى فامره بتركه وفداه بذبح عظيم وما يقال ان الرقبة
كسيت نحاسا وانه مر بالسكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطباء

نعم مر السكين في ذبح اسمعيل

والقصاص

والقصاص فكله لم يثبت فيه شيء فان قالوا ان الامر بالفداء وترك
الذبح نسخ للامر بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا او عن نسخ
لزمهم الجهل المفرط والغباوة الشنيعة **تنبيه** ما جرى
عليه الناظم ان الذبيح اسحاق هو ما عليه الاكثرون قيل واجمع
عليه اهل الكتابين لكن سياق الآية والمشاهدة بان اسماعيل
هو الذي كان بمكة ومنى ولم ينقل قط ان اسحاق جاء ولا اتى
تلك الاماكن قاضيان بانه اسماعيل وهو التحقيق كيف وقد
صح ما يصرح بذلك روى الحاكم في المستدرك ان الصنابحي
قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم اسماعيل
واسحاق ابني ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فقال بعضهم الذبيح
اسماعيل وقال بعضهم الذبيح اسحاق فقال معاوية سقطتم
على الخبير كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي
فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا وضاع
العيال فعد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقلنا يا امير المؤمنين
وما الذبيحان قال ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم
نذر لله ان سهل له امرها ان ينحر بعض ولده فاخرجهم فاسهم
اي اقرع بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله
من بني مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة
فهو الذبيح واسماعيل الثاني وهكذا رواه ابن مردويه والثعلبي
في تفسيرهما وسلوهم ايضا فقولوا لهم اتنكرون النسخ الخبيث
بعضه اشد عذابا من بعض وبعضه فوق بعض لنا وتعذيبهم
بالنسبة الى الكلم واكتسابهم هذا على الاصح عند ائمة الاصول

ابن الذبيحين

انهم يخاطبون بفروع الشريعة يتفاقبون عليها بخصوصها في
الاخرة وعلى مقابلة لهم كفروا من وجوه بعضها اشد من بعض
لو شرطية **اريدوا في حال سبت** محمد ر سبتت اليهود
اي عظم سبتهم بالسكون فيه عما عدا العبادة واصل السبت
القطع **بخير** الباء زائدة للتاكيد كما هو راي جماعة وكل من الظرفين
متعلق باريدوا على ان الثاني مفعوله ويصح كون الاول حالا من
خيرا اي لو اراد الله لليهود في حال سبتهم الذي فرض عليهم تعظيمه
خيرا **كان سبتا لديهم** اي عندهم **الاربعا** هذا من حيث
تركيبه على ما قبله مطربق الملازمة المستفادة من لو في غاية
الاشكال ولم يتنبه الشارح على ذلك او لم يتنبه له وانا نتكلم
على بعض مفرداته فقط ومنها قوله والسبت اخر الاسبوع
والاربعا رابعه وقيل السبت اوله والاربعا خامسه وقد يقال
كان الناظم نظر الى ان السبت القطع كما مر والى ان الاربعا محل
النور الحسي لما ياتي ان الله خلق النور فيه فيكون محلا للنور
المعنوي الذي هو الاصل فكانه يقول لو اريد بهم الخير لجعل
قطعهم وصلا ولا ينافي ذلك قوله هو يوم مبارك لانه باعتبار
ما فرض عليهم من تعظيمه وتخصيصه بالعبادة وما نحن فيه
باعتبار انه لو اريد بهم تمام الخير لجعل محل عباداتهم موذنا
بوصولهم الذي من شانه ان ينشا عن العبادة واما اذا جعل محل
عباداتهم موذنا بقطعهم باعتبار اصل مدلوله فهذا مما يوذن
بنقصهم وانهم لم يرد بهم كمال الخير ومما يوضح هذا ان الله
ادخر لهذه الامة يوم الجمعة الموذن بغاية الوصل اذ مقام
الجمعية هو مقام الوصل الذي هو اكمل المقامات وافضلها وجود

لليهود السبت الموذن بقطعهم وحرمانهم وللنصارى الاحد
الموذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات
فكان فيما خصت به كل امة من الايام دليلا على احوالها وما يوول
اليه امرها فنبه الناظم رحمه الله على هذه الحقيقة العرفانية
والحكمة الربانية زيادة في مدح هذه الامة وذم غيرهم ويحتمل
ان الناظم اراد بذلك انهم لو اريد بهم الخير لكانت الايام كلها
سبتا عندهم ليحيوها جميعها بالعبادة واما تخصيص يوم منها
بالعبادة دون بقية الاسبوع فهو من جملة ما اريد لهم من خلاف
الخير وعلى هذا اي مع ما فيه من البعد والتكلف يكون معنى حال
سبت شانه ويكون ذكر الاربعا للمثال لا للتقييد ويكون قوله
هو يوم الخ رجوعا الى مدح ما شرع لهم ولا ينافي ما قبله
قف على خلق الاشياء في الاسبوع
لان تركه لا ينافي ان تعطلهم عن العبادة بقية الاسبوع
غير خير واعلم ان قول الشارح والسبت الى اخره عجيب منه
من اول الاسبوع السبت
اذ ما حكاه بقيل هو الذي صح به الخبر وعليه الاكثرون وهو
مذهبنا كما في الروضة واصلها ونقله في شرح المهذب عن
الاصحاب بل قال السهيلي في روضه لم يقل بان اوله الاحد الا ابن
جرير واستدل له في شرح المهذب بخبر مسلم عن ابي هريرة قال
اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة
يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين
وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها
الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة في اخر
الخلق في اخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل ولهذا الخبر
صوب الاسنوي كالسهيلي وابن عساكر ان اوله السبت وخبريه

النووي في موضع على ما يقتضي ان اوله الاحد فقال في يوم الاثنين
سمي به لانه ثاني الايام الا ان يجاب بانه جرى في توجيه التسمية
مكتفي فيه بادنى مناسبة على القول الضعيف ثم انتصر لكون
اوله الاحد الذي جزم به القفال من اصحابنا بان الخبر السابق
تفرد به مسلم وقد تكلم فيه الحفاظ علي بن المديني والبخاري
وغيرهما وجعلوه من كلام كعب وان ابا هريرة انما سمعه
منه ولكن اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا ويجاب
بان من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظه والثقة لا يرد حديثه
بمجرد الظن ولاجل ذلك اعرض مسلم عما قاله اولئك واعتمد
الرفع وخرج طريقه في صحيحه فوجب قبولها ومن ثم انتصر
بن عساكر لكون اوله السبت بما حاصله ان تاييد ابن جرير
لكون اوله الاحد بان هذا العالم خلق في ستة ايام وادم خلق
يوم الجمعة انما يصح بتقدير ان يوم الجمعة داخل في الستة
التي فيها خلق العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فسر
خلق الاشيا وجعل خلق ادم في اليوم السابع وهو الجمعة ولم
يثبت انه خلق اخر الايام وانما اخبر تعالى انه خلق العالم
في ستة فاخرها الخميس وخلق ادم بعد الفراغ من خلقها اشارة
لكونها خلقت لمصالحه كبنيه وسياق خبر مسلم المذكور ظاهر في
ذلك ويؤيده ايضا الخبر الصحيح ان الله هدانا ليوم الجمعة
واضل عنه اليهود والنصارى اي لان اليهود لما اعتقد وان
اول الاسبوع الاحد كان الجمعة سادسا فاخذوا السابع وهو
السبت والنصارى لما اعتقدوا ان اوله الاثنين اخذوا الاحد
واما هذه الامة فاعتقدوا ان اوله السبت فاخذوا السابع

وهو الجمعة

١٧٥

وهو الجمعة قال ولا حجة في اشتقاق نحو الاحد من الواحد وهكذا الا ان
التسمية لم تثبت بامر من الله ولا من رسوله فلعل اليهود وضعوها
على وفق دينهم فاخذتها العرب عنهم ولم يرد في القران الا الجمعة
والسبت وليسا من اسما العدد انتهى على ان هذه التسمية لو
ثبتت لم يكن فيها دليل لان العرب تسمي خامس الورد اربعا وهكذا
وهذا هو الذي اخذ منه ابن عساكر عباس رضي عنهما قوله الذي
كاد ان ينفرد به ان يوم عاشورا هو يوم تاسع المحرم وتاسوعا
ثامنه وهكذا هو اي يوم السبت يوم مبارك لان الله ابتدا
فيه خلق هذا العالم كما مر خلافا لما زعمته اليهود انه ابتداه يوم
الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا
فنحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة غباوتهم
وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى عليهم بقوله عز قايلا وما
مسنا من لغوب اي تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور
التعب الا من حادث مفتقر للغير في الاسباب والله تعالى منزه عن
ذلك انما امرنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي ان نوجده
فورا فلا تتخلف عن الارادة فقوله كن كناية عن ذلك قيل بناه
لا بمجهول لفسق النظم فلا يتوهم انه قول ضعيف للتعريف
اي للتصرف فيه ببيع او نحوه من اليهود اعتدا اذ ظلم وعدوان
كان سببا لمسخ كثيرين منهم قردة وخنازير وذلك انهم لما
امروا ان يجردوه للعبادة اعتدى فيه ناس منهم قردة وخنازير
وذلك انهم لما امروا ان يجردوه للعبادة اعتدى فيه ناس منهم
في زمن داود صلى الله عليه وسلم اثنا عشر الفا فاصطادوا فيه
وكانوا بايلة قرية على جانب البحر فابتلاهم الله بان الهم السمك

يوم السبت انه لا يبقى حوت في البحر الا رفع خرطومه او خرج فاذا مضى
السبت تفرق السمك وتعمق فاجمع رايه جماعة منهم على حيلة
يمسكون بها السمك ويمنعهم عن الاصطياد يوم السبت فحفروا
يوم الجمعة حفرا بجانب البحر وجعلوا فيها جداول من البحر فصارت
تمتلى منها يوم السبت وياخذونه يوم الاحد فشووا واكلوا فشم
جيرانهم فسالوهم فاخبروهم في الحيلة فقالوا ان الله معذبكم
ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة ثم جماعة حتى صاروا قدر الثلث
وسكت قدر الثلث واعتزلهم الثلث الباقي فبنوا بينهم حايطا فاصبحوا
وقد مسخ الثلث الاول قردة وخنازير وكذا الثاني على خلاف
فيه اي لان الاية فيهم محتملة ومن ثم قال ابن عباس لا ادري
ما فعل بالساكتة انجاها ام مسخها كذلك قال مالك في هذا تحريم
الحيله ووجوب سد الذرايع انتهى ويرد بان المقرر في
الاصول ان شرع من قبلنا ليس بشرع لنا فالذي ورد في شرعنا
ما يوافقه بالدليل هو شرعنا لا غيره **فبظلم** متعلق بعد تهم **منهم**
وهو وضع الشي في غير محله لحدا سهم في السبت واكلهم الربا واخذهم
اموال الناس بالباطل **واخر** من عطف الاخص لزيادة الاهتمام به **عدتهم**
اي فاتتهم **طيباته** من الرزق حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من
قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية
ومن شان الطيبات انه يوجد **في بركهن** الذي تخم الامر به **ابتلا**
اي اختبار ومحنة للعبد تكون سببا لفلاحه او هلاكه **خدعوا**
اي يهود المدينة وما قرب منها بدل من زاغوا لكن ذاك عام وهذا
خاص لتقييده بالظرف بعده **بالمنافقين** من الاوس والخزرج
الذين قهرهم الاسلام فاظهروا واتخذوه جنة من القتل مع بقايهم

تحريم سلك الحيله

على كفرهم

على كفرهم باطنا وكان هواهم لا مع اليهود لانهم مثلهم باطنا فكانوا
يدسون اليهم المكر والخديعة وكانت احبار اليهود هم الذين يتعنتون
على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل القران مكذبا لهم تارة ومجيبا حتى
تبهتهم اخرى ومبينا على احوال المنافقين الذين هم معهم باطنا
اخرى ومعنى كونهم خدعوا بهم انهم اربدبهم المكروه من حيث لا يعلمون
بسبب المنافقين الذين كانوا يصدونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيخدعون لهم لعنادتهم وسفاهتهم كما قال **وهل ينفق**
الا على السفيه السفا اي وما ينفق السفا الا على السفها
وهم اليهود لا غير شبه السفا الحاصل لهم بدا راهم تصرف وتخرج
في السفر فهي استعارة بالكناية واثبت لها ما هو من لوازم المشبه
به وهو الانفاق تخييلا وجعل الشارح نفق من النفاق اي الرواج
فعليه شبه السفا بالسلعة المعروضة للبيع واثبت لها النفاق
تخييلا او ترشيح او جرد تذكير السفه الملايم للمشبه والمشبه به
والماتوا في زعمهم مما كانوا يترقبونه من النبي صلى الله عليه وسلم
بسبب **قول الاحزاب** اي طوايف اهل مكة ومن ثم كان معهم
من قبايل العرب الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم بعد وقعة احد
اخوانهم في الكفر لهم **انا لكم اوليا** اي متولون ومتفقون على
حرب محمد وسبب ذلك ان جماعة من اليهود منهم اللعين حيي بن اخطب
ازدادت عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى قدموا على قريش بمكة
فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا نكون معكم عليه حتى تستاصله
فوافقوهم ثم ذهبوا لغطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت
قريش وقايدها ابو سفيان رضي الله عنه وغطفان ومن معهم
من اهل نجد وقايدها عيينة بن حصن فاجتمعوا في عشرة الاف

واليهود قاطعون بانهم بذلك يستاصلون المسلمين فلما سمع
بهم صلى الله عليه وسلم اشار سلمان بحفر الخندق لان العرب
لم يكن تعرفه فاجتهد فيه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فلما
وصل العدو اليه خرج اليهم في ثلاثة الاف فمكثوا نحو عشرين
يوما او خمسة عشر وهو الاشهر لا قتال سوى الا الرمي بالنبل
والحصا ثم اشتد الحرب فجا نعيم بن مسعود الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له اني اسلمت ولم يعلم بي قومي فمرني
بما شيت فامره بان يخذل عنهم ما استطاع فان الحرب
خدعة فذهب الى بني قريظه وكان نديمهم في الجاهليه فحسن
لهم المقاطعة عن معاونة قريش الا ان اخذوا منهم
رهنا وخوفهم على اموالهم واولادهم فقالوا اشرت بالراي
ثم ذهب للعرب وقال لهم عن اليهود مثل ذلك وانهم ندموا
على ذلك وارسلوا لمحمد بذلك فارسلوا رسلهم لقريظه فذكروا
لهم ذلك فاعتقدوا صدق نعيم وانخلع عزمهم فخذلهم الله وارسل
عليهم الريح في ليال شديدة البرد فكفات قدورهم وطرحت خيامهم
وبلغه صلى الله عليه وسلم تخالفهم وما هم فيه فقال لحذيفة
بن اليمان اذهب فانظر ما يفعل القوم ولا تحدثن شيا حتى تاتينا
فدخل فيهم فسمع ابا سفيان يقول لينظر الرجل منكم من جليسه
قال حذيفة فاخذت بيدي جنبي فقلت من انت فقال فلان
بن فلان ثم قال ابو سفيان والله يا معشر قريش ما اصبحتم بدار
مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظه ثم امرهم
بالرحيل وارتحل ولولا عهد النبي صلى الله عليه وسلم ان لا احدث
شيا لقتلته بسهم ثم سمعت غطفان ما وقع لقريش فرجعوا ايضا
فلما

فلما اصبح صلى الله عليه وسلم رجع الى المدينة وقال لا تغزونكم قريش
بعدها ابدا ولكن انتم تغزونهم وكان كذلك ولما وضعوا السلاح
جاءه جبريل معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة
ديباج وفي رواية البخاري انه لما وضع السلاح اغتسل فاتاه جبريل
فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم الى
بني قريظه فاني عامد اليهم ومزلزل بهم وفي رواية ثم تشد عليك
سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا فبعث صلى الله
عليه وسلم مناديا يا خيل الله اركبي فذهب اليهم في ثلاثة الاف
مقاتل وستة وثلاثين فرسا فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة او خمسة
عشر وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم الايمان وحلف
لهم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فابوا فقال الليلة السبت
فلعلهم امنوا فانزلوا لعلكم تصيبون منهم فقالوا نفسد سبتنا ونحدث
فيه من قبلنا الا من علمت فاصابه ما لم يخف عليك من المسخ ثم اشتد عليهم
الحصار فنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ
سيد الاوس فحكم فيهم بان تقتل رجالهم وتقسم اموالهم وتسبى ذراريهم
فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به فامر صلى
الله عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت اعناقهم وكانوا
ما بين ستماية الى سبعماية ولا ينافيه الرواية الصحيحة انهم كانوا
اربعماية مقاتل لان الباقين اتباع وبما تقرر علم ان الاحزاب حالفوهم
الى اليهود اذ عاهدوهم مع الايمان المغلظة على حرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخالفوهم في ذلك فرحلوا عنهم واسلموهم
للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم عن اخرهم ولم ادر لماذا خالف
الحلفا واد ينبغي للدراية على طريقته تجاهل العارف اغراء السامع على

تجاهل العارف

البحث عن سبب ذلك وان كان ظاهرا ان الله تعالى اراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستيصال شانتهم **تنبيه** تجاهل العارف سماه السكاكي سوق المعلوم منهم مساق غيره وهو سوال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب او الانكار او التوبيخ كما هنا او التقرير نحو وما تلك بيمينك يا موسى **سلهم** اي المنافقون عبد بن ابي واصحابه اليهود المسلمين ببني النضير **لاول الحشر** المقتبس من قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين اي في اول حشرهم واجلايهم من جزيرة العرب الى الشام او من محالهم الى محل اخر وانما كان اولا لانهم لم يصيبهم قبل نظير ذلك او في اول حشرة الى القتال لما يأتي في قصتهم انهم عزموا على القتال فتنلوا والقى الله الرعب في قلوبهم واخر حشرهم اجلا عمر لمن بخيبر منهم ولا ومن اهلها الى الشام او في اول حشر الناس الى الشام لانها تحشر بعد ذلك بقليل وقصد بها الناس للاقامة بها وعليه فاخر حشرهم بها عند قيام الساعة لانها ارض المحشر **لا ميعاد لهم** اي المنافقين لليهود انهم ينصرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم **صادق** لانهم سولوا لهم قتالهم وانهم يعينونهم ثم تخلفوا عنهم **ولا الإيلا** اي الحلف منهم لهم صادق ايضا **لسكن الرعب** اي هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وخشية انتقامه منهم وظن ظفره عليهم **والخراب** الاتي لدورهم **قلوبا** من اليهود المحصورين وغيرهم من اهل خيبر وغيرها وهذا راجع للاول **وبيوت**

منهم راجع للثاني ففيه لف ونشر مرتب **نعاها** اي اخبر تلك البيوت بموت اهلها المعنوي من نعاه له نعوا ونعيا نا اخبره بموته **الجلاء** اي خروجهم من ديارهم شبهه في كونه معلما بفوه وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان يخبر بما ينفع ويضر ففي استعارة بالكناية وذكر النعي الملايم للمشبه به استعارة تخييلية ويعجب من الشارح حيث لم يتكلم على هذه الجملة مع ما علمته فيها من الاستعارتين المذكورتين بل فيها استعارة ثالثة كما اشرت اليها بقولي المشبه بالموت وظاهر النظم ان واقعة بني النضير هذه بعد الخندق المشار اليها بقوله السابق واحاط الاحزاب حوما وهو كلام بعض اهل السير لكنه مردود بان بني قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب واما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل كان من اعظم الاسباب في جمع الاحزاب وما وقع من اجلايهم فانه كان من رؤسهم حيي ابن اخطب وهو الذي حسن لبني قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من اهلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا وخلاصة ما قاله اهل السير في واقعة بني النضير انه صلى الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم في دية قتيلين قتلهما بعض حلفايهم فاظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو صلى الله عليه وسلم جالس الى جنب جدار لبعض بيوتهم على ان يصعد واحد منهم ويلقي عليه صخرة ليستريحوا منه فنهاهم بعضهم وقال والله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه فصعد الرجل لذلك فاخبره صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا انه يقضي حاجة وترك اصحابه في مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة فطلبه اصحابه فاخبرهم ونزل في ذلك يا ايها الذين امنوا اذكروا

نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية فامره صلى الله عليه وسلم
بالتهيوء لحربهم والسير اليهم فسار وحاصرهم ست ليال فتحصنوا
بالحصون فقطع النخل وحرقها وخرب ولما وقع في نفوس بعض
المسلمين من ذلك شي نزل ما قطعتم من لينة الاية واللينة اصناف
التمر ما عدا العجوة والبرني ففي الاية انه صلى الله عليه وسلم
حرق من نخلهم الا ما ليس بقوت وكانوا يقتاتون العجوة وفي الحديث
العجوة من الجنة وثمرها يغذ واحسن غذا والبرني ايضا كذلك وكان
رهط من بني عوف بن الخزرج منهم ابن ابي بعثوا اليهم ان اثبتوا
وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا
معكم فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب فسالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يجليهم عن ارضهم ويكف عن دمايهم وفي
رواية ابن سعد انهم لما هموا بالغدر ارسل اليهم محمد بن مسلمة
ان اخرجوا من بلدي وقد اجلتكم عشرا فمن رؤي منكم بعدها
ضربت عنقه فشرعوا في التجهيز فارسل اليهم ابن ابي بانهم
يمتنعون ويمدهم من ينصرهم فارسلوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقولون لا نخرج فاظهر التكبير وكبر المسلمون بتكبيره
فسار اليهم وعلي يحمل رايته فلما راوه قاموا على حصونهم
يرمون بالنبل والحجارة وخذلهم ابن ابي وغيره فحاصرهم خمسة
عشر يوما ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماوكم وما حملت الابل الا الدروع
فنزلوا على ذلك فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم فلحقوا بخيبر
ومنهم الى الشام والحيرة على ستماية بعير ولكون القاهر لهم هو
الرعب كان ما بقي لهم من امواله صلى الله عليه وسلم يقسمه بين
المهاجرين ليرفع مونتهم عن الانصار وخدموا ايضا اي بنوا [illegible]

منهم

منهم **بيوم الاحزاب اذ زاغت الابصار وضلت الآرا** وذلك
ان الاحزاب لما اقبلوا ونزلوا حوالي المدينة وخرج صلى الله عليه
وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق بينهم وبين
القوم خرج عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى كعب القرظي صاحب
عقد بني قريظة وعهدهم فاغلق كعب دونه باب حصنه وقال
له انك امرؤ مشوم واني عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه
فاني لم ار منه الا وفا وصدقا فقال له ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح
فقال له يا كعب جيتك بعز الدهر جيتك بقريش انزلتهم بمجمع
الاسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا حتى
يستاصلوا محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبري مما
كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فعظم
البلا واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم
حتى ظن المومنون كل ظن ونجم النفاق في بعض المنافقين وانزل
الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض الايات
وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ثم وقع بما
مر من ان الله خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل الدايرة عليهم
والغلبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين واهلك بني
قريظة عن اخرهم كما مر ومما تقرر علم ان في كلام الناظم في هذا
البيت والذي قبله تلميحا من وجوه عديدة **وتعدوا** والظاهر
اقوا ان الضمير للنصارى واليهود والمنافقين ويجوز عوده
لمطلق الكفرة الشامل لكفار العرب وعبرهم اي تجاوز واحتز وصل
ايذاوهم **الى النبي** صلى الله عليه وسلم **حدودا** احدها الله لهم ومنهم
من يجاوزها فلم يقفوا عندها فلذلك **كان فيها** اي في مجاوزتها.

عليهم احد الطرفين حال والاخر خبر **العدوا** اي بعدهم عن النجاة
ووقوعهم في الهلاك الابدي وفي هذا التلميح الي قوله تعالي ومن
يتعد حدود الله فاوليك هم الظالمون وبين تعدوا والعدوا
جناس شبه الاشتقاق وهوا وشبهه بين نهتهم وانتهت
والتعدي والبدا والخيل والخيلا واكدي وعفا وعفو وسواه وسووا
حمت والمجون واحلم والحليم الابيات **ونهتهم** اي اوليك المعتدين
قوم منهم عن استمرارهم علي ماهم عليه من مخالفة النبي صلي الله
عليه وسلم وايد له فانه لهم انه لرسول الله حقا **وما انتهت**
عنه اي مخالفة النبي صلي الله عليه وسلم وايذايه **قوم** بل استمروا
والنها عن اتباعه لشقا كل من الفريقين علي ضلاله ومران عتبة بن
ربيعه لما اشتد اذا قريش له صلي الله عليه وسلم ذهب اليه لينهاه
فقرا عليه فصلت فرجع الي قومه ومدح القران وامرهم ان يخلوا
بينه وبين ماهو فيه وبين لهم ان القران ليس بسحر ولا شعر
ولا كهانة وانه صلي الله عليه وسلم ليس به جنون وانه ليكونن
لقوله نبا فقالوا له سحرك محمد بلسانه فقال افعلوا ما بدا لكم
فلم يزدهم ذلك الا طغيانا وايذاه بالقول والفعل وقتل عتبة
يوم بدر مشركا وبين الامار والنها جناس الطباق كنهتهم وما انتهت
وكالعدو والعشا والقطع والوصل والتقريب والاقصا والملكم والاطرا
والتباين والوفا الابيات **وتعاطوا في احمد** نبينا صلي الله عليه
وسلم وخصه بالذكر لانه لم يسم به احد قبله كما رواه مسلم واما محمد
فتسمي به قبله خمسة عشر نفسا كما بينه الحافظ العسقلاني
منكر القول اي القول المنكر اي الذي ينكره سامعه بل المتلفظ به
~~احد قبله كما رواه مسلم واما محمد فتسمي به قبله خمسة عشر نفسا~~

لعامه بفحشه وفساده وان الحامل عليه انما هو محض عناد او حسد فقالوا
مرة ساحر ومرة كاهن ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا في بيان
اعجاز القران وطاف صلي الله عليه وسلم هو وابو بكر وعثمان رضي
الله عنهما فلما مر بابي جهل وعقبة بن ابي معيط وامية بن
خلف اسمعوه بعض ما يكره ثم اراد ابو جهل الاخذ بمجامع ثوبه صلي
الله عليه وسلم فدفعه عثمان فوقع علي استه ودفع ابو بكر امية
والنبي صلي الله عليه وسلم عقبة ثم قال والله لا تنتهون حتي يحل
بكم عذابه عاجلا فما منهم الا من اخذته رعدة وجعل صلي الله عليه
وسلم يقول لهم بيس القوم انتم لنبيكم ثم قال لاصحابه ابشروا
فان الله مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هولا الذين
ترون مما يذبح الله بايديكم عاجلا قال عثمان فوالله لقد رايتهم
ذبحهم الله بايدينا ومن ابذا المنافقين قولهم يوم الخندق محمد
يعد اصحابه ان ينفقوا كنوز قيصر وكسري واحدنا اليوم لا يامن
علي نفسه ان يذهب الي الغايط وقد حقق الله تعالي ما قاله
نبيه صلي الله عليه وسلم فملك الله المسلمين كنوز كسري وقيصر
في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما ثم ذيل بجملة مشتملة علي معني ما
قبلها جارية مجري الامثال فليس تتميما خلافا للشارح لانه الاتي
به لمجرد المبالغة والتاكيد ولا تكميلا لانه الاتي به لدفع الايهام نعم في ذلك
اضطراب بين اهل البديع فقال **ونطق** اي منطوق **الارذال**
اي الاسفال الاخسا الذين لا مروة لهم ولا عقل الكلمة **العوراء** اي
القبيحة الساقطة اي شانهم النطق بالفحش وهو لا كذلك
كيفه وكل رجس اي قذر وغضب قام بهم **يزيده** ما جبلوا عليه
وهو الخلق **السو** بفتح السين وضمها اي القبيح **سفاها** بفتح السين

من سفه بالضم سفاها وسفاهة ومصدر المكسور سفهًا وهو
ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه و بزيد ه سفاهة ايضا
بعدا عن الخير الملة اي الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب
العوجاء اي الباطلة شبهها بطريق عوجا لا يهدي سالكها الي
مطلوبه بل يتوه ويضل فيها على سبيل الاستعارة المكنية ثم
اثبت لها العوج تخييلا واولئك الاراذل اجتمع فيهم الوصفان
الخلق السوء والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم
فبسبب ازديادهم من السفاهة والجهل انظروا ايها العقلا
كيف هي وما بعدها سدت مسد مفعولي انظروا واما قول
الشارح كيف في موضع المفعول الثاني وعاقبة القوم المفعول
الاول فهو انما يصح بعرض زيادة كان ولا يحوج لذلك كما عرف
مما قررته كان تامة عاقبة اي ماله ومصير القوم المعروفين
بما ذكر وهي خزي الدنيا وعذاب الاخرة ثم كان عاقبة الذين اساوا
السوءى الاية ففيه اقتباس وانظروا ما هو جملة سد مسد
المفعولين ايضا وعجيب من الشارح حيث لم يبين اعرابه مع احتمال
وجه اخر فيه غير ما ذكر لكن ما ذكرته اولي كما هو واضح ساق
للبديه اللسان كما ولا البذا بالمعجم اي بذاهم اي فحشهم
وهو تخلفهم عن عز الدنيا وسعادة الاخرة وفيه تشبيه البديه
بداية مسوقة والبذا انسانا محيا وهو استعارتان مكنيتان
واثبات السوق للبذا على جهة كونه فاعله وللبديه على جهة
كونه فاعله وللبديه على جهة كونه واقعا عليه تخييل وجد
البذيه السب اي الشتم فيه اي النبي صلى الله عليه وسلم سما
اي مهلكا اي مهلك وبين السب والسم الجناس المضارع ولم

بعد

١٨١

بعد البذي ان سبه عين السم القاتل لغة مازن قال المازني
دخلت على الخليفة الواثق فقال لي ممن الرجل قلت من بني مازن
قال باسمك يريد ما اسمك وهي لغة قومي يبدلون الميم باء ثم
قال لي اجلس فاطبئن يريد فاطمئن وقال ابن جني في سر الصناعة
اخبرنا ابو علي باسناده الي الاصمعي قال كان ابو سوار الغنوي
يقول باسمك يريد ما اسمك فهذه الباء بدل من الميم استهى
ومعنى لاوي اهلكم كما يهلك السم بل هو ابلغ من السم لان اهلاك
السم في الدنيا ولو اودي بنزيله واهلاك السب في الدنيا والاخرة
ولاد واله كان من اجل ما صدر من فيه اي فم البذي حال من الضمير
المستتر في الخبر وهو بيديه قتله لنفسه بيديه وقتل الانسان
لنفسه اشد من قتل غيره له فبسبب ذلك هو اي البذي القاتل
لنفسه المذكور في الانصاف بما وقع منه شر فعلى بنفسه
المراة المشهورة بالملك القاهر في العرب التي هي الزبّاء
بفتح الزاي وتشديد الموحدة اي سببها فانها تناولت خاتما
مسموما فمصته حتى قتلت نفسها وقالت بيدي لا بيد عمرو وكان
قتلها لنفسها بسبب ما تناولته بفيها من يدها لما ظفر بها
عمرو بن اخت جذيمة الابرش لما كان بينهما خوفا من تعذيبه
اياها وحاصل القصة وهي طويلة ذكرها الاخباريون وابن
هشام وابن الجوزي وغيرهم ان جذيمة بن عامر التنوخي وقيل
الازدي وهو اول من ساس العرب واول من اتخذت الشموع واوقدت
بين يديه واول من اجتمع له الملك بارض العراق من قبل الازد شير
وكان ابرص فكنوا عن ذلك بالابرش والوضاح فكان لا يانف
من الابرص لان في العرب من يفتخر بذلك وكان له اخت احبها ندمه

عدي بن نصر الايادي فوافقها على ان يزوجها منه اذا غلبه السكر عليه
فساله حينيذ في ذلك فانكحه اياها واشهد عليه ودخل بها فلما
اصبح وعلم بذلك تغيب عدي فلم يعرف له اثر فولدت له ولدا سمي عمرا
فاحبه جذيمة واختطفته الجن ثم ردوه فزاد حظاه عند خاله وكان
ابو الزبا سميت بذلك لكثرة شعرها اذا كان يجللها ويسحب من
ورائها ملك ما بين الفرس والروم فغزاه جذيمة وقتله قبل بعثة
عيسى صلى الله عليه وسلم وطردها فلحقت بالروم وجمعت الجيوش واستخلصت
من جذيمة ملك ابيها وابتنت لها بجانب الفراة قصرا حصينا فحدثت
جذيمة نفسه بخطبتها لانها بكر واجمل اهل عصرها وطمع في ملكها فارسل
لها فاظهرت غاية الفرح وارسلت له بهدية نفيسة فاستشار في المسير
اليها فبالغ قصير بن سعد في منعه وقال ان ذلك مكيدة منها فلم يصغ
اليه وسار وكانت امرت لمكرها اذا وصل ان يحيطوا به ويمنعوه من
معه ففعلوا وقصير معه فلما راى ذلك ركب فرس جذيمة التي
لا تسبق الريح وفر بها ثم ادخل جذيمة عليها لبس معها الاجواري
وكانت ربت شعر عانتها حولا فكشفتها له وقالت امتاع عروس ترى
فقال بل متاع امة بظراء ثم قالت خذوا بيد سيدكم وبعلكم تكن
فاجلسوه على النطع ففعلوا ثم امرتهن بفصد عروق يديه ففعلن
ووضع له طشت فنزف دمه فيه الى ان قضى فامرت به فدفن ثم
اقبل قصير على عمرو واخبره الخبر وامره ان ياخذ بثاره منها
فافهمه انه لا قدرة له عليها فقال له اجدع انفي واذني واضرب
ظهري حتى يوثر فيه ففعل به ذلك وقيل انه فعل بنفسه ذلك
ثم ذهب اليها مستجيرا بها من عمرو فراجت عليها حيلته واكرمت
منزلته ثم قال لها ان لي بالعراق مالا كثيرا وذخاير فتسعفيني لاتي به

فنعلت

ففعلت فرجع اليها باموال هايلة ثم عاد الى العراق ثانيا ثم
رجع اليها فاكثر عندها من الاولى فازدادت مكانته عندها
ولم تزل تتلطف حتى عرف سردابا جعلته تحت الفراة يصعد
منه الى قصرها وبابه من جانب الفراة الاخر ثم خرج ثالثا فرجع
باكثر من ذلك كله فزادت مكانته وعولت عليه في امورها فاظهرت
له انها تريد غزوا وانه يذهب وياتيها بالعبيد والعدد فقال
لها ان لي في بلاد عمرو الف بعير وخزانة مال وسلاح فاعطته ما اراد
من المال وقالت الملك يحسن للملك فعاد الى عمرو وقال اصبت
الفرصة منها فقال له عمرو مر بما شيت فقال الرجال والاموال فعمد
الى الفي رجل من فتاك قومه فحملهم على الف بعير على كل بعير اثنان
في غرارتين سوداوين وعمرو منهم وساق الخيل والدروع والسلاح
وكان يكمن اليها ثم دخل عليها فقال انظري الى العير فنظرت
فقالت ما للجمال مشيها وييدا اجندلا يحملن ام حديدا ام الرجال
جثما قعودا اراد الرجال في الغرار السود ولما وصلت العير المدينة
طعن بواب جولقا بمخصرة بيده فضرط من اصابته فاراد الصياح
فضربه قصير بسيفه فقتله ثم حلت الجوالق فخرج الرجال
ودخل عمرو باب السرداب ليصعد اليه الزبا فلما راته مصت خاتما
في يدها مسموما وقالت بيدي لا بيد عمرو فماتت وقيل ان عمرا
قتلها بسيفه واحتوى على بلادها وهو في شيء يفعله النحل اي
يشبهه من بين ولشبه فقال الى لسعها اي قرصها العبرها
يجلب الحتف اي الموت اليها عقب لسعها والحال ان لسعها
بما نابه له انكا اي قتل ولا جرح بل ولا تاثير دم ولا تاثير فوي
في الملسوع فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة

نعود عليها مما كان سببا لهلاكهما صرعت قومه صلى الله عليه وسلم
الذين ارسله الله اليهم فلم يؤمنوا به اي القتهم قتلى بين يديه حبايل
جمع حباله وهي التي يصاد بها يسمى الحابل بغي عليه صلى الله عليه وسلم
مدها اي تلك الحبايل اليه المكر حال كونه منهم وهو ابطان السوء مع
اظهار خلافه والدهاء هو بالكسر كالدهي جودة الراي وفي كلامه
استعاره بالكناية من حيث تشبيه القوم من عي بين يديه
صلى الله عليه وسلم بصيود مصروعة بين يدي الصياد الذي
جاربوه البغي تشبكة الصاد من حيث تشبيه المكر والدها ومن حيث
تشبيه بحبالة الشبكة التي يمدها الصايد حتى يقع فيها الصيد
وتخييله باثبات المد اللازم للمشبه به وترشيحه بذكر الصرع
اللايق بالمشبه وبما تقررته علم ان في كلامه ثلاث استعارات
مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد وجردها بذكر الصرع
والمكر والدها لهم ورشح او خيل لها بذكر الحبايل والمد والثانية
تشبيه البغي بالشبكة وخيل لها باثبات الحبايل له ورشح بذكر
المد وجرد بذكر الصرع الملايم للبغي والثالثة تشبيه المكر والدها
بالصايد على ما مر وخيل باثبات المد ورشح بذكر الحبايل وجرد
بذكر الصرع هنا ايضا اذ لا مانع من اشتراك مكنيتين او اكثر
في كون الشي الواحد تخييلا وترشيحا او تجريدا للكل اعتبار الكل على
حدتها بما يناسبها فبسبب مكرهم ودهايهم اتتهم من قبله صلى
الله عليه وسلم ما اوجب عود تلك الحبايل اليهم ولا يحيق المكر السيء
الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون به كيدا الا عاد عليهم
وكيف لا وكلما تحزبوا الحرب ونحا ولوا اخفا امره بدد الله جمعهم
به وفتل سادتهم واظهر امره عليهم وهو الذي ايدك بنصره وبالمومنين

فمن ذلك

بالصايد خطا بعضهم نسبة المد الى الحبايل اوه

فمن ذلك انهم انتهم خيل الي الحرب تختال اي تتبختر بها راكبوها
تيها وتعجبا وللخيل التي ما يليق التقو عليها الشجعان في الوغا اي الحرب
متعلق بقوله خيلاء اي كبر وترفع عن الوقوع في وهدة والاصطدام
بنحو شجرة وهذا تذييل فقصدت بهم اي في ابدانهم القنا اي الرماح
جمع قناه وفي هذا الاستعارة المشهورة في قوله تعالى جدارا يريد
ان ينقض فلا ينافي ذلك عده كنزين له من انواع المجاز باعتبار ان
فيه اضافة الفعل الى ما لا يصح منه وهو الارادة التي هي من صفات
الحي لان ذلك مبني على تشبيه ميله للوقوع بارادته له والاستعارة
مجاز علاقته المشابهة ومن ثم قيل زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما
الاستعارة وهل هي مجاز لغوي او عقلي خلاف والاصح الاول لانها
موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لاعم منهما فاسد في رايت اسدا
يرمي موضوع للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجري فبسبب قصدها
لهم كانت توالي الطعن اي الطعنات المشبهة بالقوافي في تتابعها
حال كون ذلك الطعن منها اي تلك الرماح ما شانها اي عابها وفي نسخ
شانه اي الطعن الايطاء وهو تكرير القافية المتحدة لفظا ومعنى
قبل عدد مختلف فيه عندهم المشبه به الطعنات الواردة على محل
واحد من عزان تؤثر الثانية شيا لم تؤثره المتلوه وهو معيب في المشبه
لانه يدل على عجز الشاعر وتقصيره والمشبه لانه يدل على قصر ساعد
الشجاع وعدم تمكنه وتجربته وهذا الحل اولى مما سلكه الشارح كما
يعلم بتامله نعم قوله ولكثرة ما عملت رماحهم في اجساد عدوهم
تاتي الطعنة الثانية مكان الاولى حتى كانها واحدة لسرعة الطعن
واثارت اي دفعت تلك الخيل لما ركضت في مهامه الحرب بارض العدو
في الاقطار الحجازية وغيرها حتى في مكة في غزوة الفتح لما ازدحمت

قرب دخولها **نقعا** اي غبارا لظلام الجو حتى **ظن ان الغدو** اي وقته
وهو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس **منها** اي من اجل تلك
الخيول التي اثارت ذلك النقع او من اجل تلك الخيول التي اثارت
ذلك النقع او من اجل تلك الغبرة المفهومة من العبارة التي اثارتها
تلك الخيول **عشاء** اي وقتها وهو اذا غاب الشفق الاحمر وقضية
كلام الشارح بل صريحه ان المراد العشا بفتح العين وفسره بانه ما بين
الغروب والعتمة وفيه نظر وما ذكرته اولى واسلم ما كلمه وفي قوله
واثارت نقعا تلميح الى قوله تعالى في سورة والعاديات فاثرن به نقعا
وخلاصة شي من هذه الغزوة التي حصل بها ذلك الفتح الذي هو
اعظم فتوح الاسلام لان الله اعز به دينه ورسوله وجنده وحرمه
وبلده ونبيه واستبشر به اهل السما وضربت اطناب عزه على مناكب
الجوزا ودخل الناس في دين الله افواجا واشرق به وجه الدهر
ضيا وابتهاجا وسببها انه وقع الصلح بالحديبية انه صلى الله
عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل في عقد قريش وانهم لا يتعرضون
لمن دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو ابكر وكانا متعاديين
فرح بعض بني بكر وبيت خزاعة فاقتتلوا فامد قريش بني بكر
فخرج اربعون من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه
فقام وهو يجر رداه ويقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر
منه نفسي ولما احس ابو سفيان بمجيئهم جا الى المدينة ليجدد
العهد ويزيد في المدة فابى صلى الله عليه وسلم عليه فرجع فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة الاف ثم لحقته الفان
لليلتين من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية
والرايات ودفعها الى القبايل ثم لما نزل مر الظهران امرهم ان

يوقدوا

يوقدوا عشرة الاف نار ففعلوا فاتاهم ابو سفيان ارسل قريش
٢ لياخذ لهم امانا لعلمهم بتجهيزه صلى الله عليه وسلم اليهم
فاذا راى تلك النيران ابهره امرها فادركه الحرس فاتوا
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم بعد تمنع وتهديد فسال
العباس النبي صلى الله عليه وسلم ان يظهر له فخرا في قومه فقال
من دخل دار ابي سفيان فهو امن وقال للعباس احبسه عند
حطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين وفي رواية احبسه عند مضيق
الوادي حتى تمر به جنود الله فرآها فحبسه فمرت به القبايل ١
كتيبة كتيبة وهو يسال عن كل قبيلة فيبينها له العباس فيقول
مالي ولها ولما مرت به كتيبة الانصار وصاحب رايتها سعد
بن عبادة قال له سعد يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة اي الحرب
اليوم يستحل الحرمة اي الكعبة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
فامره على لسان علي كرم الله وجهه فدفع الراية لابنه قيس واخبر
ابا سفيان انه لم يامر بقتل قريش وان اليوم يوم الرحمة وان الله
يعز قريشا وان ~~اليوم يوم الرحمة~~ وخشي سعد ان ابنه يقع منه
شي ايضا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعها للزبير وكانت
راية النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة والمهاجرين مع الزبير ايضا
فبعثه ومعه المهاجرون وخيلهم وامره ان يدخل من اعلى مكة
وان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى ياتيه كذا ذكره موسى
بن عقبة وغيره وقول الشارح انه صلى الله عليه وسلم امر الزبير
ان يدخل في بعض الناس من كدا بالفتح لم ار في الروايات المعتمدة
ما يشهد له وانما الذي صح انه صلى الله عليه وسلم دخل من اعلاها
وخالد من اسفلها ورواية عكس ذلك ضعيفة لا يعول عليها

ولعل الشارح اخذ من الرواية الاتية عن مسلم وانه خبير بانه لبس
فيها نص بكذا ولا كذا وبعث خالد بن الوليد في قبائل ليدخل من اسفل
مكة ويغرز رايته عند ادنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في
كتيبة الانصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم
ان يكفوا ايديهم الا ان قتلوا ولما دخل خالد من اسفل مكة قوتل له
فقاتلهم حتى ادخلهم المسجد من باب الحزورة ثم كف ولما قال صلى
الله عليه وسلم له لم قاتلت وقد نهيتك قال كففت يدي ما استطعت
فقال قضاء الله خير وصح في مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم
بعث على احد المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى
وبعث ابا عبيدة على الذين بغير سلاح فقال يا ابا هريرة اهتف
لي بالانصار فهتفت بهم فجاؤا واطافوا به فقال لهم اترون الى
اوباش قريش واتباعهم ثم قال باحدى يديه على الاخرى احصدوهم
حصدا حتى توافوني بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا فما نشاء ان
نقتل احدا منهم الا قتلناه فجاء ابو سفيان فقال يا رسول الله ابيحت
خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق
بابه فهو امن فهذا اخذ الاكثرون ان مكة فتحت عنوة ويرد
بانه صلى الله عليه وسلم لم ينص الا على اوباشهم الذين من شانهم
الجهل والمبادرة بالقتال في غير محله وهذا كقوله من اغلق بابه
فهو امن ظاهر في ان الكلام انما هو فيمن قاتل ليوافق الروايات
الاخر المقيده بذلك وبحث هذا يقوي ما ذهب اليه امامنا
الشافعي رضي الله عنه انها فتحت صلحا كما هو قضية المامنين
الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لمن دخل دار ابي سفيان
او اغلق بابه او دخل المسجد ولم يقع قتال من جهتنا على مكة التي

دخل منها

دخل منها صلى الله عليه وسلم والعبرة بها لا بغيرها على ان القتال
الذي وقع في غيرها انما كان دفعا لقتالهم كما مر وعلم مما تقرر في
القصة انه صلى الله عليه وسلم امر اكثر اصحابه ان يدخلوا من الحجون
وهو كذا بالفتح والمد وكان معهم في كتيبته الخضراء الكثرة ما معهم
من السلاح على ناقته القصوى بين ابي بكر واسيد بن حضير وفيها
المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فرأى ابو سفيان
ما لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما
فقال ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وامر بقية اصحابه
ان يدخلوا من اسفلها وهو كدا بالضم والقصر ولذا قال **احجمت**
اي كفت وامسكت **عنده** اي ذلك الفتح الذي حصل بمكة لما اجتمعت
فيها جنود الاسلام مع ما هم فيه من كثرة الخيل والسلاح الداخلون
من اعلاها واسفلها **الحجون** بفتح الحا وهو الجبل المطل على مقبرة
مكة المسماه بالمعلاه وذلك هو كدا بالفتح والمد اي ان الفرقة
التي كانت بالحجون وان اثارت فيه من النقع شيا كثيرا لكنه قليل
بالنسبة لما في مكة فامسك عن محاكاة ما بمكة **واكدى** اصله قل
الخير والمراد هنا قلة التراب **عند** حال من كدا **اعطايه** اي كدى مقدمة
رتبة والمصدر مضاف للمفعول وفاعل الاعطاء النبي صلى الله
عليه وسلم **القليل** من الناس مفعول المصدر الثاني **كداء** بضم
الكاف والمد لغة قليلة فيه اي وقل غبار كدا الذي هو اسفل مكة
لان الفرقة الداخلين منه الذين اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم
له كانوا قليلين ويجيب من الشارح حيث لم يبين لهذا الشطر
معنا ملايما مع كونه ضبط كدا هذا بالفتح وهو فاسد لانه المفتوح
الحجون السابق في الشطر الاول او قريب منه كما يصرح به كلا

ادهم

ابيتنا في المناسك وغيرهم فان قلت هذا البيت وان كان فصيحا لفظا
لما فيه من الجناس والمجاز من حيث التعبير بالمحل عن الحال والمجاز والاستعارة
من حيث الانجام والمنع اللذين هما من صفات ابي الى عبده على جد جدار
اراد ان ينقض كما مر بيانه انفا لكنه ركيك معنى اذ لا خفا على احد لان
من المعلوم ان ما بمكة من مجموع الفرقتين الداخلتين من اعلى واسفل
وان ما من مجموعها اكثر مما من كل منهما ومثل هذا ليس له كبير جدوى
قلت بل فيه معنى يستفاد وله جدوى لخفايه وهو ان دخوله
صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه كان من الحجون والبقية من كدا ووجه
اخذه من النظم واضح فانه خص اعطاه القليل بكذا فدل على انه
والكثير ممن دخلوا من الحجون ويصح ان يراد نفس البقعتين مع العم
وعليه فيصح ان يكون انجمت معطوف على اثارت محذوف حرف
العطف فيها ضمير هو الفاعل يعود على الخيل وان اكدى مبني
للمفعول والتقدير ان من قوة تلك الخيول انها قهرتهم حتى
اماكنهم تكفت الحجون ومنعت الذي عن ان ينتصر لاهلها
لو تصور منها ذلك لا سيما وخيل كدى كانت قليلة ويصح بقا
النظم على اعرابه الاول وهو ان الحجون فاعل وان اكدى مبني للفاعل
وان المراد انه صلى الله عليه وسلم نصر عليهم نصرا باهرا حتى
ان بقاعهم ساعدته عليهم والتقدير ان الحجون وكدى
منعاهم عن ان يبدوا اعينهم عليه صلى الله عليه وسلم او الى احد
من عسكره وفي هذا وما قبله من المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه
عند الصحابة وبين الحجون وكدا جناس معنوي وذهبت اي
اهلكت تلك الخيل والخياله اوجها من الناس بها اي بمكة قاتلت
كما مر في الرواية المصرحة بذلك المحمولة عليها الرواية المطلقة وكذا

جماعة

جماعة لم يبقوا لكن كانوا يبالغون في ايذايه صلى الله عليه وسلم
واظهار هجوه فامر بقتلهم وان كانوا متعلقين باستار الكعبة
وعد منهم ست رجال واربع نسوة واهلكت بيوتا كانت لاهل
مكة يرجعون الى اهلها مال اي سيم منها الاكفا وهو في الشعر
المخالفة بين هجا اواخره كان يكون بعضها ميما والاخر يا وهنا
انكفا تلك الوجوه على الناس لعلها لحمها او بجبرها والاقوا
اصله من قولهم منزل قوي اي لا انيس به واقوت الدار وقوت
اي خلت ثم استعمل في الشعر مرادا به ان تختلف حركات
اعراب الروي وبما قررت به كلامه هنا وبما قبله في قصدت
بهم الفنا الخ يعلم ان استعمال القوافي للطعن المتتابع ورشح بذكر
الابيات ولمح بذكر البيوت ترشيحا لبيوت الشعر المرشح بها وبذكر
ما يختص بها من الاقوا والاكفا الى الاستعارة الاولى وفيهما تورية
ولف ونشر مشوش لانه رجع الاقوا للبيوت باعتبار لمح بيوت
الشعر والاكفا للوجوه لان الواسل اذا قطع انكفات الوجوه وخولت
واستعمل الاقوا في الخلو من حيث بيت السكنى وفي تغيير القافية
من حيث بيت الشعر وكذلك الاكفا من حيث تغيير حركة الروي
ف بسبب ما حصل لاهل مكة من الخوف الذي ظنوا انه مهلك لهم
عن اخرهم دعوا محمدا صلى الله عليه وسلم احلم البرية بالهمز في الاصل
اي الخلق اي طلبوا منه يوم الفتح ان يعفو عنهم وان لا يعاقبهم بما
مضى منهم مما كانوا وصلوه اليه من الايذا الذي لا يحمله غيره صلى
الله عليه وسلم فاجابهم الى العفو قايلا لهم لا تثريب عليكم اليوم
ياتي والعفو عمن ساله جواب الحليم من طبع بالكسر اذ ترك
الانتقام حق والاغضا اي ارخا الجفون من الحيا وفي ذكر

الحلم والعفو والاغضا مراعاة النظر **ناشدوه** بدل من يدعوه
القربي اي حلفوه على ان يحفظ قرابتهم ويعفو عنهم او القربي
على حذف الجار اي حلفوه بالقرابة التي بينهم وبينه ان يعفو عنهم
التي وصلت اليه **من** سائر بطون **قريش** وهم ولد النضر بن كنانة
احد اجداده صلى الله عليه وسلم حال كون كلاب القربي **قطعتها**
الترات بفوقيتين جمع ترة وهي مصدر وتر اي قتل له قتيلا ولم
يترك دمه **والشحناء** بسبب تلك المناشدة **عفا** صلى الله
عليه وسلم عنهم **عفو قادر** لانه كان يسهل عليه ابادتهم عن اخرهم
لم ينغصه اي يكدر ذلك العفو **عليهم بسبب ما مضى** منهم
صعق اعز انقد منه فصارت حالا **اغرا** من اغريت الكلب بالصيد
اي حملته على اصطياده وهو فاعل بنغص اي لم يكدر عفوه عنهم
اغرآء سفهائهم وجهلائهم فيما مضى حال كونه منهم حتى بالقوا
في ايذائه بما لا يتحمله مخلوق كما تحمله صلى الله عليه وسلم وخلاصة
ما اشار اليه الناظم انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم
الفتح قام خطيبا في الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو اهله
ثم قال ايها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض
وهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم
الاخر ان يسفك بها دما او يعضد بها شجرة فان احد ترخص
فيها القتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن
لرسوله ولم ياذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار ابي من الفجر
الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ
الشاهد الغايب ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم
قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقا اي

اي الشافعي والكافي سد الال ي كان هم

من الاسر

من الاسر والاسترقاق وفي رواية انه قال لهم اقول لكم كما قال
يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
تنبيه هذا العفو وهذه الوصلة منه صلى الله عليه وسلم لهم بعد
القطع انه ناظر الى الله تعالى دون غيره **واذا كان القطع والوصل**
لله كما هو حال النبي صلى الله عليه وسلم **تساوى** عنده فاعلا لان **التقريب**
للاقارب والبعداء لانه لا نظر له الا الى الله وامتثال امره لا غير وهذا من
القول البديع الجامع **سواء** بفتح السين والمد ويجوز كسرها والقصر
وهو فيها بمعنى مستو ويستعمل الاول بمعنى التام ومنه سواء للسائلين
اي سواء الصراط الوسط ومنه في سواء الجحيم وبمعنى غير قيل ومنه
فقد ضل سواء السبيل وهو وهما نا ... بمعنى وسطه **عليه**
اي الذي تقريبه واقصاؤه لله لا غير واجل من اتصف بهذه المرتبة
نبينا صلى الله عليه وسلم كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط
بسخطه وهذا خبر مقدم ويصح كونه مبتدا **فيما اتاه من سواه**
كلاهما حال من المبتدا او الخبر وهو **الملام** بالسب والتنقيص
والاطراء اي المبالغة في المدح حتى بغير الواقع اي سوا عليه
اللوم والاطرا حال كونهما منذرجين فيما اتاه من غيره من خير
وشر اي استوى عنده مدح الغير وذمه لانه ليس ناظرا
الى نفسه وانما نظره الى تصريف الحق في خلقه بما اراده
منهم **تنبيه** ما وقع للناظم هنا من حذف همزة التسوية
بعد سوا والعطف بالواو وهو ما درج عليه الفقهاء في كتبهم
وهو لغة وان كانت خلاف الاشهر الشايع من ذكر الهمزة بعد
والعطف بام وقد صرح في الصحاح بتلك اللغة فقال تقول
سوا علي قمت وقعدت وكذلك في القاموس فقال وسوا تطلب

اثنين سوآء زيد وعمرو اذ والاستوا انما استويا تماثلا وقد صرح سيبويه
بالمسئلة اتم تصريح واوضحها اكمل ايضاح فقال كما في البديع عنه
اذا كان بعد سوآء همزة استفهام فلا بد من اسمين او فعلين
وان كان بعدها فعلان بغير الف الاستفهام عطف الثاني بالواو
تقول سوآء علي زيد وعمرو وان كان بعدها مصدر ان كان الثاني
بالواو او وحملا عليها انتهى فعلم صحة ما عليه الفقها واندفع قول
ابن هشام ان ذلك لحن وان ما في الصحاح سهو وان قراة او لم تنذرهم
من الشذوذ بمكان انتهى فاستحضر ذلك فانه مهم **و** من ثم
لو ان انتقامه صلى الله عليه وسلم اي عضبه واستيفا الذي يصدر
منه كان **لهوى النفس** الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير
وحب التميز عليه بما يقهره ويذله له **لدامت قطيعته** للرحم **وجفاء**
اي ابعاد لها ولكنه لم يكن لذلك وانما كان لله فقطعهم حيث قطعوا
ما امر الله ان يوصل ووصلهم غير ناظر لما سبق منهم من قتل اصحابه
لا سيما باحد والتمثيل بهم وشج وجهه وكسر رباعيته حيث وصلوه
بامتثال اوامره واجتناب نواهيه وكيف لا **و** قد **قام** صلى الله عليه
وسلم **لله** وحده لا لهوى ولا لحظ ولا لرعاية رحم او صديق وفي نسخة
بالله اي مستعينا به **في الامور** جميعها **ف** بسبب قيامه لله او
به **ارضى الله** تعالى **منه** صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بارضى
او حال من فاعله وهو **تباين** لاعدا الله **و وفاء** لاوليا الله من
غير تحوبل على حظ سوى رضى ربه ولهذا كان **فعله** صلى الله عليه
وسلم **كله جميل** لصدوره على امتن قوانين الاعتدال واحق موازين
الكمال **و** لا بدع في ذلك اذ **هل** اي ما **ينضح** اي يسيل مما فيه على
ظاهره **الا بما حواه** عايد على متقدم الرتبة وهو **الاناء** اي لا ينضح

الانا

الانا الا بما فيه فمن امتلا اناؤه قلبه خيرا كانت افعاله المشبهة بما
ينضحه الانا كلها خيرا ومن امتلا اناؤه قلبه شرا كانت افعاله كلها
شرا ولعمري احد متحليا بمعالي هذه الصفات الباهرة الا نبينا
صلى الله عليه وسلم وهذا من التذييل ومنه قوله تعالى وهل
نجازي الا الكفور ويصح ان يكون من التتميم وفيه التلميح الى
المثل السائر وهو كل اناء بالذي فيه ينضح **اطرب السامعين**
اي سرهم وافرحهم ونشطهم الى محبته واتباعه وامتثال
جميع ما برز من حضرته **ذكر علاه** لانهم يجدون لذلك روحة
تفوق روحته **بـ** احرف استغاثة **لراح** اي خمر مستغاث به
ولذا فتحت لامه سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح من
هموم الدنيا ما دام سكرانا بها **مالت** اي سكرت وتواجدت
به اي الراح المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى فاندفع
ما قد يقال الراح الخمر وهي مؤنثة وتذكيرها شاذ **الندماء**
اي شاربوا الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون اي يتخاطبون عليها
بالاشعار التي فيها مدحها هذا استعارة تصريحية واستعارة
ترشيحية لانه شبه ذكر علاه في اطرابه لسامعيه بالراح في اطرابه
لشاربها ثم قرن بذلك ما يلايم المستعار منه وهو ذكر الميل
والندماء واعلم ان هذا الموصوف بهذه المعالي الذي اطرب السامعين
ذكر علاه هو **النبي الامي** نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرا المكتوب
كانه على اصل ولادة امه او مثلها اذ الغالب في النساء عدم الكتابة
وقيل نسبة لام القرى اي مكة وقيل غير ذلك ومع كونه لا يقرا ولا
يكتب اطلعه الله على علوم الاولين والاخرين وجعله القدوة العظمى
لكل مخلوق في كل علم وحلم وحكمة وخلق حسن وسائر اوصاف

تانيث الخمر

على معنى النبي الامي

الكمال وبراه من الاحاطه بجميع مصالح الدنيا والدين وقوانين سياسات
العالم ومتفرقات الشرايع وعوارف المعارف مالم يصل لشاو من
مخلوق وهذا مقتبس من قوله تعالي الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
من الايات اعلم الخلق جميعا حتي من اي الانبيا والمرسلين الذين
اسند اي روي عنه الرواة والحكما اي العلما الذين يضعون
كل شي في محله فهو من عطف الاخص علي الاعم عنه ولما قدم كثيرا
من اوصافه صلي الله عليه وسلم واحواله وسيره ومغازيه
انتقل بطريق لطيف الي ذكر دار مولده وبعثته ودار مهاجره
لانها يشرفانه علي ساير الامكنة الي ذكر زيارته وتاكدها والاشارة
الي انها من افضل القربات وانجح المساعي وقد الفت فيها كتابا
حافلا لم اسبق الي مثله مشتملا علي جميع مايتعلق بها وسميته
الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم وفيه ابلغ الرد والتضليل لمن
وعدتني ذكر الموعود في حيزها كما هنا يوجب اشتراكها بين
الخير والشر وانما يقع التمييز بالقراين وحذفه بعينها للخير
ويعين للشر اوعد ازد يا ره اي النبي صلي الله عليه وسلم
افتعال من الزيارة وابدل الدال من التاء في نحو ذلك مطرد
وهو منصوب بنزع الخافض اي بزيارته هذا العام وجنا
اي ناقة قوية من الوجن وهي الارض الصلبة ومنتت اي انعمت
اي بموعودها الوجنا المذكورة وهذا كما علم مما وطيته بدو ولا كناية
منه عن لسان حاله ذلك المركوب وبما تقرر من ان ال في الوجنا
للعهد الذكري اندفع قول الشارح بين جنا والوجنا جناس ده
والعجب منه انه صرح مع ذلك بان ال للعهد الذكري يدفع قول

الشارح

الشارح بين جنا والوجنا جناس والعجب منه انه صرح مع ذلك بان
ال للعهد المستلزم لاتحاد اللفظين وان الاول هو عين الثاني
ا يليق بي ان اترك الزيارة في تلك السنة واعداده ذلك المركوب
لها فهو اخبار عن لسان حاله ذلك او انباطا عنها فلا انطوي اي
اضم نفسي علي تلك الوجنا التي منت علي بما ذكر لها اي لاجلها
بحسب سيرها بي فان حسن سير المركوب من حسن ركوب راكبه في
حصول افتحنا شه اي طاي بيننا لذلك الموعود فالمصدر مضاف
للفاعل وهو اليا والها مفعوله لتطوي فان اريدت الاضافة
اليها ايضا كانت هذه الاضافة غير صحيحة لانه اجتمع فيها التا تعريف
وهو الاضافه الي كل من الضميرين وقد قالوا لايجوز اجتماع التي
تعريفه علي حرف واحد قالوا وانما جاز في اضافة الصفة من
اسم الفاعل او المفعول او الصفة المشبهة وامثلة المبالغة
اقتران المضاف دون ساير المضافات بال لان اضافة الصفة
الي معمولها لا يفيد تعريفا بل تخفيفا فليس هنا محذور اجتماع
اداتي تعريف بخلاف بقية المضافات انتهي نعم جري لنا قول
ان اضافة المصدر الي مرفوعه او منصوبه غير محضة فعليه تجوز
ما وقع في النظم لانه لم يجتمع اداتا تعريف فتاملوا ما اذا لم
ترد الاضافة لها وانما اريد بقاوها علي نصبها ففيه ارتكاب
ضرورة انفصال الضمير مع امكان انفصاله لتطوي بالبنا
للفاعل وللمفعول والاول اولي اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف
الثاني ما اي المسافة البعيدة التي بيننا اي بيني وبين ذلك
القبر المكرم علي الحال به افضل الصلاة والسلام الافلا جمع
فلاة كما في القاموس وعبارته والفلاة القفر او المفازة

لامآبنها ثم قال والصحرا الواسعة جمعه فلي وفلوات وفليه وفلي وفلي جمع جمعه افلا انتهي وبه يندفع ما للشارح هنا وجوز الشارح فيه كسر الهمزة مصدرا اي المصير الي فلاة بعد اخرى وبين انطوي ولنطوي جناس الاشتقاق كهو وشبهه من مباركها والبركة وجاورتها والجوار وحنين وحنت ومضني والامضا والخلاص والخلصا الابيات بوجنا الوف صيغة مبالغة من الف كعلم متعلق بنطوي وكان القياس بها لكن اظهر الافادة وضعها بهذا الوصف المدح المبطحا المعهودة ذهبا وهي مكة وتوابعها واصل الابطح والبطحا مسيل يتسع فيه دقاق الحصي وهذا وما بعده لسان حاله ابرزه على لسان حالها مبالغة في اقامة من تلك الاوصاف ما لو كان لراحلتي ادرك لكانت متلذذة فيها لما تشاهد من حاله تجفلها اي تزعجها وتقلقها البلد اي ارض مصر عن الاقامة بها مع انها وطنها ومرباها لشدة شوقها الي التملي بتلك انوار والتعفر بتراب تلك الاثار وبين الالف والاجفال جناس الطباق والحال انه قد شف اي شرب رطوبة جوفها او الحل جوفها الاظما اي شدة العطش في طريقها فهي راضيه بهذه المشقة المودية الي التلف في جنب ما املته في تلك الحضرة من مزايا الانعام وخفايا التحف ولاجل ذلك انكرت مصر لانها لا تومل فيها من تلك المواهب العليه معشار ما املته في تلك الحضرة الاحدية والساحة المصطفوية فبسبب هذا الانكار المسبب عن ذلك لا امل هي تنفر بكسر الفا وضمها اي تجد في الهرب من مصر الي تلك الحضرات العلية ما مصدرية ظرفية لاح اي ظهر في ارض مصر

بنا

الصعيد
ذو الاولاد الى
الامكنة المقصود
ولا شك انه
السير غير
محله فتامل

بناء لعينها اوخلا اي قضا ولا بنا في هذا فقوله بالوف البطحا لانها تالفها ليقطعها حتى تصل الي مطلوبها فعند توجهها اليه تجد في السير وتنمو الي جهة مقصدها سوا لاح لها في غير تلك الحالة بنا او قضا وفسر الشارح الخلا بالحشيش الرطب وبوجه بنظو ما ذكرته انها تجد في السير الي جهة مطلبها وان ظهر لها في غيرها قوتها الذي هو الحشيش الرطب وهذا فيه من زيادة المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه لكن يبعده مقابلته بالبنا بخلاف ما ذكرته وقوله اذ المراد به ما بين ابنية مصر وهو اقرب انتهي في غاية البعد كما لا يخفى فا قصت من القضيض وهو الما العذب او السايل على مباركها بركتها في اول محل يلي طريق الحجاز تجتمع فيه الحجاج للتاهب لسفرهم ولذلك كان مجمعا عظيما تجلب اليه كل ما يحتاجه الحجاج سميت بذلك لان ما النيل ياتي اليها فيمكث فيها زمانا طويلا وكانت قضا صرفا فعمر فيها القطب الرباني المتبولي رضي عنه من نحو سبعين سنة جامعا وحصل فيه مجاورين يقراون القران فعادت بركته عليهم حتى ذكر بعض صالحيهم ممن ادركناه يوم بالجامع الازهر انه اشتهي زيارة امه بالعجم وهو ثم فاستاذن الشيخ في السفر لذلك فلم ياذن له فدخل الي خلوته والناس يقرون القران على بابها فراي نفسه ببلده عند امه فسلم عليها واقام عندها اربعة اشهر بعدها بالايام والليالي ثم اشتاق للشيخ فراي نفسه في خلوته فخرج قرا القرا فقد قرا في تلك المدة نحو ربع القران وهذا من بعض كرامات الاوليا من اشتاق ان الله تعالي يطوي لهم الارض ويفسح لهم في الزمن ووقع ووقع لهم من نظاير ذلك ما لا يحصر وانكار اتساع الزمن القليل دون طي الامكنة تحكم لان كليهما من خير الكرامة فاذا جاز احدهما جاز الاخر

انظر كرامة هذا الولي

فتاملة ثم بنى الشيخ ثم الناس حوله ذلك الجامع ابنيه وبساتين لان الت
تتسع ببركته حتى صارت الان قرية كبيرة اي فا فاضت البركة على مبارك
تلك الناقة من الما العذب ما ارواها وراكبها ومن معه **فسعد** البركة
منازل للحاج في هذه الطريق اكثرها مشهور لغالب الحاج فلا حاجة
بنا الى مزيد بيانها هي **البويب** وانما حملت النظم على هذا الابهام
ان افضت عام في الكل وهو غير مراد انه اراد به ما ذكرناه فان اراد
به انه من الفضا اي فا تسعت على مبارك الناقة ببركتها لم يسعها
صح عطف ما بعده عليه من غير حاجة الى التا ويل الذي ذكرته وعجيب
من الشارح حيث حمله على المعنى الاول ولم ينبه على عطف ما بعده
عليه من غير حاجة الى التاويل الذي ذكرته وعجيب من الشارح حيث
حمله على المعنى الاول ولم ينبه على عطف ما بعده عليه من غير حاجة الى
التاويل الذي ذكرته الذي لا يصح الا برعاية ما ذكرته لان تلك المنازل
اكثرها قفر معطش لا ما فيه اصلا **فالخضرا** وهي قرية من المحل المسمى
الان بحجر ودونه بيوسكر مسهل وبجانبها بركة تملا من بيت المال
يعتمر احتياج الحجاج اليها وكان ذلك من اصله حدث بعد الناظم
انما قلت من اصله لان بركته معلومة الحدوث في اوايل هذا القرن
فالقباب التي تليها اي المنازل السابقة اي الوادي المسمى وادي
لارتفاعها القباب اي ذي الرمل المشبهة بالقباب البيض الحسية **فبئر النخل**
وبياضها بركة تملا من بيت المال ايضا وماوها احسن من الذي قبله بكثير ولذا
قال **والركب قايلون** عنده اي مستريحون وقت القايلة **روا**
من الما بكسر اوله جمع ريان او ريا **وغدت ايلة** اي عقبتها **وحقل**
محل بعدها قريب منها تسميه العامة مد ورحقل **و** لعل هذا
الاسم مشهور اعند الناس اليوم **خلفها** اي الناقة لكونها جاوزتها

فالمغارة

فالمغارة المنسوبة الى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم **الفيحا**
اي الواسعة **فعيون الاقصاب** سميت بذلك لكثرة ما فيها من
القصب الفارسي **يتبعها النبك** هذا ايضا ليس بمشهور وفي
القاموس النباك بالنون فالموحدة بلد بين حمص ودمشق
ويتلو النبك **كفافة** وبها قبر ولي يسمى مرزوقا مشهور
البركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح وللحجاج فيه
اعتقاد وتعظيم خارج عن الحد **العوجا** اي المنحرفة عن جادة
الطريق وجعل الشارح كفافة مفعول يتلوا والعوجا فاعله
فعليه هما محلان متغايران وفيه نظر لانه ليس ثم محل يعرف
بالعوجا اصلا فالموافق للخارج ما ذكرته **حاذرتها** اي جاوزت
الناقة **الحورا** فيما هي بصدده **شوقا** منها لما الناقة مشتاقة
له وسايرة اليه واثبات الشوق للجمادات غير منكر لو انزلنا هذا
القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وان
من شي الا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم وهذا مانع لحمله
على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مراد الم يتقل ولكن الحاجة
جبل يحبنا ونحبه **فينبوع** جاورتها شوقا ايضا المذكور ال[illegible]
فبسببه مجاورتها لها **رق الينبوع والحورا** المذكوران لسماعها
ما يتعلق بالزيارة ومشاهدتها للزاير من **لاح** اي ظهر **بالدهنوي**
اي فيهما شبهة دهنا اما لكونه على اسمها وهو الدهنا محل قبيل
بدر على مجاورها او ان ثم محلين كل يسمى بالدهنا **بدرها** اي للناقة
بعد وفي نسخة قبل ما لاح لها ارضه وهو الان قرية عامرة به عين
كبيرة ونخل ومحل الوقعة المشهورة به التي اعز الله بها الاسلام
مشهور يزار ويتبرك بمن دفن به من الشهدا وغيرهم وفي بدر نخو ربه

مرشحة بلاح المناسب للمعنى المعنى المراد ويعبر به آية باقية من اياته صلى الله عليه وسلم وهي سماع صوت هايل كصوت طبل الحرب في الجو اشتهر على الالسنة ان هذا لاجل نصرته صلى الله عليه وسلم والفرح بها وقد انكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هي اصوات الريح تسمع في ذلك الوادي عند قوة هبوبها لان في اوله جبلين عظيمين من الرمل فاذا مشى الانسان بينهما وقوي عصف الريح سمع ذلك الصوت وقال اخرون من ايمة المتاخرين بل له حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك المحل واقمنا به حتى سمعناه والجو ساكن لا ريح به البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة انتهى واقول وقع لي ايضا سماعه مرات متعددة في سفرات متعددة حيث لا ريح ولا حركة دواب ولا مشاة ثم ولقد كنت في بعضها مرافقا لجمع جم من وجوه مكة ورؤسايها وعلمايها من المالكية والحنفية فجرى الكلام بينهم في ذلك فمنهم من انكره ومنهم من اثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب لذلك المحل والرقي الى اعلى احد الجبلين ليحاط بسببه ذلك الصوت فذهبنا واقمنا عليه نحو ربع النهار ونحن لا نسمع شيا وقد هدا الريح ولا احد ثم غيرنا وليس لاحد منا حركة ففي اخر الامر سمعنا ذلك الصوت الهايل مرة واحدة فقط فانصرفنا ومن المنكرين من رجع ومنهم من استمر على انكاره ولقد جانا فقيه ساكن بودان يوم الخميس بالمسجد بالبلد فسيل نخلفه انهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من اول الليل الى اخره وفي غيرهما لا يسمعونه الا احيانا فالله اعلم بحقيقة ذلك لها اي للناقة بعد وفي نسخة قبل ما لاح لها ارض حنين يقال انه جبل صغير قريب بدر والظاهر ان الناظم اعتمد في هذا على ما هو المشهور في السنة العامة اذ لم يذكر في القاموس غير حنين المذكور في الاية الذي هو عين بين مكة والطايف وظاهر قول الشارح ان نسخة

قبل

قبل اوضح لان حنينا بعد بدر ان لما ذكره الناظم مستند الكن لا يكفي هذا مع كون القاموس الجامع المستوعب لم يذكره الا ما مر وحنت لتلك الناقة وما هي فيه الصفراء قرية معروفة منحرفة عن طريق اهل مصر لا يمرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة ونفضته اي خلعته بزوة اي حبتها المشهور واسناد ذلك اليه والى ما بعده مجازي فرابع فالجحفة محل بعيد رابع كان بلدة مشهورة لليهود فدعا صلى الله عليه وسلم ربه ان ينقل حمى المدينة اليها فكان لا يمر بها احد حتى الطاير الاخم وهي ميقات الحجاج المتوجهين من هذه الطريق كما صح به الخبر عنها اي عن تلك الناقة لما انها استبشرت بقطعها لتلك الاماكن ~~ونفضته اي خلعته~~ ما اي ثوب التعب الذي حاكه اي نسجه الانضا اي الهزال شبه الهزال الثوب والثوب باشر الهزال ورشح له بذكر الخلع من حيث ان الهزال يوجب للبدن من التعب ما يعمه ويستر فوته كما يستر الثوب البدن ثم خيل له باثبات ما هو من لوازم المشبه به وهو الحياكة ورشح له بذكر الخلع فهي استعارة بالكناية تتبعها استعارة تخييلية وترشيحية وادانها اي ابصرت تلك الناقة الخلاص من التعب بئر فاعل عليج وهو اخر الجبت الذي بعد رابغ الى مكة فعقاب السويق بعدها بقليل فالخلصا اي المحل المشهور الان بخليص فيه عين وا... وبركة كبيرة فهي اي تلك الناقة من ماء بئر عسفان المشهورة او من ما عيون بطن مر ظمانة اي عطشانة خمصاء اي جوعانة لان العادة ان الحجيج اذا وصلوا الى نحو عسفان اشتد شوقهم فاستقلوا عن سقي دوابهم واطعامها الى ان يدخلوا مكة قرب الزاهر. المشهور فقيل ذي طوى المساجد المعروفة بمساجد عايشة بالتنعيم منها اي الناقة اي ان وصولها للمساجد محل الزاهر قريبا منها لان

لان المسافة بينها نحو ميلين تخطاها اي بسبب شدة حرها لما
احست بالوصول انقلب بطوها سرعة او العلو الحاصل منها وجاء
بمهملة قبلها واو معجمة اي سرعة وكان مراده انها لما احست
بالوصول انقلب بطوها سرعة بمعنى ان بطاها زال وخلفته
سرعة شديدة هذه المذكورات عدة غالب المنازل بين مصر
ومكة التي عليها المعول لان بها نعلم طريق الوصول الى تلك المعاهد
ويتضح سلوك الوافد ويبسط بدا ها القاصد لاما اي منازل
القمر الثامنة والعشرين التي عد فيه ذكره نظرا للفظها السماك
الاعزل الذي هو من منازل القمر وثم سماك اخر تسمى سماك
الرامح لكنه ليس من المنازل والعوا منزلة من منازل القمر وهي
خمسة انجم ولا يعتد بهذه كالاعتداد بتلك فكاني بها اي
عاينة تلك الناقة ارحل من مكة الى عرفة لان الحج عرفة كما صح به
الخبر ولانه باب الملك الذي يقف به السائلون ويلبي به المناجون
ثم الى مزدلفة للمبيت بها لانها نسك واجب ومندوب او ركن
كالوقوف اقوال اصحها عندنا الاول ولانه فيها مقام الجمع الاكبر
لا من ثم سميت جمعا وفي حديث في سنده ضعف انه صلى الله عليه
وسلم دعا ربه بعرفة ان يغفر عن امته بالحج حتى التبعات فلم يستجب
له فدعا بذلك في مزدلفة فاستجاب ثم الى بقية المشاعر التي حول
مكة وبها شمسا اي حالة كون تلك الناقة كالشمس في ارتفاعها
لرفعة ما هي قاصدته وقوة سيرها لما عندها من عظيم الشوق
سماوها اي تلك الناقة المشبهة بالشمس كما تقرر البيدا اي
المفازة الواسعة تشبيه فتشبيهها بالشمس استعارة بالكناية
واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرحيل والبيدا تجريد لملايمتها للمشبهة

الذي

الذي هو الناقة والبيدا اي المفازة الواسعة تشبيه بليغ شبه
الناقة بالشمس لما مر وشبه البيدا التي هي محل سيرها بالسما التي هي
محل سير الشمس بجامع السعة ولما ذكر مكة استطرد لذكر ما شرفها
الله به على سائر البلاد فقال موضع البيت اي الكعبة بالجر بدل
من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر هي محذوفا وعليه فمعنى كونها
موضعه انه في بعضها وفيه اقتباس من قوله تعالى ان اول بيت
الاية مهبط الوحي نعت او بدل بعد بدل او معطوف بحذف
العاطف على ما فيه من الضعف والشذوذ وكذا يقال فيما بعده
اي محل نزوله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحي لغة
الاشارة وكل كلام خفي وشرعا ما جاء به النبي المبعوث عن ربه
على لسان الملك وبالالهام او في النوم او الالقاء في الروع ماوى
من اوى فلان الى منزله الرسل الكرام بل وسائر الانبيا ومر تعريف
النبي والرسول اول الكتاب لانه ما من نبي الا حج البيت كما في حديث
واستثنا صالح وهود لاشتغالهما بامر قومهما لم يحج حيث
ظرف مكان فهو كالذي بعده بدل مما قبله الانوار الالهية متنزلة
ثم وقدرت هذا لان الاصح منع اضافة حيث الى المفرد اي تتنزل فيها
على قلوب الطائفين ثم العاكفين والركع السجود حيث البهاء
اي الحسن المعنوي المكني به عن حصول ما لدى النفس من الحكم والمعارف
المفاضة على اهل هذه الحضرة الالهية والمعاهد الربانية حقق
الله لنا ذلك فيها بمنه وكرمه امين حيث فرض الطواف في حج او
عمرة واما خارجهما فهو حيث لم ينذر سنة موكدة وورد فيه فضائل جمة
نحو من احاط بها على مزيد الاكثار منه بل قال بعض ائمتنا انه للغربا
افضل من الصلاة لانه عبادة خاصة بهذا المحل لا توجد في غيره واختلفوا

في ابا افضل اركان الحج هو الوقوف بعرفة فقال جمع هو لانه ملحق
بالصلاة فيشترط فيه شروطها بخلاف الوقوف فانه امر عادي لا يشترط
فيه شي ولذلك يقبل الصرف وقال اخرون بل الوقوف وقال
اخرون بل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفة اي معظمه ذلك لان من
ادركها بخلاف الطواف وانه المتكفل بمغفرة الذنوب وقضا المآرب
كما في الاحاديث الصحيحة ولانه يشترط وقوعه حال الاحرام المشعر
الذلة والافتقار بخلاف بقية الاركان وهذا اصح كما حررناه في كتبنا
الفقهية من الصلاة للغربا وحيث السعي اي فرضه في احدها
ايضا بناء على انه ركن لا واجب كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه
وحيث الحلق او التقصير في احدها ~~ايضا بناء على انه ركن لا واجب كما~~
~~هو مذهب الشافعي رضي الله عنه~~ وحيث اي فرضه بناء على الاصح عندنا
انه ركن وحيث رمي الجمار اي ايجابه لا على جهة الركنية وحيث الاهدا
اي سوق الهدي الى مكة ثم ذبحه بها وتفرقته على ثلاثة من مساكينها
المقيمين والغربا والاولون اولى الا ان يكون الغربا احوج والمراد بمكة
كل الحرم وهذا محله ان نذر ذلك لان المعروف من مذهبنا الذي هو
مذهب الناظم ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يرسله اليها من المدينة
وهو مقيم بها لا واجب وهذه السنة كانت في زمن السلف من مشاهير
السنن ثم تناساها الناس واعرضوا عنها بالكلية ويصح ان يرسل
بالاهدا كل دم وجب في النسك او توابعه ثم لسببه كالحلق تعديا
ام لا كالتمتع وموضع تفاصيل ذلك كله كتب الفقه والمناسك
وذكره الفرض في الطواف فقط موهم انه فرض دايما فلا يتعلق به
وان ما بعده ليس بفرض مع ان منه ما هو ركن ولا يتصور ندبه
ولا وجوبه في النسك وهو السعي والحلق وما هو واجب لا ركن

وهو

وهو الرمي وما هو واجب تارة وهو ما حصل لترفه او جناية ومندوب
اخرى وهو ما فعل تطوعا اي من غير سبب وكان الناظم وكلا مبر
هذا التفصيل للشهرة وانه ليس بجديد بيان ذلك جيدا تاكيد
لفظي وهو شايع هنا ومراد الكتاب الكلام على حسل ما ينبغي مراجعته
معاهد جمع معهد وهو في الاصل المنزل الذي يعود اليه مفارقه
[illegible]وة دايما وهذه المواضع كذلك لان من فارقها فهو عايد اليها بالفعل
تارة والعزم اخرى منها اي مكة امتازت على بقيتها كالكعبة
ومسجدها ودار خديجة والصفا والمروة ومحل ولادته صلى الله
عليه وسلم وغير ذلك من المواضع الماثورة بها وبالحرم كمنى ومزدلفة
بل وخارجه كعرفة لم يغيروا بابهن اي علاماتهن الدالة على شرفهن
من تعظيم الامة لهن وازدحامهم على التبرك بزيارتهن والقيام
بحقوقهن البلاد بفتح البا اي طول المدة الذي من شانه ان يغير
الاشيا عما هي عليه اولا لان الله تعالى صانهن من التغير لحرمتها
لديه وفضلها عنده وليستمر لهذه الامة التمتع بها الى اخر الدهر
حرم محرم بحرمة الله من يوم خلق الله السموات والارض كما في
الحديث الصحيح وحديث ان ابرهيم حرم مكة المراد به انه اظهر حرمتها
التي كانت خفيت على الناس فلا تعارض بين الحديثين وهذا بدل
من موضع البيت بدل كل من بعض على حد جنات عدن في مريم بنا
على اثبات ذلك البدل كما هو راي قوم قالوا به ولم ينظروا لانكار
الجمهور له ولا لمن منع الاستدلال بالاية نظرا الى ان المعرف الجنة
للجنس فيصدق بالجمع ايضا فلا بعض يتحقق بدل منه الكل او
للعهد الخارجي لانه لا خارج حتى يكون معهودا او الذهني لان
مدخول اللام حينيذ بمنزلة النكرة وهي موضوعة لفرد وكان وجه

عدم نظر مثبت ذلك البدل لما ذكر من وجود المنع انه نظر
الي ان جنة عدن علم على الجنان الثمانية الموجودة الآن والجنة
حيث اطلقت يقياد رمنها واحده من تلك الثمانية فصح ادعا
انه بدل بعض من كل بهذا الاعتبا واما تجويز انه بدل كل من كل نظرا
الي ان جنات عدن علم كما تقرر وموضوع عد شخص فيكون ابدال
علم من نكره وذلك اقرب الي كونه بدل من كل فقد يجاب عنه
بان هذا المدلول الشخصي كثر في الخارج من مدلول النكره
الذي هو الفرد المنتشر وذلك اقرب الي كونه بدل كل من
بعض منه الي كونه بدل كل من كل وبهذا الذي قررته مما يكفي
مثله في اثبات ذلك الراي المخالف لراي الجمهور ينده فع ما اطال
ما اطال به السيد من التشنيع على من اثبته كيف وقايله لا يبعد
توجيه كلامه بنحو ما ذكرته وكل ما قرب ما خذه بدا واحتمل حمله
لا تشنيع على قايله ويجوز فيه العطف نظير ما مر وانه خبر
مبتدا محذوف وحده وهو معروفة في كتب الايمة وعند اهل تلك
الاماكن من اكثر نواحيه **آمين** امن اي يامن من فيه من شن الغارات
واستباحة الحرمات بل كان الانسان يري قاتل ابيه فيه فلا يتعرض
له ولما دخله الطوفان لم تغد فيه دابة على دابة وكان رجل من
قوم ابرهة فيه فلم يصبه من رمي الابابيل شي حتي خرج منه هذا
في الجاهلية واما بعد بعثته صلى الله عليه فالمراد آمن صيوده
وشجره ونباته وكذا اللقطة ونرابه عن ان يتعرض احد اليها
بقتل او قلع او قطع او تملك او نقل الا ما استثني وهذا مقتبس
من قوله تعالى حرما امنا وفيه كبيته حرام الاتي نوع تلميح **وبيت**
حرام اي ذو احرمة باهرة وعزة قاهرة وهذا اقتباس من قوله
تعالى

تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس **ومقام** بفتح
الميم هو مقتبس من قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم
وهو الحجر الذي نزل لابراهيم الخليل صلى الله على نبينا محمد وعليه
وعلى ساير الانبيا والمرسلين وسلم من الجنة كما صح به الحديث ليقوم عليه
عند بنايه الكعبة اذ اطال البنا فكان يعلو به الي ان يضع
الحجر في محله ثم يقصر به الي ان يتناول الحجر من اسمعيل صلى
عليه وسلم وفيه اثر قدميه الكريمين وهو الذي نادى عليه
لما فرغ من بنا الكعبة ايها الناس ان الله بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعه
النطف في الاصلاب والاجنة في الارحام فاجابوه بلبيك وفي
رواية انه نادى بذلك على الحجون ولا تنافي لاحتمال انه نادى
مرتين قال الايمة وبقاوه من غير ان يتعرض له احد في الجاهلية
ومع كثرة السيول التي كانت تدخل الحرم وتزحزح ما هو اكبر منه
باضعاف مضاعفة من ايات الله الباهرة واختلفوا في موضعه
الموجود فيه اليوم هل هو الذي كان به في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم اولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر رضي الله عنه
الي موضعه اليوم احتياطا ذا منه قولان اصحهما الاول ومن الغرايب
ما قيل المراد بالحجر الذي وضع الخليل عليه رجليه لما جا بعد موت
هاجر ليزور ولده فراه غايبا فسال زوجته فشكت
فقال مري زوجك يغير عتبة بابه فجا فاخبرته فطلقها
ثم جا وقد تزوج اخري فوجده غايبا فسالها عن حالهم فاثنت
ثم سالها امرته بالنزول لتطعمه فابي فوضعت له حجرا ليغتسل
عليه فوضع قدمه عليه واماله لها راسه فغاصت قدمه فيه
ثم حولته فغاصت الاخري فيه ثم قال لها مري زوجك فليلزم

عنبة بابه فيه اي البيت او الحرم ولا يصح عوده للمقام نظير
ومن دخله كان امنا المقام بضم الميم وجوز بعضهم فتحها
اي الاقامة ثَمّه بفتح الفوقية اي جوار لمحل تنزل الرحمات
واقالة العثرات وكانه اخذ هذا من ان اهل مكة يسمون جيران
الله اي بيته وحرمه والعجب من الشارح حيث لم يبين معنى
هذه اللفظة مع خفايها واشتراكها بين معان كما في القاموس
لا يناسب منها هنا الا هذا وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق
كهو او شبهه بين مقام المقام وما ياتي من قضينا والقضا
ورمينا ورملي ويسر ويسر وسمت وسمت وقباء
وقبا ورحضتها والرحضا وحططنا وحط وقرانا والاقرا وسعينا
ويسعى فقضينا اي ادينا اذ القضا يطلق على الادا لغة كما في
فقضيت الدين بها اي بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة
ومنى مناسك جمع منسك من النسك وهو العبادة اي
اركان الحج والعمرة وواجباتهما وسننهما لا يجد الا في فعلهن
القضاء اي لا يجد للادا احدا مخصوصا في فعل عبادة الا في
فعلهن كبعضه وقد تميزت يعني الحج المتكفل بالجنة من غير عمل اخر
وبخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته امه وبكونه اشعث اغبر
وبمنعه من مالوفاته الحسية والمعنوية وبفراقه لاهله ووطنه
وبتكفير تبعاته على ما فيه من الخلاف وبكونه لا يضع قدما او يرفعها
الا كتب له من الثواب من لا يحيط به الا المتفضل به وبقولي مخصوصا
يندفع ما يورد على النظم ان غير الحج الافضل منه والمساوي له
والمفضول عنه كذلك فاعلم ايضا تنبيه ما قررت به قوله
فقضينا والقضا يندفع ما للشارح هنا ومن جملته قوله

كتب صح

لا يعسر

لا يعسر القضا اخر البيت بالفعل يتعين انه الفراغ او ضد الادا
فعسر القضا بالعسر هنا لغة ولا شرعا وبما لا يتصور في
الحج وهو قوله او ضد الادا على ان استعمال القضا بمعنى الادا
اشهر من الشمس لغة وشرعا وقد حقق بعض المتاخرين ان القضا
لا يتصور في الحج لانه ما فعل خارج وقته العمر وتضييقه بخوف
نحو غصب او مال او موت لا يقتضي انه لو بان الامر على خلاف
ظنه يكون قضا فيما بعد ذلك الوقت الا على الوجه الضعيف
في نظيره في صلاة يضيق عليه فعلها في الوقت ثم بان خلاف
ما ظنه انها تصير قضا وان فعلت في الوقت وليس كذلك بل المعتمد
خلافا للكثيرين انها ادا كما اتفق عليه الاصوليون ان القضا
بفعل خارج الوقت المقدر له شرعا تنبيه ثان لا يتوهم
ان ما وقع في النظم من تقديم المستثنى المختلف فيه لان محل
ما قاله الجمهور من منع تقديمه انما هو اذا كان اول الكلام نحو
الا زيدا قام القوم وجوزه الكوفيون فان تقدم على المستثنى
منه وعامله فقط ففيه مذاهب والذي عليه الاخفش وصححه
ابو حيان جوازه ان كان العامل متصرفا فقط نحو الا اكل [illegible] اخلا
الله باطل العامل في ذلك الضمير وما هنا لا يعد رفيه على مستثنى
منه لانه مفعول كما قدرته ولا على عامله وانما هو على حدا الركن
الا التذيبونه شافع وحكى سيبويه ما لي الا ابوك احد قال
فيجعلون احدا بدلا وابوك بدلا منه قال ابن عصفور ولا يقاس
على هذه اللغة وقد قاسه الكوفيون والبغداديون وابن مالك
وعليه فلا اعتراض على المتن ورمينا بها اي الناقة الفجاج جمع
فج وهو الطريق اي القيناها فيها لتسير بنا الى طيبة هي المدينة

افضل الصلاة والسلام سميت بذلك لان الله تعالى طيبها
لرسوله فجعلها دار هجرته ومحل نصرته وموضع تربته
ولها اسما كثيرة جدا والسير بالمطايا جمع مطية وهي الدابة
تمطو اي تجد في سيرها رماء مصدر راميته اي تبته
سير السهم اذ رمي به فكـ بسبب ان سيرها يشبه سير
السهم اشبهت القوس وحينئذ اصبنا عن قوسها
غرض القرب اي المدينة المشبه بالغرض في كونه المقصود
بالرمي او السير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة
بالكناية واثبات الرمي استعارة تخييلية وذكر القوس
والغرض ترشيح يصح كونها شبهت بالقوس وهي استعارة
بالكناية ايضا واثبات القوس لها تخييل وذكر السهم
والاصابة والغرض ترشيح ونعم الخبيئة اي الذخيرة
الناقة الكوماء هي المخصوص بالمدح وهو خبر مبتدا
محذوف او عكسه فقول الشارح صفة الخبيئة ليس في
محله وهي اعز الكوما اي العظيمة السنام فرأينا اي ابصرنا
المدينة وما حولها التي شرفها الله تعالى بان جعلها
ارض الحبيب اي حبيب رب العالمين فتميز صلى الله
عليه وسلم بمقام المحبة الذي هو اجل واعلى من مقام الخلة
لان المحبة الكاملة تستدعي الخلة وزيادة اي ارض
المدينة وما حولها يغض اي يخفض الطواف مفعول
منها اي من اجل الجلالة التي حفتها الضياء المشرق عليها
حسا ومعنى واللالا اي البرق اللامع في صفحتها الضياء
~~من تلك الارض وهي اسم لمحل قريب من ذي الحليفة على~~

المشاره الزابرين

المشار به الى مواهب الحق المفاضة على الزائرين بالتشديد به وقد
تخفف كان لم يدعنا اي ضرمسه للتشبيه المؤكد لان الاكثر انه
مركب من كاف التشبيه وان المؤكدة بالاصل ونحو كان زيدا اسد
في نحو كانه اسد قوم حرف التشبيه اهتماما به ففتحت ان لدخوله
الكاف عليه قال بعضهم وانما تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد
الرائي يشك في ان المشبه هو المشبه به او غيره ولذلك قالت
بلقيس كانه هو وقيل وترد للظن والشك فيما اذا كان خبرها غير
جامد البيداء من تلك الارض وهي اسم لمحل قريب من ذي الحليفة
المشهور اليوم بابيار علي من للتعليل او ابتدا والغاية فكل
منها خفي فالاحسن انها زائدة على مذهب الاخفش وجماعة
فيما ما زائدة فاملت العين الناظرة اليها روضة غناء اي
كثيرة العشب والنبات والازهار والثمار وكان البقاع
اي الاماكن اللاتي حول المدينة المنورة لكثرة ما يغشاها
من الانوار والاضوا المنزلة على ضريحه المكرم صلى الله
عليه وسلم زررت عليها اي البقاع طرفيها عائد لقوله
ملاة بضم اوله وهي ثوب عريض او ثوبان ملفوقان كذا قيل
وعبارة شرحي الشمايل للترمذي الملاءة بالضم والمد وهي كما في
القاموس كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض بخيط بل كله نسج واحد
وفي النهاية هي الازار وفي الصحاح هي الملحفة ولا تنافي لصدقها
على التعريف الاول بكل من هذين انتهت وبها يعلم ان الثوبين الملفوقين
ملاة لا ملاة واحدة حمراء شبه تلك الانوار والاضوا
التي غشيت تلك البقاع وعمتها من سائر جوانبها بخيمة حمراء
شدت عليها ما فيها ازارها في عراها من سائر جوانبها بخيمة

حمراً شدت علي مابيها وكان الارجا اي نواحي المدينة الغرا
نشرا اي بديع نشره اي ريح المسك فيها اي تلك الارجا
للجنوب وهي الريح التي تقابل الشمال والجربياء بكسر الجيم
كيميا وهي كما في القاموس الشمال او بردها او الريح بين
الجنوب والصبا وهي التي تثير السحاب وهي المرادة هنا فاذا
شمته بكسر الشين المعجمة اي نظرت الي سحايب البرق ابن
تمطر في تلك البقاع او شمت في القاموس شمته بالكسر
اشمه بالفتح وشممته اشمه بالضم رباها جمع ربوة بتثليث
الراء وهي ما ارتفع من الارض لاح اي ظهر وهو راجع لشمت
ففيه لف ونشر مرتب كباء بوزن كسا عود البخور او ضرب
منه اي زكه من كبا بالتشديد ثوبه اي بخره وبين لاح
وفاح جناس مضارع اية نور اي نور باهر واية نور
بفتح اوله اي زهر نضير وبينهما الجناس المحرف ومنه حديث
اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي شهدناها اي رايناها
بابصارنا وبصايرنا يوم ظرف لشهدناها ابدت لنا القبا
التي هنالك قبا محل مشهور بينه وبين المدينة نحو ثلاثة
اميال فودمعي اي كثروا نهمل من اجل ما شهدته حسرة علي
مامضي لي من فراقه وفرّ اي ذهب اصطباري لا سيما بعد
ان وصلت الي هذه الربا واحطت رحلي بقباو بين قبا وقبا الجناس
المصحف فدموعي سيل عظيم وصبري جفا بضم الجيم
اي زبد فكما ان السيل يذهب بذلك الزبد في اسرع وقت فكذلك
دموعي يذهب بصبري فلا يبقي عندي منه شي وهذا من جناس
التذييل كقوله الاتي دكم اذهل صبا الي اخره وفيه لف ونشر مرتب

فبسبب

١٩٨

فبسبب ماذكران ماشوهد يوجب كثرة الدمع وفنا الصبر تروب
ايها المخاطب الركب طايرين اي جادين في السير جاثين لدوابهم
ليستخرج جوامنها اقصي ما يمكنها من الاسراع من اجل الشوق الي
طيبة فكيف عشر فيها عليه الصلاة والسلام لهم ضوضاء اي اصوات
عالية بالصلاة والسلام عليه صلي الله عليه وسلم وعبارة القاموس
الضوضا مقصورة الجلبة واصوات الناس لغة في المهموزة انتهت
وبها يعلم رد ما قاله الشارح فكان عطف علي فتري الزوار ما شئت
الغلبا اي شدة السفر ومشقته منهم خلقا ولا الضراء
تاكيد لما قبله وكيف يمسهم شي من ذلك وكل نفس منهم تتكرر
من ابتهال اي تضرع الي الله في ان يقيل عثراها ويقيل اثارها
وشكول اي توسل الي الله باحب خلقه اليه ودعاء اطناب ورغبة
فيما عند الله تعالي من جزيل الثواب وابتغاء اي طلب لما عند الله
تعالي وزفير اي تواتر النفس وصعوده لشدة ما يعتري
القلب من خشية المواخذة بما فرط منه وتفسير الشارح له تارة
باعتراف النفس للشدة وتارة بحبسه فيه قصور عن ذكر
تصاعد الذي لابد منه في حده ينظن ايها المخاطب منه اي من
اجل كثرة ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع له صوت في الصدر
ومن ثم جا ان صدره صلي الله عليه وسلم لشدة ما عنده من الخوف
كان يسمع له ازيز كازيز المرجل صدورا مفعوله الاول طيورا
صادحات اي مصوتات يعتادهن زقاء بالزاي والقاف
اي صوت عال والحاصل ان ذلك الزفير من شدته ظهور له في صدورهم
صوت اشبه صوت الطيور الصادحات اللاتي يعتادهن
التصويت بشدة وعلو صوت وبكا يغريه بالقبيل اي يحمله

علي ملازمته لها **مقة** اي سيل من الدموع ناشيا عن حرقة القلب
لفراق المحبوب او خشية قطيعته او عن فرحه بلقيا الحبيب
والمثول في حضرته **ونحيب** وهو رفع الصوت بالبكا **نحته**
اي تحصيله ويزيد به **استهلال** اي علو الصوت بشدة وتقاعه
بالبكا **وجسوم كانما رحضتها** اي غسلتها والضمير للمغتسل
مرحاضا **من عظيم المهابة** اي الجلالة التي استولت علي قلوبهم
لما اناخوا رحالهم بتلك الحضرة الجليلة **الرحضاء** اي العرق الكثير
من اثر الحمى اي جسوم قام بها من عظيم المهابة ما ازعجها ازعاجا
يتولد عنه كثرة عرقها حتى كانه غسلها **ووجوه** تتلون بالالوان
المختلفة لشدة ما عندهم من القلق والخوف والحيا منه صلى الله عليه
وسلم عند القدوم عليه بوصف التقصير وعدم كمال الاتباع له حتى
كانما البستها من اجل **حيا** بالمد ومن تقصيره وانه عن يوزن
باعتبار اصله ومكتسبه باعتبار كماله **الوانها الحرباء** دويبة
مشهورة ذات الوان متعددة تستقبل الشمس براسها **ودموع**
من شدة البكا والحزن على عدم القيام بواجب تلك الحضرة ومشرفه
عليه افضل الصلاة والسلام **كانما ارسلتها من جفون سحابة**
وطفاء اي مسترخية الجوانب لكثرة مايها شبه ما عندهم من الحزن
الباعث لهم على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة ثم جرد بذكر
الجفون ورشح بذكر الوطف وخيل باثبات السحابة للمشبه ففيه
اربع استعارات **ف**بعد ان وصلنا الي ذلك القبر المكرم على ما بنا حما
من شرحه بقوله كل نفس اي هنا **حططنا الرحال** تعنا كرمه
صلى الله عليه وسلم تستمطر سحايب القبول والانعام وتستقيل
عثرات التقصير والاثام ولو انهم ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا

سهولة الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت الما العذب الذي
من شانه الانسجام والسيلان والرقة والحلاوة ما لا يخفي على
ذي ذوق عظيم بلاغته ومرله كثير من هذا النوع

الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما **حيث** اي في
مكان **تحط الوزر** اي الاثم والثقل **عنا** فيه بشفاعته مشرفه
عليه افضل الصلاة والسلام **وترفع** عنا بلحظه واسعافه
وامداده **الحوجاء** اي الحاجة نعنا النفوس وطلوع البدور
وشروق الشموس حتى تصل الي العيان ويستغني عن الاستدلال
والبرهان وبين الحط والرفع طباق **وقرانا السلام اكرم** اي
على اكرم **خلق الله** وافضلهم كما مرادلته مستوفاة اول
هذا الشرح واقتدي الناظم في هذا بالسلف فانه جا السلام
عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره افضل من الصلاة عليه
عن ابن عمر وغيره من السلف بل قال المجد اللغوي السلام
عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره افضل من الصلاة عليه
عنده اي للاخبار الكثيرة فيه كخبر ما من احد يسلم علي عند
قبري الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام ونعارضه
الحديث الصحيح انه تعالي يصلي هو وملايكته على المصلي
في الصلاة الواحدة عشرا وفي رواية مائة وصلاة الله افضل
من رده صلى الله عليه وسلم وان كان رده دعا لا يرد على انه
صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولي ان توجه
افضلية السلام بانه شعار اللقا والتحية فحينيذ تختص افضليته
بحالة اللقا عند كل زيارة اما اذا سلم سلام اللقا فالصلاة بعده
اولي من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام الزيارة وبدل
لذلك صنيع العلما فانهم لما ذكروا ان الزاير يبدا بالسلام ذكروا
انه يختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم **من حيث** اي من مكان
وتوقفنا بتلك الحضرة الذي **يسمع الاقراء** للسلام منه وقبه رده

العجز على الصدر ربما اقتضاه كلامه من ان زايره صلى الله عليه
وسلم اذا صلى وسلم عليه عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد
عليه من غير واسطة وان من صلى وسلم عليه من بعيد لا يسمعه
الا بواسطة تدل عليه احاديث كثيرة ذكرتها في كتابي الدر
المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود وذكرت
منها جملة في الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم منها ما جاء فيه صلى
الله عليه وسلم بسند جيد وان قيل انه غريب من صلى علي عند
قبري سمعته ومن صلى علي من بعيد اعلمته وصح وان نوزع
فيه ما من احد يسلم علي الا رد الله الي روحي حتى ارد عليه السلام
وصح من غير نزاع فيه يعتد به من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه
خلق ادم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي
من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله
وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت يقولون بليت حتى
بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا
وفي رواية زيادة فنبي الله حي يرزق وبقيت احاديث اخر منها قوية
جمعت بينها في الكتاب السابق بانه صلى الله عليه وسلم يبلغ الصلاة
والسلام اذا صدرا من بعيد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف
ومع سماعه لهما ايضا زيادة في اكرام الزاير والاعتنا بشانه والاشعار
له بذلك سوا ليلة الجمعة وغيرها واما رده فهو عام لمن عند قبره
ولغيره لانه صح ان من سلم على قبر اخيه المومن سمعه ورد عليه فلو
اختص رده صلى الله عليه وسلم بزايره لم تكن له خصوصية بذلك
وكفى الزاير مميزا انه صلى الله عليه وسلم ~~يزايره لم تكن له خصوصية~~
~~بذلك وكفى~~ الزاير يسمع صوته من غير واسطة وكفى المصلي والمسلم
من بعيد

من بعيد وقريب رده صلى الله عليه وسلم ومعنى رد روحه صلى الله
عليه وسلم السابق رد نطقه لانه حي على الدوام فروحه لم تفارقه
ابدا وصح الانبيا احيا في قبورهم يصلون والاحاديث في ذلك
جمعها الامام البيهقي في جزء واستدل بها على دوام حياة الانبيا
حياة مخصوصة اعلى واتم من حياة الشهدا المنصوص عليها في القران
وذهلنا اي غبنا عن احساسنا او عما عدا ما نحن بصدده عند
اللقا لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال وبهاء ذلك
الجمال ولا بدع في هذا الذهول اذ كم اذهل صبا اي شديد
الصبابة الذي هي رقة الشوق وعلية استقبالية من الحبيب
اي المحبوب وهو متعلق بقوله اللقا لان من شانه انه يدهش
من جبه ويخرس المحب ويغيبها عما عدا المحبوب والاستلذاذ بشهوده
وانسه ووجمنا بفتح الجيم اي سكتنا عن الكلام عند اللقا وبعده
ما دمنا بتلك الحضرة العلية فلم يبق فينا ما ننسب له من اجل المهابة
اي الاجلال والمخافة حتى اجتمع علينا امران لا يوجد اجتماعهما الا في
نحو هذا المقام وهما لا كلام منا بما نريده ولا ايما منا يرجع الى
ما نطلبه وذلك حال من قهره الجلال واستولت عليه خوارق الاحوال
وكم رمت بث المشوق عند لقايه فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا
ورجعنا الى بلادنا والقلوب ملتفتات كثيرة جدا لرعاية
المقام اليه اي نبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى انها مستحضرة للمثول
بين يديه صلى الله عليه وسلم والاستمداد منه مع ادامة الصلاة والسلام
عليه صلى الله عليه وسلم والجسوم جمع جسم وجسم البشر جرمه الباقي
من الارض انثنت اي انعطفت الى اللقا بحضرته ابدا ان يتيسر والا
فالى تكرر زيارته وسمحنا اي جدنا بما اي بنفيس لا يجود احد

بمثله هو المتمتع بتلك الحضرة العلية الذي نحب دوامه وعدم
مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لديارنا لاجل القيام بمن فيها
تخفف الملام علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات وفيه دفع بقينا انه
يسمح عند الضرورة التي لا يستطاع معها الترك البخلاء بالاموال
وغيرها وبين السماح والبخل الطباق ولما تم مقصد زيادته المتكفلة
بكل خير شرع يناديه صلى الله عليه وسلم بكنيته المختصة به
والمناسبة لطلبه من انه يخصه من تلك القسمة التي ولاها الحق
له ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها يتضمن ما هو بصدده من
مدحه والثنا عليه استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به في
الدنيا والاخرة ويامن به من كل محنة باطنة او ظاهرة ومن ثم
خص جواب اقسامه بقوله الاتي الامان الخ فقال يا ابا
القاسم هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التي اختص بها فلا
يجوز لاحد التكني بها مطلقا على الاصح عند ناسوا في زمنه وبعده
لمن اسمه محمد وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي والعبرة كما تقرر في الاصول بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب كما هنا فان سبب النهي ان اليهود كانوا
ينادون بذلك فيلتفت صلى الله عليه وسلم لهم فيقولون لم
لا نعنيك فنهى الناس عن التكني بذلك ومن هذا اخذ بعض ائمتنا
ان المنع خاص بزمن حياته وبعضهم انه خاص بمن اسمه محمد وتكنية
علي كرم الله وجهه لولده محمد بن الحنفية رضي عنه بذلك باذن منه
صلى الله عليه وسلم ان صح خصوصية له وتكنية غيره بذلك اجتهاد
منه ووجه مناسبة اختصاص تلك الكنية به صلى الله عليه
وسلم هو الخليفة الاعظم عن الله في جميع شؤونه لا سيما مقام قسمة

الارزاق

الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه
وسلم في الحديث الصحيح ايضا انما انا قاسم والله يعطي ونحو هذا
عدوا من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اعطي مفاتيح الخزائن
قال بعض العلما وهي خزائن اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون
فكل ما ظهر في هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي
بيده المفاتيح وكما اختص تعالى بمفاتيح الغيب الكلي فلا يعلمها
الا هو كذلك اختص صلى الله عليه وسلم باعطائه مفاتيح الخزائن الالهية
فلا يخرج منها شي الا على يديه وقيل انما كني بذلك لانه كان له ولد من
خديجة رضي الله عنها يسمى القاسم الذي ضمن مر تضمن كذا المشتمل
عليه اقسامي عليه بكسر الهمزة بالاقسام الكثيرة الاتية في نيل
مطلوبي منه مدحي فرقوا بينه وبين الحمد بامور احدها ان الحمد على
الجميل الاختياري والمدح على ما لا اختيار للعبد فيه كالحسن ثانيها
ان الحمد انما يكون عن علم وبصفة كماله والمدح يكون عن ظن
وبصفة مستحسنة وان كان فيها نقص ثالثها ان في الحمد من
التعظيم والفخامة ما ليس في المدح والحمد اختص بالعقلا والعظما
واكثر اطلاقه على الله وقول الكشاف انهما اخوان اي مقتضاهما لا
مترادفان قاله الطيبي وقال السيد بل مترادفان واستدل
له بكلام الفايق وانتصر بعض المحققين للاول بما ليس هذا محل
بسطه واكثر العلما على ان الحمد يختص بالاختياري والمدح اعم
لحمدي وثنائي هو على القول الاخير مرادف للمدح لانه لا يكون الا في الخير
الاختياري وغيره والمدح على ذلك القول كذلك وبه لما تقرر
ان عليه اكثر العلما يندفع قول الشارح هذا من مراعاة النظير وعلى
ما قبل الاخير يكون فيه مراعاة النظير في الجملة وعليه يحمل كلام الشارح

اما المدح والحمد فيهما بعامل ومراعاة النظير او تناسب بالعلوم اي
اقسم عليك بها لتشفعن لي بما يؤمنني من كل مكروه بان يعطيني
الله الامان منه وكذا يقال في الاقسام الاتيه فالمراد بها هنا الشفاعة
والاستعطاف ليجاب سواله ومن ثم قال اصحابنا في اقسم او اقسمت
عليك لتفعلن كذا انه لا يكون يمينا الا ان نواه وجعله اول الاقسام
لان مرتبة العلم لا اعلى منها بل ولا مساوي لها ومن ثم لم يؤمر صلى الله
عليه وسلم بالسؤال للزيادة مما هو عليه الا للعلم وقل رب زدني
علما وهو صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت به تجليا يمنع من احتمال
النقض التي تنزلت عليك من الله حال كونها بلا كاتب
من الكتب وهو الجمع وانما الموصل لها اليك املاء اي اقراء
جبريل وهذا الذي قررته في اعراب هذا البيت اولي مما سلكه
الشارح فتامله وبين القاسم والاقسام جناس مطلق والكتابة
والاملا طباق واقسم عليك بما اوتيته ايضا من مسير الصبا
وهي الريح التي مهبها مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار ويطلق
على ما يهب من يمين هذا المطلع الى قريب سهيل ويساره الى
قريب المطلع القطب الشمالي وهذه الريح اثر بين في نصرته
صلى الله عليه وسلم في وقعة الخندق المسماة بالاحزاب كما مر سخرت
اي بسببه وهو الرعب الذي قطع قلوب اعدايه واخمد شوكتهم
وبدد جمعهم شهرا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور مع قوله اعطيت خمسا
لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر
الحديث ومنها يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصره وهو
الرعب اي الخوف منه المنبعث لاعدايه مسافة شهر من سائر

نواجي

نواحي المدينة فلم يرفع احد منهم راسا الا اختطفتها لوقع سيوف
نصره وتواصف اسنة قهره والتحديد بالشهر اشارة الى ان
ما يستولي عليه لا يزيد مسافته ~~المدينة فلم يرفع احد منهم~~
~~راسا الا اختطفتها~~ في حياته على شهر ولا ينافي ان ملك امته
يزيد عن ذلك بكثير واحترز عن غيره من الانبيا فان رعبهم
ان وجد لا يحصل لهذه المسافة وفي رواية ونصرت على العدو
بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر قال بعضهم
والظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه
لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم وبين احد من اعدايه
اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو
كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه
احتمالات اي اظهرها كما تقتضيه المشاهدة انهم رزقوا
من ذلك حظا وافرا فكان الصبا لديك رخاء هي الريح
اللينة المسخرة لسليمان صلى الله عليه وسلم غدوها شهر ورواحها
شهر لكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اعظم لان تلك سخرت
لذات سيدنا سليمن وهذه سخرت لصفة من صفات نبينا
صلى الله عليه وسلم وهي هيبته وايضا فتلك انما كانت تسير
بعد امر سليمان لها وهذه تسير بامر ربها من غير توسط
امر من نبينا صلى الله عليه وسلم فهو من تشبيه الادنى بالاعلى
نظير كما صليت على ابراهيم في صلاة التشهد على احد الاجوبة
فيه وفي ذكر الرخا بعد الصبا مراعاة النظير واقسم عليك
ايضا بمعجزاتك العظمى مع علي كرم الله وجهه في غزوة خيبر
لما سرت اليها ودفعت الراية وكانت بيضا لعلي ففتح بعض

سوداء

حصونها وارسلت ابا بكر لحصن اخر فقاتل ورجع بلا فتح فارسلت
عمر فقاتل ورجع بلا فتح وقد جهد فقلت لاعطين الراية غدا رجلا
يحب الله ورسوله فيفتح الله على يديه فتشوف كل احد لذلك فسالت
عن علي فقيل به رمد فدعوته فجاء وانسان يقوده من شدة
الرمد فتحبيت **فقلته بعينيه وكلتاهما معًا** حال موكدة
رمدا ثم قلت له خذ هذه الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك فبرا
تاما خالطهما بتلك ويتفل الذي هو الشفا الاكبر **فغدا** اي ذهب
بتلك الراية يضرب بعينه المثل في حدة الابصار كما يضرب
ببصر العقاب الذي هو سيد الطيور كما في الكامل ومن ثم
قال **ناظرا بعيني عقاب** ومن امثال العرب ابصر من عقاب
ولما غدا وهو كما ذكر هرول هرولة حتى ركز رايته في رضم من
حجارة تحت الحصن وقال له يهودي من باب الحصن من انت
قال علي ابن ابي طالب فقال اليهودي علوتم وحق ما انزل على
موسى بن عمران فما رجع حتى فتح الله على يديه وعند قتاله ضربه
يهودي فطرح ترسه من يده فاخذ بابا تترس به واستمر يقاتل
حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب ان ثمانية ارادوا ان يقلبوه
فلم يستطيعوا وحمل ابضا باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه
ففتحوها فجزروه بعد ذلك فلم تحمله الا اربعون رجلا هذا كله
في غزوة معهودة من اعظم الغزوات وهي غزوة خيبر كانت
مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى
جهة الشام وكانت سنة سبع **لها العقاب لوا** اراد باللوا الراية
وهي العلم الضخم لان الذي كان يومئذ راية لا لوا بل ولم يعرف صلى
الله عليه وسلم الرايات الا بخيبر وقبلها كانت الالوية فقط قال عياض

في مشارقه

في مشارقه اللوا الراية وعليه فلا تجوز في النظم وتلك الراية كانت
تسمى العقاب لانها سودا ولون العقاب اسود وكانت من برد
لعائشة رضي الله عنها ذكر ذلك كله اهل السير وغيرهم
كالحافظ الدمياطي وغيره وبين عقاب والعقاب الجناس
التام واما قول شارحه ان التي تسمى العقاب بيضا وانها التي
اعطاها لعلي فهو مخالف لما رايته من كلام اهل السير على انه ناقض
ذلك حيث قال وقوله لها العقاب لوا يحتمل ان العقبان كانت
تحوم على تحوم القتلى كانها رايات مرتفعة انتهى وهذا احتمال
لا يقوله الا من لم يطلع على ما سبق ان رايته صلى الله عليه وسلم
يومئذ سودا تسمى العقاب ثم يحتمل ان هذه هي التي اعطاها
لعلي ويحتمل انه اعطاه غيرها كما اعطى شيئين رايتين غير راية
علي كرم الله وجهه ونقل بعض اهل السير عن ابن عباس ان عليا
هو الذي كان معه لوا النبي صلى الله عليه وسلم في كل زحف وعن
سعيد بن المسيب ان راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد مرط
اسود وراية الانصار يقال لها العقاب وفي هذا نظر لما مر ان
الرايات لم تعرف الا يوم خيبر واما تسمية راية الانصار يوم احد
بالعقاب فهو جري على ما عليه اهل اللغة ان كل راية تسمى العقاب
كما ان راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى بذلك وعليه فقول النظم
لها العقاب لوا لا يختص بخيبر خلافا لما يوهمه صنيعه **و** انتم
عليك ايضا **بريحانتين** وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين
كرم الله وجههما وفي تسميتهما بذلك اقتباس من قوله صلى الله
عليه وسلم الذي رواه البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وفي رواية
ان ابني هذين ريحانتين من الدنيا **طيبهما** حسا ومعنى وفضلهما

على غيرهما انما هو حاصل بناتك لانهما بضعتان منك ... بلا
ية المزايا والخصوصيات وكان طيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم معروفا مشهورا بين الصحابة يضرب به المثل وان لم يتطيب
بل كانت ام انس تاخذ من عرقه صلى الله عليه وسلم ليتطيبوا به
لما هو زكيه الذي لغة لطيبها اودعتها بالبنا للمفعول فاطمة
الزهرا مبتدا خبره ما قبله وهما الصلة كذا ذكره الشارح
ولا يصح لخلو جملة الصلة عن عايد للموصول وجوز البنا للفاعل
وان المفعول الثاني محذوف اي الذي الزهرا اودعتهما
اياه وفيه قلاقة وحذف من غير دليل فقوله صلى الله عليه وسلم
الذي رواه ابو داود هذا امتي يعني الحسن والحسين ونظيره
ايضا قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا قال ابو حيان يجوز
استعمال الذي بمعنى الذين لكن يجب كون ضمير الصلة ضمير
الجمع اعتبارا بمعناه ثم قال والذي نختاره اي في قوله
تعالى كمثل الذي استوقد نارا انه فرد لفظا وان كان تحته
افراد فيكون التقدير كمثل الجمع الذي استوقد وقيل في الاية
الذي بمعنى الجنس فلا يختص بالواحد وقيل حذفت نونه
تخفيفا وقيل موصوفة لفظ مفرد وكذلك ياتي فيما نحن
فيه فاستفده واشار بقوله اودعتهما الى ما هو من
خصايصه ان اولاد بناته ينسبون اليه في الكفاة وغيرها
ووجه تلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعة لهذا الذي
اودعها تلك الذرية يخرج منها منسوبة اليه وسميت
بالزهرا لانها لم تحض كما في حديث رواه الغساني وروى
الخطابي ابنتي فاطمة حورا ادمية لم تحض ولم تطمث وانما سماها

الله تعالى فاطمة لان الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار وقد ذكر
الناظم عليا وفاطمة وابنيهما وياتي ذكر شي من فضايلهم مسلا
اسانيد وقد استوعبتها بذكر اسانيدها وبيان احكامها
وما يتعلق بها في كتابي الصواعق المحرقة لاخوان الضلال والرفض
والابتداع والزندقة الذي لم يولف في هذا الباب اجمع منه
واخرج الطبراني والخطيب ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه
وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب وفي حديث رجاله
ثقات الا واحدا فمختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب وهو
محاصر الطايف فلما قال اوصيكم بعترتي خيرا وان موعدكم الحوض
والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتوتن الزكاة او لابعثن
اليكم رجلا مني او كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي وقال
هو هذا توفي كرم الله وجهه شهيدا عن ثلاث وستين
سنة ضربه ابن ملجم في جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان
سنة اربعين وهو خارج الى صلاة الصبح بعد ان استيقظ
سحرا وقال للحسن انه راي النبي صلى الله عليه وسلم الليلة فشكى
اليه ما لقي فقال له ادع عليهم فدعا ان يبدله خيرا منهم وانهم
يبدلون شرا منه واكثر من تلك الليلة الخروج والنظر الى السما
وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت
ومات ليلة الاحد واختلف في موضع قبره لانه اخفي خوفا من
ان تنبشه الخوارج وفي رواية انهم حملوه ليدفنوه مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبينا الجمل الذي يحمله فلم يدر ابن ذهب
فلذلك قال اهل العراق انه في السحاب كنت على الدوام تاديهما
الى نفعهما اليك لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما و

ثم صح انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما
واخرج الترمذي والطبراني هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما والترمذي احب اهل
بيتي الى الحسن والحسين واحمد وابن ماجه والحاكم من احب الحسن والحسين فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني
وجا من طرق صح بعضها ابناي الحسن سيد شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما وفي قوله وابوهما خير منهما حجة لما عليه
اهل السنة ان الايمة الاربعة افضل من اهل البيت لغير من ذريتهم
من البضعة الكريمة لا بعاد له عما وبه يوجه قول بعض المتاخرين
بتفضيل الحسنين على غيرهما من حيث تلك البضعة وان كان في غيرهما من ذكرا فضل منهما علما وعملا ومعرفة فتامله كما ورث
بالمد من فيتعين للوزن وان جاز القصر في اصل الكلمة من
للخط حال من الفاعل خطيتها اليا اي ابوا كابوا اليا لفعليتها
حال كونها من جملة حروف الخط وكانه اخذ هذا التشبيه من
حديث البخاري عن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم ياخذ بيدي
فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخرى ويضمنا
ثم يقول اللهم اني ارحمهما فارحمهما وبما صح عن اسامة
بن زيد رضي الله عنهما قال طرقت النبي صلى الله عليه وسلم ذات
ليلة فخرج وهو مشتمل على شي فاذا هو الكشفه فاذا حسن
وحسين على وركيه فقال اللهم هذان ابناي وابنا ابنتي
اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما وصح انه صلى الله عليه
وسلم اقبل وقد حمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم

المركب

المركب ركبته يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو ووجه
التخصيص باليا انها خاتمة الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم
خاتم الانبيا ولا نظر الى ان الالف افضل الحروف لانها مادة كل حرف
فهي الاخر في الحقيقة كما انها الاول كذلك وهكذا شان نبينا صلى
الله عليه وسلم فانه اولهم خلقا ورتبة واخرهم وجودا وختما في
فعنصره الكريم مندرج ومنبث في جميع الانبيا بالفعل تارة
بالنسبة لمن قبله في عموده من بين الزيحانتين وحينيذ فلا
تعريض فيه خلافا لما زعمه الشارح شهيدين اما شهادة الحسن
وكانت وكا دته في نصف شعبان بالمدينة سنة ثلاث من
الهجرة فسببها ان يزيد بن معاوية ارسل الى زوجته
جعدة بنت الكندية انها تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة الف
درهم ففعلت فمرض اربعين يوما ومات فبعثت ليزيد بما
وعدها فابى وفي سنة موته اقوال والاكثرون انها سنة خمسين
وجهد به الحسين ان يخبره بمن سمه فابى وقال الله اشد نقمة
لقد كبدي تقطع واني لعارفه من اين دهيت فنحف عليك
لا تكلمني في ذلك بشي ثم قال واقسم عليك ان لا تريق في
امري محجمة دم ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر يا اخي ان اباك
استشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله عنه الى الثلاثة
قبله ثم ولي فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له واني والله
ما ارى ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما يستخفنك
سفها الكوفة فيخرجونك وقد كنت طلبت من عايشة ان ادفن
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابتني فاذا مت فاطلب
منها وما اظن القوم الا يمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فلما

مات سال الحسين عايشة رضي الله عنهم فقالت نعم وكرامة
فمنعهم مروان لانه كان والي المدينة فلبس الحسين ومن معه
السلاح حتى رده ابو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جنب امه رضي
الله عنها وكان مروان يكثر من اذيته فلما مات بكى في جنازته
فقال له الحسين اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال اني كنت
افعل ذلك الى احلم من هذا واشار بيده الى الجبل وكان مروان
هذا اشد الناس بغضا لاهل البيت وكان هذا هو سر الحديث
الذي صححه الحاكم ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال
كان لا يولد لاحد مولود الا اتي به النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له
فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ بن الوزغ الملعون
ابن الملعون وورد ايضا حديثا من جملته قول عا[يشة]
رضي الله عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا مروان ومروان
في صلبه نعم في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم سال ربه
ان من شتمه او لعنه او دعا عليه ان يكون ذلك رحمة له وزكاة
وكفارة وطهارة ومن فضايل الحسن ما صح انه صلى الله عليه
وسلم كان يحمله على عاتقه ويقول اللهم اني احبه فاحبه وصح
من احبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغايب اللهم اني احبه واحب
من يحبه ثلاث مرات وفي رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخله
في فمه ويقول ذلك وفي اخرى من احبني واحب هذين واباهما
وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وصح انه حج خمسا
وعشرين حجة ماشيا وان الجنايب لتقاد بين يديه وخرج من
ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات وكرمه باهر وحكا
فيه اشهر ولم يسمع منه كلمة فحش قط الا قوله مرة عن مخاصمه

ليس له

٢٠٦

ليس له عندنا الا ما رغم انفه وجاء من طرق كثيرة بعضها صحيح
انه صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان ابني هذا الحسن
سيد وسيصلح الله به بين فيتين عظيمتين من المسلمين
وقد حقق الله له ذلك فان اباه كرم الله وجهه لما توفي ولي
الخلافة بمبايعة اهل الكوفة فكان اخر الخلفا الراشدين بنص
جده صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح الخلافة بعدي
ثلاثون سنة فمدة خلافته هي الستة الاشهر الباقية منها
وعنده مجيئها سار الى معاوية في اربعين الفا فلما تراءى الجمعان
علم الحسن انه لن يغلب احدى الطايفتين حتى يذهب اكثر الاخرى
فرضي بالنزول لمعاوية عن الخلافة شفقة على الامة بشروط قبلها
المعاوية فنزل له وحينيذ صار هو الامام الحق وقبل ذلك كان
متغلبا لكن لاجتهاده لم يكن اثما بل ماجورا واما شهادة الحسين وكانت
ولادته لخمس خلون من شعبان سنة اربع ومن فضايله حديث
حسين مني وانا من حسين احب الله من احب حسينا حسين
سبط من الاسباط وفي رواية الحسن والحسين سبطان من
الاسباط وجاء من طرق صحح الحاكم بعضها ان جبريل وفي رواية
ملك القطر ولعلهما واقعتان جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره ان الحسين مقتول واراه من تربة الارض التي يقتل فيها
فاعطاه لام سلمة واخبرها انه يوم قتله يتحول دما فكان كذلك
وشم صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كربلا وفي رواية
فاشار جبريل بيده الى الطف ارض بالعراق بناحية الكوفة ولا
تخالف لان ذلك الموضع يسمى بكربلا وبالطف كذا قاله بعضهم
وقال غيره كربلا قريب من موضع يقال له الطف بقرب الكوفة

وروى الطبراني اما حسن فله هيبتي وسؤددي واما حسين
فله جرأتي وجودي والحوب وغيره سمّى هارون ابنيه شبرا
وشبيرا واني سميت ابني الحسن والحسين وجاء ان العرب لم تتسم
بهما في الجاهلية فسببها ان يزيد لما استخلف سنة ستين
ارسل لعامله بالمدينة ان ياخذ له البيعة على الحسين ففر لمكة
خوفا على نفسه فارسل اليه اهل الكوفة ان ياتيهم ليبايعوه
ويمحي ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم
وقتلهم لابيه وخذلهم لاخيه وامره ان لا يذهب باهله
ان ذهب فابى فبكى ابن عباس وقال استودعك الله من
مقتول وكذلك نهاه ابن الزبير رضي الله عنهم بل لم يبق بمكة
الا من حزن لمسيره ولما بلغ اخاه محمد بن الحنفية بكى حتى
ملا الطست بين يديه وقدم امامه مسلم بن عقيل فبايعه من اهل
الكوفة اثنا عشر الفا فارسل اليه يزيد بن زياد فقتله
وسار الحسين غير عالم بذلك فلقي الفرزدق فسأله فقال
قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية والقضاء ينزل
من السماء ولما قرب من القادسية تلقاه من اخبره الخبر وامره
بالرجوع فهم بالرجوع فقال اخو مسلم المقتول لا حتى ناخذ
ثارنا او نقتل ثم سار فلقيه اوائل خيل ابن زياد فعدل الى
كربلا فجهز اليه ابن زياد عشرين الف مقاتل فلما وصلوا اليه
التمسوا منه نزوله على حكم زياد وبيعته ليزيد فابى فقاتلوه
وكان اكثر مقاتليه الكاتبين اليه والمبايعين له فلما جاءهم
فروا عنه الى عدوه فحارب ذلك العدد الكثير ومعه من
اهله نيف وثمانون فثبت في ذلك الموقف ثباتا باهرا لولا

انهم

انهم حالوا بينه وبين الما فقدروا عليه ولما استحر القتل في اهله
حتى بلغوا احسين صاح اما ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فخرج يزيد ابن الحارث رجاء شفاعة جده فقاتل
بين يديه حتى قتل ثم قتل اصحابه وبقي بمفرده فحمل عليهم وقتل
منهم كثيرا من شجعانهم فتكاثروا عليه حتى حالوا بينه وبين حرمه
فصاح كفوا سفهاءكم عن النسا والاطفال فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم
الى ان اثخنوه بالجراح لانه طعن احدى وثلاثين طعنة وضرب
اربعا وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش الى ان سقط
الى الارض فحزوا راسه يوم الجمعة عاشر المحرم عام احدى وستين
ووضعه قاتله بين يدي عبيد الله بن زياد متبجحا بكون قتل خير
الناس فامر بضرب عنقه وقال اذا علمت انه كذلك فلم قتلته
وقتل معه من اخوته وبنيه وبني اخيه الحسن وبني اولاد جعفر
وعقيل تسعة عشر رجلا قال الحسن البصري رضي الله عنه
ما كان على وجه الارض لهم يومئذ شبيه وجعل ابن زياد الراس
في طست وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويدخله انفه ويعجب
لحسن ثغره وذكر انس وقال كان اشبههم برسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال له زيد بن ارقم ارفع قضيبك فوالله لطالما
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما بين الشفتين وبكى
فغلظ عليه ابن زياد وهدده بالقتل فقال لاحدثنك بما
هو اغيظ عليك من هذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا على فخذه اليسرى ثم وضع
يده على يافوخهما ثم قال اللهم اني استودعك اياهما وصالح
المؤمنين فكيف كانت وديعة النبي صلى الله عليه وسلم عندك

يا ابن زياد انتهى ولا عجب فان يزيد بالغ من قبائح الفسق
والانحلال عن التقوى مبلغا لا يستنكر عليه صدور تلك القبائح
منه قال احمد بن حنبل بكفره وناهيك به ورعا وعلما يقتضيان انه
لم يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت
عنده وان لم تثبت عند غيره كالغزالي فانه اطال في
رد كثير مما نسب اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت من طريق
صحيح انه قتله ولا امر بقتله ثم بالغ في تحريم سبه ولعنه
وكابن العربي المالكي فانه نقل عنه انه قال لم يقتل يزيد الحسين
الا بسيف جده اي لانه الخليفة والحسين باغ عليه والبيعة
سبقت ليزيد ويكفي فيها بعض اهل الحل والعقد وبيعته كذلك
لان كثيرين اقدموا عليها مختارين لها هذا مع عدم النظر الى
استخلاف ابيه له اما مع النظر لذلك فلا يشترط موافقة احد
من اهل الحل والعقد على ذلك فابعده ويرد بان
هذا انما هو بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم
الخروج على الجائر اما قبل ذلك فكان الامر منوطا بالاجتهاد
واجتهاد الحسين اقتضى جوازا او وجوب الخروج على يزيد ثم
وقبائحه التي تصم عنها الاذان فهو اعني الحسين محق بالنسبة
لما عنده ونظير ذلك حال معاوية مع الحسين قبل نزوله له
عن الخلافة ومع علي كرم الله وجهه فانه كان متغلبا باغيا عليه
لكنه غير اثم لاجتهاده فالحسين كذلك فتامل ذلك فان كلام
الائمة فيه كالمتنافي ولا يزول الاشكال فيه الا بما قررته فاستفده
ولما دخل قصر الامارة بالكوفة امر بالراس فوضع على ترس عن
يمينه والناس سماطان ثم انزله وجهزه مع رؤوس اصحابه.

وسبايا

وسبايا آل الحسين الى يزيد فلما وصلوا اليه قيل ترحم عليه والمشهور
انه جعل ينكت الراس بالخيزران وجمع بانه اظهر الاول واخفى
الثاني قيل والعجب كل العجب من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب
وحمل آل النبي صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال موثقين في الحبال
والنسا مكشفات الوجوه والرؤوس ولما وصلوا الى دمشق اقيموا على
درج الجامع حيث يقام الاسارى والسبي قيل ان يزيد ارسل براس
الحسين وثقله ومن بقي من اهله الى المدينة فكفن راسه ودفن
عند قبر امه بقبة الحسين وقيل اعيد الى الجسد بكربلا بعد اربعين
يوما من قتله ثم سلط الله على ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة
ومما نزل بالذين ارسلهم ابن زياد بالراس اول منزل جعلوا يشربون
[illegible] فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم
اترجو ۵ اترجو امة قتلت حسينا ۵ شفاعة جده يوم الحساب ۵
فهربوا وتركوا الراس ثم عادوا واخذوه او اخذه غيرهم وقدم
به على يزيد ومما ظهر يوم قتله من الايات ان السما مطرت دما
وان اوانيهم ملئت دما وان السما اشتد سوادها لانكساف
الشمس حينئذ حتى رئيت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس
ان القيامة قد قامت وان الكواكب ضربت بعضها بعضا
وانه لم يرفع حجرا لا رئي تحته دم عبيط وان الورس انقلب
رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام ثم ظهرت فيها الحمرة
وقيل احمرت ستة اشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك
وعن ابن سيرين اخبرنا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى
قتل الحسين وقال ابن الجوزي وحكمة ذلك ان غضبنا يؤثر
حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية فاظهر تاثير غضبه على

من قتل الحسين لحمرة الافق اظهار العظيم الجناية **ليس بنسبني**
كل مسلم كامل الايمان **الطف** اي بذكرنا وقع فيه وهو انه
ارض بالعراق وانه يسمى كربلا او قريب منها وقبره به معروف
يزار ويتبرك به **مصابهما** اي بمجموعهما على حد تخرج منهما
اللولؤ والمرجان اذ هما انما يخرجان من الملح فقط اي مصاب
الحسين لان قتله به واما قتل الحسن ثم انه كان بالمدينة
ولم يكن قتله بالسم ظاهرا وانما علم به نفر من الناس **ولا كربلا**
بل كل منهما يذكرني بذلك المصاب حتى اني اتصور في كل ارض
انها هو وظاهره انه مغاير للطف وكان الناظم الجي بهذا
الى ما رواه ابن سعد عن الشعبي ان عليا كرم الله وجهه لما
مر بكربلا عند مسيره الى صفين وقف وسال عنها فقيل له
فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي القصة الاتية انفا في
شرح قوله فابكهم **ما رعى فيهاذ ماماك** بالمعجمة اي حرمتك
ايها النبي الكريم مع انه يجب على كل احد رعايتها والوفا بها ولا يحصل
ذلك الا بالقيام بجميع ما لها من العهود والحقوق والحرمة والجلا
ومن بعض شانيها واعتقاد انه على غاية من الحافة والضلالة
والجراة والتهور **مروس** اي تابع كالجعد يزيد بن الحسن
وابن زياد واتباعه في الحسين رضي الله عنهما **و** الحال
انه **قد خان عهدك الرؤساء** اي المتبوعون مجل
الظلمة الطغاة المتمردين كيزيد فيهما لتسببه في قتلهما
لكنهما فازا بمنزلة الشهادة العظمى وباء بخزي الدنيا
والاخرة وقول بعضهم لا ملام على قتلة الحسين لانهم انما
من قتلوه

قتلوه بسيف جده الآمر بسلته على البغاة وقتلهم لا يعول
عليه لان يزيد لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم
يبايعوه والمبايعون له مكرهون على البيعة كما هو معروف
وغاية امر يزيد انه جائر فاسق متغلب وحرمة الخروج
على الجائر التي حكي عليها الاجماع محلها بعد استقرار تلك
الامور وانقضا تلك الاعصار واما تلك الاعصار فكان اهلها
مجتهدين فلم يدخلوا تحت ربقة راية غيرهم ولذلك
خرج على يزيد ايضا ابن الزبير ولم يبال ببيعته ولا اعتد
بها جماعة اخرين امتنعوا منها وهو بواو وروى ابن
السكن انه صلى الله عليه وسلم قال وقد اشار الى الحسين
ان ابني هذا يقتل بارض العراق فمن ادركه منكم فلينصره
ورآه يرد قول البعض المذكور وربما يستدل ايضا ما ترتب
على قتل الحسين من امر بعضه ومن رعب وحان والمروس
والرؤسا جناس الطباق **ابدلوا** اذ دعا ولا المذكورون
الود بتثليث الواو اي المودة **التي** حرضهم الله تعالى
عليها في الاية الاتية بنقضهم وقتالهم والحاق الاذى المضر
بكل طريق امكن حتى ان الغرمطي سباهم وبيعت الشريفة
في عسكره باربعة دراهم والشريف بدرهمين لكثرة
من سباه منهم **وابدلوا** ايضا **الحفيظة** اي الحمية **في**
نصر **القربي** ومحبتهم اي قرابة النبي صلى الله عليه وسلم
وهم ال البيت النبوي يعني تركوا هذين واخذوا ضدهما
فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم ولم يمتثلوا قول
الله تعالى في حقهم الدال على غاية رفعتهم قل لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى الاية وقد اختلف المفسرون

في القربى والذي جاء عن الحسن بن علي كرم الله وجههما بسند حسن
انهم اهل البيت فانه خطب الناس خطبة بليغة فيها انا الحسن
ابن محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال انا ابن البشير انا ابن النذير
ثم قال وانا من اهل البيت الذي افترض الله عز وجل مو
وموالاتهم زاد في رواية على كل مسلم فقال فيما انزل على محمد
صلى الله عليه وسلم قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وفي
رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنة
مودتنا اهل البيت وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند فيه
شيعي لكنه صدوق انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك
هولاء الذين وجبت علينا محبتهم قال علي وفاطمة وابناهما وروى
غير واحد نحو ذلك عن علي واخرج الطبراني عن زين العابدين
انه لما جيء به اسيرا عقب مقتل ابيه الحسين رضي الله عنهما واقيم
على درج دمشق قال بعض جفاة اهل الشام الحمد لله الذي قتلكم
واستاصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له اما قرات قل لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى قال وانتم هم قال نعم ولا ينافي
ذلك ما هو المشهور عن ابن عباس وابناء عمه من حملها على غير ما ذكر
كما في البخاري وغيره عنه ان المراد الا ان تودوني يا معشر قريش
بقرابتي منكم وفي رواية عنه انهم لما ابوا ان يبايعوه انزل الله
عليه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يا قوم اذا ابيتم ان تبايعوني
فاحفظوا قرابتي ولا توذوني بوجه ان السورة مكية ورواية
نزولها بالمدينة ضعيفة وان امكن نزولها مرتين كما قيل به
في الفاتحة ووجه عدم المنافاة ان من ذكره صلى الله عليه وسلم
وحض بقريش اقتصر على المقصود بالذات ومن ذكر اهل البيت

مسجد

معهم

علاه في كل مسلم ذكر ما هو المقصود بالتبع فكل من المراد من صحيح من
غير منافاة ولا تعارض بينهما ومن ثم كان ابن جبير وهو اجل تلامذة
ابن عباس كان يفسر تارة بهذا وتارة بهذا وفي رواية عن ابن عباس
رضي الله عنهما الا ان تواد والله لا منافاة ايضا لان من جملة موادته
تعالى موادة رسوله واهل بيته وادعا نسخ الاية قول مردود ورد
الا يلتفت اليه فلا يجوز اعتقاده كما قاله البغوي وغيره وقد صح خلافا
لما وهم فيه ابن الجوزي حديث احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه
واحبوني لحب الله عز وجل واحبوا اهل بيتي لحبي وصح ايضا ما بال
اقوام يتحدثون فاذا راوا الرجل من اهل بيتي قطعوا حديثهم
والله لا يدخل قلب رجل صح صح صح الايمان حتى يحبهم لله
ولقرابتهم مني وفي خبر احمد انه صلى الله عليه وسلم قال اشتكى
عليا والله الايمان لقد اذيتني ثم قال من اذى عليا فقد
اذاني وروى احمد والترمذي حديث من احبني واحب حسنا
وحسينا واباهما وامهما كان معي في الجنة زاد ابو داود وما
تبعا لسنتي وبها يعلم بطلان قول الرافضة تدفع محبتهم
مع مخالفة السنة وابدت اي اظهرت ضبابها عايد لفا على ابدت
واراد بالضباب اليرابيع لان النافقا لا يكون الا لها النافقاء
هي احدى حجرتي اليربوع يكتمها ويظهر غيرها حتى لا متصاد وهو
موضع من حجرة يجعل الحاجز بينه وبين الفضا رقيقا جدا حتى
اذا دخل عليه من الحجرة الاخرى المسماه بالقاصعا ضرب النافقا
براسه فانشق وخرج هاربا منه ولهذا يقال نفق اليربوع
تنفيقا ومنه اشتقاق المنافق في الدين كما في الصحاح وفي
النظم تشبيه المكرة بالحسنين حتى نفلوا معهما ما فعلوا باليربوع

في مكرها المذكور فهو استعارة تصريحية او تشبيه ما عند اوليك
من النفاق بالنافقا بالجامع الاتي فهي حينيذ استعارة مصرحة
رشحت بذكر الضباب او تشبيه النافقا بما عند اوليك من النفاق
الذي حملهم على ان فعلوا بال البيت ما فعلوا فتشبيه النافقا بنفاق
اوليك استعارة بالكناية والجامع اي النافقا يظهرها اليربوع
منها فيهرب من صياده وكذلك نفاق اوليك اظهرهم حتى هربوا
من الدين وفعلوا ما فعلوا واثبات اليربوع استعارة بالكناية
ايضا لتشبيه الضباب باوليك في المكر واضافتهم الى ضمير النافقا
تخييلية **وقست** اي غلظت واشتدت **منهم** اي المكرة المجرة ه
المذكورين وهو حال من قوله **قلوب** فوصل اليها ثم الى ذريتهم
منهم غاية الايذا والاستهانة بحقهم الواجب رعايته عليهم ولم تلن
لهم تلك القلوب قط لان الله تعالى اراد لها الشقاوة والعذاب
الاليم **على من** اي اوليك الايمة الذين هم بدور الدنيا ومن ثم قال
الحسن البصري رحمه الله في الذين قتلوا مع الحسين من اهله ليس
لهم شبيه على وجه الارض **بكت الارض فقدهم والسماء**
وهذا اقتباس من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض
اذ مفهومه ان المومن تبكي عليه السما والارض بمعنى انهما تاسفان
عليه فانهما من اعماله وثوابهما اما الارض فمحال سجود المومن وعبادته
واما السما فمحال مصاعد اعماله واذا كان هذا في مطلق المومنين
كما علم من الاية فما بالك باهل البيت النبوي والسر العلوي ويصح
ان يكون المراد ببكائهما بكاء اهلهما وهو واضح لكن الاول ابلغ ولا مانع
من حمله على الحقيقة لانه ممكن وورد به الشرع فلا يخرج عن ظاهره الا
الدليل **فابكهم** اي ايها الصالح للخطاب **ما استطعت** اي مدة دوام استطاعتك

شبابا هنيك محمد صلى الله عليه وسلم ثم لحبيبه بل ثم على روي ابن سعد
عن الشعبي قال مر علي كرم الله وجهه بكربلا عند مسيره الى صفين
فوقف وسال عن اسم هذه الارض فقيل له كربلا فبكى حتى بل الارض من
دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يبكي فقلت ما يبكيك قال كان عندي جبريل انفا واخبرني ان ولدي
الحسين يقتل بشاطي الفرات موضع يقال له كربلا ثم قبض جبريل
قبضة من تراب شمني اياها فلم املك عيني ان فاضتا واخرج الترمذي
ان ام سلمة رات النبي صلى الله عليه وسلم باكيا وبراسه ولحيته التراب
فسالته فقال قتل الحسين انفا وكذلك راه ابن عباس نصف النهار
اشعث اغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فساله فقال دم الحسين
واصحابه لم ازل اتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك
اليوم فان قلت الامر بالبكا ينافيه الحديث الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين
باكيه ومن ثم قال ايمتنا يكره البكا بعد الموت قلت ليس المراد بالبكا
المامور به هنا حقيقته بل لازمه من التاسف والحزن على ما حصل
للدين واهله من استباحة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودم بنيه
واهله ومن غاية الاستهانة بحقهم والفرح بمصابهم ومن زوال انوار
النبوة وعلومها وتقاها وزهدها وكمالاتها بفقدهم وذلك
كله مصاب لا يساويه مصاب فحق لكل احد ان يحزن على ذلك
ويتاسف عليه وان يامر به غيره ويدعو اليه فان قلت كيف نهى
صلى الله عليه وسلم عن البكا وبكى كما في الحديث المذكور البكا الاختياري
والذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لعله اضطراري او بيان للجواز
او اطلق منه البكا على مجرد دمع العين وهو لا كراهة فيه ومن ثم لما فعله
صلى الله عليه وسلم على ابن لاحدى بناته قيل له ما هذا اي وقد نهيت عن

عن البكا فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحما فبين ان مجرد دمع
العين لا محذور فيه ولا كراهة فتامله ثم تمم ما امر به من البكا بما يصلح
ان يكون دليلا حاملا عليه فقال ان جزاء قليلا اي قليل في مقابلة
عظيم من المصاب لاسيما مصاب الامة بالحسين واهل بيتهما رضي
الله عنهم وبين قليل وعظيم طباق وفيه اشتقاق ورد العجز على الصدر
عنهم البكا وان كثروا وهو الصوت الذي يكون مع الدمع واما المقصور
فهو الدمع فقط وغير الغافل قتل قاتليهم ود وام نصرتهم باشادة
ذكرهم واد امة الثنا عليهم والرد على اعدائهم وغير ذلك كل يوم وكل
ارض لكربي اي لاجل ما حصل لي من الكرب وهو الغم الذي ياخذ النفس
بحيث تخشى فوتها منهم اي بسبب ما حصل لهذين الاماميين واهل
بيتهما من القتل والاسر والسبي والايذا كربلا راجع لكل ارض
وعاشورا راجع لكل يوم ففيه لف ونشر مشوش اي زادني
ذلك الكرب حتى ان كل ارض حللت بها تصورت انها الارض التي قتل
فيها الحسين وكل يوم اصبح على تصورت انه يوم عاشورا الذي
قتل فيه فكربه عم جميع ما انا فيه من الازمنة والامكنة فلا يفارقني
بالانتقال من ارض لاخرى ولا من زمن لاخر وبين كربي وكربلا
جناس شبه الاشتقاق كهو وجناس الاشتقاق في تاوبي
واوبت وفوضت وتفويضي وطبتم وطاب وسدتم وسودته
ووزره والزورا والقاسم واقسامي وابكهم والبكا بال البيت
النبي وهم مومنوا بني هاشم والمطلب وهم المذكورون في
قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا اكثر المفسرين انها نزلت في علي وفاطمة
والحسين رضي الله عنهم وقيل نزلت في نسايه ونسب لابن

عباس

عباس وكان مولاه عكرمة ينادي به في السوق ورد بتذكير
ضمير عليكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهما ورجحه جمع بان
سبب النزول يدخل قطعا ويدل له ما صح عن ام سلمة قلت
يا رسول الله انا من اهل البيت قال بلى ان شا الله ولدخول ال
البيت خبر مسلم انه ادخل اوليك الاربعة تحت كسا وفي رواية
وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل هولا تحت كسا وقال اللهم هولاء
اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
وفي حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه
بملاة ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولا اهل بيتي فاسترهم
من النار كستري اياهم بملاتي هذه فقالت اسكفة الباب
وحوايط البيت امين ثلاثا فنعلم ان المراد باهل البيت في الاية
اهل بيت سكنه وهن امهات المومنين واهل بيت نسبه وهم
مومنوا بني هاشم وبني المطلب وصح هذا عن زيد بن ارقم
والاشهران هولاهم ال المذكورون في قوله اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد وقيل المراد باله هنا كل مومن واختير وخبر
ال كل مومن تقي ضعيف بالمرة وال البيت الذين حرمت عليهم
الصدقة هم المرادون في جميع ما جا في فضل ال البيت والاول
اودوي القربى واوليك الاربعة هم المرادون في اية المباهلة
كما يصرح به ما صح عنه صلى الله عليه وسلم فيها ان فوادي
اي قلبي ليس فعل جامد معناه نفي مضمون الجملة في الحال
ونفي غيره بالقرينة وقيل هي لنفي الحال او غيره ووافقه ابن
الحاجب بقوله تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم قال
ابن مالك وترد للنفي التام المستغرق المراد به الجنس كلا

التنزيه وهو مما يغفل عنه وخرج عليه ليس لهم طعام الا من ضريع
انتهى ويصح ارادة هذا المعنى الاخير في النظم بل [illegible]
فيه تسليه عليكم الناسا بفوقيه اوليه اي ما يحصل لي من الشدايد
والمحن وفي القاموس تاساه اذاه واستخف به بل محبتكم مقيمة
فيه على الدوام لا تزلزلها محنة ولا تنقصها شدة وفي الحديث
والذي نفسي بيده لا يومن عبد بي حتى يحبني ولا يحبني حتى
يحب ذريتي انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن
عاداهم الا من اذى قرابتي فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى
الله تعالى وفي الحديث ايضا اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به
لن تضلوا كتاب الله وعترتي فتامل كونه قرنهم بالقران في
ان التمسك بهما يمنع الضلال ويوجب الكمال واشار الى ان
ما عنده ملازم له لا يفارقه بسلو ولا تسل ولا غيرها من الموفا
لحقها والحزن والتحسر لمصابهما انما هو مع تفويضه
الامور الى باريها كما قال غير اني الا اني فهو استثنا منقطع
فوضت امري في ذلك كله الى الله الفاعل لما يشا والمقدر لما
يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون وتفويضي الامور الى من
هو مقدرها ومريدها يزداد اي مقرب للمفوض كذلك اعتماد
عليه من حوله وقوته وذلك متعين على كل مسلم فضلا عن
كامل ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله
براة من الشرك وكنز من كنوز الجنة وفي فوضت وتفويضي
جناس الاشتقاق وجملة وتفويضي الخ تذييل رب للتقليل
يوم بكربلا مسي باعتبار ما وقع فيه من قتل الحسين ومن
معه بها خففت بعض وزره اي ثقل ذلك الخطب الجسيم

والمصاب

والمصاب العظيم على النفوس التي عندها غيرة لال البيت النبوي
الزورا اذ فيها مع وزره شبه اشتقاق وهي ناحية ببغداد
اي ما وقع من خلفا بها بني العباس الذين هم من جملة ال البيت من
اخذهم ببعض ثار ابن عمهم الحسين وغيره من ال البيت بالخروج
على بني امية لانهم عاثوا وجاروا ولم يرقبوا الله ولا رسوله
طرفة عين في ال البيت الطاهرين المطهرين الكاملين المكملين
الجامعين بين العلوم الشرعية والمعارف الربانية والاسرار
الالهية والكرامات الباهرة والمعالي الفاخرة ثم بنزع الخلافة
منهم بعد ان نصرهم الله عليهم فقتلوهم اشر قتلة كما قال
والاعادي الذين هم اولئك الفسقة الفجرة كان كل جريح
له مطروح منهم الى الارض ببوارق السيوف ولوامع الاسنة
الموجهة لتوالي الحتوف الزق المنتفخ الملقى بالارض الذي
حل عنه الوكاء وهو ما يشد به راس الزق ولا زالوا يتبعونهم
حتى قطعوا دابرهم عن اخرهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين وهذه القضية مبسوطة في التواريخ
كتاريخ الخلفا للسيوطي بشرح اختصار لي له تعليق تطلبها
من محلها ان شية يا ال فهو منادى واصله اهل ابدلت
الها همزة ساكنة وقبلها همزة محركة فابدلت الساكنة الفا
على القاعدة ولا يضاف الا الى الاشراف كما هنا وانما قيل ال فرعون
لانه كان منظورا بصورة الاشراف بيت النبي ومن انتما
بيانهم طبتم اصولا ونفوسا وافعالا واقوالا وصفات
وظاهر النظم ان المراد بالطيبة في ويحتمل تحتمل طيبتهما
منك غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل انه في الموضعين

للطيب ظاهرا وباطنا وان الطيب سهد لهما وهنا للناقين وكعو
الوجه لان ذلك في خصوصها وهذا عموم اهل البيت كما دلت
عليه الاية السابقة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا اذ هو منبع فضايلهم لاشتمالها على غرر
من ماثرهم والاعتنا بشانهم حيث ابتديت بانما المفيدة حصر
ارادته تعالى اذهاب الرجس عنهم وهو الاثم والشك فيما
يجب الايمان به وتطهيرهم من ساير الاخلاق والاحوال المذمومة
وفي احاديث تحريمهم على النار وهو فايدة ذلك التطهير
وغايته ازمنه الهام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال
الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها
صارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها الخلافة
الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب الاوليا في كل زمن لا يكون
الا منهم وحكمة ختم الاية بتطهيرا المبالغة في وصولهم لاعلاه
وفي رفع التجوز عنه ثم تنوينه تنوين التعظيم والتكثير
المشير الى انه تطهير بديع ليس من جنس ما يتعارفه ويالفه
ثم اكد صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وقد جمع على علي وفاطمة
والحسنين كساء وقرا الاية اللهم هاولا اهل بيتي اذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفي رواية اللهم ان هولا
ال محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على ال محمد انك حميد
مجيد وفي اخرى اللهم اهلي اذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا ثلاثا وصح حديث ان مثل اهل بيتي مثل سفينة
نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم
خيركم لاهلي من بعدي وحديث سالت ربي ان لا اتزوج الى

احد من امتي

احد من امتي ولا يتزوج الى احد من امتي الا كان معي في الجنة فاعطاني ذلك
وحديث واحبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي وحديث انا حرب
لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم قاله لعلي وفاطمة وولديهما وحديث
ان لكل بني اب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم
وهم عترتي خلقوا من طينتي وويل للمكذبين بفضلهم من احبهم احبه
الله ومن ابغضهم ابغضه الله وحديث والذي نفسي بيده
لا يبغضنا اهل البيت احد الا كبه الله في النار **فطاب المدح
لي فيكم** وان لم استوف واجب حقكم ومناقب شرفكم لان الله ورسوله
اثنيا عليكم بما تنقطع الاعناق دون الوصول الى غايته والاحاطة
بشي من نهايته **وطاب لي بكم الرثاء** وهو تعداد محاسن
موتاكم وفي طيبتم وطاب الاستنقاق في المدح والرثا الطباق **انا حسان
مدحكم** اي انا المشبه في الاعتنا بمدحكم على اقصى ما يمكن من وجوه البلاغة
وقوانين الفصاحة بحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي كان ينصب له منبرا في مسجده ينافح عليه كفار قريش
ويرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو له بقوله اللهم
ايده بروح القدس ومن بلاغته انه لما اراد ان يهجو قريشا اخبره
النبي صلى الله عليه وسلم بانه ما من بطن من بطون قريش الا وله اليها
قرابة فقال لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين وراه عمر رضي الله
عنه ينشد شعرا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه
شزرا فقال كنت انشد فيه بين يدي من هو خير منك وهو يقول
اللهم ايده بروح القدس ثم استشهد ببعض الصحابة على ذلك
فشهد واله به **فاذا نحت** اي رفعت صوتي بالبكا **عليكم فانني
الخنساء** بنت عمرو بن الشريد من سراة قبايل منهم قيس عيلان

من

قيل قد من على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم
المولى له صلى الله عليه وسلم ولد احضر معه منهم فتح مكة وحرب
حنين الف رجل ونظرت عايشة رضي الله عنها عليها ثواب الحزن
فاخبرتها بانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بانها لم
تعلم بالنهي ثم ذكرت سببه وهو ان زوجها افتقر فسالت
اخاها فقاسمها ماله ثم افتقر فسالته فقاسمها ماله ثم الثالثة
كذلك ثم الرابعة كذلك فعتبته زوجته فاجابها بانها كفته
عارها ولو هلك مزقت خمارها ولبست من شعر صدارها قالت
فلما هلك اخذت هذا الثواب قيل لجرير من اشعر الناس
قال انا لولا هذه قيل له بم فضلتك قال بقولها ان الزمان
وما تفني عجايبه ۞ ابقا لنا ذنبا واستوصل الراس ۞ ابقى
لنا كل مجهول وفجعنا ۞ بالحالمين فهم هام وارماس ۞
ان الجديدين في طول اختلافهما ۞ لا يفسدان ولكن يفسد
الناس ۞ واجمع علما الشعر انه لم يكن امراة قبلها ولا بعدها
اشعر منها اي من مشبهها في نوحها على اخيها ورثايها
له بالمعاني البديعة والمبادي البليغة ومجامع الثنا
وجوامع الرثا ومنه الا يا صخر ان ابكيت عينا ۞ لقد اضحكتني
دهرا طويلا ۞ الى ان قالت ۞ اذا قبح البكا على قتيل ۞ رايت
بكاءك الحسن الجميلا ۞ ومنه يورقني التذكر حين امسي
ويردعني عن الاحزان نكسي ۞ على صخر واي فتى كصخر ليوم
كريهة وطعان حلس ۞ ثم قالت وما يبكون مثل اخي ولكن
اعزي النفس عنه بالتاسي ۞ ومنه اعيني جودا ولا تجمدا ۞
الا تبكيان لصخر الندا ۞ الا تبكيان الجريء الجميل ۞ الا تبكيان

الفتا

٢١٥

الفتا السيدا طويل النجاد رفيع العماد ۞ لقد ساد عترته امردا
ومنه وان صخرا لتاتم الهداة به كانه علم في راسه نار وسال
الخليفة المهدي المفضل عن افخر بيت قالته العرب فذكر له هذا فا
عطاه ثلاثين الف درهم بعد ان شكى انه عليه دينا عشرة الاف
درهم وراها عمر تطوف بالبيت لاطمة لخدها معلقة نعل صخر في
خمارها فوعظها فقالت رزيت فارسا لم يرز احد بمثله فقال
ان في الناس من هو اعظم رزية منك وان الاسلام قد غطى ما
كان قبله وانه لا يحل لك لطم وجهك ولا كشف راسك فكفت وحضرت
حرب القادسية مع بنيها اربع رجال فحرضتهم على الثبات ابلغ
تحريض ثم قالت فاذا رايتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت
نارا على ارواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رييسها تظفروا
بالنعيم والكرامة في دار الخلد والمقامة فتقدموا واحدا فقتلوا
كلهم فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو ان يجمعني
بهم في مستقر الرحمة وكان عمر رضي الله عنه يعطيها ارزا قهم
لكل ما يتان حتى قبض رضي الله عنهم سيدتم الناس اما
الحسنان او ذريتهما فالمراد بالناس بالنسبة اليهم الكل لكن
بالنسبة لما فيهم من البضعة الكريمة التي لا تعادلها شي ولما
نفيه ال البيت فالمراد بالناس بالنسبة اليهم ما عدا الصحابة
هذا كله بالنظر الى النسب واما بالنظر الى السيادة بالتقا
فهو خاص بالمتقين منهم وخصهم بذلك لانه جا عن كثير
منهم من التقوى والزهد والعبادة والعلم والمعرفة ما لا يحصى

عن غيرهم وبهذا يجاب عما يورد على النظم ان السيادة من حيث
التقى لا يختص بهم والكلام انما هو فيما اختصوا به ووجه الجواب
تميزهم على اكثر الناس بتقى لم يصل اليه غيرهم والمعنى كما ساد
الناس بالنسب سدتموهم بزيادة التقى الذي لا يوجد في غيركم
ومن ثم ان جماعة قالوا ان القطب لا يكون الا منهم ومع ذلك كله
ففي النظم ايهام الا ان يقال سيادتهم الناس بالنسب اشهر
من ان تذكر ودليل الاول اعني السيادة من حيث النسب
الذي هو اشرف الانتساب ~~بي وليس كذلك ان اوليائي منكم المتقون~~
~~من كانوا حيث كانوا وصح الحاكم حديث وعدني ربي في اهل~~
~~بيتي من اقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ~~ اية المباهلة
قال بعض محققي المفسرين فيها لا دليل اقوى من هذا على
فضل فاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم اي لانها لما نزلت
دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين واخذ بيدي
الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفها فعلم انهم المراد من الاية
وان اولاد فاطمة وذريتهم يسمون ابناءه وينسبون اليه نسبة
حقيقية نافعة في الدنيا والاخرة ويدل لذلك ما صح انه صلى الله
عليه وسلم خطب فقال ما بال اقوام يقولون ان رحم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيامة بلى والله ان
رحمي موصولة في الدنيا والاخرة الحديث واخرج الطبراني حديث
ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وان الله تعالى جعل
ذريتي في صلب علي بن ابي طالب وروى غيره نحو ذلك من طرق وفي

بعضها

٢١٦

بعضها زيادة اذا كان يوم القيامة دعي الناس باسماء امهاتهم
سترا من الله تعالى عليهم الا هذا وذريته فانهم يدعون باسما يهم
لصحة ولادتهم وذكر ابن الجوزي ذلك في العلل المتناهية مردود
بان كثرة طرقه ترقيه الى درجة الحسن بل الصحة ويؤيده ما صح
عن عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي
وفي رواية زيادة الصهر والحسب وكل بني انثى عصبتهم
لابيهم ما خلا ولد فاطمة فاني انا ابوهم وعصبتهم وجا
في حديث اخر بسند رجاله من اكابر اهل البيت ان عمر
قال ذلك لما زوجه علي بنته من فاطمة ام كلثوم وانكار
جماعة من متاخري اهل البيت ان عليا لم يزوجها لعمر ليس في محله
وانوار الصحابة لم على هذا الاسناد لا مزيح في ردها عارضه من
اقاويل شاذة في هذه المسئلة لا سيما البعض بني امية في
ذلك ودليل الثاني اعني النظر الى السيادة بالتقوى ما صح
انه لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين دعا صلى
الله عليه وسلم جميع بطون قريش فعم وخص وقال
للكل لا اغني عنكم من الله شيئا غير ان لكم رحما سابلها ببلالها صلى بصلتها
اي ساصلها بصلتها ومعنى ذلك انه لا يملك لاحد نفعا
ولا ضرا لكن الله يملكه نفع اقاربه بل وامته بشفاعته
الخاصة والعامة واخرج الطبراني حديث ان اهل بيتي هؤلاء
يرون انهم اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي منكم

المتقون من كانوا حيث كانوا وصحح الحاكم حديث وعدني ربي في
اهل بيتي من اقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ ان لا يعذبهم واخرج
احمد حديث والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت احد الا ادخله الله النار
الجنة ما يدان الا بكم وجا في احاديث ضعيفة ان فاطمة
احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار وفي رواية
ان عليا قال يا رسول الله لم سميت فاطمة قال لان الله
فطمها وذريتها عن النار نعم اخرج الطبراني بسند
رجاله ثقات انه غير معذبك ولا احد من ولدك ولانه
ينبغي لاحد من ال البيت ان يغتر بذلك لانه استفيد من
قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق ان اهل بيتي
هولاء يرون انهم اولي الناس بي وليس كذلك ان اوليائي
المتقون الحديث البخاري ومسلم ان ال بيتي فلان ليسوا
لي باوليا انما وليي الله وصالح المومنين اي نفع رحمه وقرابته
وشفاعته للمذنبين من اهل بيته وان لم ينتف لكن ينتفي
عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم
نعمة قرب النسب اليه صلى الله عليه وسلم بارتكابهم ما يسوءه
صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم عليه ومن ثم يعرض
صلى الله عليه وسلم عن بعض من يقول انه منهم في القيا
يا محمد بريد ان اشفع له فيقول لا املك لك من الله شيا
كما في الحديث وتامل قول الحسن بن الحسن السبط رضي
الله عنهما لبعض الغلاة فيهم ويحكم لو كان الله نافعا بقرابتهم

من

من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك
من هو اقرب اليه منا ابي كابي طالب والله اني اخاف ان يضاعف للعاصي
منا العذاب ضعفين وان يوتي المحسن اجره مرتين وكانه اخذ ذلك
من قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة
يضاعف لها العذاب ضعفين وقال موسى بن علي بن الحسين
ابن علي عن ابيه عن جده انما شيعتنا من اطاع الله وعمل عمالها
وبه يعلم ان الفرقة بالشيعة ليسوا من شيعة ال البيت وانما
هم من شيعة ابليس لعنهم الله كما في الحديث الذي رواه
الدارقطني وقال ان له عنه طرقا كثيرة يا ابا الحسن انت وشيعتك
في الجنة وان قوما يزعمون انهم يحبونك يصفون الاسلام
ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم
نبز يقال لهم الرافضة فان ادركتهم فقاتلهم فانهم مشركون
وفي رواية يا رسول الله ما العلامة فيهم قال لا يشهدون
جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف وسواكم الذين
يدعون سيادة وينقمون عليكم كسفها بني امية او المراد
وسواكم اي غيركم الذين لم يعملوا بعملكم لا سيادة لهم في
الدين اصلا ولا في الدنيا عند الكمل وانما سودته عند
الجهلا مثله وافرد الضمير نظرا للفظ سوا البيضاء اي
الفضة والصفرا اي الذهب اي طمع الناس في حالة
هذين لشدة الاحتياج والتطلع اليهما اكثر من غيرها وفي
سدتم وسودته الاشتقاق والبيضا والصفرا التدبيج

واقسم عليك باصحابك جمع صاحب وهو من اجتمع مومنا ولو طفلا
واعمى بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ومات مومنا وحذف
الشارع كشيخه الجلال المحلي رحمه الله تعالى لهذا الاخير فيه
تطرو ايهام وان وقع في صنيع احمد بن حنبل رضي الله عنهم
في مسنده ما يويد ذلك كما بينته في محل اخر الذين هم
بعدك فينا الهداة اي الدالون للامة على الله بما يجب له ويجوز
ويستحيل عليه وعلى رسوله كذلك وعلى شريعته وعلى
تهذيب النفوس وكمال الاخلاق والجهاد في الله
وغير ذلك مما يليق بكل مما ذكر وهذا مقتبس
من قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم واستخلص من هذا المقام احض
افراده بذلك فقال اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر
وعمر والاوصيا اي الذين اوصيتهم بالقيام بامور الدين
والمجاهدة عليها ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا
الامة ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة حتى خضعت
الروس لمعاليهم وبادروا اهل الزيغ عن اخرهم فلم يبق
منهم رييس ولا مرووس وانما حملت الاوصيا على
على ما ذكر ردا على من زعم انه صلى الله عليه وسلم
وصى بالخلافة لابي بكر او لعلي ووجه الرد ان الذي دلت
صرايح السنة عليه ووقع عليه اجماع من يعتد به انه
صلى الله عليه وسلم لم يوص في امر الخلافة بشي صريح والا

لهلكت

لهلكت الامة لو خالفوا ذلك النص فاقتضت المصلحة العامة
وشفقته صلى الله عليه وسلم على امته ان لا ينص عليها صريحا
وانما اشار الى انها لابي بكر باشارات تقرب من التصريح
كما بينتها في الكتاب السابق ذكره ولعل تلك التي ذكرناها
في عدم التصريح التي ظهرت له صلى الله عليه وسلم لما
طلب في مرض موته دواة وقرطاسا ليكتب فيه ما لا يضلون
معه فكثر عنده اللغط فمن مريد الكتابة ليقع التصريح وينقطع
العذر ومن مريد عدمها لهم خشية من مخالفة النص
المويدة الى هلاك المخالف فلذا ترك صلى الله عليه وسلم
الكتابة والدليل على انه انما ترك لمصلحة انه مكث بعد
ذلك المجلس اياما ولم يذكر ذلك ولو كان فيما طلبه مصلحة
علا يدنا لجي احد لم ترك ذكره وان وقع اعظم مما وقع
فسكوته كذلك اوضح دليل على ما تقرر احسنوا بعدك
اي بعد وفاتك الخلافة عنك في الدين بالقيام بجميع ما يجب
ويحسن مراعاته من الامور الظاهرة والباطنة حيث
اجمعوا على استخلاف ابي بكر رضي الله عنه وكرم وجهه
ثم على استخلافه لعمر ثم على استخلافة اصحاب الشورى
لعثمان ثم على مبايعة علي ثم ابنه الحسن ثم بعد نزول
الحسن لمعاوية على ولاية معاوية رضي الله عنهم وحيث
نصبوا كلهم نفوسهم لمجاهدة الاعدا ولنشر العلوم
الى ان تحملها عنهم التابعون ثم من بعدهم جزاهم الله عن

الا سلامهو المعطيني خيرا وكل منهم لما تولاه في حياته صلى الله
عليه وسلم وبعد وفاته من الخلافة او الامرة او القضا
او تجهيز الجيوش وحفظ الثغور والحصون وغير ذلك
من امور الدنيا والدين على ان جميع امورهم انما كانت
للدين لا لغير ازا بكسر الهمزة وبالزاي اي قيم بما تولاه
اهل له في اي بقعة او زمن كان كيف وهم جميعهم
عدول كما نطق به القران ومن وقعت منه هفوة
فقد كفرت عنه بحد او توبة هم اغنيا نزاهة اي من
جهة النزاهة والتعفف عن جمع المال وان كان من جملة
يقطع بجلها لان محط نظرهم انما هو التجرد المطلق عن
ساير القواطع عن الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم
ليس الغنا بكثرة العرض اي المال وانما الغنى غنى النفس
اي بالله عما سواه سوا كان بيدها مال ام لا ومن كان
منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير وانما كان
خازنا لله يصرفه في مصارفه الشرعية فهو مقتنيه
كذلك لا للفخر ولا للمباهات ولا لمحبة جمع لذلك الحطام الفاني
ولذلك جاء ان عبد الرحمن بن عوف اعتق ثلاثين الف رقيق
وتصدق هو وعثمان في غزوة تبوك بما يبهر العقل وكان
للزبير الف عبد تودي اليه الخراج وما مات الا وعليه
قدر كثير جدا من الديون وكون المخلف عن ابن عوف
ربع ثمنه ثمانون الف دينار لا ينافي ما تقرر انه انما كان

خازنا

خازنا لله لان الخازن ليس معناه ان يخرج جميع ما في يده
دفعة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب منه في كل حال
او زمن واما اخراجه صلى الله عليه وسلم لجميع ما كان يدخل
في يده دفعة فهو اما لا احتياجه لذلك ليسد ضرورات
اصحابه او لان حاله في الامور الخارقة للعادة لا يقدر غيره
على التاسي به فيها فلا يكلف بذلك وتخلف ابن عوف
عن الفقرا في دخول الجنة الوارد اما لكونه يقف ليشفع
او ليسال سوال تكريم عما انعم به عليه او جبرا لخاطر
الفقرا بذلك وكل ذلك غير قادح في فضله رضي الله عنهم
هم فقرا اي غالبهم بل كلهم لان ذوي الغنا منهم كانوا
خزانا لله كما مر فلا يعدون من الاغنيا الا باعتبار
الصورة واما باعتبار الحقيقة فهم على غاية من الافتقار
الى الله تعالى ببواطنهم وظواهرهم لا يشهدون لنفوسهم
مالا ولا غنا وانما يعدون انفسهم خزنة لا غير وبما
تقرر في معنا غناهم وفقرهم يعلم ان الغني الشاكر
افضل من الفقير الصابر وهي مسالة كثيرة الاختلاف
فيها والحق منه ما قررته كما علمت ان الغنا هو الذي ختم به امره
صلى الله عليه وسلم وهو كان دايم الترقي في الكمالات فلولا ان الغنا
مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر لما ختم له به قيل ومحل الخلاف
في الفقر مع الصبر كما تقرر اما الفقر مع الرضا فهو افضل قطعا
انتهى وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم كان في ابتدا

كما علمت

امره مع فقره على غاية من الرضى لم يصل اليها غيره ومع ذلك لم يغنم له
الا بالغنى مع الشكر كما تقرر و بفرض صحة هذا القول فغالب
فقرا الصحابة يفضلون اغنياهم لانهم راضون بفقرهم قطعا وبين
الاغنيا والفقرا التضاد وكذا بين ايمة وامرا وبين الرخص (١
والقلاالايبات هم علماء ايمة لانهم ورثوا من علومه صلى
الله عليه وسلم ما تميزوا به على جميع من جا بعدهم وفي الحديث
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وهذا بالنسبة لاكثرهم
والا فقد جاء نحو الحسن البصري كان يفتي الصحابة في زمنه
وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه في خطبة
الوداع رب مبلغ اي بفتح اللام اوعى من سامع وهم امراء
اي كثيرون منهم تولوا الامارة في زمن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم في زمن الخلفاء الراشدين فقاموا بحقوقها
وبروا وعدلوا ومن ثم لما رمى بعض الكوفيين سعد بن
ابي وقاص رضي الله عنه لما كان اميرا على الكوفة بعدم العدل
فيهم دعا عليهم بدعوات استجيبت فيه عاجلا حتى
صار عبرة للناس ومنها ان الله يطيل عمره ويعرضه الفتن
فكان وقد ذهب حاجبيه قد سقط على عينيه من الكبر يتعرض
للجواري في الاسواق ويقول شيخ سوا اصابته دعوة العبد
الصالح سعد رضي الله عنه ومما يدل على انهم اغنيا نزاهة
لا غير انهم زهدوا في الدنيا بضم الدال وحكى ابن قتيبة
كسرها فعلى من الدنو اي القرب لسبقها للاخرى وقيل
لدنوها

لدنوها من الزوال وهي ما على وجه الارض وقيل كل المخلوقات
من الجواهر والاعراض ويطلق على كل من ذلك مجازا كما هنا
فان المراد بها هنا الاموال وتوابعها من نحو الجاه والكبر والفخر
والخيلا ولفظها مقصور بلا تنوين حيث لا لام فيها وحكي
تنوينها واستشكل ابن مالك استعمالها نكرة كما في
الحديث واجاب بانها انخلعت عنها الوصفية واجريت
مجرى ما لم يكن وصفا قط كرجعى ثم الصحابة رضوان الله
عليهم في الزهد فيها وهو اخذ ما يحتاج اليه منه على
قسمين فاكثرهم ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل
بالعلوم والمعارف ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق
من اوقاته شيئا الا وهو مشغول بشيء من ذلك وكثير
منها حصلوها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى كما امروا وهذا
لا ينافي زهدهم فيها لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل
لاخراجها على مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم
واذا تقررت زهدهم بقسميهم فيها حقيقي فما عرف
الميل اليها منهم بنوع التفات ولا اقبال لحقارتها
في اعينهم ولا الرغباء اي الزيادة في تحصيلها وهذا
علم من نفي الميل بالاولى فذكره مجردا ايضاح وفيه من
البديع ذكر النظر والتذييل ولا ينافي هذا ثناؤه صلى
الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح في يد
الرجل الصالح ودعاؤه به لاناس من اصحابه كابن عوف

وانس وغيرهما فكثرة اموالهم جدا لان المال له جهات جهة خير
تصرفه في الطاعات والاعانة به علي قيام امور الديانات وبالنظر
اليها يثني عليه وجهة شر تصرفه في ضد ذلك وبالنظر
اليها يذم ويقبح ولهذا قال صلي الله عليه وسلم في الحديث
الوارد بسند حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم من احبني فاقلل
ماله وولده الحديث وقد بسطت الكلام علي ذلك مع استيعاب
ما ورد في مدح الدنيا وذمها والجمع بين تلك الاحاديث في كتابي
سعادة الدارين في صلح الخويين بما لا يستغني عن مراجعته
ارخصوا في الوغي اي بسبب الحرب الواقع منهم لاعدايهم
في الوقايع المشهورة ومران اطلاق الوغي علي الحرب مجاز
لا حقيقة نفوس ملوك كثيرين حاربوها بقوة عزم
وشدة حزم وصدق نية واخلاص طوية فنصرهم الله
عليهم بقتل بعضهم تارة وازالة ملك اخرين اخري
اسلابها بفتح الهمزة جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب
القتيل وفرسه وما عليهما من الات السلاح والنفل
وجنيبة يقاد بين يديه وليس المراد خصوص جمع القلة
لانه جمع مضاف للملوك الذي هو جمع الكثرة واضافة الجمع تفيد
عمومه اما في الافراد وهو التحقيق او في الجموع وعليه
كثيرون اغلاء بكسر الهمزة اسم مصدر لغلي السعر بمعني
اسم الفاعل اي غالية الاثمان وفي بعض النسخ ضبطه
بفتح الهمزة وكانه جمع غال كداو دواء وبه يندفع قول الشارح

لاوجه

لا وجه له انتهي بل وجهه اظهر من الاول لان حمل المصدر واسمه
علي الجمع يحتاج لتاويل كما اشرت اليه بخلاف الجمع علي الجمع واما
قوله علي المعني الاول ان المعني انه كما كان القتل ارخاصا للنفوس
فالاسلاب اي اخذها اغلا للاسلاب وقال قبله علي المعني
الاول ايضا وكان اي الناظم يقول انهم كما ارخصوا نفوس
محاربيهم بالقتل فقد اغلوا اسلابهم بواسطة كثرة ما
سلبوه واجتمع عندهم من الاسلاب فقابل بين ارخاص
الانفس واغلا الاموال التي هي الاسلاب الماخوذة ممن
قتلوه لكثرة ما قتلوه وسلبوه انتهي ففي كل من المعنيين
بعد وخفا والوجه ان المعني عليه انهم كما ارخصوا تلك
النفوس عوضهم الله تلك الاسلاب الغالية الاثمان علي
حذر حل عدل اي عادل وربما عدل اي عادلون فكان
المصدر هنا اوله باسم الفاعل فكذا ينبغي فيه يوول
الاغلا بالغالية وهذا هو المعني علي فتح الهمزة فساوي
المكسور المفتوح وكلهم في احكامه جمع حكم والحكم
الشرعي خطاب الله المتعلق بفعل المكلف بالاقتضا او
التخيير وحكم الحاكم بنظير ذلك ويطلق ايضا عند الاصوليين
علي النسب التام المثبتة تارة والمنفية اخري كما في
قولهم الفقه العلم بالاحكام الشرعية وهذا هو المراد
هنا خلافا لما يوهمه كلام الشارح ذو اجتهاد صحيح
لتوفر شروط الاجتهاد كلها في جميعهم بزيادة ولذلك

لم يعرف عن احد منهم انه قلد غيره في مسيلة من
المسايل وكان الناس يستفتون كل من راوه فيفتيه
باجتهاده ولا نعترض احد منهم على احد الا ان كان هناك
نص صريح خولف فيذكر لهم فمنهم من يرجع اليه ومنهم من
يووله او يعارضه بمثله وهذا رد على قوم سلبهم الله
الدين والعقل وسلط عليهم الحمق والجهل فاعتقدوا
انهم ذووا اهوي او نفس او حظ او بغض حاشاهم الله
من ذلك بل لم يخترهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم
الا وهم على اكمل الاوصاف واجلها و ذووا صواب يعني
وذووا ثواب ولو عبر به لكان اولي لا ابقاه على حقيقته
انما ينباني على القول الضعيف ان كل مجتهد مصيب وان
حكم الله تابع لظن المجتهد اما على الاصح ان المصيب واحد
وان له اجرين كما صح به الخبر او عشرة اجور كما في رواية
وللمخطي اجر واحد كما صح به الحديث ايضا فلا يقال كلهم
ذو صواب بل صوابه ذو ثواب كما تقرر فتامل فعلى الاول
كل من علي ومعاوية رضي الله عنهما مصيب وعلى الثاني علي
مصيب له اجران او عشرة اجور ومعاوية في خروجه
على علي مخطي له اجر واحد والاجتهاد بذل الوسع في
تحصيل المقصود ثم ان وافق ما عند الله فصواب
والا فخطا فان قلت يمكن تاويل النظم بان مراده ذو صوا
عند نفسه باعتبار انه يتحتم عليه العمل بما ظنه وان
لم

لم يكن صوابا في نفس الامر قلت هو تاويل بعيد على
ان هذا لو كان مراده لم يسغ له هذا الاطلاق الموهم وكلهم
اكفاء اي متكافيون في اصل الصحبة والفضيلة والعلم
والاجتهاد وابراز الاحكام لله لا لحظ ولا هوي وانما يتفاوتون
في الزيادة في ذلك وحينيذ فلا ينافي ذلك قول ابن عمر ابو
بكر اعلمنا ولا سال عمر لعلي فيجيبه فيقول لا ابقاني الله لامة
لست فيها يا ابا الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على اكابر
مشيخة المهاجرين والانصار لانه كان يجد عنده من العلم
ببركة دعا النبي صلى الله عليه وسلم له بان الله يفقهه في الدين
ويعلمه التاويل ما ليس عندهم ولا سوال معاوية لعلي بالارسال
اليه بالمشكلات فيجيبه ولقد قال له احد ابنيه لم تجيب
عدونا فقال اما يكفينا ان احتاج الينا وسالنا واجمعوا
على ان افضل الناس بعد الانبيا ابو بكر ثم عمر ثم علي والاصح
عثمان ثم علي ثم بقية العشرة المبشرون بالجنة ثم اهل بدر
ثم اهل بيعة الرضوان وقيل اهل احد رضي الله عنهم ورضوا
عنه اقتباس من قوله تعالى والسابقون الاولون الى ان
قال رضي الله عنهم ورضوا عنه ورضى الله عن العبد تامينه
من سخطه واحلاله تعالى دار كرامته ورضى العبد عنه ان لا يختلج
في سره ادني حزازة من وقوع قضا من اقضيته الحقه بل
يجد في قلبه برد اليقين وثلج الصدر وشهود المصلحة العظمي
وزيادة الطمانينة وبين رضي ورضوان اشتقاق كخطو وخطا

الانبيا و بسبب ماذكر من اوصافهم وختمها في الاية في مقتم
اني استفهام انكاري تعجبي اي كيف يخطوا اليهم اي يصل
اليهم اذ الخطوة ما بين القدمين خطا وهو نقيض الصواب
يعني لا يعطي احد منهم خطا ياثم به لامر انهم كانوا مجتهدين
وان المجتهد اذا اخطا له اجر واحد وهذا كالذي قبله ماخوذ من عددة
احاديث ذكرتها في الصواعق السابق ذكره مع ذكر مخرجيها وهنا
اذكر منها جملة عرية عن ذكر الكلام على اسانيدها ثم منها ان
الله اختارني واختار لي اصحابي فجعل لي منهم وزرا وانصارا
واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا اي فرضا ولا نفلا
وفي رواية فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن
لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان
ياخذه اذا اراد الله بعبد برجل من امتي خيرا القي حب اصحابي
في قلبه اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم الله الله في اصحابي
لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن
اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه ما شانكم
وشان اصحابي ذروا لي اصحابي ذروا لي اصحابي فوالله نفسي بيده
لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما ادرك مثل عمل احدهم يوما
واحدا وفي رواية للشيخين وغيرهما لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي
بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا

نصفيه

نصفيه من لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني خير الناس
قرني الذي انا فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث وهو
اول داخل في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولا مقام
اعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله
عليه وسلم ونصرته جا الى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من
الصحابة من بعد قوم وهكذا السابقون الاولون ثم الذين
بعدهم وهكذا الى وفاته صلى الله عليه وسلم وكان الناظم اشار
بهذا الى ما في اول صحيح البخاري عن هرقل انه سال ابا سفيان
رضي الله عنه عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ايزيدون ام
ينقصون فقال بل يزيدون وانه هل يرتد احد منهم سخطة
لدينه فقال لا فبين له ان من شان الرسل ان اصحابهم كذلك فعلم
ان مجي الصحابة قوما بعد قوم من علامات نبوته صلى الله عليه
وسلم واندفع ما قد يقال اي فايدة في هذه الجملة من كلام
الناظم وهل هي الا مجرد اخبار بواقع لا يترتب عليه فايدة اذ لا
فرق بين مجيهم اليه دفعة واحدة او دفعات وكلهم متلبسون
بحق فلا مطعن فيهم لطاعن وما نقمه الرافضة ونحوهم
عليهم فلم يصح منه شي اصلا وانما هو من تقولات الجاهلين
ووضع المفترين وعلى النهج اي الطريق الواضح الحنيفي اي
المستقيم الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج جاوا كلهم وتابعوهم
باحسان وهكذا لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق
لا يضرهم من خالفهم حتى ياتيهم امر الله وهم على ذلك

ما لموسي كليم الله تعالي ولا لعيسي روح الله صلى الله عليه وسلم
حواريون جمع حواري وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة علي
اصحاب عيسي عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا يحورون الثياب
اي يقصرونها او من الحواري وهو الرفيق الابيض لبياض الوانهم
في فضلهم بشهادة اية كنتم خير امة اخرجت للناس وحديث
خير القرون قرني وفي رواية خير الناس قرني وحديث المناجات
ان موسي راي لهذه الامة في اللوح المحفوظ اوصافا بهرته
فقال يا رب اجعلني منهم ولا نقباء في فضلهم ايضا وهو لف
ونشر مشوش اذ الحواريون لعيسي والنقبا لموسي ولما
اقسم بالصحابة كلهم اجمالا خصص العشرة المقطوع لهم بالجنة
مرتبا للاربعة فالاول منهم علي ترتيبهم في الافضلية
والاحقية بالخلافة فقال واقسم عليك بابي بكر الصديق رضي
الله تعالي عنه فهو عطف علي بالعلوم بحذف حرفه وجميع انه
وما بعده ابدال تفصيلية من باصحابك الذي يميز عن ساير
الصحابة رضي الله تعالي عنهم بما كانوا الصريح في انه الخليفة
الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه افضلهم بل افضل
ما عدا الانبيا والمرسلين كما صح به حديث ما طلعت الشمس
ولا غربت علي احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر وهو
ما صح من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما
بالضرورة كما قاله الاشعري ولذا لم يستطع احد من المبتدعة
انكاره صح للناس به في حياتك الاقتدا فاعل صح والظروف

متعلقة

متعلقة به ومن ذلك الطرق ما اخرجه الشيخان اشتد مرض النبي
صلى الله عليه وسلم فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عايشة
رضي الله عنها يا رسول الله انه رجل رقيق القلب اذا قام مقامك لم
يستطع ان يصلي بالناس فقال مري ابا بكر فليصل بالناس فعادت
لقولها فقال مري ابا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فاتاه
الرسول فصلي بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
رواية انها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولي له يامر عمر فقالت
له فاشتد غضبه وقال مروا ابا بكر وفي اخري ان الحامل لعايشة علي
ذلك خوفها يتشاوم الناس لقيامه مقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه وفي اخري انه امرهم بالصلاة
وكان ابو بكر غايبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال صلى الله عليه
وسلم بعد ان اخرج راسه مغضبا لا لا يابي الله والمسلمون الا ابا بكر
ثلاثا وفي اخري انه خرج فجر الاثنين يوم موته كشف حجرته فراهم
في صلاة الصبح وابو بكر يصلي بهم فتبسم يضحك فنكص ابو بكر
علي عقبيه ظانا انه يريد الخروج اليهم وهم المسلمون ان يفتتنوا
في صلاتهم فرحا به صلى الله عليه وسلم فاشار اليهم بيده ان اتموا
صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخي الستر فتوفي صلى الله عليه وسلم
ضحي وفي البيت التلميح بهذه القصة قال العلما فيه اوضح دليل
علي انه افضل الصحابة مطلقا واحقهم بالخلافة واولاهم بالامامة
ومن ثم اجمعوا علي ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار
مع قوله يؤم القوم اقروهم لكتاب الله تعالي اي اعلمهم بالقران

مطلقا وقد استدل الصحابة انفسهم بهذا علي انه احق بالخلافة
منهم حتي علي قال لقد امره النبي صلي الله عليه وسلم ان يصلي
بالناس واني لشاهد وما انا بغايب وما بي مرض فرضينا لدنيانا
من رضيه النبي صلي الله عليه وسلم لديننا وما احسن قول
من قال صلي بنا ثمانية ايام والوحي ينزل فسكت الله وسكت
رسوله صلي الله عليه وسلم وسكت المومنون ومن الظواهر
والصرايح علي خلافته ايضا ما اخرجه مسلم انه صلي الله عليه وسلم
قال لعايشة في مرض موته ادعي لي ابا بكر واخاك حتي اكتب
كتابا فاني اخاف ان يتمني متمن ويقول قايل انا اولي ويابي
الله الا ابا بكر وفي رواية اكتب لابي بكر كتابا لا يختلف عليه
اهله ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المومنون في ابي بكر
واخرج الشيخان ان امراة اتته فامرها ان ترجع اليه فقالت ارايت
ان جيتك ولم اجدك كانها تقول بعد الموت فقال صلي الله عليه
وسلم ان لم تجديني فاتي ابا بكر ومنها ما اخرجه الشيخان من
عدة طرق روي علي بير لم تطو بنزع منها بدلو فاخذ الدلو من
يده ابو بكر فنزع بها دلوا او دلوين ثم اخذها عمر من ابي بكر
فاستحالت في يده غربا اي دلوا كبيرة فاستقي بها حتي ضرب
الناس بعطن اي حتي رووا قال العلما هذه اشارة الي خلافة
ابي بكر رضي الله عنه وقصر مدته وطول مدة عمر رضي الله
عنه وكثرة الفتوح وظهور الاسلام في زمنه وثبت ادلة اخري
سمعية ايات واحاديث كثيرة يدل علي حقيقة خلافته وانما فصلهم

واعلم

واعلم بينتهما تبيان في كتابي الصواعق السابق ذكره والمهدي
اي المسكن للفتنة والاضطراب يوم السقيفة التي لبني
ساعدة من الانصار حكي اجتمعوا بعد دفنه صلي الله عليه وسلم
فيها الي سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه لما اي حين
رجف الناس اي اضطربوا في امر الخلافة وبين المهدي
اي المسكن وارجف والقربي والاباعد ويقرب ويبعد الطباق
انه تعليل للمهدي ولا ينافيه كسر ان لانها مع كونها
للاستيناف قد تفيد التعليل ايضا كما صرحوا به في ان
الحمد والنعمة لك في التلبية الداحي اي المسكن للاضطراب
لا غيره وكان مراده ان المشهور قديما وحديثا بانه
يسكن الفتن ويجلي كربها وفي الصحيحين عن عمر رضي الله تعالي
عنه انهم لما دفنوا النبي صلي الله عليه وسلم تخلف علي والزبير
ومن معهما في بيت فاطمة وتخلفت الانصار باجمعهم في سقيفة
بني ساعدة واجتمع المهاجرون الي ابي بكر فقال له عمر انطلق
بنا الي الانصار فذهبوا اليهم فلما جلسوا قام خطيبهم
فخطب واثني علي الله تعالي ثم مدح الانصار واطنب بحيث
لم يترك اية او خبرا فيهم الا ذكره ثم ذكر ان قوما يريدون
ان يستبدلوا بالامر عليهم ثم سكت فاراد عمر ان يخطب
بما زوره اي جمعه في قلبه فاشار اليه ابو بكر بالسكوت ثم
خطب واثني علي الله واثني علي الانصار ثم بين ان الخلافة
لا تكون الا في قريش واحتج بالحديث الصحيح الايمة من

قريش ثم قال قد رضيت لكم اما عمر واما ابا عبيدة فاخذ بيدهما
وقال بايعوا من شيتم منهما فقام الحباب بن المنذر وتحمس وترفع
ثم قال منا امير ومنكم امير فكثر اللغط وخيفة الفتنة فبادر
عمر وقال لابي بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون
ثم الانصار فقال قايل قتلتم سعد بن عبادة اي لانه كان به
مرض فقال عمر قتله الله اي لان الاجتماع عنده ربما كان سببا
للفتنة فساغ لعمر باجتهاده وانه بالنسبة اليه كالشيخ بالنسبة
الي تلميذه يوديه بما يراه ان يقول في حقه وصح ان عمر
احتج علي الانصار بامامة ابي بكر فرجعوا عما كانوا فيه وقالوا
نعوذ بالله ان نتقدم ابا بكر ولما بايعوه صعد الغد وجلس
علي المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله ثم اثني علي ابي بكر
ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه الناس بيعته العامة
فخطب ابو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان
احسنت فاعينوني وان اسات فقوموني اطيعوني
ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا
طاعة لي عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فيا فتكلم عليه
فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبايعه فلم ير عليا فدعا به فيا فتكلم عليه فقال لا تثريب
يا خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم فبايعه واستدل
كل منهما حينيذ علي احقيته بالخلافة بانه صاحب الغار
وبتقديمه للامامة وحكي ابن مسعود وغيره ان الصحابة

اجمعوا

اجمعوا علي خلافة ابي بكر لم يتخلف عنها احد منهم ثم تبعهم
من بعدهم من اهل السنة والجماعة الي الان ثم هلم جرا
ولذا اكثر الفرق واقسم عليك يا ابي بكر للفاعل كذلك حال كونه
كرم الله وجهه انقذ بالقاف والذال المعجمة الدين
وهو ما جا به النبي صلي الله عليه وسلم اي نجاه بازالة
كل شبهة عنه واهله بازالة اسباب الفساد بينهم بعد
ما مصدرية كان اي وجد للدين متعلق هو وما بعده
باسمها وهو اشفا علي كل كريه اي عم باخذ النفس
وبيع كونها ناقصة وللدين خبرها اشفا اي اشراف وقرب
تخشي منه ان لا يجتمع للاسلام بعده شمل ابدا ومن ثم
قال ابو هريرة رضي الله عنه والله لولا ابو بكر ما عبد الله
بعد محمد صلي الله عليه وسلم ابدا وايضا كلهم يوم وفاته
صلي الله عليه وسلم طاشت عقولهم حتي تكلموا بكلمات
غير منتظمة الا ابا بكر فانه كان غايبا فلما حضر دخل وكشف
عن الوجه الكريم فقبله وقال طبت حيا وميتا لا يجمع الله عليك
بين موتتين ثم خرج فتلي عليهم وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل الي الشاكرين فلما سمعوها ردت
عليهم عقولهم فتلوها وقالوا حتي عمر انكر موت النبي صلي
الله عليه وسلم وقال ذهب الي ربه فسكتوا فاسكته ابو
بكر فسكت فاقبل علي الناس فصغوا اليه وتركوا عمر فقال
يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن

وكان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلي الاية فقالوا كاننا لم نسمعها
الا حينيذ فكان هو المثبت لهم حينيذ والالم يجتمع لهم شمل وايضا
اختلفوا في محل دفنه اختلافا شديدا كاد ان يفضي الي الفتنة فروي
لهم الحديث ان كل نبي يدفن في المحل الذي توفي فيه فرجعوا
اليه وزال ما كان بينهم وايضا اختلفوا في ارثه اختلافا شديدا
حتي روي لهم الحديث المشهور نحن معاشر الانبيا لا نورث
ما تركناه صدقة فرجعوا اليه وبهذا اعلم انه رضي الله تعالي
عنه كان احفظهم للسنة وانما سبب قلة الرواية عنه قصر
مدة خلافته واشتغاله بقتال المرتدين ومانعي الزكاة ،،
وبمسيلمة الكذاب وحال كونه انفق المال الكثير الذي يملكه
اي صرفه في مصارف الخير حتي نفذ جميعه في اي سبب او من
اجل رضاك يا رسول الله كما جاء به القران قال تعالي وسيجنبها
الانقي الذي يوتي ماله يتزكي الي اخر السورة قال ابن الجوزي اجمعوا
انها نزلت في ابي بكر ففيها التصريح بانفاقه لماله وبانه الاتقي
الاكرم بدليل ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم هو الافضل
كما صح به الحديث الصحيح ما صحب النبيين والمرسلين ولا
صاحب يسين اي المذكور في سورة يسين اي حبيب النجار ،،
افضل من ابي بكر وصح حديث انه ليس من الناس احد امن
علي في نفسه وماله من ابي بكر ولو كنت متخذا خليلا غير
ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام افضل سدوا
عني كل خوخة في هذا المسجد الا خوخة ابي بكر اي لانه سيصير

خليفة

خليفة يحتاج الي ملازمة المسجد واخرج الترمذي حديث ما لاحد
عندنا يد الا وقد كافاناه ما خلا يد ابي بكر فان له عندنا
يدا يكافيه الله بها يوم القيامة ولا نفعني مال احد قط
ما نفعني مال ابي بكر والطبراني ما احد عندي اعظم
يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله وانكحني ابنته
والترمذي رحم الله ابا بكر زوجني بنته وحملني الي دار
الهجرة الا بالثمن لاحتمال انه ابراه منه وصح انه كان بينه
وبين عمر شي فساله ان يغفر له فابي فذكر للنبي صلى الله عليه
وسلم فقدم عمر فاتي منزل ابي بكر فلم يجده فاتي النبي
صلى الله عليه وسلم فجعل وجهه يتغير حتي اشفق
ابو بكر فجثي علي ركبتيه فقال يا رسول الله انا كنت اظلم
منه مرتين فقال صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم
فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت وواساني بنفسه ،،
وماله فهل انتم تاركوا لي صاحبي ما شانكم وشانه فوالله
ما منكم رجل الا علي باب بيته ظلمة الا باب ابي بكر فان علي بابه
النور ولقد قلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت وامسكتم الاموا
وجاد لي بماله وواساني واتبعني واخرج احمد واخرون ،
عن الجماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال ما
نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر فبكي ابو بكر رضي الله
عنه وقال هل انا ومالي الا لك يا رسول الله وفي رواية عن
ابن المسيب رضي الله عنه مرسلا كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه

وحملني الي دار الهجرة
بلالا من ماله وما نفعني
في الاسلام ما نفعني مال
ابي بكر ولا بنيا فيه حد
والبخاري انه صلى الله عليه
لم يأخذ منه الراحلة الى
الهجرة الا بالثمن احتمالا
انه ابراه منه وصح انه
بينه وبين عمر شي

واخرج ابن عساكر انه اسلم وله اربعون الف دينار وفي رواية درهم
فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبغوي وابن
عساكر انه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عباءة قد
خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد مالي اري
ابابكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال صلى الله عليه
وسلم يا جبريل انفق ماله علي قبل الفتح قال جبريل ان الله
يقرا عليك السلام ويقول لك قل له اراض انت عني في فقرك هذا
ام ساخط فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه اسخط على ربي انا
عن ربي راض ثلاثا وسنده غريب ضعيف جدا وفي رواية ان جبريل
هبط متخللا بخلال نفسه واخبر ان الله امر ملايكة ان يتخللوا بها
كابي بكر قال الحافظ ابن كثير وهذا منكر جدا ولولا انه كالذي قبله
يتداوله كثير من الناس لكان الاعراض عنهما اولي وصح عن عمر
رضي الله تعالى عنه امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق
فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم اسبق ابا بكر مع اني ما سبقته
يوما قط فجيت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ابقيت لاهلك يا عمر قلت النصف ثم جا ابو بكر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك يا ابا بكر فقال ابقيت لهم
الله ورسوله فقلت لا اسبقه الي شي ابدا و الحال انه
لا يمن منه عليك بما انفقه وان كثر وانما المنة لك عليه وعلي
غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر النعمة على جهة
الافتخار ومن ثم حرم تحريما غليظا علي نحو متصدق
المن على المتصدق عليه بان يعدد عليه ما اعطاه له

او

او تذكره لمن لا يحب اطلاعه عليه قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذي واعطى لله تعالى عطا جما اي كثيرا في وجوه الخير العامة والصالح
الدايمة منها اعطاوه ثمن محل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما في حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم لما وصل قبا واقام به
بضعة عشر يوما ركب ناقته ونهي ان ياخذ احد بزمامها وقال
دعوها فانها مامورة فاستمرت الي ان بركت عند محل مسجده صلى
الله عليه وسلم ثم سارت وهو عليها حتي بركت علي باب ابي ايوب
الانصاري من بني النجار احد اخوال جد النبي صلى الله عليه وسلم
عبد المطلب وكانت دارهم اوسط دار الانصار وافضلها ثم
قامت وبركت في مبركها الاول والقت باطن عنقها بالارض
ثم صوتت من غير ان تفتح فاها فنزل صلى الله عليه وسلم
عليها وقال هذا المنزل ان شا الله تعالى ثم ساوم بني النجار
في تلك البقعة فاشتراها منهم بعشرة دنانير وزنها من
مال ابي بكر رضي الله عنه وكان قد خرج بماله كله وكان له من
السبب في المسجد الاعظم ما اقتضي وصول ثوابه الي حد لا يقدر
قدره الا الله تعالى واشتري ايضا جماعة اسلموا كانوا يعذبهم
اهل مكة العذاب الاليم منهم بلال وغيره واعتقهم ولا اكدا
اي ولم ينقطع عطاه بل استمر عليه حتي توفاه الله تعالى وابي
اي واقسم عليك بابي حفص الذي اظهر الله به الدين
كما جا في سبب تسميته بالفاروق اخرج ابو نعيم في الدلايل
وابن عساكر عن ابن عباس انه سيل عن تسميته بالفاروق

انه

عند كران حمزة اسلم قبله بثلاثة ايام وانه خرج الي المسجد فسب
ابو جهل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر حمزة فاخذ قوسه
وجا فضرب بها احد صدغي ابي جهل فقطعه فسالت الدما
فاصلحت بينهما قريش مخافة الشر والنبي صلى الله عليه وسلم
مختف بدار الارقم فانطلق حمزة فاسلم وبعده بثلاثة ايام
انكر عمر علي من اسلم فقال له ان اختك وختنك اي سعيد بن زيد
احد العشرة المبشرين بالجنة قد اسلما فجا فضرب راس اخته
فادماه فقالت له كان ذلك علي رغم انفك فاستحي حين
راي الدما وجلس وسالها ان تريه الكتاب فقالت له ،،
لا يمسه الا المطهرون فاغتسل فاخرجوا له صحيفة فيها
بسم الله الرحمن الرحيم طه ما انزلنا عليك القران لتشقي
الا تذكرة لمن يخشي الايات فقطمت في صدره فقال
له خباب وكان النبي صلى الله عليه وسلم ارسله ليعظ
اخته وزوجها اني لارجوا ان يكون الله خصك بدعوة
نبيه فاني سمعته امس يقول اللهم اعز الاسلام بعمرو
ابن هشام اي بابي جهل او بعمر بن الخطاب فقال دلني عليه
فتوشح سيفه وذهب الي النبي صلى الله عليه وسلم فضرب
الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر قال
وعمر افتحوا الباب فان اقبل قبلناه وان ادبر قتلناه
فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر
فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها اهل المسجد فقلت يا رسول

الله

الله السنا علي الحق قال بلي فقلت ففيم الاخفا فخرجنا
صفين انا في احدهما وحمزة في الاخر حتي دخلنا المسجد ،
فنظرت قريش الي والي حمزة فاصابتهم كابة شديدة
فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يوميذ
وفرق الله بي بين الحق والباطل وفي رواية انه لما اظهر
اسلامه صاروا يضربونه ويضربهم حتي اجاره خاله
قال فما زلت اضرب واضرب حتي اعز الله الاسلام وصح انه
لما اسلم نزل جبريل فقال يا محمد قد استبشر اهل
السما باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف
القوم اليوم منا وانزلت يا ايها النبي حسبك الله ومن
اتبعك من المومنين وابن ابن مسعود قال ما زلنا اعزة
منذ اسلم عمر وقال ايضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا ،،
وامامته رحمة ولقد رايتنا وما نستطيع ان نصلي الي
البيت حتي اسلم عمر رضي الله تعالي عنه فقاتلهم حتي تركونا
وخلوا سبيلنا وان حذيفة قال لما اسلم كان الاسلام
كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام ،،
كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا بسبب قوته في الله
تعالي وشدة شكيمته كما علم مما تقرر ارعوي
اي رجع واقلع وانكف الرقبا اي الاعدا عما كانوا عليه
من الافساد في الدين وعدم النصح له وايذا النبي صلى
الله عليه وسلم والصحابة بالامور العظيمة التي كانوا ،،

بفعلونها معهم وهو ايضا الامام العدل القوي في الله الوني
ينطق الحق علي لسانه وقلبه فلذلك يقرب الاباعد عنه
في النسب في اي بسبب اولاجل رضي الله اليه متعلق
بتقربه فيكون بذلك اولي عنده من اقاربه الذين ليسوا كذلك
كما طال انقاوفي هذا البيت من انواع البديع العكس نحو
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الاية والاكتفا وهو حذف
الشي دل عليه ماقبله كما قدرته ورد العجز علي الصدر
والارصاد وهو ان يتقدم علي الروي ما يشعر به نحو وظلمناهم
الاية ونبعد عنه القربا اي قرباوه اذلم يوافقوه
علي طاعة الله تعالي فعلم انه لا يحابي قريبا ولا صديقا
وانه لا مربا عنده ولا سمعة ولا حمية ولا عصبية وان
محض نظره هو الله لا غيره وطاعته به هي المقربة
منه وضدها هو المبعد عنه عمر بن الخطاب من
موصولة قوله الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل
ومن حكمه السوي الذي لا اعوجاج فيه السواء
تاكيد المعتدل وهو اولي من جعل الشارح السوي صفة
حكم والسوا خبره لاقتضائه تغايرها وليس كذلك
فر اي هرب منه الشيطان اي ابليس وكل عات
متمرد جني او انسي اذ اي لاجل انه كان فاروقا ظاهره
ان سبب تلقيبه بالفاروق كون الشيطان فر منه وليس
مراد الناظم ان سببه ان الله فرق به بين الحق والباطل كما
صحت

٢٢٠

صحت به الاحاديث بسبب مامنحه الله تعالي من النور الذي يفرق
به بين الحق والباطل ويفر منه الشيطان بسببه للنار التي هي
اصل الشيطان من سناه بالقصر بضوئه اذ ورا اي امحا
والاصل في ذلك احاديث صحيحة منها حديث يا ابن الخطاب
والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك
فجا غير فجك وحديث ان الله تعالي جعل الحق علي لسان
عمر وقلبه وانه ما نزل بالناس امر قط فقالوا وقال عمر
الا نزل القران علي نحو ما قال وحديث ان الله وضع الحق
علي لسان عمر يقول به وحديث ان الشيطان ليفر منك
يا عمر وفي رواية اني لانظر الي شياطين الجن والانس قد
فروا من عمر وفي اخري اتاني جبريل فقال اقرئ عمر السلام
وقل له ان رضاه حكم وغضبه عز وفي اخري الحق بعدي
مع عمر حيث كان وفي اخري ان الشيطان لم يلق عمر منذ اسلم
الا خر لوجهه وفي اخري الصدق بعدي مع عمر حيث كان وفي
اخري عمر معي وانا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان
وصح حديث ما طلعت الشمس علي خير من عمر وروي
احمد وغيره انه صلي الله عليه وسلم قال له يا اخي اشركنا في صالح
دعائك ولا تنسنا وروي الشيخان انه صلي الله عليه وسلم
قال بينما انا نائم شربت لبنا حتي كاني انظر الي الري في اظفاري
فناولته عمر قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم وانه راه
وعليه قميص يجره قال فما اولت يا رسول الله قال الدين وصح

وحديث لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب

انه من الملهمين الذين ينطق الحق على لسانهم **وابن** اي واقسم
عليك بذي النورين ابي عمرو عثمان بن **عفان ذي** اي صاحب
الايادي اي النعم وهذا في اليد بمعنى الجارحة جمع ايدي
جمع يد فاتى الناظم به في اليد بمعنى النعمة ايضا **التي**
طال اي عظم وامتد **الى المصطفى** على الخلق كلهم اي
المختار فهو من الاصطفا وقيل المصطفى المنقى من
كل شين وكدر فهو من التصفية **بها** متعلق بقوله
الا بسط الاعطا **حفر البير** اي بير رومه وذلك انها
كانت ليهودي في الاشهر فقدم صلى الله عليه وسلم
المدينة وليس بها ما يستعذب غيرها فقال صلى
الله عليه وسلم من حفر بير رومه او من اشتراها فله
الجنة فاشتراها عثمان بعشرين الف درهم وحفرها وهي
موجودة الى الان فثوابها مستمر له الى قيام الساعة
وفي رواية ان عثمان لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم
فيها انها نعم البير اشترى نصفها بكرة وتصدق بها بمائة صح
واقتسماها يوما لهذا ويوما لهذا فجعل الناس يستقون
منها في يوم عثمان ليومين فلما راى صاحبها ان قد امتنع
منه ما كان يصيبه من ثمن الما الذي كان يبيعه للناس منها
باع من عثمان النصف الثاني بشي يسير فتصدق عثمان بها
كلها تنبيه تعبير الناظم بالحفر تبع فيه بعض الرواة وكانه
لم يبال بقول من قال ذكر الحفر وهم من بعض الرواة وانما المعروف

انه

انه اشتراها واجاب بانه لا مانع من انه اشتراها ثم زاد في
تعميقها مبالغة في تكثير مائها لشدة احتياج الناس اليها
ثم رايت بعض المتاخرين صرح بنحو ذلك وفي رواية ان القربة
منها كانت تباع بمد وانه صلى الله عليه وسلم طلبه من صاحبها
ان يبيعها له فاعتل بان له عيالا وليس له غيرها فبلغ عثمان
فاشتراها بخمسة وثلاثين الف درهم **جهز الجيش** اي جيش
العسرة اخرج الترمذي انه صلى الله عليه وسلم حث في غزوة
تبوك فقال عثمان رضي الله عنه يا رسول الله علي مائة
بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله ثم حض صلى الله عليه
وسلم على الجيش فقال عثمان يا رسول الله علي مايتا بعير
باحلاسها واقتابها في سبيل الله ثم حض صلى الله عليه وسلم
على الجيش فقال عثمان يا رسول الله علي ثلثماية بعير باحلاسها
واقتابها في سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد هذه وفي رواية حمل
عثمان في جيش العسرة على الف بعير وسبعين فرسا وصح انه
جا الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش
العسرة فنثرها في حجره فجعل يقلبها بيده ويقول ما ضر
عثمان ما فعل بعد اليوم وفي رواية انه بعث بعشرة
الاف دينار فصبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل
يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما
اعلنت وما هو كاين الى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها

وصح انه لما حوصر اشرف عليهم فقال انشدكم بالله ولا انشد
الا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة
فجهزتهم الستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من حفر بير رومة فله الجنة فحفرتها فصدقوه
فيما قال وصح عن ابي هريرة اشترى عثمان الجنة من
النبي صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر بير رومة
وحيث جهز جيش العسرة وصح انه استشهد اقواما
من اصحابه على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
يشتري هذا المربد ويزيده في مسجدنا وله الجنة واجره
في الدنيا ما تقي درجات له فاشتريته بعشرين الفا
ورددته في الجنة المسجد فشهدوا له فقال الخوارج عليه
صدقوا ولكنك غيرت ثم ذكر تجهيز الجيش وحفر البير
فصدقوه فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت
فقال ويلكم كيف يكون من هذا له مغيرا ثم ذكروا انهم
سيقولون ذلك في غيره فكان كذلك في علي خرجوا عليه
فاستشهد الصحابة على خصوصيات فشهدوا له فقالوا
صدقوا لكنك غيرت وفي رواية ان محمد بن ابي بكر لما دخل علي
عثمان وكان مع الخارجين استشهده ان النبي صلى الله عليه
وسلم زوجه ابنتيه وقال لو كانت عندنا ثنتي زوجناه وانه
بايع عنه في بيعة الرضوان وانه قال من يشتري هذا النخل

فيقيم

قبله المسجد وله مثله في الجنة فاشتراه عثمان وان المسلمين اشتد
جوعهم فبسط لهم على انطاع الحوادي بالسمن والعسل
فكان اول خبيص الحلوي في الاسلام وانهم ظمئوا ظما فحفر
لهم بير رومة فاعظم عليها النفقة ثم تصدق بها على
المسلمين الضعيف فيهم والقوي سواء وان الميرة انقطعت
عن المدينة فجاع الناس فاشترى خمسة عشر راحلة طعاما
فاخذ ثلاثة واعطى النبي صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة فدعا
له بالبركة فيما اعطى واما امسكه وانه اتى النبي صلى الله عليه
وسلم بالف اصفر فصبها في حجره فقال ما ضر عثمان ما فعل
بعد اليوم وانه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر
وعمر وعلي وطلحة والزبير فرجف حرا فقرعه بقدمه
وقال اثبت حرا فانما عليك نبي او صديق او شهيد كل ذلك ومحمد
يقول نعم تنبيه قال ابن مالك من احسن شواهد قول
الكوفيين واخرين انا او ترد بمعنى الواو وهذا الحديث الاخير
اهدى الهدي الى مكة وارسله اليها عام الحديبية حين،
فوجه صلى الله عليه وسلم اليها ومعه الف واربعمائة في
ذا القعدة سنة ست يريد العمرة فمنعته قريش من دخول
الحرم **لما** اي حين **ان صدوه** عن الدخول اليها **الاعداء** اي
المشركون وكان وجه تخصيصه بذلك ان هديه وصل الى مكة
بخلاف هدي غيره لكنه انما ذلك لعزة قومه بها دون غيره ففي
الخصوصية حينئذ تامل بل قضية اذنه الا في من تركه

الطواف ترك ارساله حيث لم يرسله صلي الله عليه وسلم ويجاب
باحتمال انه اخر هديه لغيبته حتي حضر بعد ذبحهم لهديهم
فحينيذ هو لم يرسله الا وقد ايسوا من ارسال هديهم فلي
مخالفة فيه للادب وتعبيره لما هنا بحين هو ما ذهب اليه جماعة
وقال ابن مالك انها بمعني اذ لانها مختصة بالماضي وبالاضافة
الي الجملة وهي تقتضي جملتين وحذفت الثانية عن وجود الاولي
ولذا قال فيها حرف وجود لوجود وجوابها اما ماض او جملة اسمية
مقرونة بالفا او باذا الفجائية ونحو فلما ذهب عن
ابراهيم الروع الاية يجادلنا في قومه فلما نجيكم الي البر اذا هم يشركون
وقد ترد
للاستثنا نحو ان كل نفس لما عليها حافظ في قراة من شدد الميم
وفي هذا كالسوي والسواو تبعد والاباعد وتقرب القربا واد ب
الادبا جناس الاشتقاق او شبهه والي رضي الله عنه لما ارسله
النبي صلي الله عليه وسلم الي اهل مكة ومعه الكتاب الذي فيه ما وقع
بين النبي صلي الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو المرسل من اهل مكة
ليقع الصلح بينهم علي انه يرجع في هذه السنة ولا يدخل مكة
ليلا يقول الناس انه دخلها كرها علي اهلها ثم يعود اليها
معتمرا السنة القابلة ويدخلها والاسلحة في غلفها ليكون
ذلك علامة علي الصلح وعلي وضع الحرب بينهم عشر سنين ثم
نقضوا الصلح فكان ذلك سببا لفتح مكة في السنة الثانية ولما
ارسله امسكه سهيل بن عمرو عنده بدله وفي رواية انه صلي الله
عليه وسلم قال لعمر اذهب فاستاذن لنا ليخلوا بيننا وبين

الكعبة فقال يا رسول الله ليس هناك احد من بني عدي ولكن ارسل عثمان
فان بني عمه يمنعونه فارسله ليكلم اشراف قريش في ان يرجعوا عن
صده عن دخول مكة وان يمكنوه من دخولها لاداها بقصده
من الاعتمار وتعظيم البيت بالبدن والهدي دون القتال فكلمهم
فلم يمتثلوا وعلي كل من القولين احتبسوه عندهم وقالوا له ان
شيت ان تطوف بالبيت فطف فابي اي امتنع حينيذ ان
يطوف بالبيت اذ تعليلية لم يدن اي يقرب منه اي البيت
الي النبي بيدن فنا وهو ما امتد من جوانبه ولما احتبسوه
بلغ النبي صلي الله عليه وسلم ان عثمان قتل فدعا الناس الي بيعة
الرضوان تحت الشجرة علي الموت وقيل علي ان لا يفروا ذكره
الحافظ مغلطاي ولما بايعه الناس علي ذلك وضع يمينه علي
شماله وقال هذه عن عثمان وفي البخاري فقال النبي صلي الله عليه
وسلم بيده اليمني هذه بيعة عثمان فضرب بها علي يده اليسري الحديث
وفي رواية للترمذي ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدي
يديه علي الاخري فكانت يد رسول الله صلي الله عليه وسلم لعثمان
خيرا من ايديهم لانفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا
وارسلوا عثمان وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالي
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله لقد
رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وبسبب ما وقع من
عثمان من امتثال امر النبي صلي الله عليه وسلم وذهابه الي العدو
ولم يبال باحتمال كونهم يقتلوه لشدة ما كانوا عليه من عداوتهم

للمسلمين لاسيما الاكابر منهم ومن تادبه مع النبي صلي الله عليه وسلم الادب البالغ لتركه
للطواف مع اذنهم له فيه جوزة عنها اي تلك الفعلة التي فعلها من
الذهاب اليهم والامتناع من الطواف ببيعة اي في بيعة رضوان
سميت بذلك لما في الاية الثانية من رضي الله عنهم بسببها يد من
نبيه اي عثمان بيضا اي بالغة في الكرم الذي عم الانام منها
الي مبلغ ضو الشمس وعمومه للعالم ولم لا تجازيه تلك اليد البيضا
بذلك والذي وقع منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة النبي
صلي الله عليه وسلم وعدم تمكينهم له من الدخول ادب عظيم جدا
عنده رضي الله عنه ومن عجيب هذا الادب انه حصل منه امر
عظيم مستغرب حسنه وذلك انه مع كونه تركا للفعل للعبادة
تضاعفت الاعمال التي في ذلك الفعل وهو الطواف اي ثم ثوابها
بسبب الترك لذلك الفعل لاجله صلي الله عليه وسلم فكان
الترك هنا افضل من الفعل لو وقع منه لانه ليس فيه هذا
الادب الذي بلغ به عثمان من السبق ما لم يبلغه غيره فلذا حق
ان يقال فيه وفي امثاله علي سبيل المدح حبذا الادب فهو
تتميم بديع وعثمان رضي الله تعالي عنه من اجل الادبا لانه كان
عنده من الحيا الذي هو منشا الادب ما لم يكن عند غيره
وهو من اجلهم كيف وقد صح انه صلي الله عليه وسلم قال
في حقه وقد استحي منه صلي الله عليه وسلم لما دخل عليه
في بيته ليس فجمع ثيابه الا استحي من رجل تستحي منه
الملايكة وروي من غير طريق اشد امتي حيا عثمان بن عفان

رضي

رضي الله عنه عثمان احيي امتي واكرمها عثمانا تحني بيمينه
تستحي منه الملايكة ان الملايكة تستحي من عثمان ولي نبي في الدنيا ووليي
كما تستحي من الله ورسوله انما يشبه عثمان بابينا ابرهيم عليه السلام
عثمان وليي في الدنيا ووليي في الاخرة لو ان لي اربعين ابنة زوجتك
واحدة بعد واحدة حتي لا يبقي منهن واحدة وما زوجتكها الا
بالوحي من الله تعالي وصح انه صلي الله عليه وسلم ذكر فتنة يعرفها
فمر عثمان فقال هذا يوميذ علي الهدي وانه صلي الله عليه وسلم
قال ان الله مقمصك قميصا اي موليك الخلافة فان ارادك المنافقون
علي خلعه فلا تخلعه حتي تلقاني فلذلك قال لهم يوم الدار رسول
الله عهد الي عهدا وانا صابر عنه وفي البخاري ان بعض اعدايه جا الي
ابن عمر ورماه بانه فر يوم احد وانه تغيب عن بدر وعن بيعة الرضوان
فرد عليه ابن عمر بان الله غفر له وعفا عنه ما وقع منه يوم احد وان
تغيبه عن بدر انما كان باذن رسول الله صلي الله عليه وسلم
لمرض بنته رقية وقال له ان لك اجر من شهد بدرا وسهمه
وان غيبته عن بيعة الرضوان انما هو لكونه كان اعز اهل مكة فارسله
في حاجته فكانت بيعة الرضوان فضرب صلي الله عليه وسلم
احدي يديه علي الاخري فقال هذه لعثمان قال العلما ولا يعرف احد
تزوج بنتي نبي غيره ولذا سمي ذا النورين وقال وهو محصور يوم
قتله انه اختبا عند ربه عشرا انه رابع اربعة في الاسلام وانكحه
صلي الله عليه وسلم ابنتيه ولا تغني ولا تمني ولا وضع يمينه علي
فرجه منذ بايع بها رسول الله صلي الله عليه وسلم وما مرت به جمعة

منذ اسلم الا واعتق فيها رقبة اي فجملة ما اعتقه الفان واربعماية
رقبة تقريبا ولا زني ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القران
علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وعلي اي واقسم عليك
بعلي وسبق عنه الاقسام به ايضا وانما لم يكتف به لان ذلك وقع
تبعا للمعجزة المقصودة بالذات وهي برئ عينيه بتفلته صلي الله
عليه وسلم فيهما وليبين ما هو مذهب اهل السنة واكثر اهل الفرق
من ان الخلافة والافضلية بينهم علي هذا الترتيب فاحق الصحابة
بالخلافة وافضلهم ابو بكر ثم عمر وهذا اجماع من الصحابة ومن
بعدهم كما حكاه جماعة من الايمة منهم الامام الشافعي رضي الله عنه
قطعي لا نزاع فيه يعتد به ثم عثمان ثم علي وهذا ما عليه الاكثرون فهو
ظني لا قطعي وخالف فيه سفيان الثوري ومالك وغيرهما فقالوا بافضلية
علي وان كان عثمان احق منه بالخلافة لاجماع اهل الشوري ثم الصحابة
علي خلافته مع الاشارة اليها من النبي صلي الله عليه وسلم كما سبقت
الاشارة الي ذلك ومما يصرح بافضلية عثمان علي علي ما صح عن ابن
عمر كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلي الله عليه وسلم فنخير ابا بكر
ثم عمر ثم عثمان وعن ابي هريرة رضي الله عنه كنا معاشر اصحاب
النبي صلي الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول افضل هذه الامة
بعد الانبيا ابو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم نسكت وهل يجب محبتهم
برعاية افضليتهم فيه تفصيل وهو انها ان كانت من حيث الدين والعلم
ومحبة رسول الله صلي الله عليه وسلم لهم وجب ترتيبهم كترتيبهم
المذكور وان كانت لنحو قرابة او احسان لم تجب رعايتها كذلك منو النبي
صلي

صلي الله عليه وسلم لاجتماعهما في اصل واحد وهو عبد المطلب
فهما كالغصنين اصلهما واحد ومن اي الذي دين اي اعتقاد فوادي
اي قلبي وداده اي حبه والولا له اي مناصرته والذب عنه
والرد علي من نازع في الخلافة ولم يبال بوقوع الاجماع عليها
وعلي من خرجوا عليه ونازعوه الامر ورموه بما هو بري
منه وذلك عملا بما صح عنه صلي الله عليه وسلم وهو اللهم
وال من والاه وعاد من عاداه ان عليا مني وانا منه وهو
ولي كل مومن بعدي ولتاكد الذب عنه لكثرة اعدايه من
بني امية والخوارج الذين بالغوا في سبه وتنقيصه حتي
علي المنابر خصه الناظم بذلك ولهذا اشتغل جهابذة
الحفاظ ببثّ فضايله نصحا للامة ونصرة للحق ومن
ثم قال احمد ما جا لاحد من الفضايل ما جا لعلي وقال اسماعيل
القاضي والنساي وابو علي النيسابوري لم يرد في حق احد
من الصحابة بالاسانيد الحسان اكثر ما ورد في علي فمن
ذلك ما صح ان الله يحبه وان رسوله يحبه بل روي الترمذي
انه كان احب الناس الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
والظاهر ان الطبراني وابو نعيم ان الله امدني باربعة
وزرا اثنين من اهل السما جبريل وميكايل واثنين من
اهل الارض ابي بكر وعمر وابن عساكر ان لكل نبي وزيرين اي
وصاحبي ابو بكر وعمر بل قد يستشكل ذكره الوزاده فيه
دونهما مع انها لم ترد فيه لفظا وقد يجاب

هنا نحلة كبيرة

بانها وردت فيه بمعناها على وجه ابلغ من لفظها وهو قوله انت
مني بمنزلة هارون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة من
هذا التشبيه كوزارة هارون اخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما
ومن ثم اخذ منها الشيعة انها تفيد النص على انه الخليفة بعده
وهو كذلك لولا ما ياتي قريبا المبطل لذلك الاستنباط ومما يؤيد
هذه الوزارة الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم اخاه دون غيره
وارسله موذنا على الناس ببراة في الموسم مع ان الخليفة على الحج
ابو بكر لان العرب لا يقبلون من يبلغ عن الكبير الا ان كان من
اهله وجلدته وانه استخلفه بمكة عند الهجرة حتى ادى
ودايعه وقضى ما عليه واتاه باهله فهذه كلها موذنة
بوزارة خاصة لم توجد في غيره فلذا ذكرها فقط على انه
وصفها بما هو اعظم منها واجل **وهو الاهل تتمة الوزرا**
تذييل مناسب لما قبله وفيه رد العجز على الصدر ومن تلك
السعادة ما امده صلى الله عليه وسلم به من المواخاة فقد
اخرج الترمذي اخى صلى الله عليه وسلم بين اصحابه فجا علي تدمع
عيناه فقال يا رسول الله اخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني
وبين احد فقال صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والاخرة
ومن العلوم التي اشار اليها بقوله انا مدينة العلم وعلي بابها
وفي رواية فمن اراد العلم فليات الباب وفي اخرى عن الترمذي
انا دار الحكمة وعلي بابها وفي اخرى عند ابن عدي علي باب
علمي واختلفوا في حكم هذا الحديث فجماعة صححه منهم النووي

علي

علي انه موضوع والحاكم صححه وصوب بعض الحفاظ المطلعين انه حديث
حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم ارسله الى اليمن ليقضي بينهم
فقال لا ادري ما القضا فضرب صدره بيده ثم قال اللهم اهد قلبه
وثبت لسانه قال علي فو الذي فلق الحبة ما شككت في قضا بين اثنين
وقيل له ما لك اكثر الصحابة حديثا فقال اني كنت اذا سالته انباني
واذا سكت ابتداني وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها ابو الحسن
يعني عليا ولم يكن احد من الصحابة يقول سلوني الا علي وذكر عند
عايشة فقالت انه اعلم من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم
الصحابة الى عمر وعلي وابن مسعود وقال والله ما نزلت اية الا وقد
علمت فيم نزلت واين نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا
عقولا ولسانا ناطقا وقال سلوني عن كتاب الله فانه ليس
من اية الا وقد عرفت بليل نزلت ام بنهار ام في سهل ام في
جبل ولاجل هذه العلوم الكثيرة التي افيضت عليه من تلك الحضرة
النبوية **لم يزده كشف الغطا يقينا** كما اخبر بذلك عن نفسه
بقوله لو كشف الغطا ما ازددت يقينا اي لانه حصل عنده من
البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والايمان
وصدق الرسل فيما جاوا به ما لا يزيد اليقين فيه رويته ذلك
عيانا واحترز بنفي زيادة اليقين نفسه عن زيادة ثمراته
فان عاقلا لا يشك ان عين اليقين اقوى من علم اليقين وان حق
اليقين اقوى من عين اليقين ودليله قال او لم تومن قال
بلى ولكن ليطمين قلبي فاثبت لنفسه حقيقة الايمان ويقينه

وطلب زيادة الطمانينة برؤية العيان فلا منافاة فيه لما قاله علي
كرم الله وجهه خلافا لمن وهم فيه بل للانتقال هو اي علي فضله
وعلمه وزهده وتقدمه علي من عدا الخلفا الثلاثة قبله وحقية
خلافته وقيامه فيها بما قام به من قبله وزيادة الشمس اي
مثلها في الظهور والاضاة التي لا يلتفت فيها الي مقول متقول
ولا عناد معاند كيف وهو مع ذلك ما عليه غطا اي سائر بل
هو ظاهر لكل احد وقد اخرج الطبراني عن ابن عباس قال
كانت لعلي ثماني عشر منقبة ما كانت لاحد من هذه الامة
وابو يعلي عن عمر قال اعطي علي ثلاث خصال لان يكون لي خصلة
منها احب الي من ان اعطي حمر النعم تزوجه ابنته وسكناه
المسجد واعطاه الراية يوم خيبر وصح عن ابن عمر نحو ذلك واخرج
الطبراني والخطيب حديث ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه
وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب وما احسن قول بعضهم له
لما دخل الكوفة والله يا امير المومنين لقد زينت الخلافة وما زينتك
ورفعتها وما رفعتك وهي احوج اليك منك اليها وقول احمد وقد
سال ولده عن علي ومعاوية اعلم ان عليا كان كثير الاعدا
ففتش له اعداوه فلم يجدوا فجاوا الي رجل قد حاربه وقاتله
فاطروه كيادا منهم له وصح خلافا لمن نازع فيه ان النبي صلى الله
عليه وسلم نام في حجره وهو يوحي اليه فغربت الشمس ولم يصل
العصر فلما سري عنه صلى الله عليه وسلم وعلم انه لم يصل العصر
دعا الله ان يرد الشمس فعادت حتي ظهر ضوها علي الجبال

فصلي

فصلي ثم غابت وفي هذا كرامة له باهرة ولعل الناظم اشار اليها
بتشبيهه بالشمس وعلم مما قدمته انه الحقيق بالخلافة
بعد الايمة الثلاثة بالاجماع ولا اكتراث ولا التفات الي من زعم
انه لا اجماع علي خلافته وهو اول من اسلم قال بعض الحفاظ
اجماعا اي من الصبيان واعتد باسلامه حينيذ لان الاحكام
اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ولم يعبد صنما قط ومن ثم اختص
بكرم الله وجهه والحق به الصديق في ذلك واخاه النبي صلى الله
عليه وسلم وزوجه فاطمة بالوحي وهو احد العلما الربانيين
وحفظ القران وعرضه علي رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلي
بعد موته صلى الله عليه وسلم فكتب كتابا فيه العلوم الجمة حتي
قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلوم كلها
ولما هاجر صلى الله عليه وسلم امره ان يقيم بعده مكة حتي
يودي عنه ودايعه ثم يلحقه باهله ففعل وارسله صلى الله
عليه وسلم في السنة التاسعة وكان الامير علي الحج ابو بكر فاذن
في الناس في الموسم بمني بسورة براة لان العرب لا يعتدون
بما يجي علي لسان الكبير الا اذا كان الرسول فيه من اهله ومن
ثم جا في حديث رجاله ثقات الا واحدا فمختلف فيه انه صلى الله
عليه وسلم خطب وهو حاضر عقب فتح مكة فكان مما قال
اوصيكم بعترتي خيرا وان موعدكم الحوض والذي نفسي بيده
لتقيمن الصلاة ولتوتن الزكاة او لابعثن اليكم رجلا مني او
كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي وقال هو هذا او شهد

معه صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان له فيها اليد البيضا الا تبوك
لانه استخلفه على المدينة وقال له لما قال اتخلفني مع النسا والصبيان
اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي
وبكونه انما قال له ذلك حينيذ يبطل تمسك الشيعة به على انه
الخليفة المقدم على الكل على ان هرون مات في حيات موسى صلى الله
عليه وسلم فلا دليل فيه للخلافة بعد الموت اصلا توفي كرم الله
وجهه شهيدا عن ثلاث وستين سنة ضربه اللعين عبد الرحمن
ابن ملجم بسيف مسموم في جبهته فاوصله دماغه ليلة الجمعة
سابع عشر رمضان سنة اربعين وهو خارج الى الصلاة الصبح بعد
ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
تلك الليلة فشكي اليه ما لقي وقال ادع لي فدعا الله انه يبدله خيرا
منهم وانهم يبدلون شرا منه واكثر تلك الليلة من الخروج
والنظر الى السما وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة
التي وعدت وكان عنده اوز فلما خرج للصلاة صحن فطردن عنه
فقال دعوهن فانهن صوايح يعقبهن نوايح وقيل لم يمت الا ليلة
الاحد وله اسوة بالخليفتين قبله عمر فعثمان رضي الله عنهم فان كلا
منهما قتل شهيدا مظلوما اما عمر فقتله مجوسي عبد للمغيرة
ابن شعبه لكونه شكي اليه ثقل خراجه فلم يشكه لعلمه بقدرته عليه
وزيادة لكثرة صنايعه فكمن له الى ان ضربه بخنجر صنعه له وهو
في ثاني ركعة من صلاة الصبح يصلي بالمسلمين ومن تمام سعادته
دفنه مع النبي صلى الله عليه وسلم فانه ارسل ولده بعد ان

طعن

طعن يستاذن عايشة في ذلك فقالت كنت اعددت هذا المكان لنفسي
ولاوثرنه به فاستبشر فرحا بذلك واما عثمان فاجتمع على قتله اوباش
اربعة الاف مجمعون من مصر وغيرها فحاصروه الى ان قتلوه في اوسط
ايام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين وهو ابن
ثمان وثمانين سنة وقيل اكثر وقيل اقل توهما منهم انه اراد قتل
محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو بري من ذلك وانما
افتعله بعض اهله وكان الصحابة يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم
من ان يقاتلوا محاربيه لما قال له زيد بن ثابت ان الانصار
بالباب يقولون ان شيت كنا انصار الله مرتين فقال لا حاجة
لي في ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا
وانا صابر عليه ومن ثم كان عنده في الدار مما يكفيه الكثيرون فارادوا
ان يمنعوا عنه فقال من اغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبي
صلى الله عليه وسلم انه مقتول مظلوم وانه على الهدى وانه لا تخلص
له من القتل وامره ان لا يعزل نفسه كما صح في الحديث وهو
يا عثمان انك ستولي الخلافة من بعدي وسيريدك المنافقون
على خلعها فلا تخلعها وصح في ذلك اليوم تفطر عندي كما مر في
الاحاديث وصح ان عثمان اشرف من كوة فقال لعلي يا ابا الحسن
ما هذا الذي ركبه مني فقال اصبر يا عبد الله فوالله ما غبت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كنا على احد فانه ليس
عليك الا نبي او صديق او شهيد وايم الله لتقتلن ولا قتلن
معك اي بعدك وليقتلن طلحة والزبير و اقسم عليك بباقي

اصحابك العشرة المبشرين بالجنة في الاحاديث الصحيحة
منها ان عمر لما ان الامر شورى بين الستة انكر عليه بانهم ليسوا
رضي فقال ما عسى ان تقولوا في علي سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول له يدك في يدي تدخل معي يوم القيامة
حيث ادخل وذكر في عثمان حديث انه يوم يموت يصلي
عليه ملايكة السماوات ذلك له خاصة وفي طلحة ان
رحل النبي صلى الله عليه وسلم سقط في ليلة فقال من
يسبق لي رحلي وهو في الجنة فبدر طلحة فسواه له فقال
يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول انا معك في
اهوال يوم القيامة حتى انجيك منها وذكر في الزبير
انه جلس يذب عن وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو نايم حتى استيقظ فقال له يا ابا عبد الله
لم تزل قال لم ازل بابي انت وامي قال هذا جبريل يقرئك
السلام ويقول انا معك يوم القيامة حتى اذب عن وجهك شرر
جهنم وذكر في سعد بن ابي وقاص انه صلى الله عليه وسلم قال
فيه يوم بدر وقد اوتر قوسه اربع عشرة مرة يدفعها اليه
فداك ابي وامي وذكر في عبد الرحمن بن عوف ان الحسنين
اشتد بكاؤهما جوعا فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشي
فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحفة فيها حيسة ورغيفات
بينهما اهالة فقال صلى الله عليه وسلم له كفاك الله امر
دنياك واما امر اخرتك فانا لها ضامن ومنها ان حراما

اربع وعليه الخلفا الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعد
وسعيد قال له النبي صلى الله عليه وسلم اسكن فما عليك الا
نبي او صديق او شهيد ومنها ما رواية سعيد بن عمرو
ابن نفيل ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي
في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة
وسعد بن ابي وقاص في الجنة وتاسع المومنين في الجنة ان
فنشدوه بالله عنه فقال اما اذا انشدتموني فانا تاسع
المومنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم العاشر ثم قال لموقف
احدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه افضل من عمر احدكم
ولو عمر عمر نوح المظهر اي المبين الترتيب بينهم من النبي صلى
الله عليه وسلم وهو معمول فينا اي لنا تفضيلهم على حسب
مراتبهم التي بينها مشرفهم صلى الله عليه وسلم وهو فاعله
وعكس ذلك الشارح والاولى اظهر والمظهر كذلك بينهم لنا ايضا
الولا اي الموالاة والمناصرة الواجبة علينا لهم بحسب مراتبهم
ومن ثم سيل بعض محققي المتاخرين عن محبة الخلفا الاربعة
هل يجب ان يكون على حسب فضلهم فقال محبتهم من حيث
الدين والقرب الى الله ورسوله يجب ان تكون بحسبه ومن حيث
عوفوا بقرابة او احسان لا يجب ان تكون كذلك وما قالوه في
الخلفا الاربعة ياتي في بقية الصحابة رضوان الله عليهم طلحة
ابن عبيد الله القرشي التيمي احد العشرة المشهود لهم
بالجنة واحد الثمانية السابقين الى الاسلام واحد الستة اصحاب

الشوري في امر الخلافة بعد عمر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو عنهم راض واحد الخمسة الذين اسلموا على يد ابي بكر
لكونه السبب في اسلامهم وسماه النبي صلى الله عليه وسلم طلحة الخير كان ضم ٢
وطلحة الفياض وطلحة الجود فكان غاية فيه بحيث باع ارضا له
بسبعماية الف فباتت عنده فلم ينم مخافة من حسابها فاصبح
ففرقها وفي رواية ففرقها في ليلته على فقرا المدينة وجاه
رحم له يساله برحمة فاعطاه ثلثماية الف وكان مغله بالعراق
في كل سنة اربعماية الف يكفي ضعفا قومه وقوم ابي بكر بني ولا ح صح ٢
تميم ويقضي ديونهم ويرسل الي عايشة في كل سنة عشرة
الاف درهم ويتصدق في يوم بماية الف ثم لم يجد ثوبا يذهب
فيه الي المسجد يصلي فيه وهو وان لم يشهد بدرا فقد جعله النبي
صلى الله عليه وسلم ممن شهدها اجرا وسهما قيل لانه
كان بالشام للتجارة والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ارسله
هو وسعيد بن زيد رضي الله عنهما للتجسس عن عير
قريش وخرج لبدر فرجعا الي المدينة فوافياه في منصرفه
من بدر وصح انه صلى الله عليه وسلم اقبل عليه وعلى الزبير
وقال يا طلحة ويا زبير ان لكل نبي حواري وانتما حواراي
اي ناصراي وان الخلفا الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف
وسعدا وسعيدا كانوا امام رسول الله صلى الله عليه
وسلم في القتال وخلفه في الصلاة في الصف الاول وليس
احد من المهاجرين والانصار يقوم مقام واحد منهم

غاب

غاب اوشهد المرتضيه اي الذين ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم
وما جري عليه الناظم من اضافة اسم الفاعل الي معمول الضمير
العايد على ال المقترنة به هو الاصح نحو الضارب الرجل والسابقة
ومنع المبرد هذه الصورة واوجب النصب اي لئلا يلزم عليه اجتماع
اداتي تعريف ويرده ان اضافة الصفة الي معمولها لا تفيد تعريفا
بل تخفيفا قالوا ومن ثم جاز اقتران هذا المضاف دون غيره بال
ان كان مثني كالضاربا زيد او جمعا على حده زيد والضاربوا زيدا
واضيف لمعرف بال نحو الضارب الرجل والمضاف اليه كالقاصد ١١
باب الكريم اوالي ضمير هي مرجعه اي كما هنا ومن قال التقدير
الذي ارتضي هو النبي صلى الله عليه وسلم فقد وهم لامتناع
الاضافة حينيذ لانها ليست الي ضمير مرجعه ال فتنبه
له رفيقا واحدا هو ما في اكثر النسخ وفي نسخة احد وهو
الفاعل اي الذي ارتضاه احد رفيقا ففيه اسناد مجازي
وفي احدي احد او هو على نزع الخافض اي في احد يوم ظرف
لاسم الفاعل وقول الشارح انه بدل من احد اي بناء على النسخة
الثانية بعيد وقت الرفقا عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يوم احد وبين سعد وسعيد والامانة والامنا واناه
واناء تملك واستملك وانطونه وانطوا واغثنا والغوث
الاتيات جناس الاشتقاق او شبهه وفي ذكر واحد انظر
بل المنقول في السير وغيرها ان الذين ثبتوا معه صلى الله
عليه وسلم لما انكشف عنه الناس اربعة عشر سبعة من

المهاجرين وسبعة من الانصار وفي البخاري لم يبق معه صلى الله
عليه وسلم الا اثني عشر رجلا لكن ظاهر كلام بعض اهل السير ان
طلحة وقع له بعد ذلك انفرد معه صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت
بعده الناس فانه قال وكانت لطلحة اليد البيضا يوم احد وقي
النبي صلى الله عليه وسلم يوميذ لما ضرب بالسيف فشج وجهه بيده
فشلت واستمرت شلا وكان الصديق اذا احدث عن يوم احد بكي
وقال ذلك لطلحة وقد قال له صلى الله عليه وسلم يوميذ اوجب
طلحة اي وجبت له الجنة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان قد ظاهر
بين درعين فاراد ان ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هناك فما استطاع
فبرك له طلحة فصعد على ظهره واستوى عليها فقال صلى الله عليه وسلم
اوجب طلحة وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوميذ وبايعه على الموت
ووقاه بنفسه وعن عايشة انها قالت قال ابو بكر كنت اول من جا
يوميذ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي عبيدة بن الجراح
عليكما بصاحبكما يريد طلحة وقد نزف فاصلحنا من شان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اتينا طلحة فاذا به بضع وسبعون او اقل او
اكثر بين طعنة وضربة ورمية واذا قد [2] اصبعه فاصلحنا من شانه (انقطعت [2])
ثم رايت حديثا صحيحا مصرحا بما في النظم على نسخة واحدا وهو لقد
رايتني يوم احد وما في الارض قربي مخلوق غير جبريل عن يميني
وطلحة عن يساري ولما رجع صلى الله عليه وسلم من احد صعد
المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قرا من المومنين رجال الاية فقيل يا رسول (صدقوا ما عاهدوا الله عليه)
الله من هولا فقال هذا منهم واشار الى طلحة وصح عند الحاكم لكن نوزع

فيه

فيه من اراد ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن
عبيد الله وصح ايضا طلحة والزبير جاراي في الجنة وكان رجل يقع فيه
وفي الزبير بحضرة سعد بن ابي وقاص فنهاه فابى فصلى ثم دعا عليه
ان كان مبطلا يريه فيه اية ويجعله للناس عبرة فخرج فاذا جمل هايج
يشق الناس فاخذه وهرسه بيديه ورجليه حتى قتله قال سعيد
ابن المسيب فانا رايت الناس يتبعون سعيدا ويقولون له هنيا لك
ابا اسحاق اجيبت دعوتك وكان خرج هو والزبير على علي رضي الله
الله عنهم فاجتمع بهما يوم الجمل فروى للزبير ما ابى ووعظ طلحة
فتاخر ووقف في بعض الصفوف فجاه سهم في ركبتيه فقتله
في جمادي الاولى سنة ست وثلاثين عن اربع وستين سنة على
الاشهر ودفن بالبصره وجاه علي فجعل يمسح التراب عن وجهه
ويقول رحمة الله عليك ابا محمد يعز علي ان اراك مجدلا **وحواريك**
اي ناصرك **الزبير** ابن العوام القرشي وامه صفية عمة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو احد الثمانية السابقين والستة اصحاب الشورى
والعشرة المبشرين بالجنة والشجعان ~~والفروسية ولذلك~~ المشهورين
لم يلحقه كحمزة وعلي احد في الشجاعة والفروسية ولذلك لما
كان يوم بدر بعمامة صفرا نزلت الملايكة بعمايم صفر وهو اول
من سل سيفا في سبيل الله لانه سمع ان محمدا قد اخذ فخرج يشق الناس
بسيفه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم باعلا مكة فقال له ما لك قال
اخبرت انك اخذت فصلى عليه ودعا له ولسيفه شهد المشاهد
كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح اليرموك وكانت

له فيها اليد البيضا والهمة العليا اخترق وصفوف الروم مرتين من
اولهم الي اخرهم وفتح مصر مع عمرو بن العاصي وصح انه لما اشتد الخوف يوم
الاحزاب قال النبي صلى الله عليه وسلم من ياتيه بخبر عصيان بني قريظة فقال
انا فاعاد فقال انا فاعاد فقال انا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواري
وحواري الزبير وجمع له صلى الله عليه وسلم بين ابويه فقال ارم فداك ابي
وامي وصح عن عثمان انه قيل له وهو محصور لو استخلفت قال لعلهم
قالوا الزبير قيل نعم قال اما والله انه لخيرهم ما علمت وانه كان
لاحبهم الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية صحيحة اما والله
انكم لتعلمون انه خيركم ثلاثة وكان له الف عبد يؤدون له الخراج في كل
يوم فيتصدق به في مجلسه ولا تقوم بدرهم منه وكان مع الخارجين علي علي
يوم الجمل فلما دنت الصفوف خرج علي وهو علي بغلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنادى ادعوا لي الزبير فدعي له فاقبل حتى اختلفت اعناق دوابهما
فقال له نشدتك بالله اتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في
مكان كذا وكذا فقال يا زبير تحب عليا فقلت الا احب ابن خالي وابن
عمتي وعلى ديني فقال يا زبير اما والله لتقاتلنه وانت ظالم له
فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ذكرته الان والله لا اقاتلك ثم ادبر راجعا فقال له ولده
عبد الله ما بك فذكر له القصة فقال لم تجي للقتال بل لتصلح بين الناس
فابى وفي رواية انه قال له جبنا جبنا فقال قد علم الناس اني لست
بجبان ولكن ذكر لي حديثا فحلفت ان لا اقاتله وفي رواية ان سبب
رجوعه ان قال لاصحاب علي افيكم عمار بن ياسر قالوا نعم فاغمد سيفه
وقال

وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار ستقتلك الفئة الباغية
ولا مانع انه قال ذلك ثم ذكره علي بالحديث زيادة في اعلامه ثم سار فلما
وصل وادي السباع نام فجاء رجل فقتله في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين
وعمره سبع وستون سنة علي الاشهر وقبل ان يجتمع بعلي قال لابنه
عبد الله ما اراني الا سأقتل اليوم مظلوما ثم اكد عليه انه يبيع
امواله ويقضي دينه من ارضين له منها الغابة وبضع عشرة دارا
وقدر دينه الفا الف ومئتا الف وما ولي امارة قط ولا جباية ولا
خراجا ولا شيئا وما خلف درهما ولا دينارا فباع ابنه ماله ثم قال
من كان له عليه دين فليأتنا نقضي ما عليه ثم اقام اربع سنين
ينادي كل موسم من له عليه شي فليأتنا فلما بان اخرج
ثلث ماله لانه اوصى به ثم قسم الباقي بين ورثته وكان له اربع نسوة
فاصاب كلا منهن الف الف ومائتا الف فجميع ماله خمسون الف الف
ومائتا الف هذا ملخص ما في صحيح البخاري لكن اعترض بان الصحيح
ان الذي تركه مما وفي الدين والوصية وما ورث عنه تسعة وخمسون
الف الف وثمانمائة الف وكان له صدقات كثيرة ومكارم جليلة
وماله كله حلال صرف كما قيل ولا حاجة اليه بل اغنيا الصحابة كلهم كذلك
لان اموالهم اما من سلب او سهم من الغنيمة او الفي او تجارة
مبرورة واوصى اليه سبعون من الصحابة باولادهم واموالهم فحفظها
وكان ينفق على اولادهم من ماله ومن مدح حسان فيه

فكم كربة ذب الزبير بسيفه — عن المصطفى والله يعطي ويجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله — وليس يكون الدهر ما دام يذبل

ثناوك خير من فعال معاشر ... وفعلك يا ابن الهاشمية افضل
ابي القوم بفتح القاف والسكون الراي العميد الكريم عبد الله ابي حبيب
وابي بكر الذي انجبت اي اتت به في غاية النجابة والسجاعة والراي
الحازم والتصرف الصايب اسما بنت ابي بكر الصديق ذات النطاقين
بعد عشرين شهرا من الهجرة بالمدينة وكان اول مولود بعد الهجرة
واشتد فرح المهاجرين به لان اليهود توعدوهم انهم عملوا لهم
ما يبطل نسلهم فلا ياتيهم ولد فلما ولد بان كذبهم ولما احتجم
صلي الله عليه وسلم اعطاه دمه وقال له غيبه في موضع لا يراك فيه
احد فلما جا اليه قال ما فعلت بالدم قال شربته قال اذا لا تلج النار
بطنك وويل لك من الناس وويل للناس منك فكان كذلك لانه
سعي في الخلافة لما مات يزيد سنة اربع وستين فاطاعه اهل
اليمن والحجاز والعراق وخراسان ثم هدم الكعبة لتهدمها وسماعه
من خالته عايشة ما ترويه له عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان قريش
حديثوا عهد بكفر لهدمت الكعبة وجعلتها على قواعد ابراهيم لهدمت صح
وفتحت بابها الغربي وجعلت بابها الشرقي لاطيا بالارض كما كانت
في زمن ابراهيم صلي الله عليه وسلم فاعادها ابن الزبير كذلك
بعد ان ساور الصحابة فمنهم من امره بذلك ومنهم من نهاه عنه
فلم يرجع اليه لسماعه الحديث المذكور فكان اجر ذلك البنا باقيا له الي
ان يهدم مهاذ والسويقتين فان البنا الموجود الان كله بناوه الا حايط
الميزاب فان الحجاج لما حصره اول الحجة سنة اثنين وسبعين وحج بالناس
ولم يزل محاصرا له الي ان قتله سابع جمادي الاولي سنة ثلاث وسبعين

هدم ما كان ادخله ابن الزبير من الحجر وهو ستة اذرع كما ادخله ابراهيم واخرج
الستة ثم اخرج الجدار كما هو اليوم وسد الباب الغربي واعلي الباب
الشرقي ليصير كما كانت في زمنه صلى الله عليه وسلم لان قريشا لما بنتها
حينيذ قصر بهم المال الحلال عن ان يجعلوها كما كانت في زمن ابراهيم
فجعلوها كذلك وكان ابن الزبير صواما يواصل الخمسة عشر واكثر قواما
اطلس لا لحية له من دهاة العرب المشهورين وشجعانهم الموصوفين
واحد العبادلة الاربعة المتقاربين سنا وعلما وذكا وفقها والثلاثة عبد الله
ابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن عمرو ابن العاص وليس منهم
عبد الله ابن مسعود لانه اكبر منهم سنا فليس في طبقتهم والصفيين
تثنية صفي وهو المصطفي المستخلص من الحظوظ والشهوات توام
الفضل من اتامت المراة ولدت اثنين اي ان الفضل انتجهما الكثرة ما قام
بهما منه ولو قال توأما الفضل كان اوضح ومعناه حينيذ انهما لما
اشتركا في الفضايل الجليلة صارا كانهما مولودان في حمل واحد سعد
ابي اسحاق ابن ابي وقاص مالك القرشي الزهري وهو احد الستة
اصحاب الشوري والثمانية السابقين الي الاسلام بل هو ثالث الاسلام
واقام كذلك سبعة ايام والعشرة المشهود لهم بالجنة والشجعان
المشهورين وهو اول من رمي بسهم في سبيل الله واول من اراق
دما في سبيل الله ومن ثم كان يقال له فارس الاسلام شهد المشاهد
كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمي يوم احد الف سهم
وولاه عمر العراق فكان الامير في فتح مداين كسري وغيرها ومن كراماته
الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر علي ظهور الخيل لم يبلغ الما منها الا ،

حزمها والناس في غاية الطمانينة كانهم سابرون بالبر وكان الذي يسايره
سلمان الفارسي رضي الله عنهم وكذلك ولاه عثمان ولايات جليلة
وكان صلي الله عليه وسلم يناوله النبل يوم احد ويقول ارم فداك
ابي وامي واقبل والنبي صلي الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال
هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالي فان الخال
والد ودعا له فقال اللهم سدد رميه واجب دعوته وفي رواية صحيحة
اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم تسقط له دعوة بعد ذلك فكان
مجاب الدعوة واشرف علي الموت فاخبره النبي صلي الله عليه وسلم انه يعيش
فقال لعل الله ان يرفعك فينتفع بك اقوام ويتضرر بك اخرون
واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان فلم يدخل فيها ولم يحضر شيا من تلك
الحروب توفي بقصره في بالعقيق علي عشرة اميال من المدينة
فحمل اليها وصلي عليه مروان بن الحكم وهو يوميذ وال بالمدينه
وصلي عليه امهات المومنين في حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس
وعشرين عن تسع وسبعين سنة وكان اوصي ان يكفن في جبة
صوف لقي المشركين فيها يوم بدر وقال انما كنت اخبلها لذلك وهو اخر
المهاجرين موتا وفي مسلم انه ايه ولا تطرد الذين يدعون ربهم نزلت
في ستة منهم سعد وابن مسعود وسعيد ابن زيد بن عمرو بن
نفيل القرشي العدوي احد العشرة المشهود لهم بالجنة وشهد
المشاهد كلها وعده البخاري فمن شهد بدرا ومر في ترجمة طلحة انه
لم يشهدها وهذا ما عليه الاكثرون وقد يجع بانه لم يشهدها حسا
وشهدها حكما اجرا وسهما وهو ابن عم عمر وزوج اخته والسبب في اسلامه

كما مر وكذلك لم يدخله في اهل الشوري كولده عبد الله ليلا يظن به حابي
اقاربه واخرج الشيخان ان امراة ادعت عليه عند مروان انه اخذ لها
قطعة ارض فقال ما كنت لافعل بعد ان سمعت رسول الله صلي الله عليه
وسلم يقول من اخذ شبرا من ارض ظلما طوقه من سبع ارضين فقال
مروان لا اسالك بينة بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فاعم
بصرها واقتلها في ارضها فذهب بصرها وبينما هي تمشي في ارضها
وقعت في حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت اصابتني دعوة سعيد
وفي رواية انه كان جارها بالعقيق وانه اعطاها الذي ادعته ثم دعا
عليها بما مر توفي سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن
بالمدينه وابوه زيد توفي الجاهلية لكن جايت احاديث يدل له علي
انه من اهل الجنة منها لكنه مرسل غفر الله عز وجل لزيد بن
عمرو ورحمه ومنها وهو صحيح سيل صلي الله عليه وسلم عنه فقال
ياتي يوم القيامة امة وحده بيني وبين عيسي ان عدت الاصفيا
فهذان من اكابرهم كيف وفي اسميهما ما يشعر ببلوغهما مرتبة عظمي
من مراتب السعادة وعبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهره
القرشي الزهري احد الثمانية السابقين للاسلام والستة اهل
الشوري والعشرة المبشرين بالجنة والخمسة الذين اسلموا علي
يد ابي بكر وصح انه كان بينه وبين خالد شي فبلغ ذلك النبي
صلي الله عليه وسلم فقال لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي
بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا
نصيفه اي نصفه وفي رواية الواقدي وابن عساكر

يلخالد ذروالي اصحابي مني ينك انف المرء ولوكان احد
ذهبا ينفقه قيراطا قيراطا في سبيل الله لم يدرك غدوة وروحة
من غدواته وشهد مع النبي صلي الله عليه وسلم المشاهد ،،
كلها وكان ممن ثبت يوم احد وبعثه صلي الله عليه وسلم
الي دومة الجندل الي بني كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها
بين كتفيه وقال ان فتح الله عليك فتزوج بنت ملكهم او قال
شريفهم ففتح عليه وتزوج بنت شريفهم الاصبغ فولدت
له ابا سلمة وصح انه صلي الله عليه وسلم ائتم به في غزوة ،،
تبوك وصلي وراءه ركعة من صلاة الصبح وهذه منقبة
لم توجد لصحابي غيره وسببها انه صلي الله عليه وسلم
ذهب لحاجته فادركهم الوقت فاقاموا الصلاة فتقدمهم
عبد الرحمن ولما اتم صلي الله عليه وسلم ما فاته خلفه قال
ما قبض نبي حتي يصلي خلف رجل صالح من امته وائتم
صلي الله عليه وسلم بابي بكر ايضا لكنه اخرج نفسه
عن الامامة بتاخره وقال لما قال له النبي صلي الله ،،
عليه وسلم ما منعك ان تثبت وقد اشرت اليك ما كان
ينبغي لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلي
الله عليه وسلم فان قلت لم لم يفعل عبد الرحمن ذلك
قلت الظاهر انه لم يعلم باقتدائه صلي الله عليه وسلم به واقتدي
صلي الله عليه وسلم بجبريل عند باب الكعبة بجانبه
من ناحية الحجر بكسر الحاء فصلي به الخمس مرتين في يومين

صبيحة

صبيحة الاسري والذي يليه وكان كثير الانفاق في سبيل الله اعتق
في يوم واحد احدا وثلاثين عبدا حتي جا ان جملة ما اعتقه ثلاثون
الفا وفي حديث انه امين في السما امين في الارض وكان كثير المال
محظوظا في التجارة قال لام سلمة خشيت ان يهلكني كثرة مالي
فقالت يا بني انفق قال الزهري تصدق علي عهد النبي صلي
الله عليه وسلم بشطر ماله اربعة الاف دينار ثم اربعين
الف دينار ثم بمثلها ثم خمس مائة فرس ثم خمس مائة
راحلة وفي رواية الف وخمس مائة راحلة واوصي لامهات
المومنين بحديقة فبيعت باربعمائة الف واوصي بخمسين
الف دينار في سبيل الله ولكل واحد ممن بقي ممن شهد
بدرا باربعمائة دينار وكانوا مائة من جملتهم عثمان
فاخذ مائة وهو امير المومنين وبالف فرس في سبيل
الله وكان اهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث
يقضي ديونهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من الشام
بسبعمائة راحلة فسمعت عائشة صوتها فروت حديث
يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فاتاها فحدثته فقال
اشهدك انها باحمالها واقتابها واحلاسها في سبيل الله
عز وجل وباع ارضا من عثمان باربعين الف دينار ،،
فقسمها في اقاربه بني زهرة وفقرا المسلمين وامهات
المومنين وروي انه صلي الله عليه وسلم قال له لن تدخل ،
الجنة الا زحفا فاقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك

قال ما الذي اقرضه قال تتبرا من كل مالك فهم بذلك فاتاه جبريل
فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السايل
فاذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه والذي صح من ذلك اتاني
جبريل فقال مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين
وليعط السايل وليبدا بمن يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية
ما هو فيه وفي حديث ابن عدي وغيره انكحوا عبد الرحمن
ابن عوف فانه من خيار المسلمين روي ابو نعيم وغيره ان
رجلا لين الصوت قرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فما
بقي احد الا فاضت عينه غير عبد الرحمن بن عوف فقال صلى الله
عليه وسلم ان لم تكن فاضت عينه فاض قلبه وفي حديث
ضعيف اول من يدخل الجنة من اغنيا امتي عبد الرحمن بن
عوف والذي نفس محمد بيده لن يدخلها الا حبوا وفي اخر
رواه احمد والطبراني رايت عبد الرحمن ابن عوف يدخل الجنة حبوا
وفي رواية لاحمد قد رايته يدخل الجنة حبوا لكن ذكره ابن
الجوزي في الموضوعات وفي رواية لابن مسعود وابن عساكر
كاني بعبد الرحمن بن عوف علي الصراط يميل مرة ويستقيم اخري
حتي يفلت ولم يكد لكن يعارض ذلك ما رواه جماعة انه صلى الله
عليه وسلم قال له كفاك الله امر دنياك واما اخرتك فانا لها
ضامن وسببه ان الحسنين اشتد بكاوهما من الجوع ،،
فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشي فاتاه بصحفة
فيها حيس ورغيفان بينهما اهالة توفي عن اثنين او خمس
وسبعين

وسبعين سنة في سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان وصلى عليه علي
وقيل الزبير لانه كان هجر عثمان لما امر اقاربه فقال الناس لابن عوف
هذا عملك فدخل عليه ولامه وقال انما وليتك لتسير بسيرة ،،
الشيخين فقال كان عمر يقطع اقاربه في الله وانا اصلهم في الله
فنذر ان لا يكلمه ابدا وترك من الذهب ما جا ربع ثمنه ثمانين
الف دينار ولما تقرر من كثرة انفاقه وصدقاته وماله كثره
فيهما بقوق الحمر من بدل مما قبله هو نفسه الدنيا اي
صيرت اموالها وامتعتها رخيصة عندها بسبب بذل
لها في وجوه الخير والقربات بذلا دايما مستمرا كثيرا يبهر ،،
العقل ويرفع الي الدرجات العلي كما مر في الاحاديث وذلك
البذل الكثير بعده اثرا اي كثرة المال الذي فتح الله به عليه
واكثره من التجارة لانه كان محظوظا فيها بحيث لو امسك التراب
صار ذهبا والمكني ابا عبيدة وهو عامر بن الجراح القرشي
الفهري امين هذه الامة كما صحت به الاحاديث وفي رواية
واميني وفي اخري وامينا ايها الامة واحد العشرة ،،
والرجلين اللذين عينهما الصديق يوم السقيفة للخلافة
والثاني عمر واحد الخمسة الذين اسلموا في يوم واحد علي
يد الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيده بن
الحارث وعبد الرحمن بن عوف وابو سلمه بن عبد الاسد
زوج ام سلمة شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها
وثبت يوم احد مع النبي صلى الله عليه وسلم ونزع يومئذ ،،

باسنانه حلقتين دخلتا في وجنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه لانه تحامل عليهما خوفا من
ايلامه صلى الله عليه وسلم فكان من احسن الناس هتما والهتم
القا مقدم الاسنان وولاه ابو بكر لما ارسل جيشا الى الشام
ثم جعل خالدا اميرا عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولي عمر
اعاده لكن امره ان يستشير خالدا وهو اول من سمي امير
الامرا بالشام وروي انه صلى الله عليه وسلم امره على سرية
فيها ابو بكر وعمر وتعرض له ابوه يوم بدر فاعرض عنه
فلازمه فلما اكثر عليه قتله فانزل الله فيه لا تجد قوما
يومنون بالله واليوم الاخرة الاية ولما قال الصديق
يوم السقيفة مد يدك لابايعك قال ما كنت لاتامر على رجل
قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا حتى قبض
وقال عمر لين ادركني اجلي وهو موجود استخلفته لاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة
امينا وامين هذه الامة ابو عبيدة عامر بن الجراح ولما قدم عمر الشام
تلقاه الناس فقال اين اخي عبيدة بن الجراح فقالوا الساعة
ياتيك فاتاه على ناقة مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن
راحلته واعتنقه وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه
الى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وقوسه ورحله
فبكى عمر وقال لاصحابه تمنوا فقال رجل ملؤ هذه الدار ذهبا
انفقه في سبيل الله وقال اخر جوهرا انفقه كذلك فقال عمر
وانا

وانا اتمنا لوان هذه الدار مملوة رجالا مثل ابي عبيدة وله فتوحات
كثيرة ووقعات مع المشركين هايلة وصح عن الحسن مرسلا ما من
احد من اصحابي الا لو شيت لاخذت عليه في بعض خلقه غير ابي
عبيدة بن الجراح توفي سنة ثماني عشرة شهيدا بالطاعون
في طاعون عمواس بقرية بين الرملة وبين بيت المقدس اول ما وقع
بها ثم انتشر بالشام وقبره معروف ثم قال الامام النووي ثم رايته
فرايت عنده عجبا ورايت عليه من الجلالة ما هو لايق به اذ ظرف
لاقسم المقدر او تعليل له يعزى اي ينسب اليه اي ابي عبيدة
الامانة الامنا واجلهم نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قال كما صح
عنه لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفي
رواية اميني وفي اخرى امينا ايتها الامة واعلم ان هذا القول
صلى الله عليه وسلم في ابي ذر ما اصدق من اظلت عليه الخضرا
واظلت الغبرا لا يقتضي تفضيلا على الخلفا الراشدين لان اوليك
كملت فيهم الخصال كلها واعتدلت فلم ترجح بعضها على بعض واما
هذان فكملت فيهم صفات الامانة والصدق فتميزا فيهما على
من لم يكملا فيه ولو سلمنا زيادتهما فيهما على اوليك لم يقتضي
ذلك تفضيلا ايضا لان المفضول قد يتميز بمزية بل بمزايا لا توجد
في الفاضل لانه خلق تلك المزايا مزايا اخرا اجل منها واعظم
فحصل مناط الافضلية فيه وان خلا عما تميز به المفضول
واقسم عليك بعميك اخوي ابيك لابيه وهما حمزة والعباس
رضي الله تعالى عنهما وكل منهما اسن من النبي صلى الله عليه وسلم

بنحو السنتين نيرين تثنية نير وهو الكوكب المضي فلك هو ما يسير فيه الكوكب
المجد اي الكرم والحسب شبه المجد بالسما واثبت لها ما هو من لوازمها
وهو الفلك اذ كل سما تسمي فلكا فهو استعارة بالكناية واستعارة
تخييلية ورشح لها بذكر النيرين وشبههما بالشمس والقمر واثبت
لهما ما هو من لوازمهما وهو الاضاة فهي استعارة بالكناية
واستعارة تخييلية وفيها ايضا استعارة تجريدية بذكر المسهد
الملايم للعمين وكل منها اتاه اي حصل له منك اتاء بوزن كتاب
وهو ما يخرج من الشجر والنما كما في القاموس وقال الشارح وهو
ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب كحمل النخل وثمار
الاشجار ولعله تفسير مراد اما حمزة فيكني ابا عمارة ويلقب
باسد الله واسد رسوله فكان عظيما سجاعا اخا للنبي صلي الله
عليه وسلم من الرضاعة اسلم قديما وسبب اسلامه ان اللعين
ابا جهل شتم رسول الله صلي الله عليه وسلم فانصرف ولم يجبه
وانصرف ابو جهل الي نادي قريش عند الكعبة واقبل حمزة
من قنصه متوشحا قوسه فاخبر وهو لعزّ فتا في قريش
واشد شكيمة فغضب وعمده فشجه في راسه شجة منكرة
وقال اتشتمه وانا علي دينه فقامت اليه رجال من بني
مخزوم فمنعهم ابو جهل من خوف الفتنة وهو اول من
اتخذ له صلي الله عليه وسلم لوا حين بعثه صلي الله عليه
وسلم الي سيف البحر بكسر السين اي جهته استشهد

باحد

باحد نصف شوال ثالث سني الهجرة بعد ان قتل احدًا وثلاثين
كافرا قتله وحشي عبد لعقبة السلمي قال رايته يهد الابطال
هذا فاختفيت فلما تمكنت منه رميته بحربتي فاصابته
ووليت هاربا فتبعني ثم سقط وبعد ذلك اسلم وحشي
فقبله النبي صلي الله عليه وسلم وقال له غيب وجهك
عني اي خشية ان يصيبه منه شي اذا تذكر قتله
لحمزة وخرج يوم اليمامة فشارك رجلا في قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه بتلك ومع ذلك
قد اصابه ما اصابه لما صح عن ابن المسيب انه قال
كنت اعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتي مات غرقا في
الخمر وقال ابن هشام بلغني انه لم يزل يحد في الخمر
حتي خلع من الديوان فكان عمر يقول لو علمت ان
الله لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما راي النبي صلي الله
عليه وسلم حمزة قتيلا بكي ولما راي ما مثل به
شهق وقال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت
موقفا اغيظ لي من هذا وروي ابن شاذان عن ابن
مسعود قال ما راينا رسول الله صلي الله عليه وسلم
باكيا قط اشد من بكايه علي حمزة وضعه
في القبلة ثم وقف علي جنازته وبكي حتي كاد
يغشي عليه يقول يا حمزة يا عم رسول الله يا اسد

الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف
الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله وليس في
هذا النوح ولا تعديد شمايل بل اخبار بفضايله وشمايله
رضي الله عنه وصح حديث انه سيد الشهداء
يوم القيامة وانه لولا جزع النسا لتركته حتي
يحشر من بطون الطير والسباع وحديث رحمة الله
عليك قد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصح
الحاكم حديث والذي نفسي بيده انه لمكتوب
عند الله تبارك وتعالي في السما السابعة حمزة
ابن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله
لكن تعقب وورد من طرق ان الملايكة غسلته
وصححه الحاكم لكن تعقب واما العباس
وكنيته ابو الفضل فكان جليلا جوادا ذا راي وكمال عقل
معظما

معظما بين الصحابة وعند النبي صلي الله عليه وسلم رايسا في قريش
قبل الاسلام وكانت تنتسب اليه عمارة المسجد الحرام والسقاية
وكان مع النبي صلي الله عليه وسلم يوم العقبة فعقد له البيعة
علي الانصار وكان صلي الله عليه وسلم يثق به في امره كله أسر يوم
بدر لقوله صلي الله عليه وسلم من لقيه فلا يقتله فانه خرج
مستكرها وسمعه صلي الله عليه وسلم يئن لكونهم شدوا
وثاقه فلم ينم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال انين
العباس فقام رجل فارخي من وثاقه ووثاق البقية وفدي
نفسه وعقيلا ابن اخيه بعد ان قال ما معي شي فقال له صلي الله
عليه وسلم واين المال الذي قلت لام الفضل اي زوجته حين
خرجت اذا انا مت فافعلي به كذا فقال من اعلمك بهذا ولم
يطلع عليه غيري وغيرها فاسلم سرا وكتم ايمانه الي قبيل فتح
مكة فخرج الي النبي صلي الله عليه وسلم ولقيه بالابوا وبه ختمت
الهجرة وكان ردا للنبي صلي الله عليه وسلم بمكة يكاتبه
باخبار اهلها وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم
علي النبي صلي الله عليه وسلم فكتب اليه ان بقاك بمكة خير لك ولما قالت
الانصار نترك لابن اختنا عباس الفدا ابي رسول الله صلي الله
عليه وسلم وشهد مع النبي صلي الله عليه وسلم حنينا وثبت معه
حين انهزم الناس وكان عمر يستسقي به الغيث اذا قحط الناس
فيقول اللهم انا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا وها نحن نستسقي
بعم نبيك العباس فاسقنا فيسقون توفي بالمدينة ثاني عشر رجب

او رمضان سنة اثنين وثلاثين وله نحو من ثمانية وثمانين سنة وقبره
مشهور بالبقيع وصح حديث العباس مني وانا منه لا تسبوا امواتنا فتوذوا
بها الاحيا وحديث انه سال النبي صلى الله عليه وسلم ان تستعمله على الصدقة
فقال ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس وحديث من اذى
العباس فقد اذاني فانما عم الرجل صنو ابيه وحديث اوصاني الله
بذي القربى وامرني ان ابدا بالعباس بن عبد المطلب واخرج الدارقطني
في الافراد ليكونن في ولد العباس ملوكا يكونون امرا امتي يعز الله بهم
الدين وابن عساكر اللهم اغفر له ذنبه وتقبل منه احسن ما عمل
وتجاوز عنه سيئ ما عمل واصلح له في ذريته لا توذوا العباس
فتوذوني من سب العباس فقد سبني وفي حديث ضعيف وقال
ابن الجوزي موضوع العباس وصيي ووارثي واخرج الرافعي الا ابشرك
يا عم ان من ذريتك الاصفيا ومن عترتك الخلفا ومنك المهدي
في اخر الزمان به ينشر الله الهدى وبه يطفي نيران الضلالة ان الله
فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم وابو نعيم في الحلية الا ابشرك يا ابا واخرج صح
الفضل ان الله عز وجل افتتح بي هذا الامر وبذريتك يختم وكون
المهدي من ولده يحمل على ان فيه شعبة منه لما صح انه من ولد
فاطمة وصح انه من ولد الحسن ايضا وجا انه من ولد الحسين ولا
تعارض لان فيه شعبة من ولد الحسن فهو حسني وفيه شعبة من
ولد الحسين ايضا فهو حسيني وفيه شعبة من العباس والترمذي
قال حسن غريب اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة
اللهم اغفر للعباس وولد العباس ولمن احبهم وابن عساكر اللهم اخلفه في
ولده

ولده والخطيب وابن عساكر اللهم اغفر للعباس وولد العباس ولمن
احبهم وابن عساكر اللهم اغفر للعباس ما اسر وما اعلن وما ابدى
وما اخفى وما كان وما يكون منه ومن ذريته الى يوم القيامة والخطيب اخر ٢ ٩ صح
يا عباس انت عمي وصنو ابي وخير من اخلف بعدي من اهلي واذا كانت
سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك منهم السفاح ومنهم
المنصور ومنهم المهدي واقسم عليك بام السبطين الحسن والحسين
فاطمة رضي الله عنها وهي اصغر بناته صلى الله عليه وسلم زوج جرده
عن الثنا لانه الا فمع علي زوجها له النبي صلى الله عليه وسلم ثاني سنتي
الهجرة بوحي من الله بذلك وردو بنابها بعد تزوجها بسبعة اشهر
ونصف في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا وكان سنها يومئذ
خمس عشرة سنة وخمسة اشهر ونصفا وقيل نحو عشرين سنة
وسن علي احدى وعشرين سنة وشهرا قال ابن عبد البر هي
وام كلثوم افضل بناته وكانت فاطمة احب اهله اليه وكان يقبلها في فمها
ويمصها لسانه واذا اراد سفرا يكون اخر عهده بها واذا قدم اول
ما يدخل عليها وتوفيت بعده صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة احدى
عشرة فبينهما نحو ستة اشهر وسنها تسع وعشرون سنة اي
على القول الثاني وقد اسر اليها النبي صلى الله عليه وسلم انها اول اهل بيته
لحوقا به فسرت بذلك ودفنها علي ليلا بوصية منها واختلف في محل
دفنها والاشهر انها في قبة ولدها الحسن قرب محرابها وكان القطب
ابو العباس المرسي رحمه الله تعالى يجزم بهذا القبر فلعله كوشف به وروى
احمد في المناقب والدولابي انها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت

وقالت انها مقبوضة الان فلا يغسلني احد ولا يكشفني فانت فامتثل
علي وصيتها لكنه يعارضه انها امرت فاطمة بنت عميس بانها
تغسلها وهذه مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية **وبنيها** يعني
اولادها الحسن والحسين ومحسنا وهذا مات صغيرا وام كلثوم وزينب
واولادهم الي قيام الساعة ولم يكن له صلي الله عليه وسلم عقب الا منها
فانتشر نسله من جهة السبطين فقط وام كلثوم ولم [illegible] لهم ذكرا
وانثي وماتا صغيرين ثم بعد عمر تزوجت بعون بن جعفر ثم بعد
موته باخيه محمد ثم باخيه عبد الله ولم يبق منهم شيا ثم تزوج
الاخير باختها زينب فولدت له عدة منهم علي وام كلثوم وانتشر
نسلهما ولهما شرف اعلي من شرف اولاد عبد الله من غير زينب وادون
من شرف اولاد الحسين لمن بينهما بما وردنيهما وللعباسين والطالبين
شرف ايضا ومن ثم لقب بالشرف كل عباسي ببغداد وعلوي بمصر
ولجعفر الصادق ولد اسمه اسحاق وتزوج السيدة نفيسة بنت
الحسن بن زيد بن الحسين بن علي كرم الله وجهه وولد له منها ولدان
لم يعقبا **ومن حوته العباءة** وهم النبي صلي الله عليه وسلم وفاطمة وعلي
وابناؤهما ومر لبعض هولا فضايل كعلي وابنيه رضي الله عنهم ومن
فضايل فاطمة رضي الله عنها ما صح عن ابيها القايل تعالي في حقه وما ينطق
عن الهوي انما فاطمة بضعة مني يوذيني ما اذاها وينصبني ما انصبها
احب اهلي الي فاطمة اذا كان يوم القيامة نادي مناد من وراء الحجب يا اهل
الجمع غضوا ابصاركم عن فاطمة بنت محمد حتي تمر ان فاطمة احصنت فرجها
فحرمها الله وذريتها علي النار فاطمة بضعة مني يقبضني ما اغضبها

ويبسطني ما ابسطها وان الانساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وحسبي
وصهري فاطمة سيدة نسا اهل الجنة الا مريم بنت عمران اما ترضي ان تكوني
سيدة نسا اهل الجنة قالت فاطمة رهبت نزل ملك من السما فاستاذن
الله ان يسلم علي فبشرني ان فاطمة سيدة نسا اهل الجنة يا فاطمة الا ترضي
ان تكوني سيدة نسا العالمين وسيدة نسا المومنين وسيدة نسا
هذه الامة وخبر اتاني جبريل بسفرجلة من الجنة فاكلتها ليلة اسري بي
فعلقت خديجة بفاطمة فكنت اذا اشتقت الي رايحة الجنة شممت رقبة
فاطمة قال الايمة ردا علي تصحيح الحاكم له انه كذب موضوع جلي الوضع لان
فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الاسرا وصح انه صلي الله عليه وسلم
جعل علي علي وفاطمة وابنيهما كسا وقال اللهم هولا اهل بيتي وخاصتي
اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة وانا منهم فقال انك
علي خير وفي رواية القي عليهم كسا ووضع يده عليها وقال اللهم
ان هولا ال محمد فاجعل صلواتك وبركاتك علي ال محمد انك حميد مجيد وفي
اخري ان الاية اي انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا نزلت ببيت ام سلمة فارسل صلي الله عليه وسلم اليهم وجللهم
بكسا ثم قال نحو ما مر وفي اخري انهم جاوا واجتمعوا فنزلت فان صحتا
فهي نزلت مرتين وفي اخري ان ام سلمة قالت له الست من اهلك
قال بلي وانه ادخلها الكسا بعد ما قضي دعاه لهم وفي اخري صحيحة انها قالت
يا رسول الله انا من اهل البيت قال بلي ان شا الله وفي اخري ان واثلة
قال لما سمعه صلي الله عليه وسلم يصلي عليهم وهم تحت الكسا وعلي
يا رسول الله انا فقال اللهم وعلي واثلة قالا وفي اخري صحيحة قالت

واثلة وانا من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة وانها لمن ارجى لما
ارجوا قال البيهقي وكانه جعله في حكم الاهل تشبيها بمن يستحق هذا
الاسم لا تحقيقا واشار المحب الطبراني الي ان التجليل بالكسا لمن ذكر
تكرر منه في بيت ام سلمة وبيت فاطمة وغيرهما وبه يجمع بين اختلاف
الروايات في هيئة اجتماعهم وما جللهم به وما دعا لهم به وما
اجاب واثلة وام سلمة وفي اخري سندها حسن انه اشتمل
علي العباس وبنيه بملاة ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولا
اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاتي هذه فامنت
اسكفة الباب وحوايط البيت فقالوا امين ثلاثا **و**اقسم عليك
يا ازواجك اللواتي تشرفن بانهم عن النار والنقايص لما صح عنه صلى الله عليه
وسلم ان الله لم يزوجه الامن ستكون معه في الجنة **منك** حال من قوله
بنا اي دخول وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل
لها ذلك الشرف وينبغي تخريجه علي حرمتها علي غيره فان قلنا
بحرمتها وهو الاصح حصل لها الشرف او نحل لم يحصل لها وهن احدي
عشرة متفق عليهن ست قرشيات واربع عربيات واسرايلية
اولهن خديجة تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت
لكل منهما ولها يوميذ اربعون سنة واشهر وله خمس وعشرون
سنة عند الاكثرين وكانت عرضت نفسها عليه كما مر وهي اول
من امن به من النسا وفي الصحيحين ان جبريل قال يا محمد هذه خديجة
قد اتتك باناء فيه طعام او ادام او شراب فاذا هي اتتك فاقرا عليها
السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب اي لولو
مجوف

لما خصهن م (marginal note)

مجوف لا صخب ولا نصب واولاده كلهم منها الا ابراهيم واختلف في عدد
وجملة ما اتفق عليه منهم ستة القاسم ولد قبل النبوة وبه كان
يكني ومات بعد نحو سنتين علي خلاف فيه واربع بنات زينب وهي
اكبرهن وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ابن خالتها
ابي العاص ابن الربيع ولدت منه عليا كان رديفه صلى الله عليه
وسلم يوم الفتح ومات قبل الاحتلام وامامة التي حملها في صلاته
تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله عنهما ثم رقية توفيت وهو صلى الله
عليه وسلم ببدر ولما عزي بها قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات
خرجه الدولابي ثم ام كلثوم توفيت سنة تسع من الهجرة تزوجها
عثمان بعد ابني ابي لهب ثم فاطمة الزهري البتول قال ابن عبد البر
ولدت سنة احدي واربعين من مولده صلى الله عليه وسلم والذي
رواه ابن اسحاق انها ولدت قبل النبوة زاد ابن الجوزي قبلها
بخمس سنين وسميت فاطمة الزهري لما مر اي لان الله تعالي فطمها
عن النار وبتولا لان الله قطعها عن النسا حسبا وفضلا او لانقطاعها
الي الله تعالي واختلف في انه صلى الله عليه وسلم هل ولد له غير اولئك
الستة فقيل الطيب والطاهر وعبد الله وقيل الاولان لقبان للثالث
ومات صغيرا وهو الاصح وقيل عبد مناف وقيل المطهر واما ابراهيم فمن
سريته مارية القبطية ولد في الحجة سنة ثمان وسماه ابراهيم باسم ابيه
قبل السابع او فيه روايتان وجمع بانها وقعت قبله مخفية واظهرت فيه وكان
صلى الله عليه وسلم يذهب اليه وهو في العوالي عند ظيرة الحداد فياخذه
ويقبله ثم يرجع ثم توفي وله سبعون يوما وقيل سنة وعشرة اشهر

وقيل غير ذلك وفي رواية انه لم يصل عليه بنفسه بل امرهم فصلوا عليه وفي حديث
لو بقي لكان نبيا لكنه لم يبق لان نبيكم اخر الانبيا لكن بالغ النووي في تزييفه وبطلانه
ورد بانه وارد من طرق ولا اشكال فيه لان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع
بل ولا الامكان توفيت خديجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون عن
خمس وستين سنة ثم تزوج سودة بنت زمعة بعد موت ابن عمها رضي
الله عنها اخي سهيل ابن عمرو بمكة لما ان رجعا من الحبشة بعد عقده
علي عايشة ودخل بها قبل عايشة علي ما جمع به بين الخلاف في ذلك
واراد طلاقها لما اسنت فوهبت نوبتها لعايشة فامسكها توفت
بالمدينة في شوال سنة اربع وخمسين ثم عايشة بمكة في شوال علي
راس ثمانية عشر شهرا وهي بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها
واحبها صلي الله عليه وسلم اكثر من بقية نسايه ولما فقدها صلي الله
عليه وسلم في بعض اسفاره قال واعروساه خرجه احمد وكانت فقيهة
عالمة حافظة فصيحة ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين وكناها
رسول الله صلي الله عليه وسلم ام عبد الله بابن اختها عبد الله ابن
الزبير لا بسقط اسقطته منه صلي الله عليه وسلم لان ذلك لم يثبت
وهي وخديجة افضل امهات المومنين ثم الاصح ان خديجة افضل لما صح
عن عايشة لما قالت قد رزقك الله خيرا منها قال لا والله ما رزقني الله
خيرا منها امنت بي حين كذبني الناس واعطتني مالها حين حرمني
الناس ولانه صلي الله عليه وسلم اقرا عايشة السلام من جبريل وخديجة
السلام من الله والاصح ان فاطمة افضل من خديجة لما فيها من البضعة الكريمة
التي لا يعدلها شي والخبر المقتضي لخيرية خديجة اجيب عنه من حيث

الامومة

الامومة لا السيادة وممن جري علي ذلك الامام المجتهد التقي السبكي
فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة افضل ثم خديجة ثم
عايشة واختار ايضا ان مريم افضل من خديجة للاختلاف في نبوتها
ثم حفصة بنت عمر تزوجها سنة ثلاث من الهجرة بعد ما رجعت
من هجرة الحبشة وموت زوجها بعد غزوة بدر وطلقها صلي الله عليه
وسلم فاوحي الله اليه راجعها فانها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة
توفيت سنة خمس واربعين ثم ام سلمة هند بعد موت ابي سلمة
سنة اربع وكانت من اكمل النسا ماتت سنة تسع وخمسين
ودفنت بالبقيع ثم ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان بن حرب
بعد ان مات زوجها عبد الله ابن جحش بالحبشة مرتدا سنة
ست زوجها النجاشي لعمرو بن امية الضمري وكيله صلي الله عليه
وسلم واصدقها عنه اربعماية دينار وبعث بها اليه صلي الله عليه
وسلم فدخل بها سنة سبع ماتت بالمدينة سنة اربع واربعين
وتزوج زينب بنت جحش بعد زيد زوجه الله اياها فدخل عليها
بغير عقد كما دلت عليه الاية وكانت تفتخر بذلك علي امهات المو منين
سنة خمس وقيل ثلاث وهي اول من مات منهن بعده وصح
عن عايشة لم تكن امراة خيرا منها في الدين واتقي لله واصدق حديثا
واوصل للرحم واوسع صدقة واشد ابتذالا لنفسها في العمل
الذي يتصدق به ويتقرب به الي الله تعالي اي وهو النوع رواه
مسلم ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب بنت خزيمة
الهلالية وكانت تسمي في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم سنة

ثلث ثم ماتت بعد ثلاثة اشهر وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية سنة
سبع بعد خيبر بسرف وبني بها فيه وكان حلالا وروايته محرما معناها انه
في الحرم علي ان من خصايصه صلي الله عليه وسلم ان له ان ينكح وهو محرم
وماتت فيه سنة احدي وخمسين وقبرها به مشهور يزار ويتبرك
به وتزوج جويرية بنت الحارث الخزاعية وكانت وقعت في سهم ثابت ابن
قيس بن شماس الانصاري فكاتبها فجاءت تسال النبي صلي الله عليه
وسلم وعرفته بنفسها فقال لها هل لك الي ما هو خير لك من ذلك
اودي عنك كتابتك واتزوجك قالت نعم فسمع الناس بذلك فاعتقوا
ما في ايديهم من قومها وقالوا اعتقها النبي صلي الله عليه وسلم قالت
عايشة فما راينا امراة كانت اعظم علي قومها بركة منها اعتق في سببها
مائة اهل بيت من بني المصطلق خرجه ابو داود وعن ابن شهاب
انه اختارها من السبي فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشرين سنة
توفيت سنة خمسين وتزوج صفية بنت حيي من نسل هارون
صلي الله عليه وسلم وعلي ساير الانبيا والمرسلين وهي من سبي
خيبر اذن صلي الله عليه وسلم لدحية في اخذ جارية فاخذها فقيل
للنبي صلي الله عليه وسلم لعطينه سيدة بني قريظة والنضير وهي
لا تصلح الا لك فخشي عليهم الفتنة فاعطاه غيرها ثم اعتقها وتزوجها
وبني بها وهو راجع الي المدينة وفي رواية انه صلي الله عليه وسلم قال
لها هل لك في قالت يا رسول الله اني كنت اتمني ذلك في الشرك وكان
بعينها خضرة فسالها عنها فقالت انها كانت نايمة وراس زوجها
ملكها في حجرها فرات قمرا وقع في حجرها فاخبرته فلطمها وقال تتمنين
ملك

ملك يثرب ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع فهولا نساوه
المجمع عليهن واختلفوا في ثنتي عشرة امراة بعضهن الاصح فيه انه
طلق قبل الدخول وبعضهن الاصح فيه انه يتزوجه ومحل بسط ذلك كتب
السير **الامان** اي اقسم عليك بهولا المذكورين وما منحتهم به ان تنيلني
من خصوصك بواسطة شفاعتك في الي من لا يخيب شفاعتك او ان
تؤمنني الامان **الامان** تاكيد اي من عقاب ما اقترفته من
الذنوب وخطيئة ما جمعته من العيوب **ان** بالفتح تعليلا وبالكسر
استينافا وفيه ايما الي العلة ايضا **فوادي من** اجل **ذنوب اتينهن**
هواء اي خال عن فهم ما ينفعني في ديني ودنياي لفرط الحيا والخجل
من الله تعالي والدهشة من خوف عقابه وسخطه وفي نسخة هبا
اي لا وجود له فيرجع لمعني الاول ومما يعطف علي جني بزيد اعتنا وك
لي وامداك لي اني **قد تمسكت** اي توثقت واعتصمت **من ودادك**
اي محبتي لك وكون المحبة تستلزم الاتباع انما هو اغلبي كما يدل عليه
الحديث يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يعمل بعملهم فقال صلي
الله عليه وسلم المرء مع من احب اوان المستلزم لذلك هو كمالها
اوان ذلك من الناظم من كمال هضم النفس بتقصيره ما لم يقع واقعا
كما هو شان الخوف المراعا مطلقا او في بعض الاحوال **بالحبل** اي السبب
الاقوي وهو العهد الوارد عنك في الاحاديث الصحيحة المرء مع من
احب وان لم يعمل بعملهم **الذي استمسكت به الشفعا** من الانبيا
والاوليا والعلما والصلحا فلم تحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة
محبتهم لك واذا اورثتهم محبتك مرتبة قبول شفاعتهم في الاغيار

اورثتني وقوع شفاعتك في مجامع اني احبك كما يحبونك ولو اختلف مثل
المحبة في الطرفين واعلم ان العلما والعارفين اختلفت عباراتهم في المحبة
وكثرت ولكن ليس اختلافا في حقيقتها بل احوالها وثمراتها
اذ حقيقتها من المعلومات التي لا تحد كما اطبق عليه المحققون
وانما تعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه ومن ثم
قال صاحب منازل السالكين كثيره هي لا تحد بحد اوضح منها فالحدود
لا تزيدها الا خفا وجفا وانما تكلم الناس في اسبابها وموجباتها
وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم
دارت على هذه الستة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات
حسب الادراك فالمقامات والحال وقد وضعوا لها حرفين من اسبقها
لها غاية المناسبة الحا التي هي من اقصى الحلق والبا الشفهية
التي هي نهايته فللحا الابتدا وللبا الانتها وهذا شان المحبة
وتعلقها بالمحبوب فان ابتداها منه وانتهاها اليه واعطوا الحب
الضم الذي هو اشد الحركات واقواها مطابقة لشدة حركة مسماة
وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب الكسرة لخفتها المطابقة لخفة
المحبوب وذكره على القلب واللسان وهذه مناسبة عجيبة بين
الالفاظ والمعاني تطلعك بان غير لغة العرب لا تلحقها واعلم ايضا
انه صح في الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس
اجمعين قالوا المراد هنا حبه صلى الله عليه وسلم اي الميل اليه اختيارا
لا طبعا وكل من كان ذا نفس مطمئنة كان حبه راجحا او امارة كان مرجوحا
وفي كلام عياض ان هذا شرط لصحة الايمان ورد بانه حمل المحبة على معنى

تعظيم

التعظيم والاجلال وليس مرادا هنا اذ اعتقاد الاعظمية لا يستلزم المحبة
اذ قد يجد الانسان اعظام شي مع خلوه عن محبته وانما المراد الميل كما تقرر
فمن لم يجد ذلك الميل لم يكمل ايمانه وفي صحيح البخاري ان عمر قال يا رسول الله
انت احب الي من كل شي الا من نفسي التي بين جنبي فقال صلى الله عليه وسلم
لن يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك
الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال صلى الله عليه وسلم
الان يا عمر فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانه حاصل
لعمر قطعا وانما وقف لان حب الانسان لنفسه طبعي وغيره اختياري
بواسطة الاسباب وهذا هو الذي اداره من عمر اذ لا سبيل الى قلب
الطبع وتغييرها جبلت عليه النفس فجواب عمر اولا بحسب الطبع ثم
تامل فعرف بالدليل انه صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه
نظرا لكونه هو الذي انقذه من هلاك الدنيا والاخرة فاخبر بما اقتضاه
الاختيار فاجابه بالان اي عرفت فنطقت بما يجب ومن علامة محبته
صلى الله عليه وسلم ايثار ما امره ومنهيه على جميع اغراضه قال
القرطبي وكل من امن به ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شي من تلك
المحبة الراجحة ولكنهم يتفاوتون فيها تفاوتا ظاهرا وكثير من العامة
يوثرونه على اهله وماله وولده وكذا زيادته بل زيارة اثاره
لما وقر في قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات
والشهوات عليهم وابى الله اي لم يرد كما جرت عادة كرمه وفضله وجوده
كما دل عليه ما تفضل به عليك بقوله عز من قايل ولسوف يعطيك ربك
فترضى والمعلوم المستقر من اخلاقك الجميلة والذي دلت عليه اثارك

الجليلة ان من لجا اليك لا يخيبه من شفاعتك ولا يحرمه ربك من فضله
مسارعة الي رضايك ومن ثم اخبرنا عنه تعالى انه سبحانه يقول لك في
ذلك الجمع الاكبر علي روس الاشهاد قل يسمع لك واسل تعط واشفع
تشفع ان يمسني السوء بحال اي في حال من الاحوال الدنيوة والاخروية
والحال اني لي اليك التجاء اي استناد لمزيد محبتي لك ولخدمتي لجنابك
وهو كاف لي حقيق بانه لا يناله من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان
ولا قطيعة ولاجل ذلك قد رجوناك معشر محبيك وخدامك ايها
النبي الكريم اي امكنا فيك للامور الخطيرة العظيمة من الذنوب
والمخالفات والغفلات والشهوات التي ابردها اي ايسرها
في فوادي نار رمضا اي نار تتقد من شدة خوف المواخذة
بما كسبته قلوبنا والسنتنا وجوارحنا وبين ابردها ورمضا
والفقر والغني المطابقة وانبنا اليك بقلوبنا اي وجهناها
الي الاستعاذة بك من كل مكروه او الي قبرك المكرم حال كوننا
انضا جمع نضو بكسر النون اي مهازيل فقر من الاعمال الصالحة
فلكثرة ما حملناه من الذنوب ضعفنا عن حمله وهزلنا بسبب
ثقله حملتنا الي حضرتك التي فيها الغني الاكبر انضا اي ركايب
مهازيل اجهدها طول السير وشد الاسراع بها الي الوصول الي
حضرتك العلية اغثنا بالوقوف بساحة كرمها والتملي بشهود
احسانها ونعمها وانطوت اي استترت في الصدور اي القلوب
حاجات نفس املت حصولها من جنابك الكريم ترفعها اليك اذا
وصلت الي حضرتك وحظيت بحلول نظرك منها الامداد من مزاياك

والتوسل

والتوسل والتشفع بك الي سواك لانه لا وسيلة اليه اقرب منك اليه ولا
احد بعدك يقول الكمل فضلا عن غيرهم عليه فحينئذ كانت تلك الحاجات
ما لها عن ندا اي عطايا يديك الكريمتين انطواء اي استتار واستغنا
بل لا يقضيها غير جاهك الواسع ولا يعني بها غير عطايك الهامع
فلا ارتحال لنا عن واسع فضلك وجودك ولا انصراف لنا عن ساحة
كرمك بل لا نزال مقيمين بجوارك مستمطرين لندا اي اثارك
طامعين في حصول كل املناه بشفاعتك التي هي مطمع المذنبين
ووسيلة المقصرين فاغثنا بها لنقضي جميع حاجاتنا بوفور
جاهك وعظيم منزلتك عند ربك يا من هو الغوث للمكروبين
والملجا للمنقطعين المنقذ لهم من الشدايد والغيث المريع
للمضطرين المشبع للجايعين المجزل لهم من الفوايد فازل
شكوانا وارفع لاوانا اذا اجهد الورا اي اذا ضيق علي الارض
الجدب حتي اشرفوا علي التلف والجواد الاعظم الذي لم يخلق الله
من يصل الي مراتب جوده فضلا عن ان يساويه فيه به اي
بسببه تفرج الغمة عنا معشر امته وتكشف الحوبا بفتح اوله وضمه
اي الاثم اي عقابه والشدة والحاجة والحالة القبيحة وفي نسخة
تفرج الكربة عنا وهي بمعنى الاولي لتساوي الغمة والكربة اذ هما
الكرب الذي يشتد علي النفس الي ان يكاد يقتلها والغما والحوبا
في معانيها المذكورة من غم الهلال اذا ستره غيم او نحوه والخبر
استجم يا ندا يتضمن غاية الاستعطاف والتحنن والترحم وهو
معطوف علي الخبر قبله بحذف حرف العطف او مستانف لكنه بعيد

رحيما من الرحمة وهي رقة القلب وغايتها الفضل والانعام او ارادتهما ومر في بيان اول ابيات هذه القصيدة ما ينبغي استحضاره هنا
بالمومنين مقتبس من قوله تعالى بالمومنين رءوف رحيم وكان بالمومنين رحيما ومر في شرح قوله رحمة كله ما يعلمك بسعة رحمته لا سيما بالمومنين وباهر رافته لا سيما على الضعفا والمساكين والايمان التصديق الاجمالي في الاجمالي والتفصيلي في التفصيلي بجميع ما علم من دين محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة عندنا اذ لا يكفر منكر غير الضروري وهو ما يستوي في معرفته الخاص والعام او بالاجماع وان لم يكن ضروريا لان انكار المجمع عليه غير ضروري كفر عند غيرنا بل وجماعة منا ولا يكفي التصديق وحده بل لا بد معه من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا في النار كما نقله النووي عن اهل السنة لكن اشار الغزالي الى ان ما اختاره جمع محققون غير انه من اهل الجنة وتركه التلفظ به معصية فقط لان قلبه مملوء بالتصديق فكيف يخلد واكثر فيمن لم يمتنع منه جحودا او انكارا والا كان كافرا اجماعا والاعمال من الايمان عندنا لاكثر المحدثين اي من كمالهم فالمذنب مومن فاسق تحت المشية قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقال الخوارج انه كافر والمعتزلة انه لا كافر ولا مومن وهو عندهما مخلد في النار لانتفا الايمان المتكلف بدخول الجنة تنبيه مهم
ينبغي

ينبغي الاحاطة به لعظم جدواه وعزة نحواه اعلم ان رحيما صيغة مبالغة بل ذكر غير واحد انه ابلغ من الرحمن وانه يستعمل في الله وفي غيره لكن في استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى اشكال ومن ثم قال بعض الائمة صفات الله تعالى التي على سبيل المبالغة كلها مجاز لاستحالة حقيقة المبالغة فيها لانها تثبت للشي اكثر مما له وصفاته تعالى متناهية الكمال وايضا فهي انما تكون في صفة تقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن ذلك التقي السبكي وغيره واستشكل والله على كل شي قدير بانه لما فيه من المبالغة يستلزم الزيادة على معنى قادر وهي محال واجاب الزركشي عن الاول بان صيغة المبالغة اما بحسب زيادة الفعل او تعدد المفعولات وهذا لا يوجب للفعل زيادة لان الفعل الواحد قد يقع على متعدد وعلى هذا تحمل صفاته تعالى فلا اشكال ولهذا قال بعضهم في حكم معنى المبالغة فيه تكرر حكمه بالنسبة الى الشرايع وفي الكشاف والمبالغة في التواب اي في غفور وهاب وتواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او في قبول التوبة حتى نزل صاحبها بمنزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه وغير الزركشي عن الثاني بما يوول لما قاله الزركشي وهو ان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف واعلم ايضا ان نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي اصل الفعل ويشكل عليه وما ربك بظلام
للعبيد

للعبيد وما كان ربك نسيا واجيب عن الاول بان ظلاما وان كان للكثرة
لكنه جي به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالي
علام الغيوب عالم الغيب قابل التوب في الاول المبالغة في الجمع
وفي الثاني صيغة اسم الفاعل الدالة علي اصل الفعل بالواحد
وبانه نفي الظلم الكثير لينتفي القليل ضرورة لان الظالم لم يقصد
بظلمه الانتفاع بما ياخذه فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه
فالقليل اولي وبانه بمعني ذي ظلم ونسب للمحققين وبانه
بمعني فاعل فلا كثرة فيه وبان اقل القليل لو وقع منه تعالي
لكان كثيرا كما يقال زلة العالم كبيرة وبانه اراد بليس بظلام
ليس بظالم باكيدا للنفي فعبر بذلك عن ذلك بليس عن ليس
بظلام وبانه ورد ردا علي من قال ظلام فلا مفهوم له وبان
صيغة المبالغة وغيرها في صفاته تعالي سوا في الاثبات فجري النفي
علي ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وهذه
كلها تصلح جوابا عن الثانية وزيد عاشر وهو مناسبة روس
الاي اذ ظرف لرحيما ما زايدة ذهلت اي غفلت عن ابنايها
الرحما مقتبس من قوله تعالي يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وتري الناس سكاري
وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد وتقييد رحمة المومنين
بهذا ليس لانتفايها في غيره بل لانها في هذا اليوم اظهر
واعلم ان الله تعالي يظهر له صلي الله عليه وسلم من العظمة
والسودد والتقدم علي جميع الانبيا والمرسلين وتخصيصه
بالشفاعة

بالشفاعة العظمي في فصل القضا ما يعلم جميع اهل ذلك الموقف ٨٧ ر
انه لا اقرب منه الي ربه وان كل سبب ينقطع في ذلك اليوم الا سببه
ونسبه وفي الرحيم والرحما رد العجز عن الصدر وفي الذمام والذما
وصاعدات وصعد او اقتفي واقتفا ووعرة ووعرا وليتقي والاتقا
ورعا ودرعا والعوج والعرجا ورضي والرضا وحب والحبا جناس
الاشتقاق او شبهه واعماله ومال جناس ناقص ويلان وبلام
لاحق وحر والحر محرف يا شفيعا من الشفاعة وهي السعي في اصلاح
حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه في المذنبين في غفران
ذنوبهم وكشف كروبهم اذا ظرف لشفيعا وفيه ما في الذي
قبله ما زايدة اشفق اي ذل اذ الشفق يطلق علي المشقة
وشان من حصلت له المشقة الذلة والدهشة وحمله علي هذا هو
الصواب واما تفسير الشارح له بالخوف فهو وان كان موضوعا
له ايضا لكنه لا يناسب هنا لانه لا يلايم قوله من اجل خوف
عقابه ذنبه عايد للبرية المتقدم رتبته وافرده نظرا للفظ
لا للمعني او لكون المراد منه الجنس علي حد قوله صلي الله عليه
وسلم خير نسا ركبن الابل نسا قريش احناه علي طفل الحديث
من الكباير جمع برئ بوزن قتيل وذكرهم لان خوفهم من
الصغاير فقط يدل علي شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب فيه
وان كان الخوف فيه من الذنوب يعم اكثر الناس لانهم لا يخلون عن
صغيرة بل صغاير لا يخرج عن ذلك الا المعصومون ويلحق بهم المحفوظون
ومع ذلك يعمهم الخوف ايضا وان لم يكن لهم ذنب كيف والانبيا عليهم

الصلاة والسلام شعارهم في ذلك اليوم اللهم سلم سلم جُدْ يا من تخلّى
بكمال الرحمة ونهاية الشجاعة بجاهك الواسع فانه لا واجد مثلك عن
ربك لعاص استاسرته الخطايا واحاطت به المحن والبلايا والاصل
لي اولنا فهو تجريد والتفات والترقيه التنكير لما ياتي ولم يعين ما
يجود به عليه فقصد العموم المسبوك بان يجود عليه في ذلك اليوم
بايصال شفاعته له الي كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب وما
نافيه سواي اي غيري هو العاصي ولكن تنكري الواقع في قولي
لعاص استحيا منك انا ذكرتك نفسي بلفظ يدل عليها بخصوصها
مواجها لك بالتصريح بارتكابها ما نهيتها عنه وحمل الاستحيا
على التنكير مبالغة كرجل عدل فان قلت ذلك مصدرات
بخلاف هذا قلت المراد بالتشبيه من حيث ان حمل الخبر
في كل يحتاج للتاويل لان الحمل يشترطه المساواة وهي غير
موجودة هنا لتباين مدلوليهما هكذا افتقر عبارته وفيه
مواخذتان احداهما الذي عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما
يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذلك تعريف الخبر علي ما
ذكره صاحب المفتاح ويشهد له الاستعمال نحو ان الله هو الرزاق
اي لا رازق سواه وفي الفايق وكلام الكشاف ميل اليه اذ تعريف
الخبر قد يكون لقصر المسند اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب
المقام فعلي الاول ان هو العاصي دال علي حصر العصيان في سواي
كزيد هو القايم والمستفاد من النفي الداخل علي الجملة نفي ذلك
حصر بنا علي ما هو المعهود ان النفي يتوجه للقيد فان توجه

باكل

الاستحيا ... النكرة

للمقيد ايضا توجه الاعتراض الاتي من باب اولي وحينئذ فمفهومه يشمل
شيئين انه عاص وحده وانه عاص هو وغيره لانك اذا قلت ليس سوي
لزيد هو القايم احتمل مفهومه ان زيدا هو القايم وحده وانه هو وغيره
قايمان واذا افهم النظم ذلك لم يجمع قوله ولكن الي اخره لانه اثبت علي
احتمال العصيان لغيره معه وهو خلاف قصده من انه العاصي وحده
اي ادعا وهضما للنفس لا حقيقة لان الواقع بخلاف ذلك ثانيهما
ان التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحيا ولين افاده فشان
السايل عدم الحيا لان المطلوب من المحتاج ان يرفع حاجته مبينا لنفسه
حتي يعرف حاله فيتعطف عليه فابهامه لنفسه حينيذ غير لايق
ولك ان تجيب عن الاولي بان من الواضح ان سوي كغير فلا تتعرف
بالاضافة الا اذا وقعت بين ضدين بل قال جماعة لا تتعرف بهما
مطلقا وان ال في العاصي للعهد الذهني فهي للجنس علي حد ولقد
امر علي اللييم يسبني فيراعي فيها التعريف تارة والتنكير اخري
وحينيذ زال الحصر الموهم مفهومه ما مر وصار المعني وما سواي
عاصيا بل انا العاصي وحدي وعن الثانية بان السايلين علي
اقسام منهم من يغلب عليه الحيا والخجل من ارتكابه ما كان سببا للسوال
فيستر نفسه حيا وخجلا من المواجهة بالتصريح بارتكاب القبايح
وسترا واحتشاما من اعترافه بالنقايص والقبايح خشية من
ان يظهر عليه ما يعين سبب سواله فيكون مقتضيا لحرمانه
والناظم رحمه الله تعالي لمزيد اجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم راعي ذلك
فنكر نفسه وذكر الوصف المقتضي لسواله علي جهة الابهام لا التفصيل

حيا من ان يبين نفسه او معينها فيكون ذلك سيا لرده تنبيه
لا زلت انطلب ان ما ذكره الناظم هنا من ان سبب التنكير قد يكون
الاستحيا هل صرح به احد غيره حتي وجبه ثم صرحوا بما يقرب منه وهو
قولهم لكل من التنكير والتعريف مقام لا يليق بالاخر فمن اسباب
التنكير ارادة الوحدة نحو وجا من اقصي المدينة رجل يسعي اي و
وارادة النوع نحو هذا ذكر اي نوع من الذكر وعلي ابصارهم غشاوة
اي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث غطي ما لا يغطيه
شي من الغشاوات ومما يحتملهما والله خلق كل دابة من ماء
اي كل نوع منها من كل نوع منه او كل فرد من افرادها من
افراد النطف وارادة التعظيم بمعني انه اعظم من ان يعين ويعرف
نحو فاذنوا بحرب ولهم عذاب ان لهم جنات وسلام عليه وارادة
التكثير نحو ان لنا لاجرا اي وافرا جليلا وارادة التقليل نحو ورضوان
من الله اكبر اي ورضوان قليل منه اكبر من الجنات ولبسرها وارادة
التحقير بمعني انحطاط شانه الي حد لا يمكن ان يعرف نحو من اي شي
خلقه اي من شي حقير مهين ثم بينه بقوله من نطفة خلقه
وهذا المعني يقرب من الاستحيا الذي ذكره الناظم وهنا قاعدة
نعم نفعها وهي ان الاسم اذا ذكر مرتين فان كانا معرفتين
فالثاني عين الاول غالبا دلالة علي المعهود الذي هو الاصل في اللام ١١
والاضافة نحو اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين او نكرتين فالثاني
غير الاول غالبا وقد اجتمعا في اية فان مع العسر يسرا ان مع العسر
يسرا ولذلك قال صلي الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فهذه تنمه بما ذكر
باكل

ي القسمين او الاول نكرة فقط فكالقسم الاول نحو رسولا فعصي فرعون
الرسول او عكسه حكمت القراين ونقضت هذه القاعدة بايات
كثيرة هل جزا الاحسان اي العمل الا الاحسان اي الثواب وهو
الذي في السما اله وفي الارض اله ويوت كل ذي فضل فضله ويرد
بما مر من انها اغلبية علي ان بعض المحققين بين ان جميع ما
اورد عليها من الايات من جملة افرادها وانه لم يشذ عنها شي
لكن في بعضه تكلف وتداركه اي ادركه بالعناية منك له بان تمده
بواسع كرمك وتفرغ عليه سجال حلمك حتي لا ياتي قط بمفوة
ما دام له بالذمام بمعجمة قسم متعلق بتداركه والالزم خلوه
عن معني يليق بالسينات اي تداركه بحق حرمتك التي انعم الله بها
عليك ما دام له منك ذما بالمعجمة اي تعلق واصله بقية الروح
في المذبوح اي ما دام فيه ادني تعلق واستمساك بك لانك اكرم
الكرما من الخالق وعادة الكريم انه من تعلق به نجا من كل
ما يخافه من اليم العذاب وبعد الحجاب ولم لا وقد اخزته اي
ذلك العاصي الاعمال السيئة التي ارتكبها والمال الفاني الذي
امسكه عن صرفه في وجوه الخير او جمعه من وجوه الشر حتي اشتغل
به وطاش في جمعه ليه ولم يبال من اي واد جمعه ولا باي وصف
اكتسبه عما قدم الصالحون جمع صالح وهو القايم بحقوق الله وحقوق
العباد وهو يشمل حتي الملايكة ومن ثم اخبر صلي الله عليه وسلم ان
المصلي اذا قال في تشهده السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين
اصابت كل عبد صالح في السما والارض وبين اخزته وقدم

المطابق كالحسنات والسيئات والملح والفرات والاستقامة
والاعوجاج والنوم واليقظة ووراء امام والصيف والشتاء والحر والبرد
ونحو ولبلي والرجاء والخوف والاقويا والضعفاء الاثبات والاغنياء
من الاعمال الصالحات والانفاق في وجوه الاعمال الخيرات وهذا لف
ونشر مرتب لان الاول للاعمال والثاني للمال ثم اعترف بذنوبه لان
الاعتراف مظنة العفو قال تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية
متندما عليها للحديث الصحيح الندم توبة فقال كل يوم وليلة
ذنوبي صاعدات مع ملايكة الليل والنهار الذين يرفعون اعمال
العباد فيهما الى الله تعالى اظهار العظيم فضل الطايع وقبيح فعل العاصي
وعليها اي من اجلها انفاسه صعدا اي متواترة ممدودة من
شدة ما يلقى من كرب الندم وفرط الاسف عليها وسبب الوقوع
في ورطتها انه الف البطنة بالكسر اي ملي بطنه من الطعام والشراب
كذا قاله الشارح والذي في القاموس انها الاشر والبطر
وقال في البطر انه النشاط والاشر وقلة احتمال النعمة والدهش
والحيرة والطغيان بالنعمة وكراهية الشي من غير ان يستحق
الكراهية انتهي وكل ذلك صحيح هنا وقال في البطن بوزن
كتف انه الاشر المنهوك ومن همه بطنه والرغيب لا ينتهي
عن الاكل المبطية السير الى الله تعالى اي الموقفة عن الاجتهاد في رضاه
باستفراغ الوسع في الاعمال الصالحة التي هي سبب هداية السبيل
وتنزيه النفس عن كل وصف دني وخلق رذيل ولو لم يكن من
... البطنة الا ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم ... المومن
...
... بما ذكر
ياكل

ياكل في معاء واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء انها تفسد العقل
بذهاب فطنته والبدن بازالة نشاطه وقوله بدار وهي الدنيا
بها اي فيها البطان جمع بطين ككرام جمع كريم بطا هي جمع بطي
على وزن الجمع قبله فهم متاخرون عن الفايزين متخلفون عن
السابقين في سبب عصيانه بكي ذنبه بقسوة قلب اي مع شدة
وغلظ ... يدين الى ان البكا صوري لا حقيقي ومن ثم نهت تلك
القسوة الدمع عن ان يبرز منه شي في عين ذلك البكا لكونه مكاء
وسبب هذا النهي انقلب البكا عن حقيقته وهو حزن يعتري
القلب فيحصل له من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجري
الدموع وينتج الرجوع وصار ذلك البكا كانه مكاء بالتخفيف
اي كالصفير بلا دموع كلا صوت يجري على اللسان ولم يتاثر به
القلب وبين البكا ومكا الجناس المضارع وغدا اي صار ذلك
العاصي بعد ما وقع منه من المعاصي والبكا الذي لا يفيد لمزيد قسوة
به يعتب من عتب عليه وجد عليه القضا من قضاه صنعه
وقدره اي يقول لم او كيف قدر علي هذا والحال انه لا عذر لعاص
فيما يحتج به على الله تعالى حتى يسقط اثمه وتندفع مواخذته
فيما يسوقه اليه القضا والقدر من المعاصي لان الله تعالى
اجرى عادته الالهية في هذا العالم على اسباب ومسببات
تناط بتلك الاسباب وينسب وقوعها اليها نظرا للصورة
الموجدية وامكان الكل في الحقيقة فانما هو بقضايه وقدره
كما يشير الى ذلك قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله

فقتلهم فاسند تعالى اليه صلى الله عليه وسلم والرمي واليهم القتل باعتبار
الصورة الوجودية ونفاهما عنهم باعتبار الحقيقة الايجادية اشارة الى انه
يجب علينا رعاية المقامين بان ننسب الافعال الى فاعلها صورة ليمدحوا
ويذموا باعتبار جريان تلك الصور عليهم والى الله تعالى حقيقة من
حيث عجز العبد عن ذلك وانفراد الحق تبارك وتعالى به وان نعتقد بطلان
مذهب القدرية الذين ينفون قدرة الحق ويثبتونها للعبد
تخيلا منهم انهم فروا بذلك عن نسبة القبيح الى الله تعالى وغفلة عن
انه يلزم ما هو اقبح من ذلك وهو ان يجري في ملكه تعالى ما لا يشاؤه
وعلى ان نسبة افعال العباد الى الله تعالى لا تستلزم نسبة القبيح
اليه لان الشيء انما هو قبيح بالنسبة لفعلنا لا لفعله تعالى لانه يتصرف
في ملكه بما يشا لا يسال عما يفعل وهم يسالون وان نعتقد بطلان
مذهب الجبرية ايضا لانه يلزم عليه ان لا ثواب ولا عقاب ولا مدح
ولا ذم لان المجبر المكره على الشيء من كل وجه لم يصدر منه فعل
ينسب اليه حتى يترتب عليه حكم وقد علم من الشريعة الغراء ان
الله تعالى اسند الافعال لعباده ومدحهم عليها تارة وذمهم
اخرى فيتنتج ما قلناه من التوسط بين المذهبين بان نظرنا الى الافعال
من حيث الصورة وانطنا بها احكاما ومن حيث الحقيقة وانطنا
بها احكاما لان هذا هو العدل السوي والطريق الواضح الجلي ونظير
ذلك مذهب الرافضة والناصبية واهل السنة فالرافضة سبوا
الشيخين وعثمان واكثر الصحابة وولوا عليا وشيعته والناصبية
سبوا عليا وشيعته وولوا ... اولئك الاثرين واهل السنة ... وتولوا

الكل

الكل ورضوا عنهم فكانوا في الجنة وكان كل من ذينك هنا وفيما مر ... (?)
في النار فان قلت قولكم ولا عذر الى اخره ينافيه احتجاج ادم بالقضا
والقدر في قصته المشهورة مع موسى صلى الله على نبينا
وعليهما السلام وسلم لما قال له موسى عليهما الصلاة والسلام
انت ابونا ادم الذي اخرجتنا من الجنة بخطيئتك اي بالنسبة لمقا
والا فليست بخطيئة حقيقة لانه نسي كما في الاية وايضا فلعموم
عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام فقال له كم تجد في التوراة
قد قدر علي ذلك قبل ان اخلق قال باربعين سنة فقال
اتلومني على ذنب قدره الله علي قبل ان اخلق باربعين سنة
قال نبينا صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح فحج ادم
موسى وكذلك احتج عمر على ابي عبيدة بالقدر لما ذهب الى
الشام فراى فيها طاعونا فاراد الرجوع فقال له ابو عبيدة
افرارا من قدر الله تعالى يا امير المومنين فقال له عمر لو غيرك
قالها يا ابا عبيدة لاوجعته ضربا نعم نفر من قدر الله الى قدر
الله قلت لا ينافيه اما الاول فلان الاحتجاج بالقدر ان كان قبل
الوقوع في الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع
فيه وقبل ان يستوفي منه ما وجب به ليمنع بذلك مواخذته به
لم يجز ايضا وان كان لا ليمنع ذلك بل ليمنع تعييره به ساغ له
ذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى واما
الثاني فالواقع من عمر ليس من الاحتجاج بالقدر في ذلك وانما هو بيان
لاسرار ما جاءت به الشريعة المطهرة لان الشارع نهى عن دخول بلد

ان نعم

الطاعون مع انه ان قد رموته بذلك الطاعون لم ينفعه عدم الدخول
او لا لم يضره ذلك الدخول فبين عمر رضي الله عنه ان المسببات
منوطة باسبابها من غير نظر في عواقبها فان الله تعالي كما قدر علي
اناس الموت بالطاعون قدر علي اخرين عدم الموت به فالامتناع
من الدخول فرار من القدر الي قدر اخر والدخول تجاسر علي ما
لعله يكون فتنة للداخل فانه لو وقع به ربما نسب موته الي فعله
فحرم عليه خشية الفتنة فان قلت والممتنع من الدخول اذا سلم
ربما نسب السلامة الي فعله ايضا قلت هذا اخف لان الاول
القا باليد الي التهلكة وهو منهي عنه في الكتاب والسنة والثاني بمنزلة
التداوي والفرار من المهلكة وهذا محمود في الكتاب والسنة
فان قلت لم جاز الفرار قبل الدخول لا بعده مع استوايهما
في المعني المعلل به كما مر قلت لا مساواة بينهما الا انا لو جوزنا
الفرار لاهل البلد لخرجوا وتركوا المرضي من غير حافظ له
ولا متعهد وذلك يودي الي هلاكهم غالبا فاقتضت المصلحة
العامة منع الناس من الخروج واما من لم يدخل فيها فلا
يترتب علي عوده مفسدة فجاز ثم رايت الغزالي ذكر ما قررته
في الجواب عن كلام عمر رضي الله عنه ونقله عنه النووي
وغيره واقروه حيث قال فان قيل ما فايدة الدعا مع
القضا مع ان الدعا لم يرده فاعلم ان من جملة القضا رد
البلا بالدعا فالدعا سبب لرد البلا ووجوب الرحمة كما ان
الترس سبب لدفع السلاح والما سبب لخروج النبات من الارض
وكما

وكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان كذلك الدعا والبلا
وليس من شرط الاعتراف بالقضا ان لا يحمل السلاح وقد قال
تعالي وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فقدر الله الامر وقدر
سببه انتهي فتامل هذا المحل فانه نفيس وفيه شبه كثيرة
ازالها بحمد الله هذا النقد بر الواضح لمن الهمه رشده واسعد
الله جده وخلصه من ورطات الفتن وغوايل البدع والمحن
حقق لنا ربنا ذلك بمنه وكرمه واذا تقرر انه لا عذر فيما يسوقه
القضا بالمعني السابق سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة
فكيف يعذر من اوثقته اي حبسته في الدنيا عن الخلوص من
التبعات وفي الاخرة عن مقامها المكرم من الذنوب حال منعقد
علي صاحبها وهو ديون اي ديون تراكمت عليه ناشية من كثرة
ذنوبه وتفريطه في حقوق الله تعالي وحقوق عباده شددت
في اقتضايها اي طلبها منه الغرما لان حقوق الادميين
مبنية علي المشاحة والمضايقة ما الحيلة اي طريق في
التخلص من تلك الديون سوي حيلة الموثق اي الاسير
الذي صار لا يقدر علي هرب ولا تخلص وحيلة من هو كذلك
تنحصر في شيين لا ثالث لهما لانه اما توسل الي الله
تعالي في خلاصه بما سبق له من عمل صالح او بشفاعة الشا[فعين]
او دعا اليه في ان يرضي عنه غرماه ويسبل عليه ذيل عفوه
وحلمه ورضاه راجيا حال من عاص وضمايره المذكورة اي مومّلا
املا قريبا ان تعود اعماله السوء عليه بغفران الله له مغفرة

عامة لا تبقي عليه وصمة ذنب ولا تذر له فاحتا حلب والحال ان عمل
الاعمال هي في جنب الغفران من الله هبا اي مثله في انها لا وجود لها
اذ هو غبار يري في شعاع الشمس اذا دخلت عند طلوعها من
كوة او ان نري سياته حسنات منة عليه بانه راجح في سلك
الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاوليك يبدل الله سياتهم
حسنات فبسبب استحالة السيات حسنات يقال عند رويتة
ذلك استحالت الصهبا اي الخمرة من الخمرية والنجاسة الي
الخلية والطهارة فتشبيه السيات بالخمر والحسنات بالخل
استعارة مصرحة واثبات الاستحالة التي هي لوازم المشبه به
تخييلية كل امر نعني اي تعنني وتهتم انت يا رسول الله
به وتلتفت اليه تقلب الاعيان جمع عين وهي الجسم وهو معني
تفسيرها بانها الهيصرة مستقلا بنفسه فيه بان تتحول
من صفتها التي لا تريدها الي الصفة التي تريدها وتحب
البصرا جمع بصير حسا ومعني اي ذووا البصاير والبصر
من ذلك التقلب الخارق للعادة المشاهد بالابصار الذي لا
يعارض بجحود ولا انكار وبشاهد ما وقع لك بالفعل اذ رب
هي هنا للتكثير قاله الشارح عين من عيون الما اي عيون كثيرة
تفلت اي بصقت في مايها الملح الذي لا يستساغ لاحد
فاضحي ماوها الملح والحال انه هو الفرات اي العذب السايغ
للشاربين او هو كالنهر المسمي بالفرات الذي هو احد الانهار
الاربعة النازلة من الجنة كما صح به الحديث الرواء بالفتح اي
الذي

الذي يحصل بتعليله الري الكامل لشاربه قال الشارح في وهو الفرات
الي والجملة خبر اضحي انتهي وهو جار في ذلك علي مذهب الاخفش
وتبعه ابن مالك تشبيها بالجملة الحالية لكن الجمهور انكروا
ذلك وتاولوا الجملة علي الحال والفعل علي التمام ولعل نسخته
بلا واو قيل هو تنبيه لم ار لخصوص التفل في ماء عين ملح فانقلب
عذبا فضلا عن كثرته التي قالها الشارح سلفا ويحتمل ان الناظم اخذ
ذلك مما رواه ابو نعيم انه صلي الله عليه وسلم بصق في بير دار
انس فلم يكن في المدينة بير اعذب منها فوجود الاعذ
في هذه ببركة بصاقه صلي الله عليه وسلم فيها منزل منزلة ما
ملح صار عذبا وفي حديث سنده حسن انه صلي الله عليه وسلم
قدم المدينة وليس بها ما يستعذب غير بير رومة وهذا
تقتضي ان ما عدي بير رومة من بقية ابار المدينة كانت
مياهها فيها ملوحة منعت الاستعذاب منها ومن جملة
هذه بير دار انس وقد صارت ببركة تفله صلي الله عليه وسلم
فيها اعذب بير بالمدينة فصار ماوها الذي تقرر ان به ملوحة
اعذب بير في المدينة فينتج من هذا صحة ما قاله الناظم رحمه
الله تعالي فتامله ثم رايت للبغوي في الصحابة عن بشر الاسلمي
ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الما الحديث السابق
في بير رومة عد باستنكارهم مياهها يدل علي ان فيها ملوحة
وما تقرر في بير انس يدل علي زوال ملوحتها بالكلية وانها
صارت اعذب حتي من بير رومة ثم رايت الشربيني في شارح مقاما

الحميري ذكر ان النبي صلي الله عليه وسلم تفل في بير اريس فعاد ماوها
عذبا بعد ان كان اجاجا وما ذكره غير صحيح فقد قال الحافظ الكبير الزين
العراقي انه لم يرا صلا لحديث تفله صلي الله عليه وسلم في بير اريس
قال غيره ومن الغرايب قول الغزالي جماعة صح انه صلي الله عليه وسلم
تفل فيها لحديث ما قاله التربيشي لا اصل له ولا عند ابن جماعة لان
فيه زيادة كون ما يها كان اجاجا فصار عذبا وهذا لم يقل فيه ابن
جماعة ولا غيره انه ورد فضلا عن كونه صح ولعل الناظم راي
ذلك في كلام مثل التربيشي ممن لا يعتد به في الحديث فاعتمده
ثم رايت الحافظ السيوطي ذكر ذلك بلا سند فقال وريقه صلي الله
الله عليه وسلم يعذب الما الملح انتهي ويحتمل ان مراده كما يوخذ
من تعبيره بيعذب لا باعذب ان ريقه صلي الله عليه وسلم فيه
قوة ذلك فلا يكون فيه دليل لما في النظم اصلا واذ قد فرط
مني ما سبقت الاشارة اليه فلا يسعني الا مزيد التندم
والتوجع منه والتاوه عليه بان اقول علي الدوام والاستمرار
اه كلمة توجع اي توجع عظيم وتندم زايد دايم من اجل
ما جنيت علي نفسي من الذنوب وقبايح العيوب اني يعني
اذ علي حد وخافوني ان كنتم مومنين وبما قررته ان ذلك
التوجع يفيد ذلك الندم الوارد فيه عنه صلي الله
عليه وسلم انه توبة اي معظمها المتكفل بما فيها غالبا
كالحج عرفة كان يغني الف من عظيم ذنبي من اضافة الصفة
للموصوف ومما اي مسماهما وهو التوجع المفيد للندم

المفيد للتوبة كما مر ويصح ان يكون ان علي حالها من الشك
لا نا وان سلمنا ان كلمة اه يفيد التوبة لكن قبولها ظني
لا قطعي علي الاصح ولك ان تمنعه لانه يكفي في كونها بمعني اذ
ان قبولها ظني لان ظن الوقوع ينافي وضعها من التردد
فيه ولما عرض بوقوع التوبة صرح برجايها ليبين ان
الاهتمام بها يمنع من الاكتفا فيها بالتعريض فقال ارتجي
اي اومل لحسن ظني بربي عملا بقوله صلي الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه
وبقوله تعالي انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا
التوبة وهي الندم علي الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم
عليه لغرض اخر كاطلاع الناس عليه وصرف دراهم فيه فان
ذلك لا يعتد به والاقلاع عن المعصية بترك ملابسة فعلها
من حيث الندم عليها لا لغرض اخر ايضا وعزمه علي ان لا يعود
اليها ما عاش كذلك ايضا لا لنحو قطع ذكره والخروج عن كل
مظلمة عصي بها بقضا ما عصي بترك ادايه فورا وبادا ما
عصي باخذه ظلما الي مالكه او وكيله او وارثه هذا ان قدر
والا عزم عزما جازما انه متي قدر علي الخروج منه يخرج
لفوره والتوبة ولو من الصغاير واجبة اجماعا تصح علي الاصح
من ذنب دون اخر وتصح علي الاصح ايضا وان سبقها توبة من
ذلك الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك النصوح اي التي لا
يعود من حصلت له الي الذنب ابدا لوقوعها خالصة عن كل شا بية

من شوايب الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض اخروي ولو اخرويا كان ثواب
لاجل دخول الجنة فان ذلك لا يوثر في اصل صحة التوبة وانما يوث
في كمالها لانها مشوبة بغرض النفس بخلاف الخالصة لله تعالى
قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين أي
يفيد بي هذا الترجي والحال اني ملتبس بما قد ينافيها اذ في
القلب نفاق من حيث العمل باعتبار انه قد يبطن خلاف ما يظهر
لا من حيث الاعتقاد لان ذلك انما يصدر ممن امن بلسانه فقط
وفي اللسان والاركان ريا أي نظر الي الخلق باعتبار ان ما
يصدر منها قد يكون فيه شوب نظر الي طلب رفق او ثنا من
مخلوق ومع ذلك لا اترك التوبة ورجا قبولها ولاجل ذلك
قالت رابعة رحمها الله تعالي واستغفارنا وان كان يحوج الي
استغفار لا يوجب ترك الاستغفار ومتي للاستفهام ،،،
التعجبي يستقيم قلبي بان لا يبقي فيه نظر الي ما يحجب عن
الله تعالي من اهل او مال او جاه او غير ذلك بل الي الله تعالي
وحده والحال اني وصلت الي حالة تدل على غلظ القلب وشدته
وعدم قبوله للخروج عما جبل عليه من الغفلة واللهو وتلك
الحالة هي انه حصل للجسم اعوجاج من اجل كبرني اي كبر سني
ووهن عظمي من كبر بكسر البا اي اسن واحنا ني قامتي وهو من
عطف الرديف او الاخص لان الاعوجاج يعم الاعضا كلها
والاحنا يختص بالقامة وهو تقوس الظهر وتبعد حينيذ ــ
الاستقامة مني بخلاف ايام الشباب فان العود رطب والقلب لين ،،

فادني

ا دني وعظ يوثر فيه واقل زاجر يردعه عما هو متلبس به فيبادر
الي ... سريعا وانما اخرت التوبة الي هذا الزمن لاني كنت في نومة الشباب
الذي تكثر فيه الغفلات وتتوالي على اهله الهفوات فاستحكمت غفلتي
حتي صرت كالنايم المستغرق الذي لا يفيق من نومه الا بمحرك قوي
فما استيقظت من تلك الغفلة في حال من الاحوال الا والحال ان
لمتي اي لحيتي شمطا أي اختلط سوادها ببياضها وما تقرر
في زمن الشباب اولا انه محل قرب التوبة والانزجار بادني واعظ
وهنا انه محل الغفلات والهفوات لا تنافي بينهما لانه وان
كان محل الهفوة والزلة ولكن صاحبه ينتبه سريعا الي زلاته ،،
ويرجع عنها حالا كان العود الرطب يستقيم اعوجاجه بادني ،،
عمل بخلاف زمن الشيخوخة فانه زمن الامساك عن كل هفوة
وزلة لكن صاحبه المرتكب للمعاصي الي ان شاب يعسر عليه
الرجوع والتوبة فورا لان عوده قسي وصلب فلا يتقوم
اعوجاجه الا بعد الياس ويشهد لذلك الحديث انه قيل
لك ان جبلا تحول عن مكانه فصدقوا وان قيل لك ان انسانا
تحول عن طبعه فلا تصدق وحينيذ بلغت هذا السن
الذي يعسر فيه التوبة كما تقرر نادمت اي طلبت ان اقتفي
اي اتبع اثر القوم الصالحين السابقين الي المراتب العلية ،،،
والفايزين بنيل المارب السنية فطالت على مسافة بيني
وبينهم لبعد الدرجات التي فازوا بها واقتفا لاعمالهم ،،،
واخلاقهم لانهم ... تفرقوا فيها اوقاتهم وانقطعوا الي الله تعالي

عن كل غفلة وتبعة فبسبب طول مسافتهم التي بيني وبينهم ورا
نهر تقدم السايرين بباطن صحيح اي السايرين ليلا من السُّرى
وهو السير ليلا وعدل اليه عن ورايهم الذي هو القياس ليفيد
انهم احيوا ليلهم بالعبادات وامتازوا فيه بلذيذ المناجات
وهو اي ذلك الورا امامي جملة معترضة للتصريح بما علم من قوله
اتخلفني الي اخره انه مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعه
لهم صار بينه وبينهم موانع ايضا سبيل مبتدا اي طرق وعر
اي يعسر سلوكها لان اوليك القوم كلفوا نفوسهم من الاعمال
والتخلق بكرايم الاخلاق والاحوال ما اوجب لغيرهم عدم اللحوق
بهم لعدم قدرتهم علي القيام بما قام به اوليك وارهق عرا بتقنع
اوله اي فضا واسع حمد اوليك القوم المدلجون اي السايرون
من اول الليل او اكثره والغلس حمد وايضا فعدل الى الاظهار
ليتبين انهم علي فرقتين منهم من يحيي بعض الليل ومنهم
من يحيي الليل كله او اكثره وان هذا القسم الثاني افضل
واكمل لانهم راوا ما يحمد بعد حمدهم مما لم يره من قبلهم
غب اي عاقبة سراهم من الفوز برضي الله وقربه والاطلاع
علي حقايق معرفته والتمتع بشهوده وهذا مقتبس
من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرا وكفي من تخلف
عنهم في سيرهم وهذا راجع الي قوله قود السايرين وقوله
حمد راجع لقوله السايرين فقبله لف ونشر مرتب الابطا
اي التاني في السير المفوت لادراك منازلهم في شكر هذا انما
لي

٢٦٧

الي غاية التحسر والتالم بذكره حالهم التي حمدوا عاقبتها وفاتته
لعجزه عن ادراكها لما هو عليه مما لا يوصله الي ذلك الغرض لبعده
عن تلك اللطايف وتقاعده عن بلوغ المعارف كيف وما هم عليه
من الجد في السير الي الله تعالي رحلة عظيمة عن مواطن الشهوات
وبواطن الشبهات وقبايح الارادات وقواطع البطالات ورحلتهم
هذه عز علي ان اقتفيهم فيها لاني لم يزل يفندني اي يكذب علي
او يضعف رايي الصيف اذا ما زايدة توبتها والشتا اي كذلك
اي اذا جا الشتا اوي الي الصيف لان الشتا يكثر فيه البرد والثلوج
والامطار فيعسر السير فيها واذا جا الصيف اقول اصبر بها الي
الشتا لان الاعمال يتيسر فيه اكثر ومن ثم قال صلي الله عليه وسلم
الشتا ربيع المومن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفي
سنده من ضعفه جماعة ووثقه اخرون والارجح توثيقه في
هذا السند بخصوصه ومن ثم صححه ابن خزيمة ويشهد له احاديث
منها مرحبا بالشتا فيه تنزل الرحمة اما ليله فطويل للقايم واما
نهاره فقصير للصايم وحديث لم ينزل عذاب قط من السما علي
قوم الا عند انسلاخ الشتا ومما اوجب ابطاي عن تلك الرحلة
انه يبتغي حروجي وهو ما يبدو من الوجنة الحر والبرد بانقابه
عنها خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن مشقة العبادة في
الشتا والصيف كما ان ما في البيت الذي قبله كذلك والحال انه
قد عزا اي صعب علي من لظي اي جهنم متعلق بقوله الاتقا
لاني متلبس بما يوصلني اليها الا ان يتغمدني الله برحمته عز وجل

هذا ضقت ذرعا بالمعجمة من اجل ما موصولة او مصدرية جنيت اي
ضعفت طاقتي عن ان تتحمل وزره ولم اجد من يخلصني من ثقله
واصل الذرع الخلق فيومي قمطرير اي شديد وهذا اكد لعز والرحلة
والصيف والشتا وضقت ذرعا فيه اقتباس من الايات المذكور فيها
ذلك وتلميح الي ما فيها من القصص وليلتي درعا بالمهملة اي مظلمة
كناية عن شدة ما يلقي فيها واصل الدرعا التي يطلع قمرها عند
الفجر ومراده ان ذلك الضيق ملازم له نهارا وليلا لا ينفك عنه
في واحد منهما تنبيه والليلة الدرعا بالمهملة ليست من الليالي
البيض بل هي احدي الثلاث التي تلي الليالي البيض كذا وقع
للشارح وليس بصحيح وعبارة القاموس وليلة درعا يطلع
قمرها عند الصبح وليالي درع بالضم كصرد للثلاث التي تلي البيض
لاسوداد اوايلها وابيضاض سايرها انتهت فيه التصريح
بان الدرعا ليست من احدي تلك الثلاث وان تلك الثلاث
لها وهي جمع معني غير المفرد وتوهم الشارح ان الجمع اذا كان
معناه ذلك لزم انه معني المفرد وهو انما يتم ان كانت درعا مفرد
ذلك الجمع وعبارة القاموس مصرحة في خلاف ذلك لانه فسرها بمعني
غير معني الجمع فتامل ولكن خفف عني ذلك اني تذكرت رحمة الله
اي سعتها التي دل عليها قوله تعالي ورحمتي وسعت كل شي
وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث الصحيح ان الله كتب
كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي اي ان
مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب وهذه الغلبة عندية

الشرف

الشرف والمكانة لا المكان لتعاليه تعالي علوا كبيرا او بسبب ذلك البشر اي
[illegible] سرور لوجهي متعلق بخبر البشر وهو تلقا وهذا اولي من
جعل الشارح له خبرا وتلقا خبرا ايضا اني اي في اي مكان انتحي
اتوجه تلقا اي مقابل اي فالبشر مقابل لوجهي في اي مكان
توجهت اليه لاني مستشعر لسعة الرحمة ومعول عليها
مع نظري الي قول الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوي
عن ربه انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا او بسبب
تذكري لما جنيته المقتضي لمزيد الخوف ولسعة الرحمة المقتضية
لسعة الرجا الخ اي اقام الرجا والخوف بالقلب فهما علي حد
سوا كما هو الراجح عند ايمتنا ان الانسان ما دام صحيحا فليكن
رجاوه وخوفه مستويين وقيل يغلب الرجا لئلا يغلب عليه
الياس من رحمة الله تعالي وقيل يغلب الخوف لئلا يغلب عليه
الامن من مكر الله تعالي ويردهما انهما اذا استويا امنت
غلبة احدهما فلا محذور نخشي حينيذ بخلاف احدهما فانه
نخشي منها المحذور الذي في مقابله اما المريض فيغلب
الرجا لقوله صلي الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن
الظن بالله تعالي اي يظن انه يغفر له ويرحمه وللخوف
والرجا اذا توارد علي القلب احقا استقصا ومنازعة لتضاد
مقتضاهما اذ مقتضي الخوف اعتزال شدة وحصر للنفس لا يطاق فانه
لانه من لازمه الكف عن كل محرم بل وشبهة بل وعما فضل عن حاجة
من الحلال كما هو شان الزاهدين اذ لم يحملهم علي ذلك الا عظيم خوفهم

ويومن هول السوال ويقتضي الرجا بسط النفس وانشراحها لان
من لازمه استحضار سعة الرحمة فان الذنوب وان كثرت الحجج
يغفرها الله تعالي ويتجاوز عنها بكرمه واذا تضاد مقتضاهما
لزم ان كلا يستقصي في مقتضاه ضد ما يستقضيه الاخر
لكن قد تقرر ان الاولي للصحيح ان يستوي عنده المقتضيان
ليلا يغلب احدهما فيخشي من المحذور السابق انفا ومن
ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضي للياس صاح اي ياصاحبي
وفيه نوع تجريد اذ الاصل يا نفسي لا تاس من رحمة الله تعالي
ان ضعفت عن الداب في الطاعة لضعف همتك وغلبة بطالتك
وايثارك الراحة وغفلتك عن اهوال القيامة واستاثرت اي
انفردت بها الاقويا بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها
المكروهات حتي تدربت عليها فصارت عندها من الذ مالوفاتها
واعظم مشتهياتها ان فيه شائبة تعليل للنهي عن الياس
ان ضعفت عن الطاعة لله رحمة عظيمة ادخرها لبعض
عباده تعم القوي والضعيف والوضيع والشريف واحق
الناس منه متعلق بقوله بالرحمة الضعفا اي الذين
لا يعولون علي اعمالهم ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه
واخلاصهم لله تعالي في عباداتهم فهم اقوي نية في العبادة وابعد
عن الريا فربما حصلت لهم بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الاقويا
وفي الحديث القدسي انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي اي لانه
مطلوبهم رضاي ومعتقدهم انه لا عمل لهم ومما يويد ذلك

انه

٢٦٩

انه صلي الله عليه وسلم في منامه الذي رواه لابي بكر وعمر فيما يتعلق بخلافتهما
فرائد ... خلافة ابي بكر وطول مدة خلافة عمر انتصرت لابي بكر مع انه افضل
الناس بعد الانبيا عليهم الصلاة والسلام نحو ذلك الضعف فقال بعد
ان بين انه علي بير وانه نزع منها بدلو وان ابا بكر اخذها منه فنزع
بها دلوا او دلوين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه فهو
ليس ضعف يقين ولا عمل وانما هو ضعف انكسار وافتقار وفي
الحديث ان الله لا ينظر الي الصور وانما ينظر الي الاعمال والقلوب
اي لا الي الاعمال وحدها بل لما يصحبها مما في القلوب من الاخلاص
والافتقار او ضدهما ثم استدل علي ان الضعيف قد يحصل له ما لا
يحصل للقوي بمثال ظاهر في الوجود فقال فـ بسبب الاحقية
المذكورة للضعفا ابق في الضعفا المشبهين بنحو العرج جمع
اعرج وهو من برجله دا يمنعه من استقامة المشي عن ال
منقلب الذود اي رجوعه الي ربه وهو جماعة الغنم كذا وقع
للشارح وهو سبق قلم سرى اليه من تعبير النهاية بقوله
واللفظة مونثة لا واحد لها من لفظها كالغنم انتهى فتوهم
ان قوله كالغنم راجع الي قوله والذود من الابل ما بين الخمس
الي التسع وقيل ما بين الثلاث والعشر واللفظة مونثة لا واحد
لها من لفظها كالغنم فهذا صريح في ان التشبيه انما هو في انه
لا واحد له من لفظه لا غير وعبارة القاموس وثلاثة ابعرة الي
العشرة او خمس عشرة او عشرين او ثلاثين او ما بين الثنتين
والتسع مونث ولا يكون الا من الاناث وهو واحد وجمع او

جمع لا واحد له وواحد جمع اذواد وقولهم الذود الى الذود ابل يدل على
انها في موضع اثنين لان الاثنين الى الثنتين جمع انتهت فني [illegible] السبق
العرجا اليه فتفوز منه بما مولها فتاخرها اوجب لها السبق فكذلك تاخرك
عن كثير من الطاعات ربما اوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يصحبك من
الذل والافتقار والاخلاص ما يخلف تاخرك بخلاف المكثر فقد يصحبه
من العجب والافتخار ما يوجب تاخره ومن ثم قال العارف المحقق التاج
ابن عطا الله رحمه الله رب معصية اورثتك ذلا وانكسارا خير من
طاعة اورثتك عزا واستكبارا واعلم انه لم يجعل ذات المعصية خيرا
من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما الذي افاده ان
المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذي صحب الطاعة فيكون
ذلك مقتضيا لعدم المواخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا لسقوط
هذه وعدم الاعتداد بها فكن لكلام الناظم هنا وفيما قبل يتنزل
على هذا فتنبه له واذا انحجزت عن الطاعة لضعفك عنها فلازم
الذل والانكسار ولا تقل حال كونك حاسدا لغيرك الذي اكثر
منها اي متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه هذا القوي بسبب
قوته اثمرت نخله اي كثرت اعماله فتشبيهها بالنخل استعارة
مصرحة وذكر الاثمار ترشيح واثر التشبيه بالنخل لان النخل افضل
الشجر لانها خلقت من فضلة طينة ادم صلى الله عليه وسلم
ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عماتكم النخل ولاجل هذا
شابهت الادمي في كثير من صفاته الحسية والمعنوية كما لا يخفى
ونخلي اي اعمالي عفا بالفتح اي كالتراب لا ثمر لها ولا يعتد بها

بسبب

بسبب ضعفي لانك حينئذ تعترض على الحكيم في فعله وتخصيصه لكل
منكما بارادة منكما وقدره ومن ثم كان الحسد كفرا للنعمة المنعم
وياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وخرج بحاسدا المتمرف الى ر
الحسد المذموم الحسد المحمود المسمى بالغبطة وهو ان تتمنى
ان يكون لك من النعم والخيرات مثل ما لغيرك مع بقايها له فهذا
مطلوب كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله لا حسد الا في اثنين
الحديث واحترز ان تتكل على رجايك فقط من غير عمل فانه
لا ينفع رجا الا مع عمل ومن ثم قالوا كل رجا لم يصحبه عمل غرور
كن مع رجايك اجتهد دابت بالمستطاع من عمل البر امتثالا
لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم الناسخ على ما قيل لقوله تعالى
اتقوا الله حق تقاته فانه صلى الله عليه وسلم لما فسر هذا بان يعبد
الله فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر قالوا اينا يطيق
ذلك فنزلت تلك مبينة لهم ان المطلوب انما هو ما يقدر دون
[illegible] دون ما عداه ويصح ان تكون مبينة للمراد منه فلا
نسخ وهو الاولى فقد ينتج القليل ما لا ينتجه الكثير بواسطة
مزيد اخلاص وانكسار كما انه يسقط الثمار الكثيرة او
النفيسة الاتا اي النخيل الصغار اذا اخلصت ارضه وزاد ريه
وخصبه ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك انت قد تفوز بسبب
ضعفك بالمعنى السابق بما لم يفز به القوي الناظر الى قوته
ونفسه ففي كلامه هنا وفيما مر تمثيل وتذييل وهو من
ارق فنون البلاغة والطف طرق البراعة وتفسير الاتا بالنخ[illegible]

الصغار وقع في كلام الشارح فلم يبين ضبطه
اهو بفتح الهمزة او كسرها ولا انه بالمثناة او المثلثة
ولم ار في القاموس هذا الذي ذكره الشارح وانما الذي
فيه الاثاء بالفوقية ككتاب تفسيره بما يخرج من الشجرة والثمار
وفي الاثاكاثا بالمثلثة تفسيره بالحجارة والماشية وهذا
يمكن تنزيل كلام الناظم عليه اي ان النخلة اذا طالت وصعب
عليك رقيها فقد يمكنك ان تسقط بعض ثمرها بحجر واعلم
ان افضل الاعمال وانجحها واسرعها انتاجا واعظمها
وسيلة هو مزيد محبة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم
فانها سبب لكل خير دنيوي واخروي وجنية فعليك
ان تكون ممن امتثل فليه بحب النبي صلي الله عليه وسلم
امتثالا لقوله تعالي قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وقوله صلي الله عليه وسلم لا يومن احدكم
حتي اكون احب اليه من اهله وماله وولده والناس
اجمعين ومر الكلام علي ذلك قريبا بما ينبغي مراجعته
واذا حظيت بهذه المحبة فانت اي اطلب رضي الله في
حبه الرضا من الله تعالي المنعم بما ليس في الحساب
والحبا اي العطا منه تعالي لجميع الخيرات الدنيوية والاخروية
كالتوفيق للاعمال الصالحة والفوز بالمقامات العلية
فكن علي رجا من ذلك اذا طلبته بمحبته صلي الله عليه وسلم
فانها نعم الوسيلة فاتبعوني يحببكم الله ثم عاد الي الفراعة
واظهار

٢٧١

واظهار المسكنة والضعف وابدا التحسر والتحزن
استغاثة بمن لا يخيب المستغيثين به فقال
انه مومل انه ببركة توسله به يتخلص من ورطات ذنوبه
يا نبي الهدي اي الدلالة علي الله تعالي بالنسبة للكل
وانك لتهدي الي صراط مستقيم والايصال اليه بالنسبة
للمومنين ومنه انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشا استغاثة بالرفع خبر مبتدا محذوف اي مسولي
وهي ندا من يخلص من شدة او يخففها والنصب مفعول
مطلق اي استغيث بك استغاثة اي ناديتك ندا
ملهوف اي مضطر متحسر محتاج الي من ينقذه مما
يهلكه اضرت بحاله الحوبا اي مسكنة ذنوبه وضعف
همته وذلك لانه يدعي الحب لله تعالي ولرسوله وهو
اي والحال انه يصدر منه ما يكذب دعواه من مخالفتهما
لانه لا يزال يامر نفسه او غيره بالسو اي الاثم فعله
وتركا والمخالفة تنبي عن عدم المحبة كما هو واضح لمن تامل
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولهذا
اشار الي تمنيه ان يصدق في دعواه محبتهما فقال ومن
استفهامية اي من الذي يتكفل لي فيه التفات ان
تصدق مني الرغبا اي العزيمة المصممة في الرجوع الي
الله تعالي بالتوبة والعمل الصالح وادعا الحب مع ظهور ما
يكذبه نقض واي نقض ومما يكذبه ايضا دوام الغفلة عن

محبوبه حتي انه لا يهجر بباله ولا في النوم ومن هذا حاله
اي حب يصح منه التعافي والحالان طرفي التعافي
للكرا اي النوم واصل لا ينفك النوم عنه في وقت وليس هذا
شان المحب وطيفك اي خيالك راي اي محتجب عني كما
احتجبت الراء عن واصل ابن عطا الرجل المشهور لانه هجرها
فلم يتكلم قط بكلمة فيها الراء لئلا يراد تحتها ومقارنتها
خشية من ان يعير بلثغته بالراء فصار هجر الشي المستمر
يمثل عندهم بهجر واصل للراء في النظم التورية لان واصله
بالنظر للكرى اسم فاعل وللراء اسم علم وتلميح لانه اشارة
الي قصة واصل المشار اليها وفيه الاستفهام الانكاري
اي كيف تصدق في محبتي وانا مواصل للكسل والنوم سلمنا ان
مواصلة النوم لا تؤثر في المحبة لانها امر وجداني فكيف توجد
مع عدم حضور خيال المحبوب بالضمير ولا في حالة النوم
وهذا ايضا في المحبة كما هو محسوس لاستلزامها ان طيف
المحبوب لا يغيب عن مخيلة المحب يوما ولا يغفله نفسه
قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد مع ما قدمه
اذ فقد حضور الطيف هل هو لذلك او لغيره فقال ليت
شعري اي ليتني علمت ذاك اي عدم حضور طيفه
بقلبي من اجل عظم ذنب وقع مني وهو الظاهر ام حظوظ
المتيمين اي المحبين حظا جمع حظوة بالكسر والضم وهي
المكانة والقياس في الجمع الضم والكسر كعروة وعرى وفي
حظوظا

واظهار

حظوظا وحظ الجناس المطلق اي انصباؤهم من المحبوب
متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير كثرة عمل وبعضهم
لا يحظى به مع كثرة العمل ان يكن عظم زلتي التي ارتكبتها
يحجب رؤياك اي رؤيا طيفك عني في النوم التي فقدتها
فقد عز دا قلبي الدوا اي قل بل عدم الدوا الذي يكون
لمرض قلبي فلا يوجد له شفا بوجه لانه لا يوجد الا من جنابه
صلى الله عليه وسلم فان فرض انه اخذ انسانا بعظيم ذنبه لم يمكن
احد غيره ان ينقذه منه ثم هذا التردد في وجود المحبة الذي
سبق انما هو لمزيد الخوف وان الانسان على مدرجة ان
يؤاخذ بذنبه وان كان محبا لا تزول محبته بل هي باقية ورجاؤه
في محبوبه واسع وان كانت ذنوبه كثيرة وجسيمة كيف
يصدى اي يسود بسبب الذنب الذي ارتكبه ذلك
المحب قلب يحب لك وهي بالحال له اي لقلبه متزلق بجلد
ذكرك مضاف للمفعول اي ذكره لك بالفضيلة والتسليم
عليك وسؤال الوسيلة وغيرها مما يعود عليه وعليك بزيادة
القرب فان الخلق كلهم مفتقرون الى ذلك ويجوز للفاعل اي
ذكرك له الجميل العايد على الذاكر بما لم يكن في حسابه جلا
ولما غلب على ظنه ما اشار الي التردد فيه بان في قوله ان يكن
الي اخره من ان سبب حجب الرؤيا عنه عظيم ذنبه صرح كما
يصرح من وجد لحد ماله او قاتل ابيه بعد ياسه منه فقال
هذه علتي التي انحلت جسمي واذهلت لبي لا غيرها والحال

انك انت طبيبي العالم بها الماهر في ازالتها فانك ليس يخفى
عليك في القلب دا او انت لا احد من الخلق اكرم ولا احلم منك
فعجل لي بدوا اي الدوا المحصل للشفا من وصمة جميع ما هنالك
فان شفاعتك لا ترد فالمتوسل بك لا يخيب وانما رفعت
اليك قصتي وشكوت اليك قلة حيلتي مما جنيت على
نفسي لان من الفوز اي النجاة والظفر لمثلي بجميع المطلوب
الذي لا فوز اعظم منه ان ابثك من بث وابث اي نشر
واظهر شكوى هي الاخبار عن النفس والغير بسوء فعله لكن
هذه انما هي شكوى مني لنفسي اليك لا الى غيرك اي انشر
واظهر بين يديك في ضمن مدحي اليك ما كاد ان يهلكني
من عظيم ذنوبي وقبيح عيوبي رجا ان تمنحني بنظرة
تزيل عني كل وصمة وتوجب لي منك كل رحمة لان رجاي
فيك واسع ومحبتي لك متزايدة وهي اي تلك الشكوى الواقعة
في ضمن ذلك المديح البديع اقتضا اي طلب من كرمك الواسع
وفيضك الهامع ان اتخلص من تلك الورطات وانجو من بوايق
ساير الورطات وان يحصل لي الشفا من جميع الادوا فان جاهك
متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسئول ومرغوب لا سيما لخادم
حضرتك الفاني في محبتك كيف وقد ضمنتها بالبنا للمفعول
اي تلك الشكوى لتقبل ونعود على بركة تنولها بما هو المقصود
منها بالذات مدايح لجنابك بديعة جمع مدحة اي كلام
متضمن للثنا الجميل الذي هو المدح المباين للحمد او المرادف

له او

له او الاعم منه او الاخص منه اقوال مر مستطاب بالرفع
صفة مدايح الذي هو نايب الفاعل فيك منها اي من تلك
الشكوى متعلقان بما قبلهما او بعدهما ومن تبعيضية
المديح لك والاصفا من سامعيها اليها لان اوصافك الكريمة
زينتها وصارت بها في غاية الكمال الذي يشوق الاسماع ويميله
غيره ارجا القلوب والبقاع ومن استطابة ذلك المديح ان الله
تعالى يسره علي في هذه القصيدة البديعة ببركة التجاي اليك
اذ قلما مصدرية حاولت تلك الشكوى مدحك اي لا ابرازه في
فيه لم اسبق اليه او اسلوب من انواعه اللايقة بك والمطلوب
فيها ان تجري على اعلى سنن البلاغة وقانون البراعة الا
ساعدتها ميم ودال وحا اي مسمى هذه الاسما وهو مدح
اي ما توقف على معنى نوع من تلك المعاني او الانواع فوجهت
همتي الى الاحسن منها الاوجد من الالفاظ الدالة على مدحك
تبادرني الى تاديته بغاية اللطف وتساعدني عليه بنهاية
الاسعاف فاني فتحقق منه بما هو ابلغ وابدع وكونها مصدرية
هو ما ذكره الشارح وعليه قال المغني قلت محاولتها مدحك
في غير حال كونها مساعدة بهذه الحروف الثلاثة فانها لا تنفك
جنبها بل تكثر انشاءها ويلزم عليه وقوع الاستثنا المفرغ في
غير نفي او شبهه وهو النهي او الاستفهام وهو ممنوع عند
اكثر النحاة ومن جوزه في الموجب كقام الناس الا زيد ردوا عليه
بانه يلزمه الكذب اذ تقديره ثبوت القيام لجميع الناس الا زيد

وهو غير جايز بخلاف النفي عنهم الافرادفانه جايز فان قلت
جوز المبرد التفريع في موجب يلزمه نفي كلو ولولا نحو لولا الله
الا زيد لاكرمتك وما هنا كذلك لان فعل يلزمه نفي ما عد العليل
فهو نفي في الجملة قلت ما ذكره المبرد بان التفريع يدخل في
الجملة الثانية التي هي الاولي واما الجواب الذي هو منفي تخارج
عما دخلت عليه الاعلي ان كون فعل تعقبه نفيا يشبه النفي الذي
في التفريع ممنوع واذا تقرر ذلك تعين تاويل النظم بان يقال
فاعل فعل محذوف دل عليه المذكور وان ما نافية وان الاستثنا
مفرغ من اعم الاحوال والتقدير فعل ان يستصعب علي ما اردته
من مدحك الا في ما حاولته في حال من الاحوال الاساعدني مدحك
علي الحال ما ينبغي ولاجل هذه المساعدة المسهلة علي ما اردته
من اعلا انواع البلاغة حقا اي ثبت واستقر لي فيك اي في
مدحك ما لم يكن في حسابي وهو ان اساجل قوما وهم الشعرا
الذين مدحوك اي افاخرهم فافوقهم ما صنعته خير مما صنعوه
وابين لهم ذلك حتي يذعنوا الي في ذلك ويصيرون قد سلمت
منهم لدلوي الدلا وحينيذ افوز منك بابلغ مما فازوا به وعبر
بالدلولات السجل هو الدلو العظيمة المملوة مذكوة واما الدلو
مونثة ومن هذا قولهم الحرب بينهم سجال ككتاب اي سجل
منها علي هولا واخري علي هولا ذكره في القاموس وعليه فالمساجلة
نطلق علي تنازع المستقين علي بير يدلا مختلفة يريد كل
منهم ان يظفر بملي دلوه دون الاخرين تشبيه بحم المادحين

في

في تنازعهم فيما يبرزونه وادعا كل ان ما يبرزه خير مما يبرزه غيره
فهي استعارة بالكناية واثبات المساجلة استعارة تخييلية
وذكر الدلو ترشيح ثم اشار الي علة اخري لتميزه عليهم وتسليمهم
له ذلك فقال ان لي غيرة بالفتح علي مدحك اي حمية توجب
لي اني لا احب ان غيري يسبقني فيه والحال انه قد زحمتني في
معاني الفاظ مدحك الشعرا واراد وان يسبقوني فيه والحال
انه استحكم لقلبي حبك اي في محبتك الفلو اي الاسراع والتقدم
عليهم بما لا يصلون اليه لولا اسعافك وامدادك ونظرك الي
ما يميزني عليهم فاني استفهامية بمعني كيف نحو اني يحيي هذه
الله بعد موتها او بمعني من اين نحو اني لك هذا او ترد ايضا بمعني
من او حيث ويحتمل الكل فاتوا حرثكم اني شئتم لكن الذي اختاره
ابو حيان وغيره انها في الاية شرطية حذف جوابها لدلالة ما
قبلها عليه لا استفهامية والا لاكتفت بما بعدها كما هو شانها
ان تكتفي بما بعدها اي يكون كلاما يحسن السكوت عليه اسما
كان او فعلا ويصح كسر ان اي واني قالبا اسمها لكن الاول ابلغ
واظهر كما لا يخفي فـ بسبب صدق محبتي وشدة غيرتي
ومزاحمة اقراني لي مع ارادتهم التقدم علي انثني خاطرا
اي فكرة لي علي هذا المدح البديع بان تمدحا بما تفوق
به جميع مزاحميها ومرافقيها فانك اكرم من جاز به محبيه
واجود من جاد علي مادحيه وانا من اصدقهم محبة وابلغهم
مدحة كيف وقلبي يبلى له مدحك لذة تحمله علي ان يبذل

وسعه مع صدق التوجه اليك وبكر في اختراع ما لم يسبق
اليه ولا حام احد قبله عليه علما اي لاجل علمي بانه
مدحك الله لا ابي الفرج التام كما في القاموس وغيره فان كان
الفرج بالجيم فواضح او بالحا المهملة ففيه بعد ويصح انه من تلالا
البرق بمعنى لمع اي علما بان مدحك يضي لقلوب المادحين
لك لا سيما تلفهم حتى ياتي في مدحك بالمعاني البديعة والاساليب
العجيبة كما وقع لي في هذا النظم لتميزه على غيره بامور منها
انه حاك اي نسج ذلك الخاطر فيه من صنعة القريض اي
الشعر برودا جمع برد وهو نوع من انواع الثياب
اليمانية فيه زينة لك لم يحك وشيها اي نقشها بالالوان
المختلفة صنعا مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج والو
شي المعاني البديعة في ادها انشها للقلوب عند سماعها
بالابراد الموشية المدهشة للابصار عند رويتها واثبت
لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الوشي والحوك كما اثبت
للمشبه به ما هو ملايم له وهو القريض ففيه استعارة
تصريحية مرشحة بذكر الوشي والحوك ومجردة بذكر القريض
ومنها انه قد اعجز الدر تنظيمه اي نظم هذه القصيدة
المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها
فاق الدر النفيس المنظوم الذي يدهش الفكر ويخطف
البصر لضويه وصفايه فاستوت فيه اي في العجز عنه
البدان اي القرجان الصناع بفتح الصاد المهملة والنون

والعين

والعين المهملة اي الحاذقة الماهرة والخرقا اي الغبية
فبسبب ما تميز به هذا النظم عن غيره ارضه اي اقبله
يا خير من امله المادحون ورجاه العافون واكرم خلق
الله واجودهم وتجاوز عما فيه وان كان فيه من الفصاحة ما لا
يدركه غيرك يا افصح من نطق الضاد اي بها اي افصح
العرب العربا وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم انا
افصح من نطق بالضاد الحديث وخصها لان غير العرب
لا يحسن اخراجها من مخرجها والعرب وان احسنوه لكنهم
متفاوتون فيه وكلهم لم يصل احد منهم الى الحد الذي كان
صلى الله عليه وسلم يصل اليه في تاديتها وكانه وجه هذا
الاقتباس اظهار الناظم ان ما اتى به واف بالغ في بلاغته
لا يبتنا هيا الى مدحه لان فصاحته معجزة لغيره فاي
بلاغة تودي ما يليق به فكانه يقول يا افصح الفصحا اقبل
ما جيت به وان لم يشم ادنى رايحة من روايح فصاحتك بل
ولا في بما يليق بكمالك ويويد هذا قوله الاتي ابذكر الايات
الى اخره فبسبب اختصاص الضاد بتعذر او تعسر النطق
بها فجا على غير العرب وتعذر نهايته على غيره صلى الله
عليه وسلم وقرب الظا من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به
الضاد قامت فاعلة الظا واشار بقامت الى انها تسمى
بالظا القايم حال كونها تغارسها اي الضاد الظا لكون
الضاد تميزت عليها بتلك المرتبة العلية اي ارادت الظا فضله

عن غيرها ان يحصل لها مرتبة تضاهي تلك المرتبة فلم يحصل
لها فغارت حينئذ ثم طلبي من كرمك يا اكرم الخلق الرضي بهذه
القصيدة ليس لكونها وفت بحقوقك الواجب استيفاؤها وهي في
مدحك بل للطمع في سعة جودك وحلمك ابذكر بي الايات في
هذا النظم اي الخصايص والمعجزات التي علمناها الدالة علي وصولك
الي ما لم يصل اليه مخلوف او فيك مدحا لا اذ لا يمكن ان يوفيك
الامن احاط بمقامك واني ذلك لغيرك مثلي اين مني الوفا بذلك
وانا من جملة العاجزين المقصرين واين منها الوفا بذلك وهي
محصورة وكمالاته صلي الله عليه وسلم غير محصورة ام متصلة اما ري
اي اجادل بهن اي بذكري لتلك الايات قوم لنبي اي المادحين
لنبينا صلي الله عليه وسلم اي لم اذكر تلك الايات بقصد اني اوفي
بها حقه صلي الله عليه وسلم ولا بقصد ان اجادل بها امتك ومن
ظن بي واحدا منهما فهو غبي لا يعقل ولا يفهم شيا سفاها ما ظنه
بي الاغبيا لانهم لقلة فطنتهم يتجاسرون علي الناس بما هم
بريون منه وكذا استيناف او عطف علي محذوف اي لك الايات
التي لا تحصي وكذا الامة الوسط كما قال تعالي وكذلك جعلناكم
امة وسطا اي خيارا عدولا لتكونوا شهدا علي الناس التي
غبطتها من الغبطة وهي كما مر ود الانسان ان له من الخير مثل
غيره من غير سلبه عنه والحسد ضد ذلك مع سلبه عنه بك
لا ايحين انبيتها اي ارسلت اليها الانبيا فانهم وان كانوا
من امتك بعض واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من
كتاب

كتاب وحكمة الاية ومن الكلام عليها الكثير وودوا ان يكونوا من
اتباعك الذين بعثت فيهم ليفوزوا بغاية الفخر كما فاز بذلك امتك
الذين بعثت فيهم فاطاعوك فان قلت كان القياس غبطتك
بها الانبيا لا انها افضل من اممهم بنص جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهدا علي الناس اي ودوا ان يكون لهم مثلهم كما صرح به موسي
صلي الله عليه وسلم فيما ياتي قلت هذا وان كان هو القياس
لكنه ارتكب فيه القلب الذي هو من احد انواع البديع خشية
من ان يتوهم من ذلك مدحه لنفسه لان مدح العام مدح لكل من
افراده فتامله ثم رايت ما يدل للقياس المذكور وهو ما رواه ابو
نعيم ايضا ان الله تعالي لما ذكر لموسي عليه الصلاة والسلام صفات
هذه الامة قال يا رب فاجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها
قال فاجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت واستاخروا
لكن ساجمع بينك وبينه في دار الجلال ولعلي نظرك اليها
لم تخف بعدك الضلال عما تركتها عليه من الشريعة الواضحة
البيضا التي لا يزيغ عنها الا هالك والحال ان فيها اعلام الهدي
وهم وارثوا نور هديك اي ما كنت عليه انت واصحابك وهؤلا
هم العلما الذين هم اهل السنة والجماعة وهم اتباع ابي الحسن
الاشعري وابي منصور الماتريدي وذلك كما اخبر نبنا به بقولك
في الاحاديث الصحيحة لا تزال طايفة من امتي ظاهرين علي الحق
لا يضرهم من خالفهم حتي ياتيهم امر الله وهم علي ذلك اي وهؤلا
هم اهل العلوم الشرعية والادبية من اهل السنة لان الناس

مع وجودهم امنون من كل محنة وضلالة دينية ويقولك ايضا

العلما ورثة الانبيا ان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما

ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر صححه جماعة وفي رواية

زيادة تحبهم اهل السما وتستغفر لهم الحيتان في البحر وفي اخري

وانما العالم من عمل بعلمه وفي اخري اقرب الناس من درجة النبوة

اهل العلم والجهاد وفي اخري كاد حملة القران ان يكونوا انبيا

الا انهم لا يوحي اليهم وفي اخري من حفظ القران فقد اندرجت

النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحي اليه ورواية علما امتي كانبيا

بني اسرايل لا اصل لها ولكن معناها صحيح لما تقرر ان العلما ورثة

الانبيا وقوله تعالي وورث سليمان داود اي في العلم والحكمة

والنبوة والرسالة ومنه فهب لي من لدنك وليا يرثني للخبر

الصحيح انا نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه فهو صدقة

واشار الناظم بما ذكره الي ان الله تعالي خص هذه الامة في

التوراة قال يا رب اجد في التوراة امة هم الاخرون السابقون

فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد ثم كرر ذلك مع اوصاف اخر

وكرر جوابه كذلك قال يا رب فاجعلني من امة احمد فقال يا موسي

اني اصطفيتك علي الناس برسالاتي الاية فقال رضيت

يا رب وفي رواية انه سال ربه هل في الامم اكرم عليك من امتي

فبين ان فضل امة محمد صلي الله عليه وسلم علي ساير امم الانبيا

عليهم الصلاة والسلام كفضله تعالي علي جميع خلقه ومنها

ان احدا لا يدخل الجنة قبلهم ومنها الوضو علي الكيفية المخصوصة

والتيمم واباحة الغنايم وان كل الارض تصح الصلاة فيها ويجوز

جعلها مسجدا الا محل مسجد القرار وجموع الصلوات الخمس والتامين

خلف الفاتحة كما صح به الخبر والركوع لخبر فيه رواه البزار والطبراني

ومن ثم قال جمع مفسرون ان صلاة من قبلنا لا ركوع فيها وفسروا

اركعوا بصلوا واركعي مع الراكعين بصلي مع المصلين وان صفوفهم في الصلاة

كصفوف الملايكة رواه مسلم والجمعة رواه البخاري وساعة الاجابة في

يومها ورمضان عند الجمهور والتشبيه في الاية لمطلق الصوم وخبر

انه كتب علي من قبلنا في سنده مجهول وفطر الله اليهم اوله وتزيين

الجنة فيه وخلوف افواههم اطيب من ريح المسك واستغفار الملايكة لهم

حتي يفطروا وعموم المغفرة لهم اخر ليلة فيه رواه البيهقي بسند

لا باس به بلفظ اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي

الحديث واستغفار الحيتان لهم حتي يفطروا رواه البزار والسحور وندبا

وتعجيل الفطر رواه الشيخان واباحة الطعام والجماع الي الفجر والاسترجاع

عند المصيبة قاله سعيد بن جبير ورفع اثقال التكليفات التي كانت

علي من قبلهم كتحتم القصاص حتي في الخطا وقطع الاعضا الخاطية

وموضع النجاسة وقتل النفس في التوبة والمواخذة بالخطا والنسيان

وما استكرهوا عليه كما صح به الخبر وان الله لم يجعل عليهم في دينهم

من حرج فان الاسلام وصف خاص بهم عند جماعة لكن الذي اعتمده

ابن الصلاح وغيره خلافه وان شريعتهم اكمل من ساير الشرايع

كما ان نبيهم اكمل الانبيا وقد كان لموسي وشريعته من الجلال

العصرى ضد ما كان لعيسى وشريعته من كل وجه ونشر بعثتنا اعقد
فيها الامران فسلمت من شدة تلك ولين هذه واعتدلت في
جميع جزئياتها ومن ثم وهب الله لهم من علمه وحلمه وجعلهم
خير امة اخرجت للناس واعطاهم مرتبة الشهادة على من سبقهم
في القيامة فاقامهم مقام الانبيا عليهم الصلاة والسلام في الشهادة
عليهم وكمل لهم من المحاسن ما فرقه في الامم كما كمل لنبيهم ما فرقه
في الانبيا وكتابهم ما فرقه في الكتب وانهم لا يجتمعون على ضلالة
كما في الحديث المشهور رواسانيده كثيرة وشواهده متعددة من
المرفوع وغيره وان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة وفي حديث
ضعيف منقطع اختلاف اصحابي لكم رحمة وفي رواية اقتضى
كلام الخطابي ان لها اصلا عنده وبه رد زعم كثيرين من الايمة
انه لا اصل لها اختلاف امتي رحمة للناس وان الطاعون رحمة
لامتي وعذاب على غيرهم لخبر به رجال ثقاة وانهم حفظوا
اثار رسولهم على قوانين علم الحديث بما لم يوجد نظيره في
امة وان فيهم اقطابا واوتادا ونقبا ونجبا وابدالا كما جا في احاديث
في الابدال ونحوهم وانهم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب لاستغفار
المومنين لهم رواه الطبراني وغيره وانهم اول من تنشق عنهم الارض
رواه ابو نعيم ويميزون يوم القيامة بالغرة والتحجيل من اثار
الوضو رواه البخاري اي ينادون بهذا الوصف ويكونون بهذه
الصورة ويكونون مع نبيهم على كوم مشرف في الموقف فتغبطهم

فيه

فيه جميع الامم رواه جماعة ويميزون ايضا بسيما السجود في وجوههم
قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو بياض شديد وقال شهر ابن
حوشب نور كالقمر ليلة البدر قال تعالى سيماهم في وجوههم الاية
وقيل هذا في الدنيا وعليه قال ابن عباس السمت الحسن او سمت
الاسلام وخشوعه وقيل الصفرة في الوجه من اثر السهر
ويوتون كتبهم بايمانهم رواه احمد وغيره ويسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم كما صح به الخبر ويحصل لهم ما سعى لهم من صوم
وحج وصدقة ودعا وقراة بل وكل عبادة عند كثيرين وايه وان
ليس للانسان الا ما سعى منسوخة او في حق الكافر ويدخل منهم
الجنة سبعون الفا بغير حساب رواه الشيخان وزاد الطبراني والبيهقي
مع كل واحد منهم سبعون الفا فبسبب ان في هذه الامة وان في
هذه كل المخصوصين بهذه الخصايص التي لم توجد لغيرهم من الامم
انقضت اي الانبيا اي معجزاتهم لانتساخ شرايعهم بموتهم
وان من كان من بعد موسى الى عيسى انما هو مرسل بكتاب
موسى وآيا تك اي معجزاتك في الناس قبل وجودك ومعه
وبعد وفاتك ما انقضت فيه العكس نحو لا هو حالهم
ولاهم يحلون لهذه الاية ورد العجز على الصدر اما الاولات فقد
مر منها جملة منها ما في كتاب الله تعالى من ذكره ونعته
وخروجه في ارض العرب وما خرج بين يدي ايام مولده وبعثته
من الامور العجيبة المرهصة للكفر واهله والموبدة لشان النبي
كقصة الفيل وعقاب اهله وخمود نار فارس وسقوط شرافات

ايوان كسرى وغيض ما بحيرة ساوة وخمود نارهم وما سمع من
الهواتف الصارخة به صلى الله عليه وسلم وباوصافه وانتكاس
الاصنام المعبودة لولادته وتظليل الغمام له في سفره الى غير
ذلك مما ورد في الاخبار الى بعثته صلى الله عليه وسلم مما هو
تاسيس لنبوته وارهاص لرسالته عليه الصلاة والسلام واما
الاخير فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص امته من خوارق
العادات بسببه ما يدل على تعظيم قدره الكريم ما لا يحصى
كما قال **والكرامات** الواقعة **منهم** اي الناس **معجزات** اذ
كل منهما امر خارق للعادة وانما يفترقان بالتحدي وعدمه لكنها
في الحقيقة معجزات لك **حازها من نوالك** اي عطايك وكرمك
الاوليا وكان القياس حازوها لكنه اظهر ليبين ان مراده بمنهم
العايد على الناس خواصهم وهم الاوليا جمع ولي فعيل بمعنى فاعل
لانه والى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج عن امرهما ونهيهما
او بمعنى مفعول لان الله تعالى والاه بخوارق نعمه ورسوله
والاه بمزيد امداده وكرمه وضابط الولي انه المداوم على فعل
الطاعات واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات كذا
قالوه ويتجه ان هذا ضابط للولي الكامل وان الاصل الولاية يحصل
لمن وجدت فيه صفة العدالة الباطنة بالشروط المذكورة عند
الفقها ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم المتكررة الدايمة ايضا ما يقع
للمتوسلين به من خوارق العادات بسببه مما لا يحصى ايضا
هذا كله مع قطع النظر عن القرآن الكريم فبالنظر اليه وانه المعجزة

الكبرى ففيه من المعجزات المتكررة بتكرر الازمنة ما لا يحصى ايضا
واعلم انه صلى الله عليه وسلم مما فضله الله في البطن بان جعله اول
الانبيا خلقا واجابة يوم الست بربكم جعله اول من تنشق عنه
الارض واول شافع واول مشفع واول ناظر الى ربه واول نبي يقضي بين
امته واولهم اجازة بامته على الصراط ودخلا الجنة وهم اول الامم
دخولا اليها وزاده من لطايف التحف ونفايس الطرف ما لا يحد كبعثه
راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى في فصل القضا
وبلوا الحمد الذي تحته ادم فمن دونه وبالسجود امام العرش
ويفتح عليه حينيذ بما لم يفتحه عليه ولا على احد قبله ولا يفتح
بها على احد بعده والندا اليا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك
وسل تعط واشفع تشفع وقيامه صلى الله عليه وسلم عن يمين العرش
الذي لم يقمه مخلوق يغبطه فيه الاولون والاخرون وشهادته
الانبيا عليهم الصلاة والسلام على اممهم **تنبيه** علم
مما تقرر ان الكرامة ظهور امر خارق للعادة غير مقارن لدعوى
النبوة على يد من عرفت ديانته واشتهرت ولايته باتباع نبيه
في جميع ما جا به والا فهي استدراج او سحر او ادلال كما وقع لمسيلمة
الكذاب لعنه الله انه جاه اعور ليدعو له فعميت
الصحيحة ايضا وتسمى اهانة وقد يظهر الخارق على يد عامي
تخليصا له من فتنة وتسمى معونة وانكرها جماعة محرومون كاكثر
المعتزلة وان وافقهم بعض متاخرين يتعين تاويل كلامه لان جلالته
تابى ان يرضى بهذا الزيغ الذي انتحلوه جواز الكرامة ووقوعها

وعليه قيل يمتنع كونها بقصد واختيار لادائها الي السقوط
عن مرتبة الولاية وقيل يمتنع كونها من جنس معجزة نبي والا
لالتبست بالمعجزة وردهما الفخر الرازي بان المرضي تجويز جميع
خوارق العادات في معرض الكرامات والمميز لها عن المعجزة
انما هو ادعا النبوة وكانه لم يرتض قول جماعة منهم القشيري
لا تنتهي الي احيا ميت ولا وجود ولد من غير اب ومن ثم رد
بعموم قولهم ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة
لولي وليس من شروط المعجزة غير القران ان لا يمكن نظيرها بل ان
يعجز المعارضون عن نظيرها ومن ادلة الجواز انه الوقوع ممكن في
كالمعجزة وقدرة الله تعالى شاملة لهما ولا بدع ان الملك يمد
رسوله بخرق بعض العادات ثم يفعل ذلك ببعض اتباعه اكراما
له ومن ادلة الوقوع النص القاطع بما وقع لمريم كلما دخل عليها
زكريا المحراب الاية وفي ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام ولاصحاب
الكهف ولوزير سليمان عليه الصلاة والسلام في عرش بلقيس
ونظاير ذلك وزعم انها ارهاص باطل على ان المعتزلة لا يقولون
به سلمناه فهو لا يمنع تسمية ذلك كرامة على يد من ظهرت
عليه والتواتر المعنوي وان كانت التفاصيل احادا في كرامات
الصحابة لاسيما ما وقع لعمر وعلي وتابعيهم ومن تبعهم الي
زمننا بل ظهورها يكاد يلحق بظهور معجزات الانبيا ولا عجب
من انكار المبتدعة ذلك فانهم حرموا مشاهدة شي منها من
انفسهم ومشايخهم وكثرة ظهورها لا يخرجها عن كونها خارقا خلافا

لمن

لمن زعمه لانه يلزمه ذلك في المعجزة على ان الكثرة فيها الاتنافي
خلقتها بالنسبة للعادة المستمرة وظهور الخارق على يد غير
الانبيا الاجل يقدرهم بل يزيد في جلالة اقدارهم والرغبة
في اتباعهم حيث نالت اممهم واتباعهم مثل هذه الدرجة ببركة
الاقتدا بشرعتهم والاستقامة على طريقتهم وليعلم ان
الخارق لا يسمى كرامة الا ان ظهر على يد من يعلم ان الكرامة لا تشتبه
بالسحر اصلا لانا ننظر لحال من ظهر الخارق على يديه فان توفرت
فيه شروط الولاية فذلك الخارق كرامة في حقه والا فهو سحر او غيره
مما مر وزعم ان الساحر لا يمكن ان يقلب عينا كالادمي حمارا ولا يقلب
طبيعة بخلاف الولي ليس في محله بل الخلاف فيهما واحد فقال
جمع يستحيل عليهما ذلك وجمع يجوز في حقهما ذلك وهو الاصح واما
قوله تعالى فلا يظهر على غيبه الا من ارتضى الاية فالاستثنا
فيه منقطع بدليل فانه يسلك الخ بل يعمه او غيبه مفرد
مضاف فهو للعموم واستغرق اي النفي في هذا الكل فرد فرد
من المخلوقين او مدلول المقام كلية لا كلي ولا كل خلافا لمن
وهم فيه فتحمل الاية عليه باقي على حقيقته اذ الغيوب كلها
لم يطلع الله عليها احدا من خلقه وانما غاية من اطلعه
منهم انه اطلعه على جزئيات مخصوصة ونعتقد برايته
متصلا وان المراد انه لا يظهر على بعض غيبه الا الرسول فلا حجة
لهم فيه لان القطع الضروري بوقوع الكرامات للانبيا والاوليا
يبين ان المراد من الاية غيب مخصوص اي لا يظهر على ذلك الغيب

المخصوص الامن ارتضى من رسله واما البقية من الرسل والانبيا
والاوليا فانه يظهرهم علي ذلك المخصوص بل علي غيره واعلم
ان من الكفر الصراح ما حكي عن بعض الكرامية ان الولي غير
النبي قد يبلغ درجة النبوة وعن بعض المتصوفة الجهلة
ان الولاية فوق رتبة النبوة وان الولي قد يبلغ حالة يسقط
عنه فيها التكليف قال الغزالي رحمه الله تعالي ولقتل الواحد
من هولا خير من قتل مائة كافر لان ضرر اوليك في الدين اشد
وليس من اوليك العارفان العالمان المحققان الوليان الكبيران
المحيوي ابن العربي والسراج ابن الفارض واتباعهما بحق
خلافا لمن زل فيهم قدمه وطغي قلمه الا ان يكون اراد بما
قاله الذب عن اعتقاد ظواهر عبارتهم المتبادرة عند من
لا يحيط باصطلاحهم ان تاكيد لقوله ما الهمن انقضا من
معجزاتك الباهرة العجز [illegible] الناس عن وصفك بمفرد
مضاف فهو للعموم اي عن الاحاطة بكل فرد فرد من اوصافك
التي اختصك الله بها اذ لا يحده اي الوصف المذكور لا احصا
اي العد كيف يستوعب الكلام الصادر من واصفيك سجاياك
اي ما فيك من الاخلاق الكريمة والفضايل والاوصاف البالغة
اقصي ما يمكن البشر الرقي اليه وهي لاحد لها باعتبار ذاتك
لانك لا تزال تترقي في مراتب القرب في الحياة وبعد الممات وفي
الموقف وفي الجنة الي ما لا نهاية له ولا انقضا وهل تنزح
البحار المشبهة اوصافك بها في ان بنتك قيام الوجود الحسي

بها

وبهذه قيام الوجود المعنوي لما انه صلي الله عليه وسلم روح
الكون والخليفة الاكبر عن الله في امداداته الركا المشبهة
بها الالفاظ في ان كلا يتوصل به الي حيازة بعض المطلوب
دون انتهايه وهذا تذييل مبين بما اشتمل عليه من
الاستعارتين المصرحتين المرشحة لما يذكر الشرح ان
اوصافه صلي الله عليه وسلم لو عبر عنها من اول الزمان الي اخره
لا تحد ولا تحصي ومما يزيد ذلك بيانا وايضاحا انه
ليس من غاية لوصفك اي اوصافك توجد حتي انتهيها
اي اطلبها ولا لقولك اي مني غاية لما تقرر ان ذلك الترقي لا
نهاية له اذ لا يطمع في الاطلاع عليه وبفرضه لا تحده العبارة
بخلاف القول منه فانه محدود متناه وبهذا اعني قولي مني
اولا ومنه ثانيا مع ما تقرر يندفع ما اشار اليه الشارح من
اشكال في ذلك وانقضا تاكيد والفرق بين الغاية والنهاية
اعتباري ومما يزيده بيانا وايضاحا ايضا ان يقال انما
فضلك اي فضايلك الزمان اي يشهد من حيث الاجمال
فيها واما بالنسبة للتفصيل بجزييات كل الجزييات الافراد
اياتك اي معجزاتك وخصايصك فيما نعده ونحسبه
الانا جمع انا كمعا وامعا كذا ذكره الشارح والذي في القاموس
والانا بفتح ويكسر والانو بالكسر الوقت والساعة من الليل
اوساعة ما منه والانا كالي وعلي كل النهار انتهي والمراد
هنا مطلق الساعات اي اللحظات فكما ان هذه لا تحد فكذلك

تلك هذا ولا تظن اني باطالتي في هذه القصيدة تعداد اوصافه
صلى الله عليه وسلم اخالف ما قد منه انها لا تعد لاني لم اطل في
تعداد مدحك بينها نطقي والحال ان مرادي بذلك استقصا
اي حصر لاوصافه وانما مرادي بذلك برد الغليل وشفا العليل
كما افاده قوله المشتمل على اداة الاستثنا الذي هو منقطع هنا
غير اني اي لم ارد الحصر لكني ظمآن وجد اي بي من شدة شوقي
لسماع تلك الاوصاف غاية الظما والتعطش للارتوا من سماعها
وما اي ليس يحصل لي بقليل من الما الذي اشربه حال الورود
منه ارتوا مما بي من العطش فاطالتي في التعداد لطلب مزيد
الارتوا من سماع تلك الاوصاف لا لطلب حصر لتعذره وفي
كلامه استعارة مصرحة لانه شبه شغفه بتعداد الايات
وذكر افضل الصفات بظما شديد به لا يرويه الا الما الكثير ورشح
لذلك بذكر الورود والارتوا ف بسبب حصول الارتوا لي من تلك
الاطالة ختمها بما هو المتعين من الدعا لك بالسلام والصلاة
امتثالا لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فاقول سلام
عظيم شرعي اي سلامة من كل افة ونقص كاينة عليك تترا
اي متكررا ويتبع بعضه بعضا دايما وفي القاموس تترى وتترى
كدعوى يرعى تراخى واترى عمل اعمالا متواترة بين كل عملين
فترة انتهى وقد يشكل على استعمال الناظم تترا هنا
مرادا به ما ذكر الا ان يجاب بانه اراد به اصل المعنى وهو مطلق
التتابع من غير اعتبار تراخ ولا فترة بقرينة المقام وقد

بالخروج

٢٨٢

بخروج البليغ عن المعنى اللغوي الى ما هو اخص او اعم منه للضرورة
مع الاستغنا بفهم ذلك الخصوص او العموم منه من قرينة المقام
والسياق فتامله من الله ويبتغي به اي بسببه على ممر الازمنة
الى فنايها وما بعد ذلك مما لا منتهى لاخره لك البقا وا اي
الفخر لان تسليم امتك عليك مع التكرر والدوام زيادة في
شرفك وفخرك وانما ذكرت سلام الله عليك ابتدا مبادرة الى
اشرفيته وسلامك ثانيا لانك في الحقيقة لا يكافيك من سلام
الخلق غير سلامك على نفسك تحيته سلام عليك منك فما
اي ليس غيرك من المخلوقين منه متعلق بالسلام لك متعلق
بكفا ولك بمعنى عليك السلام كفا اي مكافي لحضرتك من
المكافاة وهي المساواة اذ كيف يساوي سلام من هو دونك
ولم يعطا بعضا يليك ومع ذلك لا يطلب من غيرك عدم السلام
عليك بل يطلب من كل احد السلام عليك وان لم يكافي سلامه
[illegible] ثم قال وسلام عليك من كل ما خلق الله من كل ناطق
وجامد وفي نسخة من ما الاولى غلبت غير العاقل لكثرته والثانية
غلبت للعاقل لشرفه على حد ولله يسجد من في السموات ومن
في الارض وما في السموات وانما جيت بهذا العموم لتحيي بذكرا
الاملا جمع ملا وهي الجماعة وبالغ الناظم حيث طلب السلام
عليه صلى الله عليه وسلم من ربه ثم من نفسه ثم من ساير المخلوقات
ليجتمع له صلى الله عليه وسلم ساير وجوه السلام فيه وفي شريعته
وامته وجميع اثاره ولاجل هذا العموم الذي يوجد في السلام

دون الصلاة خصه بالذكر وقد ذكرنا كما ذكرته في كتابي الجوهر
المنظم في زيارة القبر المكرم الذي لم يصنف في هذا الباب مثله
في ايثار الزائرين للسلام وتكرره دون الصلاة ما يؤخذ منه ماذكره
فتامله وصلاة وهي من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم اي من الله
ومنكما ومن كل مخلوق نظير ما مر في السلام كالمسك في الطيب والنفع
البالغ تحمله مني اي ذلك المسك الذي هو عين صلاتي شمال
وهي التي تهب من جهة القطب الي المغرب الي حتي يتعطر الوجود
بعبيره وتحيي الارواح بعبقه وعبيره او نكبا وهي الصبا وتهب
من سهيل الي القطب والجنوب وتسمي الازيب وهي التي تهب
من سهيل الي المغرب والدبور وهي التي تهب من المغرب سميت بذلك
لانها تهب من ظهر الكعبة والحاصل ان الريح ان هبت من تجاه
الكعبة فالصبا وهي حارة يابسة او من ورائها فالدبور وهي باردة
رطبة او من يمينها فالجنوب وهي حارة رطبة او من شمالها
فالشمال وهي باردة يابسة وهي ريح الجنة التي تهب عليهم رواه
مسلم ولهذه الخصوصية للشمال بدا بها الناظم تنبيه
تفسير النكبا بما ذكر وقع في كلام بعضهم وعبارة القاموس
والنكبا ريح انحرفت ووقعت بين ريحين ومر بسط عبارته
في ذلك في شرح قول الناظم فكانت الصبا لديك الرخا وعبارة
كفاية المتحفظ الرياح اربع الصبا والدبور والشمال والجنوب
فالصبا هي الريح الشرقية ويقال لها القبول وهي تهب من مطلع
الشمس والشمال وهي الريح الشامية وتسمي الجربيا وهي تهب

ثم ناحية

من ناحية القطب والجنوب وهي الريح اليمانية وتسمي التيما
والازيب وهي تهب من ناحية سهيل وكل ريح انحرفت عن مهاب
هذه الرياح الاربع ووقع بين ريحين منها فهي نكبا وجمعها
نكب انتهي المقصود منه وبه يعلم ما في تفسير النكبا بالصبا
وهو وان صح تجوزا لكن لا حاجة اليه مع ايهامه انه وضع حقيقي
لها وسلام علي ضريحكم اي قبركم المكرم وهو افضل حتي
من الكعبة بل من العرش ويكون المراد من الضريح هنا البقعة التي
ضمت اعضاه الشريفة لم يكن في افراد السلام هنا كراهة لانه
عين السلام عليه الذي ضم اليه الصلاة فيما مر تخضل بمعجمتين
اي تبتل به منه اي القبر المكرم تربة وغبرا اي لبنة ذات
رمل شبه السلام بالما الكثير الطيب البارد البالغ في النفع فهي
استعارة مصرحة وخيل له بذكر تخضل وثنا في هذه القصيدة
قد منته بين يدي نجواي العسا الي منك بلوغ المامول
الواقع في هذه القصيدة لا يقوي بها جد لعاصر الي اخره وفي غيرها
اذ اي لاجل اني لم يكن لدي اي عندي ثرا بالمثلثة اي مال
اتصدق به امتثالا لقوله تعالي اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين
يدي نجواكم صدقة اذ الامر فيها كان للوجوب ثم نسخ بما
بعدها وهو اشفقتم الاية وجا انه لم يعمل بها قبل النسخ من
تقديم الصدقة بين يدي النجوي غير علي كرم الله وجهه
ورضي عنه ولا يلزم من نسخ الوجوب نسخ الندب ولذا يسن
لمن يريد زيارته صلي الله عليه وسلم ان يقدم بين يدي زيارته

صلي الله عليه وسلم صدقة والناظم رحمه الله تعالي ظاهر كلامه انه
كان يعتقد بقا الذنب فاعتذر بانه لامال له يتصدق في بين يدي
سواله وانه جعل حسن توسله وثنايه بدل المال الذي يتصدق
به تنبيه تفسيري لدي بعندي لانها مثلها
في اكثر احكامها من كونها ظرف مكان تستعمل في الحضور والقرب
الحسيين والمعنويين نحو عند مليك مقتدر عند ربهم
ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه ان رحمتي سبقت
غضبي ولا تستعمل الا ظرفا وغير ذلك فلا ينافي ذلك انها قد
تفارقها في كثرة جر عند بمن خاصة وامتناع جر لدي مطلقا
وفي ان عند تكون ظرفا للاعيان والمعاني وتستعمل في الحاضر
والغايب بخلاف لدي فيهما وتفارق عند ولدي لدن في ان
ذينك يصلحان في ابتدا غاية وغيرها ويكون فضلة نحو
وعندنا كتاب حفيظ ... بخلافها في لغة الاكثرين
وجر لدن اكثر من نصبها وقد لا تضاف وقد تضاف للجملة
بخلافهما قال الراغب لدن اخص من عند وابلغ لانه يدل علي
ابتدا نهاية الفعل ما مصدرية ظرفية اقام الصلاة اللغوية
او الشرعية من عبد الله وابد بهذا مع انقطاعه استغنا
عنه بما بعده علي انا لا نسلم انقطاعه لان اهل الجنة يدعون
ويتعبدون كما علم من احاديث اقرا وارق وغيرها لكن
للتلذذ لا للتكليف ولا يضر في ذلك التابيد انقطاعه مدة
يسيرة للخبر الصحيح لا تقوم الساعة وعلي وجه الارض من يقول

الله الله ولا ينافيه خبر الصحيحين لا تزال طايفة من امتي ظاهرين
علي الحق لا يضرهم من خالفهم الي ان تقوم الساعة لان المراد قرب قيامها
لما جا ان الله قبيلها يرسل ريحا لينة فلا تمر علي مومن ولا مومنة
الا ماتت ثم تتمحض الكفرة فلا يبقي علي وجه الارض مومن ثم تقوم
الساعة وما قامت اي بقيت علي ابلغ نظام واتقن احكام بربها
اي بايجاده وامداده الاشيا اي الموجودات في الدنيا والاخرة وابدها
بالاول مع انقطاعه بفنا هذه الدار ليتبرك بذكر المتعبدين
اخر كلامه وبالثاني الذي لا ينقطع لدوام نعيم الجنة وعذاب النار
ليجمع بين شرف الاول ودوام الثاني مع الاشارة بالختم بذكر الرب سبحانه
وتعالي الي استفتاح ابواب تربيته واستمناح موانح لطفه وهدايته
جعلنا الله ممن حقق له خفايق تربيته وامداده واسعافه واسعاده
وامنه من كل فتنة ومحنة مسبغا عليه رضاه متفضلا بكل ما
يتمناه انه هو الجواد الكريم الرووف الرحيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام علي المرسلين والحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم وبارك افضل
صلاة وافضل سلام وافضل بركة علي افضل الخلق سيدنا محمد واله
وصحبه عدد معلوماتك ابدا وعلينا معهم كلما ذكرك وذكره الذاكرون
وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون امين امين قال مولفه رحمه الله واعاد
علينا من بركاته وقع الفراغ منه قرب نصف الليل ليلة الجمعة ثاني جمادي
الاولي سنة ست وستين وتسعماية من الهجرة النبوية وكان الفراغ
من التكملة في يوم الاحد المبارك في سنة خلت من شهر جمادي الذي
هو من شهور سنة ١١٩٨ الف ومائة وثمانية وتسعين من الهجرة النبوية
علي صاحبها افضل الصلاة
واتم التسليم
امين